

الدكتور عبد الجواد الطيب
الأستاذ بجامعة طرابلس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝

مدخل

بين اللغة واللهجة

إذا كان القدامى من علماء اللغة وكتابها كابن فارس، وابن جنى والجاحظ وغيرهم قد استعملوا أحياناً لفظ «لغة» للتعبير عن اللغة العربية فى عمومها، وشمولها، وانتظامها للهجات القبائل العربية المنتشرة فى أنحاء الجزيرة، فإنا قد ألفيناهم - مع هذا - يؤثرون التعبير بلفظ اللغة عن اللهجة التى يتميز بها كل قبيل عربى عن عن قبيل غيره، وقد ذاع بينهم هذا الاصطلاح ذيوعاً كبيراً، فنجده دائماً عند علماء اللغة فى رواياتهم وكتبهم وتراجمهم. ومن ذلك ما روى عن أبى حاتم أن أبا زيد الأنصارى كان يتسع فى اللغات، وأنه - أعنى أبا حاتم - يعيب على يونس اتساعه فى اللغات «أى اللهجات». كما نلمس هذا واضحاً فى كتب اللغة ومعاجمها، ومن أمثلة ذلك: «الوتر ضد الشفع بكسر الواو لغة الحجاز، وفتحها نجدية»، «حزنه لغة قريش، وأحزنه لغة تميم»، «سجرت النهر ملأته، وأسجرته لغة»، وفى خزانة الأدب للبغدادى، والاقتراح للسيوطى: «قد كانت العرب ينشد بعضهم بعضاً، وكل يتكلم على مقتضى لغته التى فطر عليها» أى لهجته. والأمثلة على هذا كثيرة فى كتب اللغة.

وقد عقد صاحب الخصائص فى كتابه أبواباً وفصولا للهجات العربية مستعملا كلمة لغة فى معنى لهجة، ومن ذلك قوله: «باب اختلاف اللغات وكلها حجة»، «أسباب اختلاف لغات العرب»، «باب فى تركب اللغات»، «باب فى الفصيح تجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا»، وقد نجد مثل هذا أو مايقاربه عند ابن سيده.

هذا، وقد ألفت كتب كاملة فى اللهجات العربية القديمة، يحمل اسمها وعنوانها ذلك الاصطلاح القديم، ومن هذه الكتب والمؤلفات ما لا يوجد منه الآن إلا اسمه مثل كتاب «لغات هذيل» لعزير بن الفضل الهذلى. ومنها ماوصل إلينا مخطوطاً

أو مطبوعاً » وهناك أمثلة منها : كتاب اللغات لأبي زيد ، ومثله للأصمعي ، وأبي عبيدة ، والفراء ، وابن خالويه . كتاب اللغات في القرآن لإسماعيل بن عمرو المقرئ ، ومثله لآخرين من العلماء ، تهذيب الأسماء واللغات لأبي صالح المروزي ، رسالة ما ورد في القرآن من لغات القبائل لأبي عبيد القاسم بن سلام ، كتاب لغات القرآن لأبي بكر ابن دريد .. وأخيراً كتاب « مميزات لغات العرب » لحفني ناصف .

ولم يكن هذا الاستعمال مقصوراً بالطبع على كتب اللغة وحدها ، بل تعداها إلى كتب النحو والصرف — واللغة والنحو صنوان — فكثيراً ماتراهم يعرضون لهذه اللهجات أو اللغات — على حد تعبيرهم — عند الاختلاف في مسألة من مسائل النحو أو التصريف ، كقولهم في إعراب المثنى مثلا : « ولزوم الألف لغة حارثية » ، وقولهم في الفك والإدغام : « الفك لغة الحجاز ، والإدغام لغة تميم » . والأمثلة على هذا لا تقع تحت الحصر .

وكذلك كان الشأن عند علماء القراءات والتفسير ، ومن كتبوا في علوم القرآن بوجه عام ، وفي غريب الحديث ، وكتب الطبقات والتراجم ، والأدب ، والتاريخ والاجتماع .. فجميعهم كانوا يستعملون هذا الاصطلاح عندما يعرض لهم في تضاعيف الكلام .

وإذا كان العلماء القدامى قد أكثروا من استعمال لفظ « لغة » بمعنى « لهجة » فإنهم قد استعملوا كذلك لفظ « لسان » وهم يريدون به المعنى الذي يريده المحدثون من لفظ « اللغة » . ويبدو أن هذا الاستعمال قديم عند العرب ، وأنه قد بدأ أول ما بدأ على سبيل المجاز ؛ لأن اللسان أداة اللغة ، وأداة الكلام ، ولكنه قد تطور مع الزمن حتى صار أشبه مايكون بالحقيقة العرفية ، وقد استخدمه العلماء في هذا المعنى — كما أشرت — فأبو نصر الفارابي عندما يتحدث عمن نقلت عنهم العربية من قبائل العرب نراه يقول : « والذين نقلت عنهم العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم .. » . وابن خلدون يسمي لغة مضر باللسان المضري ، ولغة حمير باللسان الحميري ، وقد ورد هذا الاستعمال كثيراً في القرآن الكريم .

ونرى ابن منظور يسمي معجمه اللغوي « لسان العرب » فكأني به — وقد سماه هذا الاسم — يتفاءل بأن يكون معجمه ذاك جامعاً للغة العربية أو للكثير من ألفاظها

اتها ، وعلى هذا الأساس سماه هذه التسمية التي تشير إلى ما ذكرنا من استعمال « اللسان » بمعنى اللغة .

إذا وضعنا في اعتبارنا ما درج عليه علماء العربية في التدرج بالقبيلة من الكثرة إلى أو من الأصول إلى الفروع حين قالوا إن الشعب أكبر من القبيلة ، وتليه القبيلة ، ارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ والفصيلة ، لقلنا إن « اللسان » كثيراً ما يراد به لغة جميعهم ، أو لغة شعب كبير منهم كالمضرية والحميرية ، أما اللغة فأغلب ما كانت فعلى لهجة قبيلة بعينها ، أو بعض بطون هذه القبيلة أو أفخاذها وفصائلها .

* * *

ما كلمة « لهجة » فإنها لم تشتهر ، ولم تأخذ مكانها في صورة اصطلاح علمى إلا في الحديث حين درج عليه العلماء أخيراً من مستشرقين وشرقيين ، وإن كان بعضهم ل يراوح بين هذين الاستعمالين [1] فاللهجة عند المحدثين هي مجموعة من الصفات تتسم بها بيئة معينة بحيث يشترك فيها جميع أفرادها . وهناك بيئة أعم من هذه مل عدة لهجات وهي التي يسمونها باللغة ، وقد استعمل هذا اللفظ الأخير في لمعنى من قديم ، وإن كان القدماء يؤثرون في معناه كلمة « اللسان » كما أشرنا .

يرى بعض المحدثين من اللغويين ضرورة التفرقة بين اللغة واللهجة ، وفي رأيهم أن هي لغة الكتابة ، وأن اللهجة هي لغة التخاطب ، لغة الكلام ، لغة الحديث في لناس اليومية .

سألة مع هذا مسألة اصطلاحية خالصة ، ولا مشاحة في الاصطلاح كما يقال ، ولاسيما ت الأمر على درجة من الوضوح لا يُغَشيها شك أو التباس . وأنا شخصياً لم أوثر م أحد هذين الاصطلاحين دون الآخر ، فاستعملت لفظ « لغة » في عنوان هذا ب على التعبير القديم ، والتزمته كلما جاء على لسان القدامى في نص من نصوصهم ، عملت في تضاعيف البحث كلمة « لهجة » كما يستعملها المحدثون إشارة إلى أن لأمر ليس ذا خطر ، أو ذا بال بحيث يتغير له وجه الحق ، أو تتأثر به حقائق لماء .

---

[1] أمين : فجر الإسلام ص ٥٢ . محمد كرد على « عجائب اللهجات » مجلة اللغة العربية ١٢٨/٧

ولعل التعبير بكلمة لغـــة فى عنوان هذا البحث يشير إلى أهمية هـــذه اللهجة الهذلية ، وأنها وإن لم تبلغ مبلغ اللغة بحق ، فهى - مع هذا - ليست لهجة قبيلة صغيرة بين قبائل العرب، بل هى لهجة قبيلة كبيرة لها بطونها الكثيرة وفصائلها المتعددة التى شغلت موطناً واسعاً فى شبه الجزيرة العربية .

وتلك إشارة عابرة إلى أهمية اللهجة الهذلية ، فليس هـذا موضع البحث عنها فى إسهاب ، بل سيكون ذلك على شىء من التفصيل فى موضعه من البحث .

❁

أهمية دراسة اللهجات

البحث فى اللهجات العربية القديمة لايقل أهمية وخطراً عن البحث فى اللهجات الحديثة ، فكلاهما بحث حيوى هام ، له أثره الخطير فى الوصل بين القديم والحديث ، وفى تطوير اللغة الفصحى وتيسيرها ، والملاءمة بينها ، وبين ظروف الحياة الراهنة فى الوطن العربى ؛ حتى تكتسب جدة وانطلاقاً ، ووفاء بحاجات هـذا العصر دون إجحاف بها ، أو تحيف عليها ، أو انتقاص لما لها من منزلة سامية فى نفوس أبنائها ، فلقد أصبح البعد شاسعاً ، والهوة سحيقة بين هذه الفصحى ، وبين اللهجات العربية التى قد تطورت مع الزمن فى بيئاتها ، وأثرت فيها مؤثرات كثيرة لا تحصى عدا ، باعدت بينها وبين أصلها العربى ، فصارت الفصحى فى جانب ، واللهجات العامية فى جانب آخر . صار للعامة لغة ، وللخاصة لغة أخرى تغايرها تمام المغايرة ، فلغة الحديث ولغة الحياة التى يحياها الناس ويضطربون فيها صارت شيئاً آخر يختلف اختلافاً بينا عن لغة العلوم والفنون والآداب ، فإذا بنا نجـد أن لغتنا — برغم غناها وثرائها — وقفت جامدة لاتساير ركب الحياة ، وإذا بنا نجد عناء ومشقة فى تعلم لغتنا ، فكأنما هى لغة أجنبية عنا . ينشأ الطفل فى بيئة بعيدة عن هـذه البيئة اللغوية الخاصة كل البعد ، ثم يبدأ منذ طفولته يتعلم اللغة فيفجأ منها بكل جديد ، وكل غريب ، ثم يصبر ويصبر ، ويظل يتعلم ويتعلم ، وقد يخرج فى النهاية بعد طول الدرس والتحصيل غـير قادر على السيطرة على قلمه ولسانه كما ينبغى أن يسيطر الناس على لغتهم .

فتصحيح هذا الوضع يتطلب منا — قبل كل شىء — أن نتوفر على دراسة اللهجات العربية دراسة فاحصة قبل أن نطمع فى شىء من الإصلاح المنشود .

وإنه لمن سوء الطالع أن قدماءنا لم يهتموا بهذا البحث فى قليل أو كثير ، فعلماء اللغة ورواتها كان من اليسير عليهم — وهم أقرب عهداً وأمس اتصالا باللهجات العربية فى مواطنها — أن يستقرئوا هذه اللهجات العربية المختلفة ، ويتتبعوها بحثاً واستقصاء فى

مظان وجودها راجعين بالشيء إلى أصله ، جامعين للإلف إلى إلفه ، ولكنهم لم يفعلوا ؛ لأنهم لم تتوافر لديهم مناهج البحث الحديث ، ولأنهم لم يقـــدروا فى أذهانهم ما نعانيه الآن من جراء هذا التقصير ، فكان أن اتجهوا إلى جمـع نصوص اللغة ومروياتها دون تمييز بينها ، لا لتكون ميداناً لأبحاث مستقلة ، ومجالا واسعاً لدراسات مستفيضة تخدم الإنسانية والعلم والفن جميعاً ، بل جمعوا ما جمعوا من نصوص اللغة ومادتها من القبائل التى ارتضوا الأخذ عنها ، ليكون فى ذلك رعاية للكتاب الكريم ، وحفظ للغة من الضياع ، وللسان العربى من اللحن والتحريف ، وتلك — دون شك — غاية نبيلة ، ولو قد صحبها سعة فى الأفق ، ودقة فى البحث ، وسلامة فى المنهج على قدر طاقاتهم وظروفهم ، لـكان فى ذلك للأجيال العربية من بعدهم غنم عظيم . ولكنهم جمعوا أكثر ماجمعوا دون أن يردوه إلى الأصـــل الذى استمدوا منه ، والقبيلة التى أخذوا عنها ، وهم إذا ما فعلوا — وقليلا ما يفعلون — قد نجد فيما أسندوه إلى أصله مايدعو إلى إعادة البحث ، وطول النظر ، ولهذا جاءتنا نصوص اللغة ومروياتها وهى أشبه ما تكون بركام هائل ، ما أكبره من ناحية الـكم ، ولكنا نجـد فيه مشقة وعناء إذا حاولنا الإفادة منه فى ضوء البحث الحديث .

هذا شأن قدمائنا ، وما كانوا خليقين أن يقدموه لنا من فائدة جليلة فى مثل هذه الأبحاث لو قـد تغيرت وجهة نظرهم — كما قلنا — واتسعت آفاقهم فى جمعهم لمـادة اللغة ونصوصها .

* * *

أما نحن المحدثين فإننا — إذا استثنينا حفنى ناصف — لم نهتم كذلك باللهجات العربية ، ولم يتجه بعضنا إلى إدراك أهميتها إلا بعد أن لمسنا ذلك عند المستشرقين الذين أولوا هذا النوع من البحث عنايتهم ، ولكنى أتفاءل بأننا — وقد اتجهنا إليه — سنبزهم فى هذا المضمار ، فاللغة لغتنا ، ونحن أجدر أن نتوفر على بحثها من غيرنا ، وبهذا نستطيع أن نسد نقصاً كبيراً فى جانب هام من جوانب الدراسات العربية ، والبحث اللغوى . وفى ضوء هذا نستطيع الإصلاح والتطوير والتيسير ، ووصل اللغة بالحياة على أساس وطيد سليم .

ولقد حاول بعض المجددين من المفكرين والعلماء والكتاب تيسير اللغة العربية على الناشئين من أبنائنا ، فسلك كل منهم فى ذلك مسلكا رأى فيه خير طريق يؤدى إلى التيسير المنشود ، فمنهم من رأى فى إصلاح النحو أقرب طريق إلى هذا التيسير ، فراح يبذل الكثير من الجهد فى هذا الفرع من الدراسات اللغوية ، ومنهم من رأى أن تيسير الكتابة العربية ، والهجاء العربى هو أقصر الطرق إلى ما يريد ، ومنهم من طالب بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، وتقدم بهذا الاقتراح إلى مجمع اللغة العربية (١) وقد نلمح فى مستهل كلامه رغبته فى إحلال اللهجات العامية محل الفصحى تأسياً بما فعل الفرنسيون والإيطاليون والأسبان ، وغيرهم ممن صنعوا مثل صنيعهم(٢) . وبرغم تقديرنا لصاحب هذا الرأى ، وما له من فضل فى محيط اللغة والدراسات اللغوية — فمن الحق أن نقول إنه كان أولى به أن يقترح ما يقرب شقة الخلاف بين الفصحى وبين غيرها من اللهجات العامية المختلفة فى الوطن العربى .

ومع هذا فأنا لا أحب أن أغض من قيمة ما بذل من جهد فى سبيل تعبيد الطريق أمام لغتنا القومية العريقة ، ولكنى أريد أن أقول إن إصلاح النحو العربى وإنْ كان لازماً ليس هو كل شىء فى الإصلاح اللغوى ، ثم إن هذه المحاولات النحوية قد كتب لبعضها حظ يسير من التوفيق ، وبعضها الآخر قد أخطأه التوفيق إلى حد كبير (٣) ويبدو أن الدافع إليه هو الاغترار بالجديد لأنه جديد ، لا الاقتناع به بعد دراسة وبحث وطول أناة .

* * *

أما عن الكتابة العربية والهجاء العربى ، فلا بأس أن نرى فى ذلك بعض المحاولات وإن كانت اللغة العربية فى هذا الجانب — إذا استثنينا ضبط الحروف وشكلها — ليست بدعاً فيما يجده الناشىء فيها من صعاب ، فإنك لو نظرت فى اللغات الغربية لوجدت فيها كلمات كثيرة على درجة كبيرة من الصعوبة والشذوذ فنطقها فى واد ، ورسمها فى واد آخر ، ومع هذا فنحن أيها الغرباء عن هذه اللغات — فضلا عن الناطقين

---

(١)،(٢) عبد العزيز فهمى: اقتراح مقدم إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى جلسة ٢٤ ، ١ ، ٣ من يناير ١٩٤٤ .
(٣) فكرة تغيير بعض المصطلحات النحوية فى وزارة التربية بمصر ثم العدول عنها بعد فشلها سنة ١٩٦١ .

بها – نتعلمها طواعية واختيارا ، ولا نتهم كثيراً بما نجده فيها من صعوبة وشذوذ .

وليس معنى ذلك أنى لا أرتضى بذل المحاولات الجادة فى هذه الناحية ، وإنما أريد أن أقول إنه ليس الخطب كل الخطب فى الجانب النحوى ، والجانب الهجائى وحدهما ، بل إن هنالك ما هو أجل من ذلك وأخطر ، فمادة اللغة وألفاظها ومعانيها ، وما قد حدث من تفاوت كبير بينها وبين العامية – كما سبقت الإشارة – هو أجدر شىء بالبحث والنظر ، ومع ذلك لم يلتفت إليه هؤلاء الباحثون فيما طرقوا من بحوث .

* * *

وأخيراً اتجه البحث إلى اللهجات العربية قديمها وحديثها ، فكان فى ذلك بداية طيبة لها جدواها على اللغة والدراسات اللغوية إن شاء الله . فالواقع أن اللهجات العربية الحديثة ، وإن كانت قد تأثرت فى مواطنها بما توارد عليها من مؤثرات تعاقبت على مر الأيام ، فإنها – ولا سيما فى الجهات التى هى أكثر حفاظاً على القديم ، والتى كان نزول العرب بها ، واستقرارهم فيها أكثر منه فى غيرها – لا تزال تحتفظ فى كثير من كلماتها بالطابع العربى مع شىء من التغيير فى ضبطها ، أو فى بعض حروفها .

ومن أمثلة ذلك التحريف اليسير « أريت » بمعنى قرأت ، « وأخطيت » بمعنى « أخطأت ، « وتوضيت » فى معنى توضأت .. فإن لها أصلا عربياً قريباً هو : « قريت وأخطيت ، وتوضيت » .

وقد يحتفظ اللفظ بصورته العربية ، ويحصل التغيير فى مدلوله مع بقاء الصلة بين المعنى الأصلى والمعنى الجديد ، وذلك مثل كلمة « طخ » فقد تقول العامة « طخه » تريد بذلك ضربه برصاصة مثلا ، وقد تستعمل ذلك لعموم معنى الضرب . وفى العربية : طخ الشىء يطخه طخاً ألقاه من يده فأبعده . فالصلة بين المعنيين قوية كما نرى ، واللفظ لا يزال هو هو لم يمسه تغيير أو تحريف . وأمثلة هذا التغيير فى الألفاظ أو المعانى أكثر من أن يشملها الحصر .

وهنالك أيضاً كلمات كثيرة تتفق فيها الفصحى والعامية فى اللفظ والمدلول دون أدنى خلاف ، أى أنها بقيت على حالها لم يمسها تغيير .

ومن أمثلة ذلك : الوكس بمعنى البخس فى الثمن ، فهى هكذا فى العامية والفصحى على السواء ، ونشل اللحم بنشله عامية وعربية ، والعباية التى هى ضرب من الأكسية عامية وعربية كذلك ، والسكات بمعنى السكوت عامية وعربية أيضا . . . وهكذا دواليك .

وكذلك يجد الباحث كلمات كثيرة فى اللهجات الحديثة لهـا أصلها وسندها من اللهجات العربية القديمة ، فلفظ « كِلْمة » المستعمل فى العامية بمعنى كَلمة عربى فصيح هو لهجة لبنى تميم ، وجمعه كِلَم ، وضمير الغائب « هو » الذى ننطقه فى لهجتنا الحديثة بالواو المشددة « هوّ » نجده كذلك عنـد قبيل من العرب . « والسكينة » كما هى فى العامية لغة فى السكين عربية ، والمسكين بفتح الميم هو المسكين بكسرها ، والعامة يقولون « المشوره » بفتح الميم وسكون الشين يريدون بها المشورة ، وكلتاهما لهجة عربية صحيحة . وكذلك حسره بمعنى أحجره وأكرهه ، كما ينطقون الحصاد بكسر الحاء ، والوتر ضـد الشفع بفتح الواو ، والحج بكسر الحاء ، والضعف بضم الضاد ، والشكل بكسر الشين فى معنى الشكل بفتحها ، وكذلك كِتْف بدلا من كَتِف ، وكِبد بدلا من كَبد ، وكِرش بدلا من كرش ، وشعير ورغيف وبعير بكسر أوائلها ، ونكتب ونشرب . . بكسر حرف المضارعة ، ورطل بالفتح بدلا من رطل ، وكفة بدلا من كفة ، وصلطه أى سلطه بإبدال السين صاداً ، وكذلك الصنط بمعنى السنط (الشجر المعروف) ، وكل هذه وكثير غيرها لهجات عربية صحيحة .

فدراسة اللهجات العربية أمر مرغوب فيه لا باعتبارها أصلا من الأصول التاريخية التى أسهمت فى تكوين الفصحى فحسب ، بل باعتبارها كذلك خير معين للغة العربية على أن تتحرك فى ميدان فسيح تستطيع فيه أن تضيق الهوة التى تفصلها عن اللهجات العربية الحديثة التى هى الآن لغة الحياة فى البلاد العربية كلها ، وبهذا تستطيع الفصحى أن تحافظ على حيويتها ونشاطها .

هذا ، ودراسـة اللهجات القديمة فى منهج علمى سليم ، ومعرفة مواطن القبائل العربية فى مختلف أنحاء الجزيرة ، وتتبع حركاتها وانتقالها ، وظعنها وإقامتها ، وتأثرها بغيرها ، وتأثيرها فى سواها . . . كل هذا يساعد على دراسة العربية على أصول ثابتة ، ويوضح علاقتها بغيرها من اللغات السامية الأخرى ، فيتضح لنا كثير من الأحكام

العامة التى كان يطلقها قدماؤنا ، وبعض الآراء التى تورط فيها هؤلاء القدماء ، وتتسع أمامنا آفاق من البحث لها جدواها على الدراسات اللغوية والتاريخية على السواء .

* * *

فليس بدعا إذن أن نرى دراســـة اللهجات من أهم الاتجاهات فى البحوث اللغوية الحديثة ، حتى لقد اهتمت بها الجامعات الأوروبية فى القرنين الأخيرين اهتماما كبيرا ، وخصص لها فى بعض هذه الجامعات فروع وأقسام للتوفر على دراستها ، والتخصص فيها ، وأصبح هناك علم يسمى علم اللهجات يدخل فى الدراسات اللغوية ، كما قد كتب فيها بعض الباحثين من المستشرقين بحوثاً لاينبغى أن نغفل قيمتها . ثم انتقل الاهتمام بها إلينا على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء الغرب ، فحذونا حذوهم ، وبدأنا نلقى بالا إلى سد بعض هذا النقص فينا ، فاتجهنا إلى دراسة اللهجات فى جامعاتنا ، والأمل معقود على توافر المجهودات وتضافرها على هذا النوع من البحث الذى يتطلب فى الواقع جهدا جماعياً جبارا ينبغى أن يقوم به عدد غير قليل من المشتغلين بالدراسات اللغوية .

المنهج الذي سلكته في هذا البحث

لقد كان موقفي إزاء هذا البحث يتمثل أولا في اختيار موضوعه ، وثانيا في المنهج الذي رأيت أن أسلكه في معالجة هذا الموضوع .

فأما عن اختيار الموضوع ، فقد وجدت أن من الخير أن أعالج لهجة من اللهجات العربية التي استقرت في وسط الجزيرة ، والتي كانت في منأى من التأثر بلغات الأمم المجاورة في الشمال والجنوب ، خلافاً لما كان عليه الشأن عند جذام ولخم وقضاعة ، وعند المناذرة والغساسنة في جوارهم للفرس والروم ، وعند سكان الجنوب العربي في جوارهم للأحباش .

وقد توخيت — إلى جانب هذا — أن تكون اللهجة موضوع الاختيار لهجة بدوية بعيدة عن التأثر بالحضر ، وما اعتوره منذ صدر الإسلام ، وحدوث الاختلاط بين المسلمين في أقطار الأرض من لحن وتحريف ، وقد انتهيت إلى أن تكون هذه اللهجة البدوية هي لهجة هذيل التي كانت — دون شك — عنصراً هاماً في تكوين اللهجة القرشية ، وهي من أقرب اللهجات إليها جواراً ونسبا ، وقد أجمع الرواة واللغويون على فصاحتها ، وأنها أجدر أن تكون أحد المصادر التي عنها يأخذون ، ومورداً من الموارد التي منها ينهلون ، وقد كان للهجة الهذلية هذه ولأشعارها وشعرائها أثر كبير في اللغة والأدب ليس هذا موطن الإفاضة فيه ، ولكن حسبي أن أقول إن هذا كله كان من دوافع اختياري لهذه اللهجة التي تركت في الأدب ، وفي اللغة الفصحى أثراً ربما كان أعمق مما تركه سواها من اللهجات .

وإذا كان هذا ما يتعلق باختيار الموضوع ، فإن النهج الذي سلكته فيه هو أني رأيت بادىء ذي بدء أن أجمع — ما وسعني الجهد - كل ما نسب إلى هذيل من لهجات متتبعاً إياها في بطون الكتب ، وأمهات المراجع ، فلم آل جهداً في قراءة موسوعات اللغة ومعاجمها مثل : كتاب العين المنسوب إلى الخليل ، ومعجم مقاييس اللغة

لابن فارس ، وفقه اللغة له ، والصاحبي كذلك ، والخصائص لابن جني ، والمخصص لابن سيده ، وإصــلاح المنطق لابن السكيت ، والأفعال لابن القوطية ، والمعرّب للجواليقي ، وفقه اللغة للثعالبي ، والجمهرة لابن دريد ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروزابادي ، وتاج العروس للزَّبيدي والأساس للزمخشري ، وخزانة الأدب للبغدادي . . وغير ذلك من كتب اللغة ومعاجمها .

وكتب النحو وفلسفته ككتاب سيبويه ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ، والتسهيل لابن مالك ، وشرح الكافيه للرضى ، والإنصــاف للأنبــاري ، والصبان على الأشموني ، والتصريح بمضمون التوضيح ، والخضري على ابن عقيل ، وشرح المفصل لابن يعيش ، والمغنى لابن هشام .. ومن كتب الصرف شرح شافية ابن الحاجب لرضى الدين الأستراباذي ، والمنصف شرح ابن جنى لكتاب التصريف لأبى عثمان المازني ..

ومن كتب الأدب دواوين شعر هذيل ، وهي من أهم المصادر الأولى التي ينبغي أن تكون عماد هذا البحث ، وقد أطلت النظر فيها علها تهديني إلى بعض سمات هذه اللهجة الهذلية ، وتهيىء لي الوصول إلى بعض مفرداتها ثم إلى ميزاتها وخصائصها مما قد أغفلته كتب اللغة والأدب وغيرها ، من المراجع الأخرى .

ولم أقتصر على دواوين أشعار الهذليين ، وإنما نظرت في غيرهــا من كتب الشعر والأدب كحماسة أبي تمام ، وحماسة البحتري ، والمفضليات للضبي ، والكامل للمبرد والأمالي للقالي ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب الحيوان له ، ومجالس ثعلب ، وزهر الآداب للحُصْري ، وسمط اللآلي شرح الأمالي ، والتنبيه البكري ، والتبيان في شرح الديوان للعكبري .

ولمــا كانت قراءات القرآن الكريم تعد مرجعا هاما في دراسة اللهجات العربية ، فقد أعطيتها من العناية ما يناسب الفائدة المرجوة منها ، فقرأت كثيرا من كتب القراءات كشروح الشاطبية والدرة .. وعنيت عناية خاصة بالقراءات الشاذة لمــا لها من أهمية في الموضوع مثل كتاب القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ، وكتاب البديع في القراءات الشاذة لابن خالويه ، ومختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع المذكور نشره المستشرق برجشتراسر ، والمحتسب في شواذ القراءات لابن جني .

ولما كان عبد الله بن مسعود الصحابي المعروف من أصل هـذلي ، وله مصحفه وقراءته أيضاً ، فقد تتبعت قراءة ابن مسعود وتلاميذه ؛ لما لها من أهمية خاصة ، ثم نظرت في بعض علوم القرآن مثل كتاب الإتقان للسيوطي وغيره .

ولما كانت مدرسة الكوفة النحوية تعتد بالقراءات ، وتتخذ منها مصدرا هاما من مصادر النحو الكوفي ، فإن هذا قد حفزني إلى دراسة المذهب الكوفي من هذه الناحية ، لاسيما أن قراءة ابن مسعود قد ذاعت في الكوفة مدة إقامته بها في عهد عمر حين ولاه بيت المال فيها ، فانتشرت هـذه القراءة في البيئة الكوفية ، وكان له فيها أتباع وتلاميذ نشروا هذه القراءة وأذاعوها فتعصب لها الكوفيون ، وتمسكوا بها ، وكان لها في نفوسهم أعمق الأثر . وأغلب الظن أن قراءة ابن مسعود هذه ربما كانت مفتاحاً مهماً تفتح به أغلاق هذه اللهجة الهذلية ، ويقفنا على كثير مما لم تطلعنا عليه المراجع بصورة مباشرة قريبة المأخذ .

* * *

ولقد قفوت آثار ما كتب قديما في اللهجات العربية من كتب ورسائل ، فوجدت أن ما كتب في لهجة هذيل نفسها مثل كتاب « لغات هذيل » الذي سبقت الإشارة إليه قد فقد فيما فقد من تراثنا العربي ، ولكني وجـدت بعض رسائل في اللهجات بعامة ، فكانت من المراجع الخصبة في هذا البحث ، ومن أمثلتها : كتاب « اللغات في القرآن » لإسماعيل بن عمرو المقرىء ، ورسالة ماورد في القرآن من لغات القبائل لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وما جمعه السيوطي في الإتقان خاصا بلهجات القبائل ممثلة في القرآن ، وكتاب « مميزات لغات العرب » لحفني ناصف .

وإلى هذا لم أغفل قراءة الكثير مما كتب حديثاً في اللغة واللهجات مثل : كتاب اللغة لفندريس ، والعربية ليوهان فك ، وفقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد ، ونشأة اللغة عنـد الإنسان والطفل له أيضا ، وفي اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ، والأصوات اللغوية للمؤلف نفسه . .

ولم أكتف بعد هذا بجمع ما جمعت ، ولم آخذه قضية مسلما بها ، وإنما وضعته قيد البحث والدراسة ليتميز الخبيث من الطيب ، ويتضح فيه الصحيح من الزيف على أسس علمية بذلت فيها شيئاً من الجهد .

ثم تتبعت الروايات العامة التى تنسب لهجة من اللهجات إلى بيئـة أعم وأشمل من بيئة هذيل كقولهم : هذه لغة الحجاز ، وتلك لغة تهامة ، أو لغة العـالية ، أو لغة السراة ، فخصصت أمثال هذه الإشارات بشيء من الدراسة والبحث ؛ لأستيقن مما إذا كانت هذه – كلها أو بعضها – لهجة لهذيل أيضا باعتبارها قبيلة حجازية ، أو لأن بعض بطون هذه القبيلة كان ينزل تهامة ، وبعضها من سكان السراة . فهذا الوجه من البحث والدرس هو من ألزم الأشياء لتمحيص هـذه النصوص ، ثم تحـديد ما بها من عموم هو أقرب ما يكون إلى الغموض والإبهام .

وكذلك لم أقصر الجهد على مانص عليه اللغويون والنحاة وغيرهم من أنه لغة لهذيل ، وإنما أجَلت النظر فى دائرة أوسع كثيراً من تلك الدائرة الضيقة ، فنظرت فى الشواهد الهذلية التى أوردها هؤلاء العلماء فى كتب النحو والصرف ، وفى كتب اللغة ومعاجمها لشعراء هذليين كى يدعموا بها دعواهم فى أن هذه الكلمة أو تلك إنما هى لغة من لغات العرب ، ولم ينصوا هم أنفسهم على أنها لهجة لهذيل أو غيرها من القبائل العربية ، ولكنهم أوردوا من هذه الشواهد الهذلية قدرا كبيرا ، ولا يمكن أن تمر هذه الشواهد كلها دون درس وتمحيص ، فقد نصل من وراء ذلك إلى أن هذه الألفاظ كلها أو بعضها لهجة لهذيل مع غيرها من لهجات الحجاز ، أو من لهجات بعض جيرانها من القبائل العربية الأخرى أو هى لهجة مقصورة على هذيل وحدها ، وإن لم ينسبها العلماء إليها مكتفين بإيراد الشواهد من الشعر الهذلى وحده فى كثير من الأحيان ، أو مـع غيره من الشواهد فى أحيان أخرى .

ونظرا لأن مادة هذا البحث مبعثرة فى أغلب المراجع العربية ، ويتطلب جمع شتاتها مزيدا من البحث والاطلاع ، فإنى لهذا لم أكتف بمراجع اللغـة ، واللهجات ، والنحو والصرف ، والأدب ، والقراءات ، وعلوم القرآن بعامة . بل نظرت ملياً فى كتب التفسير التى ينتظر أن يكون بها نقول خاصة باللهجات العربيـة كالبيضاوى ، وبعض حواشيه ، والكشاف للزمخشرى ، والبحر المحيط لأبى حيان . وبعض كتب الحديث كالبخارى ، ومسلم ، وموطأ مالك . . وكتب غريب الحديث كالنهاية لابن الأثير ، والفائق للزمخشرى .

والبحث فى اللهجات ينبغى لمن يتصدى له أن يعرف مواطن القبائل العربية وانتقالها، وجيرانها أو شركاءها فى هذه المواطن التى تحتلها ؛ حتى يتسنى له أن يعرف مدى تأثر هذه اللهجات بعضها ببعض . فدراسة القبيلة تاريخياً وجغرافياً ليس غاية تقصد لذاتها فى بحث لغوى كهذا البحث ، ولكنها وسيلة مهمة فى إلقاء الضوء على جوانب الموضوع وتحقيقه تحقيقاً علمياً يؤدى بالدارس إلى النتيجة التى يهدف إليها من وراء هذا البحث. وقد اعتمدت فى ذلك على بحث لى فى أصل هذيل ، ومواطنها ، وبطونها ، وفصائلها ، ومواقع جيرانها من القبائل الأخرى مثل فهم وعَدوان وكنانة ، وغيرها من القبائل التى لها بالهذليين اتصال فى السلم أو فى الحرب ، وقد ضم ذلك البحث إلى مجموعة المراجع التى عنيت بالرجوع إليها كتب الجغرافيا والبلدان مثل : معجم البلدان لياقوت ، ومعجم ما استعجم للبكرى ، وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشرى ، وصفة جزيرة العرب للهمْدانى ، والرحلة الحجازية للبتانونى ، وقلب الجزيرة العربية لفؤاد حمزة . وعنوان ذلك البحث : « هذيل فى جاهليتها وإسلامها » .

وقد بذلت كثيرا من الجهد فى تحقيق هذه الأماكن نظراً لما يوجد بين المراجع من خلاف وخلط واضطراب ووهم كثير ، وإبهام لا يفيد تحديداً دقيقاً لمن رام دقة فى البحث . ثم إن المحدثين الذين كتبوا فى هذا أغلبهم يتابع القدامى فى هذا الإبهام ، وذلك التعميم ، ويكتفى بمجرد سرد الأماكن المختلفة كأن يقول : من جبالهم كذا وكذا ، ومن أوديتهم كيت وكيت ؛ ولهذا كان لزاماً على أن أعمل ما وسعنى العمل على مقابلة المراجع المختلفة قديمها وحديثها ، والنظر فيما ترك الرحالة العرب والأوربيون الذين أتيح لهم زيارة هذه الأماكن ومشاهدتها ودراستها ، ووجدوا مساعدة من دولهم ، ومن الحاكمين فى هذه البلاد مكنتهم من ذلك ، ولو قد أتيح لى ما أتيح لهم من زيارة هذه الأماكن لفعلت ، ولكنى — مع هذا — عنيت بالبحث الدائب الذى أرجو أن يسد بعض هذه الثغرة .

ثم نظرت فى كتب الأنساب ، وما يتصل بها مثل : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى ، ونسب عدنان وقحطان للمبرد ، ومعجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ، وبلوغ الأرب فى معرفة أصول العرب للألوسى ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم .

وقد عنيت بالبحث فى كتب التاريخ مثل : اليعقوبى ، ومروج الذهب للمسعودى ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، والكامل لابن الأثير .

وفى كتب السيرة كسيرة ابن هشام ، والروض الأنف للسهيلى . وفى كتب الطبقات والتراجم مثل : طبقات ابن سعد ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وإنباه الرواة للقفطى ، وطبقات النحويين واللغويين للزُّبيدى ، وبغية الوعاة للسيوطى ، وطبقات القراء لابن الجزرى ، وتجريد أسمـــاء الصحابة للذهبى ، وأسد الغابة لابن الأثير ، والإصابة لابن حجر ، والفهرست لابن النديم ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ، ومعجم الأدباء لياقوت .

وفى هذا المرجع الأخير « معجم الأدباء » وجدت فى ترجمة الشافعى أنه مكث فى بادية هذيل بضعة عشر عاماً ، كما اطلعت على روايات أخرى تفيد أنه حفظ أشعارها ، وتعلم لهجتها . فأمسكت بهذا الخيط ، وعملت جاهداً على تحقيق هذه الروايات التى لفتتنى إلى النظر فى بعض تراث الشافعى ، فاطلعت على بعض مؤلفـــاته كالرسالة لأرى مدى أثر هذه اللهجة الهذلية فى لغة هذا الإمام ، وما يمكن أن تنقله إلينا آثاره من سمات هذه اللهجة ، وقد كان العزم معقودا على قراءة كتاب الأم ، ولكن هناك من يقول من الباحثين بأن هـــذا الكتاب ليس للشافعى ، وإنمـا هو من تأليف تلميذه البويطى ، ثم زاد فيه تلميذ آخر من تلاميذه هو الربيع بن سليمان . ولعل ما قرأته للشافعى يكون كافياً فى الموضوع .

هـــذا وقد أفدت من بحث لى فى اللهجات عنوانه « بين اللهجات العربية » وهو مبادىء عامة تناولت فيها بعض الظواهر اللغوية عند العرب .

* * *

وإذا كانت الإشارات السابقة تدور حول النهج الذى سلكته فى هذا البحث متصلاً بالمادة من حيث جمعها ، وتمحيصها ، واستقصاؤها فى مظان وجودها ، ومايتبع ذلك من موازنة واستنباط ، فإنه ينبغي لنا الآن أن نتناول منهج الموضوع وتنظيمه فى شكل موجز يوضح أبوابه وفصوله ، ويعطى القارىء فكرة بجملة عن هيكله وطابعه ، وبعض الأسباب والدوافع التى حملتنى على إيثار هذا المنهج على سواه ، فقد رأيت أن اجتزىء بهذا المدخل ، ولم أعقد مقدمة أخرى للموضوع إذ وجدت أن ما كان ينبغي أن يجيء بعده من حديث عن أصل هذه القبيلة ونسبها وبطونها ومواطنها ... سبق أن مر فى بحث مستقل هو بداية سلسلة فى تاريخ القبائل العربية . وقد اعتمدت فى ذلك كله على هذا البحث .

وبعد هذا تناولت خصائص هذه اللهجة الهذلية ، وهي جوهر البحث ولبابه ، ثم ختمت البحث بثبَت يتضمن أهم الألفاظ الهذلية ، وخاتمة تلخص الموضوع وتبرز أهم ما وصلت إليه .

وهكذا كان تقسيم الموضوع على النحو الذى نذكره فى إيجاز مرجئين تفصيل ذلك إلى الثبت (الفهرس) الخاص به نهاية الكتاب :

المدخل :

وقد ألممت فيه بالفرق بين اللغة واللهجة ، وأهمية دراسة اللهجات العربية ، والنهج الذي سلكته فى البحث .

الباب الأول :

وقد قسمته أربعة فصول تناولت فيها الظواهر الصوتية عند هذيل .

الباب الثاني :

وقد انشعب هذا الباب إلى ثلاثة فصول هى : الجنس ، والعدد ، وبعض ظواهر البنية ممثلة فى الاشتقاق .

الباب الثالث :

ويتكون هـــذا الباب من ثلاثة فصول تناولت فيها بعض الظواهر النحوية والتركيبية .

الباب الرابع :

وهذا الباب خاص بالدلالة ، وقد جعلته فى فصلين : أولهما خاص بالألفاظ ذات الدلالة المادية ، والثانى خاص بالألفاظ ذات الدلالة المعنوية .

خاتمـــة .

الباب الأول

الظواهر الصوتية عند هذيل

الباب الأول

الظواهر الصوتية عند هذيل

اتفقت اللغة العربية الشمالية منذ العصر الجاهلي فى الصفات والظواهر العامة التى كانت تكفل الاتصال بين القبائل العربية المختلفة ، والتى كانت فى الوقت نفسه نتيجة لهذا الاتصال ، ولكن هذه القبائل جميعها لم تتح لها فى حياتها ظروف متماثلة أو ملابسات متشابهة . بل أحاطت بها فى حياتها : الاجتماعية ، والاقتصادية ، وفى بيئتها : الطبيعية المادية ، والمعنوية الأدبية ظروف مختلفة ، فقد كان بعضها يحيا حياة بدوية كلها شدة وخشونة ، وبعضها الآخر يحيا حياة حضرية فيها شىء من الدعة .

كما أن هـــذه القبائل كانت تختلف فيما بينها – تبعاً لذلك – من حيث التنقل والاستقرار ، والانعزال والاختلاط ... ، وقد أدى ذلك إلى أن يكون لكل قبيل من العرب لهجة تميزه عن غيره ، فـكان أن اختلفت هذه اللهجات فى بعض المظاهر الصوتية ، وفى بنية بعض ألفاظها ، وفى دلالة بعض كلماتها . . . إلى غـــير ذلك من خصائص ، وسمات .

* * *

وقد كان لهذيل من الخصائص والصفات ما كان جديراً أن يصير موضوعاً لهذا البحث .

وأول هذه الخصائص والسمات هو الظواهر الصوتية التى ميزت لهجة هذيل عن غيرها من اللهجات العربية .

وهذه الظواهر الصوتية فى اللهجة الهذلية من أمثلتها البحث فى الحركات ، وفى حروف المد الثلاث أى فى أصوات اللين قصيرة وطويلة ، وفى طريقة نطق الهذليين لهذه الأصوات ، ومدى ميلهم إلى أصوات معينة من بينها ، أو إحلال أصوات منها محل غيرها ، والبحث فى الهمزة تحقيقا وتسهيلا وحذفا ، والنظر فى القلب ، وإبدال الحروف بعضها من بعض ، وفى التخفف من بعض أعباء النطق كالإدغام والحذف والترخيم ، وغير ذلك من مظاهر صوتية جعلتها مادة لفصول هذا الباب من أبواب الكتاب .

❀

الفصل الأول

أصوات اللين

الفصل الأول

أصوات اللين

أصوات اللين هي تلك التي يقصد بها المحدثون ما كان يعبر عنه القدامى بالحركات الثلاث من فتح وكسر وضم ، وكذلك ما كانوا يسمونه ألف المد ، وياء المد ، وواو المد [1] .

وإذا كانت اللغات تختلف فيما بينها اختلافا واضحا في نطق أصوات اللين ، فإننا – مع هذا – نجد فروقاً بين هذه الأصوات داخل اللغة الواحدة ، فنطقها في اللهجات العربية قديمها وحديثها لايكون واحداً دائماً ، كماأنه قد يحل بعضها محل بعض تبعا للظروف المختلفة التي أحاطت بأبناء الضاد حديثا ، وما كان هنالك من خلاف بين القبائل العربية المختلفة في محالها ومنازلها .

ومن ذلك الاختلاف بعض المظاهر الصوتية التي كانت تميز كل قبيل عربي عن قبيل غيره ، ولا جرم أن هذيلا – شأنها شأن غيرها من قبائل العرب – كان لها من الظواهر الصوتية مايناسب مكانها في الجزيرة العربية ، ويوائم ظروف حياتها ، وما كان يكتنفها من بدو أو حضر .

ومن هذه الظواهر الصوتية – كما أشرنا – أصوات اللين ، وسنتناول الكلام عنها في مبحثين : أحدهما أصوات اللين القصيرة التي يسميها برجشتراسر الحركات المقصورة [2] ، وهي الحركات الثلاث ، والثاني أصوات اللين الطويلة التي يسميها برجشتراسر أيضاً بالحركات الممدودة [3] وهي حروف المد الثلاث .

---

(١) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٩ .

(٢) ، (٣) تطوير النحو ص ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٩ .

أصوات اللين القصيرة :

هى الفتح والضم والكسر ، وأولها – وهو الفتح الخالص الذى لاتشوبه الإمالة – هو أخف هذه الأصـــوات فى النطق [1] ، فهو أخف من الضمة والكسرة ، وأكثر اقتصاداً منهما فى الجهد العضلى ، بل لقد قيل إنه أخف من السكون الذى يلجأ العرب إليه عادة للتخفيف ، فيذكر ابن خالويه فى الشواذ قول الأصمعى : قلت لأبى عمرو ابن العلاء : لم لا تقرأ رغْبا ورهْبا مع ميلك إلى التخفيف ؟ فقال : ويلك ! أجَمل أخف أم جَمْل ؟ يعنى أن المفتوح لايخفف » [1] .

لهذا نجد الفتح من مميزات القبائل الحجازية بعامة ، وربما كان الكسر طابعا تتسم به غالباً بعض القبائل البدوية التى لاتوغل فى بداوتها ؛ لقربها من الحضر ، أو اتصالها به ، خلافاً للضم الذى تتسم به القبائل الموغلة فى البداوة .

ولعل من نافلة القول أن نقول إنه ليس معنى هذا أن كل قبيل من هؤلاء يلتزم حركة بعينها فى كلامه ، فهذا أمر لاتستقيم معه لغة من اللغات ، ولا لهجـــة من اللهجات ، فالمراد طبعاً هـو أنه إذا اجتمع فى الكلمة الواحدة ثلاث لغات ، وجدنا أن الأمر يسير غالباً على النحو الذى ذكرنا .

ولعل مصداق ذلك ماذكره أبوحيان فى قوله تعالى : « وليجدوا فيكم غلظة »[2]، فهو ينبئنا أن الغين فى « غلظة » تقرأ بالحركات الثلاث ، وأن الفتح فيها لهجة الحجازيين ، والكسر لهجة بنى أسد الذين يلونهم فى مواطنهم – والضم لهجة التميميين[3] الذين كثيراً مانرى القدامى يجعلونهم رمزاً للمجموعة الشرقية من القبائل البدوية فى وسط الجزيرة العربية .

فإذا اجتمع إذن فى الكلمة الواحدة لهجتان : الفتح والضم ، أو الفتح والكسر ؛ فنظراً لأن الفتح أخف الحركات وأسهلها [4] غالباً ما يكون هو لهجة الحجازيين ،

---

(١) مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ٩٢ .

(٢) سورة التوبة ٩ الآية ١٢٣ .

(٣) أبوحيان : البحر المحيط ١١٥/٥ .

(٤) المبرد : الكامل ٢٣١/١ – المقتضب . القسم الثانى ص ٤٦٩ .

فالزعم بالضم مثلاً تميمية ، بينما نجد الزعم بالفتح حجازية [1] ، ويروى أبو حيان أن الضم فيها لغة بنى أسد ، والفتح لغة الحجاز [2] . والحوب بالفتح كذلك لغة الحجاز ، وبالضم لغة تميم [3] ، والجهد (أي الوسع والطاقة) يفتح فى لغة الحجاز ، ويضم عند غيرهم [4] .

والوتر (بمعنى الفرد) هو بالكسر لغة تميمية ، وبالفتح لغة حجازية [5] ، ويذكر القالى فى أماليه أن الفتح فيه لغة الحجاز ، والكسر لغة تميم وقيس وأسد [6] .

وإذا كان غير الحجازيين يقولون لمكان السكن « مسكن » بكسر الكاف ، فإن الحجازيين ينطقونها « مسكن » بفتحها [7] ، وبرأ المريض بفتح الراء لهجة الحجازيين وبالكسر لهجة تميم [8] ، وأهل الحجاز يقولون « أنا منك براء » ، وغيرهم يقول « أنا منك برىء »[9] .

وإن كان التعميم الذى نراه فى قولهم : « أهل الحجاز » لاينتظم دائماً جميع لهجات القبائل التى تقطن فى بلاد الحجاز باديها وحاضرها ، فإننا — مع هذا — نجد أن الهذليين من أولى الناس بالدخول أحيانا فى هذا العموم ، فباديتهم هى من بلاد الحجاز أولاً ، ثم هم ثانياً من أقرب القبائل إلى قريش جوارا ونسبا ، فليس بدعا أن تشاركها ، وتشارك غيرها من بعض القبائل الحجازية التى تميزت بشىء من خصائص النطق التى تتسم بها .

ولكنا — مع ذلك — لا ننسى أن هؤلاء الهذليين فى باديتهم كانوا ينزلون فى بعض محالهم قريبا من قبائل قيس كفهم ، وعَدْوان ، وهوازن ، وسُليم وغيرها ، وكثيرا

---

(١) اللسان ، تاج العروس (زعم) .
(٢) البحر المحيط ٤ / ٢٢٧ .
(٣) ابن الأثير : النهاية ١ / ٢٧٦ — تاج العروس (حوب) .
(٤) البغدادى : الخزانة ٣ / ٣٠ .
(٥) تاج العروس (وتر) .
(٦) القالى : الأمالى ١ / ١٣ .
(٧) الصحاح (سكن) . إصلاح المنطق ص ١٦٣ .
(٨) تاج العروس (برأ) . مقاييس اللغة ١ / ٢٣٦ . مشارق الأنوار ١ / ٨٢ . النهاية ١ / ٨٣ .
(٩) مقاييس اللغة ١ / ٢٣٦ .

ما يصور شعرهم هذا الجوار [١] ، فليس غريبا أن نجد فى لهجتهم أثارة من هـــذه اللهجات التى تتميز بها هذه القبائل الموغلة فى البداوة فى وسط الجزيرة وفى شرقيها ، بل إنا لنجد لهجة هذيل أحيانا — كما سنرى — شيئا وسطا بين لهجات أخواتها القريبات من القبائل الحجازية ، ولاسيما تلك التى أخذت بحظ من الحضارة والاستقرار كقريش ، ولهجات تلك القبائل من جاراتها الأخريات الموغلة فى البداوة ممن ذكرنا ، فليس بدعا إذن أن نجد الضم يحتل مكان الفتح فى بعض ألفاظها ، فيروى أبو عمرو أن هذيلا تقول « المنا » بالضم تريد « المنايا » [٢] وإن كان قد ورد هذا اللفظ بالفتح فى شعر صخر الغى [٣] ، فإذا صحت هذه الرواية ، وصحت رواية أبى عمرو كان معنى هذا أن ضم الميم فى هذا اللفظ ليس لهجة لكل هذيل ، وذلك إذا لم تكن رواية البيت متأثرة باللغة العامة السائدة ، وأعنى بها اللغة الفصحى .

ومن ذلك أيضاً أن هذيلا تقول « النجد » بضمتين ، وهى تريد نجـــدا ، وقد وردت هكذا فى شعر أبى ذؤيب [٤] ، وفى شعر غاسل بن غزية الجربى الهذلى [٥] ، وهذه لغة تنسب فى بعض المصادر لهذيل بخاصة [٦] ، وتنسب فى مصادر أخرى لهذيل وتهامة والحجاز بعامة [٧] ، ويجعلها بعض اللغويين جمع نجد ، وسواء صح إفرادها أو جمعها ، فجميعهم متفقون على أنها لهجة هذلية . وقد يكون من هذا القبيل فى لغـــة هذيل ماذكروا من أن « العصر » بضمتين لهجة فى « العصر » [٨] ، فقد نسبوا الأولى لأهل الحجاز [٩] على طريقتهم أحياناً فى التساهل ، وفى تعميم الأحكام .

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٤٦ — القالى الأمالى ٢ / ٢٢٨ . البكرى : التنبيه ص ١٣٠ . ابن بليهد النجدى : صحيح الأخبار ٣ / ٩ .
(٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٨ .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٥١ .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٢٤ .
(٥) البقية ص ٣٧ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢ / ٨٠٦ — تاج العروس (فرط) .
(٦) معجم البلدان ٨ / ٢٠٢ . ديوان الهذليين (الحاشية) ١ / ١٢٤ .
(٧) ديوان الهذليين ١ / ٢١٨ . اللسان (نجد) . معجم البلدان ٨ / ٢٠٢ .
(٨) العكبرى : التبيان ٢ / ٩٧ .
(٩) الخزانة (السلفية) ١ / ٦٧ . أبو شامة : إبراز المعانى ص ٢٣٧ .

وقد تكثر هذه الصيغة عندهم فيما يقارب ذلك مثل « القدس » بضمتين لغـة في « القدس » ومنه قراءة الكسائي ويعقوب الحضرمي: « سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب [1] بضم العين في جميع القرآن [2] ، وقد رويت هكذا في شعر أبي العيـال الهذلي [3] ، وقد قرأ جماعة منهم أبو بكر ويعقوب أيضـا: « لقد جئت شيئا نكرا »[4] بضمتين[5] ، كما قرىء قوله تعالى « وقولوا للناس حسنا »[6] بضمتين أيضا ، وقد ذكروا أنها لغة الحجاز [7] ، ومن ذلك قولهم « سهد » صيغة مبالغة من السهـاد في شعر أبي كبير[8] و كذلك حبك الثياب أي محبوكاتها ، وضرب أي كثيرو الضرب ، وذلك في شعر أبي العيال الهذلي [9] .

ومن صيغ الجمع عندهم ماينحو هذا النحو ، وتتجه إليه قراءة عبد الله بن مسعود وتلاميذه من قراء الكوفة عدولا عن الفتح في قراءة غيرهم ، متأثرين — فيما نظن — بهذه اللهجة الهذلية ، ومن ذلك قراءة إبن مسعود : « فلا رفث»[10] بالجمع بضمتين[11] ، وقراءته : « إنها ترمى بشرر كالقصر »[12] بمعنى القصور [13] وقراءة يحي بن وثاب : « فجعلهم جذذا » [14] بضمتين [15] أي بضم الذال بدلا من فتحها وإشباعها .

---

(1) سورة آل عمران ٣ الآية ١٥١ .
(2) البيضاوى ٢ / ٤٧ .
(3) ديوان الهذليين ٢ / ٢٥٠ .
(4) سورة الكهف ١٨ الآية ٧٤ .
(5) البيضاوى ٣ / ١٤٧ .
(6) سورة البقرة ٢ الآية ٨٣ .
(7) البيضاوى ١ / ١٦٧ .
(8) ديوان الهذليين ٢ / ٩٠
(9) تاج العروس (ضرب) .
(10) سورة البقرة ٢ الآية ١٩٧ .
(11) مختصر شواذ القراءات ص ١١ .
(12) سورة المرسلات ٧٧ الآية ٢٠ .
(13) الزمخشري : الكشاف ٣ / ٢٤٤ .
(14) سورة الأنبياء ٢١ الآية ٥٨ .
(15) أبو حيان : البحر المحيط ٦ / ٦٣٦ .

ومن ذلك أيضا قراءة طلحة ، وابن وثاب ، وحمزة والكسائى : « من ثمره »[1] بضم الثاء والميم بدلا من فتحهما فى قراءة الجمهـــور [2] ، وقراءة الأعمش : « رغبا ورهبا »[3] بضمتين[4] ، وقراءة عبدالله ، وأصحابه ، وطلحة ، وحمزة ، والكسائى : « فجعلناهم سلفاً ومثلا »[5] بضمتين فيهما[6] .

ومن أمثلة إحلالهم للضم محل الفتح أيضا قراءة ابن مسعود وطلحة والأعمش : « عاليهم ثياب سندس »[7] بالياء مضمومة[8] ، وقراءة أغلب الكوفيين : « فى عمـــد ممـدة »[9] بضمتين بدلا من الفتحتين فى « عمد »[10] وقراءة ابن وثاب ، وطلحة ، والأعمش ، والكسائى : « وحزنا »[11] بضم الحـــاء والزاى بدلاً من « حزنا » بفتحهما[12] ، وقراءة أصحاب عبد الله : «يمسسكم قرح»[13] بضم القاف لابفتحها[14]، وقراءة الكسائى : «فقالوا هذا لله بزعمهم »[15] ، « لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم »[16] بضم الزاى فيهما[17] ، وقراءة ابن مسعود : « ضعف »[18] بضم الضاد لابفتحها[19] ،

---

(١) سورة الأنعام ٦ الآية ٩٩ ، سورة يس ٣٦ الآية ٣٥ .
(٢) البحر المحيط ٧ / ٣٣٥ — البيضاوى ٢ / ٢٠٠ ، ٤ / ٦٧ .
(٣) سورة الأنبياء ٢١ الآية ٩٠ .
(٤) البحر المحيط ٦ / ٣٣٦ .
(٥) سورة الزخرف ٤٣ الآية ٥٦ .
(٦) البحر المحيط ٨ / ٢٣ .
(٧) سورة الدهر ٧٦ الآية ٢١ .
(٨) البحر المحيط ٨ / ٣٣٩ .
(٩) سورة الهمزة ١٠٤ الآية ٩ .
(١٠) البيضاوى / ٢٦٥ .
(١١) سورة القصص ٢٨ الآية ٨ .
(١٢) البحر المحيط / ١٠٥ .
(١٣) سورة آل عمران ٣ الآية ١٤٠ .
(١٤) البيضاوى ٢ / ٤٤ . المخصص ٥ / ٧٥ — ابن السكيت : إصلاح المنطق ص ١٠٢ .
(١٥) سورة الأنعام ٦ الآية ١٣٦ .
(١٦) سورة الأنعام ٦ الآية ١٣٨ .
(١٧) البيضاوى ٢ / ٢٠٦ . البحر المحيط ٤ / ٢٢٧ .
(١٨) سورة الروم ٣٠ الآية ٥٤ .
(١٩) البحر المحيط ٧ / ١٨٠ .

وقراءة الكوفيين « إلا من اغترف غرفة بيده » [1] بضم الغين بدلا من الفتح فيها [2] ، وقراءة حمزة والكسائى ، وهما من أساطين قراء الكوفة : « ما أخلفنا موعــدك بملكنا » [3] بضم الميم [4] دون فتحها ، وقراءة كثير من الكوفيين كأبي عبد الرحمن السلمى ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائى ، وطلحة بن مصرف : « مالها من فواق » [5] بالضم بدل الفتح [6] .

وجميـع هؤلاء القراء من تلاميذ عبد الله بن مسعود بالكوفة .

* * *

هـــذا ، وقد نرى أن إيثار هذيل للكسر مكان الفتح أكثر ذيوعاً وانتشارا من إيثارها للضم الذى يبدو أن ذيوعه وانتشاره — كما ذكرنا — إنمـا يتم غالبا فى البيئات الموغلة فى البداوة أكثر منه فى غيرها ، فإنه إذا كان الكسر من أصوات اللين التى رأينا أن الفتح يفوقها خفة وسهولة ، فإنه — مع هذا — يلى الفتح فى سهولته ، ويسره ، وذيوعه فى البيئات التى لاتوغل فى بداوتها . ومع هذا يبدو أن نطق بعض الألفاظ بالكسر دون الفتح ليس سائدا عند هؤلاء الهذليين جميعهم ، وإنما نجـــد بعضهم يؤثر الفتح عليه ، ولعل هؤلاء هم أكثر بطون هذيل قرباً من قريش . وهذا مما يجعل هذيلا حلقة وسطى بين أهل المدر من الحجازيين ، وبين البـــدو الموغلين فى البداوة من الأعراب الضاربين بجرانهم فى وسط الجزيرة العربية .

ولقد نجد ذلك باديا فى بعض الألفاظ ممـا سمـــاه النحاة بمد بالأسماء والأفعال والأدوات . فمن الأسماء « الحقو » بمعنى الكشح وهو بفتح الحاء وكسرها ، وقد ذكر

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ٢٤٩ .

(٢) البيضاوى ١ / ٢٥٤ .

(٣) سورة طه ٢٠ الآية ٨٧ .

(٤) البيضاوى ٣ / ١٨١ .

(٥) سورة ص ٣٨ الآية ١٥ .

(٦) البيضاوى ٤ : ٨٦ — البحر المحيط ٧ : ٣٨٩ — الضباع : شرح الشاطبية ص ٢٧٧ .

اللغويون أن كسر الحاء فيه لهجة هذلية [1] و « العجس » بفتح العين وكسرها ، وهو مقبض القوس ، الكسر فيه لهذيل أيضا ، وقد ورد فى شعر الهذليين بهذا الضبط ، كما ورد فى شرح أشعارهم كذلك [2] ، « والمرء » جاء فى اللغة بفتح الميم وكسرها ، وقد ساقه صاحب اللسان في قول أبي خراش الهذلى بالكسر ، ونقل عن السكرى هذه الرواية ، وأنها لغة هذيل[3] ، كما نقل الزبيدى مثل ذلك عن السكرى وزاد عليه أن هذا الاسم يثنى ، فيقال « مرآن صالحان » بالكسر لغة هذيل [4] ، ويقارب هذا قراءة ابن مسعود : « ولدا » فى قوله تعالى : « أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا » [5] بكسر الواو وسكون اللام فى الآيتين[6] . وإذا كان « النهى » بفتح النون وكسرها هو الغدير ، فقد ورد فى حديث ابن مسعود بالكسر [7] .

* * *

هذا شأن الهذليين فى كسر أوائل بعض الأسماء فى لهجتهم ، أما شأنهم مع الأفعال ، فإن بعض اللغويين يقررون أن أكثر هذيل يكسرون حروف المضارعة فى نحو « تعلم » [8] ، ويذكر صاحب اللسان أنها تشارك فى هذا قيسا ، وتميما ، وأسدا ، وربيعة . أما أكثر أهل الحجاز ، وقوم من أعجاز هوازن ، وأزد السراة ، وبعض هذيل فيقولون « تعلم » ، والقرآن عليها [9] ، وقد نقل صاحب المزهر قول ابن فارس فى هذا الصدد ، وهو أن الفتح لغة قريش ، والكسر لغة أسد وغيرهم [10] ، وهذا تعميم تعوزه الدقة والتحديد ، ولكننا نفهم منه أن الفتح لهجة الحضر غالبا ، والكسر

---

(1) تاج العروس (حقا) .
(2) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٩٣ ، تحقيق (عبد الستار أحمد فراج) ٢ / ٨٠٠ .
(3) اللسان (مرأ) .
(4) تاج العروس (مرأ) .
(5) سورة مريم ١٩ الآية ٩١ ، ٩٢ .
(6) البحر المحيط ٦ / ٢١٣ .
(7) اللسان (نهى) .
(8) اللسان (وبب) .
(9) اللسان (وقى) .
(10) السيوطى : المزهر ١ / ١٥٢ .

لغة البدو فى الغالب أيضا ، وقد خصص الزَّبيدى بعض التخصيص ، فذكر أن كسر أول المضارع لهجة لتميم وقيس وأسد [1] ، كما يذكر صاحب المنصف [2] ، أن بعض فصحاء العُقليين كان يكسرها ، ويسوق شاهداً على ذلك ، هو قول الشاعر :

فقومى هم تميم يا ممارى وجَوْثة ما إخاف لهم كِثارا

بكسر الهمزة من الفعل (أخاف) .

وإذا كان يثور فى النفس أحيانا شىء من الشك إزاء بعض شواهد النحو واللغة التى لاتبرأ أحيانا من الوضع والانتحال ، فإننا – مع هذا – لا نستبعد نسبة هذه الظاهرة إلى عقيل ، مع ماسبق من قول بعض اللغويين بأنها لغة تميم وقيس وأسد ، فهذه القبائل جميعها تشترك فى بداوتها ، وفى أن الجوار يجمع بينها ، أو بين الكثير منها .

ويذكر صاحب اللسان – كما يذكر غيره من اللغويين – أن القبائل التى تكسر حرف المضارعة إنما تفعل ذلك فى كل مضارع ثانى ماضيه مكسور « كعلم » [3] .

ولكن يبدو أن هذا الضابط ليس جامعا مستوعبا لجميع الأفعال التى يكسر فيها أول المضارع ، إذ يضاف إليها بعض الأفعال الأخرى كاستعان ، وعبد ، وعثا . . . فهذه الأفعال يكسر فى مضارعها حرف المضارعة كما سنرى .

فعبارة ابن منظور لايريد بها العموم والشمول ، ولا يقصد من ورائها حصر جميع الأفعال التى تعامل هذه المعاملة عند القبائل المشار إليها ، فإنه إذا كان هذا هو شأن كل مضارع ماضيه مكسور ، فليس هناك ما يمنع وجود أفعال أخرى تكسر هذه القبائل حرف المضارعة فيها .

ومن مظاهر كسر هذيل لأول المضارع ماروى من قراءة قوله تعالى : « ولا تقربا

---

(١) تاج العروس (يأس) .

(٢) المنصف ١ / ٣٢٢ .

(٣) اللسان (وبب) – الأصمعى : الأضداد ص ٥١ .

هذه الشجرة » [1] بكسر التاء [2] ، فقد ذكر أبو حيان أنها لهجة لبعض الحجازيين ، ثم نقل عن أبي بكر الطوسي أنها لهجة لهذيل [3] ، فكان في هذا تخصيص للعموم الذي سبق في عبارته .

ومن ذلك أيضاً قراءة ابن مسعود : « لتركبن طبقا عن طبق »(٤) بكسر التاء [5] بدلا من فتحها ، ولعل منها قراءة الأعمش : « ولا تعثوا في الأرض مفسدين » [6] بكسر التاء أيضا [7] ، وقراءة يحيى بن وثاب « ألم إعهد اليكم » [8] بكسر الهمزة في أعهد [9] ، ومن ذلك أيضا قراءته : « إياك نعبد » [10] بكسر النون [11] ، وقراءته مع زر بن حبيش ، والأعمش وغيرهم « نستعين » [12] بالكسر أيضا [13] ، وقراءته مع ابن مسعود « تيمنه » [14] بدلا من تأمنه [15] ، ومثلها « تيلمون » [16] بدلا من « تألمون » [17] .

ومن الأفعال التي ورد فيها كسر أول المضارع عند هذيل الفعل « تربب » بمعنى

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ٣٥ .
(٢) ، (٣) البحر المحيط ١ / ١٥٨ .
(٤) سورة الانشقاق ٨٤ الآية ١٩ .
(٥) البحر المحيط ٨ / ٤٤٨ .
(٦) سورة البقرة ٢ الآية ٦٠ . الأعراف ٧ الآية ٧٤ - هود ١١ الآية ٨٥ . الشعراء ٢٦ الآية ١٨٣ . العنكبوت ٢٩ الآية ٣٦ .
(٧) البحر المحيط ٤ / ٣٢٩ .
(٨) سورة يس ٣٦ الآية ٦٠ .
(٩) مختصر شواذ القراءات ص ١٢٥ .
(١٠) سورة الفاتحة ١ الآية ٥ .
(١١) البحر المحيط ١ / ٢٣ .
(١٢) سورة الفاتحة ١ الآية ٥ .
(١٣) البحر المحيط ١ / ٢٣ .
(١٤) الكشاف ١ / ٣٢٧ .
(١٥) سورة آل عمران ٣ الآية ٧٥ .
(١٦) العكبري : إعراب القرآن ١ / ١٠٦ .
(١٧) سورة النساء ٤ الآية ١٠٤ .

« نِزبى » ، وهو مضارع « ربّ » فى معنى « ربى » ، وقد نص الأصمعى على أنها لهجة لهذيل فى هذا الضرب من الفعل [1] .

ويقرر النحاة واللغويون أن حرف المضارعة إذا كان ياء مثل « يعلم » لا يكسر ؛ لاستثقالهم الكسرة على الياء » [2] ، وينسبون الكسر فى هذه الحالة إلى قبيلة واحدة هى « بهراء » (بطن من قضاعة) ، ويعلل ذلك بعض الباحثين بأن هذه القبيلة تبعت فى ذلك اللغات السامية المجاورة لها [3] ، ولكنا نجد فى بعض مصادر اللغة أن هذه الياء نفسها تكسر فى مثل « ييأس ، ييجع » عند قبائل عربية أخرى غير قضاعة ، هى هذيل وتميم وقيس وأسد [4] ، والنحاة واللغويون عندما تفجؤهم هـــذه الظاهرة يستوحون عللهم الصناعية ، فنراهم يقولون إن علة كسر الياء هنا هى أنها تقوت بالياء المجاورة لها [5] ولا أدرى كيف تتقوى الياء بالياء ، وهما مثلان متجاوران مخرجهما واحد ، ولعل قلة كسر ياء المضارعة بالقياس إلى حروف المضارعة الأخرى هى التى دفعتهم إلى أن يتحسسوا هذه العلة ، والحق أن ياء المضارعة مكسورة تلقائيا عند بعض من يكسرون حرف المضارعة ممن ذكرنا ، ولهذا تحولت الياء الساكنة التالية لها إلى صوت لين طويل ملائم للكسرة السابقة عليه .

ويتضح لنا فساد علتهم ، وصحة ماذكرنا فى مثل « ييجع » (الذى أصله الفعل الواوى وجـــع) فكيف كسرت ياء المضارعة هنا مع وجـــود الواو التى ليست بياء تتقوى بها الياء كما يقولون ؟ الحق أن ياء المضارعة فى هذا الفعل مكسورة أصلا عند من يكسرها أسوة بغيرها من حـــروف المضارعة الأخرى ، فقلبت واوه الساكنة (Consonant) ياء مد (Vowel)، وصارت مع الكسرة السابقة عليها صوت لين واحدا طويلا ، ولكن النحاة ينتحلون لذلك علة أخرى لا أساس لها ، بل هى أشد فساداً من سابقتها ، فيقولون إنهم لـمـا أرادوا قلب الواو ياء كسروا الياء التى هى حرف المضارعـــة لتنقلب الواو قلباً صحيحا . فكيف أرادوا قلب الواو ياء وقبلها

---

(١) الأضداد ص ٥٢ .

(٢) اللسان (وجل) .

(٣) فى اللهجات العربية ص ١٢٨ .

(٤) تاج العروس (يأس) .

(٥) اللسان (وجع) .

مفتوح ــ على حـــد قولهم ــ وكيف تأتّى أن يكسروا ياء المضارعة عمدا ولغير موجب إلا مجرد تسويغ قلبهم للواو ياء بعـد هـــذا الكسر المصطنع الذى افتعلوه ؟ هل المسألة هكذا مجرد إرادة أو هوى ؟ أو أن القوانين الصوتية هى الفيصل فى الموضوع ، وهى التى تعمل عملها فى هذا المجال ؟ الحق أنهم بصنيعهم هذا قد جانبوا الصواب ؛ فياء المضارعة هنـــا مكسورة ــ كما أشرنا ــ عند من ينطقونها كذلك ، وكسرها هو الذى يتحكم فى الحرف الساكن الذى يليها ــ واوا كان أو ياء ــ فيقلبه صوت لين طويلا من جنسه بغية التيسير الذى يعمل عمله فى تطور اللغات واللهجات ، وهذا يتفق والقوانين الصوتية التى لمح بعضها القدماء ، وحققها المحدثون من علماء الأصوات .

ومن اللغويين والنحاة من أشار إلى كسر ياء المضارعة عند بعض القبائل دون لجوء إلى هذه العلل الخاطئة ، مثل أبى حيان الذى يقرر أن كسر حرف المضارعة إنما هو « لهجة غير الحجازيين . . . وأكثرهم لايكسر الياء ، ومنهم من يكسرها [1] .

فهو لم يلجأ هنا ــ كما لجأ غيره إلى التعليل الصناعى حينما عرض لكسر ياء المضارعة عند من يكسرها من القبائل العربية » وإن كانت عبارته تشير بحق ــ كما يشير غيره ــ إلى أن كسرها قليل عند العرب ؛ وذلك لأن كسر الياء أثقل من فتحها ، وقد لمح ذلك القدماء أنفسهم [2] .

وظاهرة الكسر هذه عند هذيل ليست بارزة فى أول المضارع وحده ، بل نلمسها كذلك فى الأفعال الماضية مثل « ظلت » بكسر الظاء التى أصلها «ظللت» بفتح الظاء . كما نلمسها فى بعض نظائر هذا الفعل من الأفعال المضعفة مثل مست ، وإحست ، وقد قرأ ابن مسعود والأعمش وغيرهما « ظلت عليه عاكفا » [3] بالكسر مقابلا للفتح عند جمهور القراء [4] ، وقد وجد هذا الفعل بوزنه وضبطه فى بعض أشعار الهذليين وفقاً لهذه القراءة [5] .

---

(١) البحر المحيط ١/١٥٨ .
(٢) سيبويه : الكتاب ٢/٢٥٦ .
(٣) سورة طه ٢٠ الآية ٩٧ .
(٤) البحر المحيط ٦/٢٧٦ ، ٧/٤٢٤ . تاج العروس (ظلل) .
(٥) شرح أشعار الهذليين مخطوط ٢٨٢ .

ولعل هذه اللهجة ليست من كلام هذيل وحـــدها ، بل يشاركها فيها بعض الحجازيين الآخرين ، إذ يذكر الزَّبيدى [1] وابن منظور [2] أنها لغة الحجاز ، وقد يكون هذا ناشئا عن عدم الدقة فى الحكم أحيانا عند الرواة ، فقد تُسمع اللهجة فى لفظ من الألفاظ عند قبيلة حجازية : فيقال إنها لغة الحجاز ، أو عند قبيلة تميمية ؛ فيقال إنها لغة تميم .

هذا وينقل أبو حيان عن بعض العلماء من معاصريه أن ذلك ينقاس فى كل مضعف العين واللام فى لهجة بنى سُليم [3] ، وإذا صح هذا فسليم وهذيل قبيلتان متجاورتان كما أشرنا إلى ذلك فى موضعه من البحث ، ويشهد بذلك شعر الهذليين أنفسهم ، ومن بينهم المعطل الهذلى [4] ، فليس غريبا بعد هذا أن تنسب هذه اللهجة إلى هذيل .

ونجد كذلك عندهم « نِعِم » بكسر النون والعين فى موضع « نعم » ضد بئس [5] ، وقراءة حفص « نعما يعظكم به » [6] قد وردت على هذه اللهجة [7] مع الإدغام الذى أدى إليه وجـــود التجانس بين الميمين فى الكلمتين فصارتا كلمة واحدة . وقد كان يمكن القول بأن السبب فى كسر العين إنما هو تحقيق شىء من هذا التجانس بين الكسرتين المتجاورتين فى الكلمة ، ولكنا نجد إلى جانب ذلك «نعِم» بكسر العين فى معنى «نعم» التى هى للجواب ، وهى الأخرى لهجة لهذيل [8] ، ولعلها كانت فى بعض قريش أيضا ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينطقها كذلك ، وأن أمير المؤمنين عمر كان يستحب نطقها أيضا ، وقد ساق صاحب اللسان أن بعض ولد الزبير كان يقول : ماسمعت أشياخ قريش يقولون إلا « نعِم » بكسر العين [9] . وهذه كانت قراءة عمر ،

---

(١) تاج العروس (ظلل) .
(٢) اللسان ظلل .
(٣) البحر المحيط ٢٧٦/٦ .
(٤) ديوان الهذليين ٤٦/٣ .
(٥) سيبويه : الكتاب ٤٨/٢ : القاضى عياض : مشارق الأنوار ١٨/٢ .
(٦) سورة النساء ٤ الآية ٥٨ .
(٧) الكتاب ٢ / ٤٠٧ .
(٨) الجمهرة (نعم) . القسطلانى ٤ / ٢٠٤ .
(٩) اللسان (نعم) .

وابن مسعود (١) وقد ذكر أيضا أنها لهجة لكنانة (٢). وكنانة وقريش وهذيل كلها قبائل قريبة النسب والجوار ، فلا يستبعد أن يكون قد علقها بعضهم من بعض .

وهذه اللغة قرأ بها الكسائى الآيتين الكريمتين : « قل نعم وأنتم داخرون (٣) ، « فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم » (٤) بكسر العين فى كل منهما (٥) .

ويذكر المستشرق الإنجليزى (Rabin) (٦) أن وجود الكسر هنا يدل على أن لهجة هذيل لم يصبها شىء من الميل الشرقى إلى تناسق الأصوات ، ولعل الذى دفعه إلى هذا هو أن هذيلا من قبائل غرب الجزيرة العربية التى قال عنها هو نفسه إن السبب فى الاحتفاظ بهذه الصيغة فى العربية الغربية هو انعدام الميل إلى التناسق الصوتى (٧) .

والحق أنه إذا كانت هذيل قبيلة حجازية ، فإننا ـ مع ذلك ـ بعد أن عرفنا بداوتها وجوارها ، أو جوار بعض بطونها وأفخاذها ، ولو فى بعض فصول العام ، لقبائل وسط الجزيرة ـ نميل إلى أن هـذا الموقف قد جعلها شيئا وسطا بين القبائل الغربية أو الحجازية ، وبين القبائل التى كانت تنزل فى شرق الجزيرة أو فى وسطها وإذا كان (Rabin) يعنى بتناسق الأصوات انسجام الحركات فى الكلمة الواحدة ، فكيف يمكن القول بأنه لم يصب هذيلا منه شىء ؟ وقد لمسنا فى لهجات الحجازيين شيئا من هـذا الانسجام فى مثل « براء » بفتح الباء والراء بدلا من « برىء » فى لغة تميم ، و «عنق» بضمتين بدلا من « عنق » بسكون النون عند تميم ، وقد تنبه اللغويون والنحاة إلى أن ضم النون فى لهجة الحجاز إنما هو للإتباع « وليس هذا الإتباع (٨) فى حقيقته ومعناه إلا هذا الانسجام الذى يقصده (رابن) ويعنيه سائر المحدثين .

---

(١) شرح المفصل ٢ / ١٢٥ .
(٢) المرجع السابق والصفحة السابقة .
(٣) سورة الصافات ٣٧ الآية ١٨ .
(٤) سورة الأعراف ٧ الآية ٤٤ .
(٥) البيضاوى ٤ / ٧٤ . المغنى ٢ / ٢٣ ، ٢٤ . السيوطى : جمع الجوامع ٢ / ٧٦ .
(٦) Rabin, ancient West Arabia P 79.80.
(٧) » » » » P 73.
(٨) العدوى : فتح الجليل ص ٦٩ .

وإنا لنلمس هذا الانسجام الصوتى عند هذيل فيما رأينا من توالى الضمتين فى نحو : نجد ، وثمر ، وعمد . . . كما نجد عندهم توالى الكسرتين فى « نعمات » جمع « نعمة » بكسر العين فى الجمع لابسكونها ، وقد تنبه القدامى أنفسهم إلى ذلك ، فقالوا إن الإتباع فيه لأهل الحجاز [١] وفى مثل « إبن » بكسر الباء بدلا من « ابن » (٢) ، وقد ذكر هذا « رابن » نفسه فى كتابه [٣].

وقد تتوالى الفتحتان أيضاً فى مثل « رشد » بدلا من « رشد » بضم فسكون ، وقد قرأ بها ابن مسعود [٤] : « فإن آنستم منهم رشدا » (٥) ، كما قرأ بها حمزة ، والكسائى[٦] من مدرسة ابن مسعود قوله تعالى : « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا » (٧) .

وهكذا نجد أن « رابن » قبل أن يطلق هذه الأحكام لم يستقرىء مفردات اللهجة أو اللهجات التى يتناول بعض خصائصها أو سماتها ، ولعل له بعض العذر فى أن كتابه ليس خاصا بقبيلة واحدة كهذيل ، وإنما هو نظرات عابرة فى لهجات مجموعة من القبائل ، لا تمكنه إلا من إعطاء أحكام عامة قد يعوزها شىء غير قليل من الدقة المطلوبة فى الأحكام العلمية .

* * *

وإذا كان الحديث عن أصوات اللين القصيرة أو الحركات الثلاث يكاد يكون متداخلا بصورة لا يمكن معها أن يخلص الحديث لأحدها منفصلا عن غيره انفصالا تاما ، فإننا — مع هذا — ندرك فى يسر أن ما سبق من كلام فى الموضوع إنما كان حول الفتح ،

---

(١) ابن سيده : المحكم (علم) ٢ / ١٢٩ .
(٢) ابن دريد : الاشتقاق ص ١٠٨ .
(٣) Ancient West Arabia. P 80.
(٤) البحر المحيط ٣ / ٧٤ .
(٥) سورة النساء ٣ الآية ٦ .
(٦) البيضاوى ٢ / ٢٤٣ .
(٧) سورة الأعراف ٧ الآية ٤٦ .

وكيف كانت تتجه إليه هـذيل ، والقبائل الحجازية بعامة ـ على تفاوت بينها ـ في كثير من الـكلمات التي كانت تكسر فيها القبائل الأخرى أو تضم . ثم كيف كانت هذيل نفسها تتجه نحو الضم أحيانا حين يفتح غيرها من الحجازيين ، وإلى الكسر أحيانا حين يفتح هؤلاء أو غيرهم .

أما بشأن الحديث عن الكسر والضم ، فإنهما وإن كانا يستويان في أن الفتح أخف منهما معا ، كما أدرك ذلك القدماء من اللغويين ، والنحاة ، والقراء ، ثم المحدثون من علـماء الأصوات ، فإن الكسر ـ مع ذلك ـ أيسر من الضم ، وأرق منه نطقا واستعمالا [1] ، فليس بدعا أن نجده أكثر انتشارا في البيئة الحجازية التي هي أقرب إلى الحضارة ، وأكثر إيثارا للسهولة واليسر والانتقاء ، فقد قـرأ معظم القراء من كوفيين وغيرهم (ومن بينهم حفص) قوله سبحانه : « وما كانوا يعرشون » [2] ، « ومما يعرشون » [3] بكسر الراء [4] ، وهي لغة الحجازيين ، وقد وصفها اليزيدي بأنها أفصح من لغة الضم [5] ، ولعـله يعني بذلك خفة النطق فيها بالكسر عن نظيره بالضم ، أو أنه وصفها هذا الوصف لكونها من لهجات الحجاز . هـذا وقد قرأ أبو رُزين الكوفي « فأحسن صوركم » [6] بكسر الصاد [7] وهـو ممن رووا عن ابن مسعود ، وعلي بن أبي طالب [8] وكلاهما حجازي ، وهـذه القراءة نفسها قراءة الأعمش الكوفي [9] . ونجد من ذلك أيضا « الرضوان » بكسر الراء لهجة الحجاز ، وضمها لهجة تميم [10] وبكر وقيس عيلان [11] « وصنو » جمعه في لهجة الحجاز «صنوان»

---

(١) في اللهجات العربية ص ٨١ .
(٢) سورة الأعراف ٧ الآية ١٣٧ .
(٣) سورة النحل ١٦ الآية ٦٨ .
(٤) البحر المحيط ٥/٥١٢ .
(٥) المرجع السابق ٤ / ٣٧٧ .
(٦) سورة غافر ٤٠ الآية ٦٤ ـ سورة التغابن ٦٤ الآية ٣ .
(٧) المختصر في شواذ القراءات ص ١٣٢ .
(٨) طبقات القراء ٢ / ٢٩٦ .
(٩) القاضي : القراءات الشاذة ص ٨٣ .
(١٠) أبو شامة : إبراز المعاني ص ٢٦٧
(١١) البحر المحيط ٢ / ٣٣٨ .

بكسر الصاد كقنو وقنوان ، وبضمها فى لهجة قيس وتميم[١] . و « العدوة » (وهى جانب الوادى) لهجة الحجازيين فيها كسر العين[٢] .

وهذيل - وهى حجازية كما هو معروف - تكسر فى ألفاظ يضم فيها بعض القبائل الأخرى من غير الحجازيين ، وقد قرأ ابن مسعود « فصرهن إليك »[٣] بكسر الصاد بدلا من ضمها[٤] . وقد أشار بعض اللغويين إلى أن معناها مكسورة الصاد غير معناها مع الضم ، ولكن يقرر الفراء - كما ينقل ابن منظور - أنهما لغتان ، وأن الضم كثير ، أما الكسر ففى هذيل وسليم[٥] وبه قرأ تلاميذ ابن مسعود من الكوفيين[٦] ، فهما إذن لغتان : إحداهما بالضم ، والأخرى بالكسر[٧]. وقد رأينا أن الكسر لهذيل .

والفعل « وجد » (بمعنى عثر على ضالته) مضارعه يجد بالكسر عند الحجازيين - وهذيل من بينهم - وعند الكثيرين من غيرهم ، وهو بضم الجيم عند بعض القبائل البدوية كبنى عامر بن صعصعة[٨] .

وقد قرأ ابن وثاب ، والأعمش ، وابن مصرف ، والكسائى : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة »[٩] ، « لا يعزب عنه مثقال ذرة »[١٠] ، بكسر الزاى بدلا من ضمها[١١] .

---

(١) البحر المحيط ٥ / ٣٥٧ .
(١) إبراز المعانى ص ٣٣٤ .
(٣) سورة البقرة ٢ الآية ٢٦٠ .
(٤) اللسان (صير) .
(٥) المرجع السابق (المادة نفسها) .
(٦) البيضاوى ١ / ٢٦٢ .
(٧) الزمخشرى : الكشاف ١ / ١٢٤ . البيضاوى ١ / ٦٦٢ .
(٨) تاج العروس (وجد) شرح الشافية ٤ / ٩١ .
(٩) سورة يونس ١٠ الآية ٦١ .
(١٠) سورة سبأ ٣٤ الآية ٣ .
(١١) البحر المحيط ٥ / ١٧٤ - البيضاوي ٣ / ١٣ .

وقرأ ابن وثاب ، والأعمش : « بما كانوا يفسقون » [1] بكسر السين [2] .

وقرأ الأعمش ، وأبو حيوة : « يعرجون » [3] بكسر الراء ، وهى لغة هذيل فى العروج بمعنى الصعود [4] .

وقد قرأ يحيى بن وثاب والأعمش فى جماعة من الكوفيين : « ولو ردوا » [5] بكسر الراء مبنيا للمجهول [6] ، وهى نفسها قراءة علقمة ، ويحيى بن وثاب ، والأعمش قوله تعالى : [7] « هذه بضاعتنا ردت إلينا » [8] .

وقرأ ابن وثاب : « وصدوا » [9] بكسر الصاد [10] ، ويسوق ابن الجزرى أن أبا بكر بن عياش الذى أخذ القراءة عن زر بن حُبيش عن ابن مسعود كان يقرأ بهذه القراءة ذاتها ، ثم يذكر ابن الجزرى نفسه أنها لغة هذيل [11] .

ومن مظاهر ميلهم إلى الكسر أننا حين نجد فى لهجة بعض القبائل « يسع » بالضم أى ريح الشمال ، نجد أن هذيلا تقول « مسع » أو « نسع » بالكسر ، وقد رويت هكذا فى أشعار بعض الهذليين كقيس بن خويلد والمتنخل [12] .

وقد يأتى الكسر عند هذيل محققا لقانون الانسجام الصوتى الذى تنبه إليه القدامى أنفسهم ، وكانوا يسمونه بالإتباع ، فقد قرأ عبد الله بن مسعود ويحيى بن وثاب ،

---

(١) سورة الأنعام ٦ الآية ٤٩ .
(٢) البحر المحيط ٤ / ١٠٤ .
(٣) سورة الحجر ١٥ الآية ١٤ .
(٤) حمودة : القراءات واللهجات ص ٢٧ .
(٥) سورة الأنعام ٦ الآية ٢٨ .
(٦) البحر المحيط ٣ / ٣١٩ ، ٤ / ١٠٤ .
(٧) سورة يوسف ١٢ الآية ٦٥ .
(٨) البحر المحيط ٥ / ٣٢٣ .
(٩) سورة الرعد ١٣ الآية ٣٣ .
(١٠) البحر المحيط ٥ / ٣٩٥ .
(١١) طبقات القراء ١ / ٣٤٦ .
(١٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٦ — الأمالى ٢ / ٨٧ — تاج العروس واللسان (مسع) .

والأعمش ، وحمزة ، والكسائي قوله تعالى : « خروا سجدا وبكيا »[1] بكسر الباء ، ويذكر أبو حيان أن ذلك إتباع لحركة الكاف[2] .

وكذلك قرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص من الكوفيين قوله سبحانه : « قال رب أنى يكون لي غلام ، وكانت امرأتي عاقرا ، وقد بلغت من الكبر عتيا »[3] بكسر العين في « عتيا » بدلا من الضم[4] .

وقرأ أصحاب ابن مسعود جميعهم ، وكثير ممن أخذوا عنهم كطلحة ، وابن وثاب ، يحيى ، والأعمش « واتخذ قوم موسى من حليهم »[5] بكسر الحاء[6] وقد أدرك صاحب الكشاف وغيره ما فيه من انسجام صوتي ، فقالوا إن الكسر فيه للإتباع[7] .

ومن ذلك ميلهم إلى كسر همزة « أم » إذا سبقتها كسرة أو ياء[8] (والكسرة والياء صنوان) ، وقد قرأ حمزة الكوفي : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم »[9] بكسر الهمزة والميم من « أمهاتكم » في هذه الآية[10] ، وفي غيرها من آيات الكتاب الكريم[11] .

وكذلك يذكر القراء ، ومن ألفوا في القراءات أنه قد قرأ حمزة والكسائي

---

(١) سورة مريم ١٩ الآية ٥٩ .
(٢) البحر المحيط ٦ / ٢٠٠ .
(٣) سورة مريم ١٩ الآية ٨ .
(٤) البيضاوي ٣ / ١٥٦ .
(٥) سورة الأعراف ٧ الآية ١٤٨ .
(٦) البحر المحيط ٣ / ٣٩٢ .
(٧) الكشاف ١ / ٣٥١ .
(٨) البحر المحيط ٣ / ١٨٥ .
(٩) سورة النحل ١٦ الآية ٧٨ .
(١٠) البحر المحيط ٥ / ٥٢٦ .
(١١) سورة النور ٢٤ الآية ٦١ ، الأحزاب ٣٣ الآية ٤ ، الزمر ٣٩ الآية ٥٦ ، النجم ٥٣ الآية ٣٢ .

قوله تعـــالى : « فلأمه الثلث » [1] ، « فى أم الكتاب » [2] ، « فى أمها رسولا » [3] بالكسر فى هذين الحرفين (الهمزة والميم) فى هذه الآيات [4] وقرأ حمزة : « أو بيوت أمهاتــكم » [5] ، « من بطون أمهاتــكم » [6] بالكسر فى الحرفين أيضا [7] ، وقد فعل ذلك الكسائى فى قوله سبحانه : « والله أخرجكم من بطون أمهاتــكم » [8] .

وقد علل بعضهم ذلك بأنها لغـــة ، أو إتباع لمـا قبلها [9] . والحق هو اجتماع الأمرين معا ، فهى لهجة اتسم أصحابها بوجود ذلك الانسجام الصوتى فى بعض ألفاظهم .

وقد اتفق علماء اللغـة ، والتفسير ، والقراءات على أن كسر همزة « فلأمه » هو لغة هوازن ، وهذيل ، كما يقول الكسائى فيما يرويه أبوحيان فى تفسيره [10] ، أو لغـة كثير من هوازن وهذيل فيما يحكى عن سيبويه (11) .

وأغلب الظن أن هذا الكلام يحدوه كثير من التوفيق ؛ لأن قانون الانسجام الصوتى نجده يقوم فى واقع الأمر على الاقتصاد فى الجهد العضلى ، وذلك مانلمسه واضحا فى غير الحضر ، كما نجده الآن فى اللهجات الحديثة واضحا كل الوضوح بين الفلاحين والعمال من غير المثقفين ، فهؤلاء يطلقون أنفسهم على سجيتها فى النطق دون تحكم كثير فى اللسان .

ولهذا ظهر الكسر فى مثل هذا الاسم عند بعض القبائل البدوية ، لأن ظروفها

---

(١) النساء ٤ الآية ١١ .
(٢) الزخرف ٤٣ الآية ٤ .
(٣) القصص ٢٨ الآية ٥٩ .
(٤) الضباع : إرشاد المريد ص ١٨٠ ، أبو شامة : إبراز المعانى ص ٢٨٥ وما بعدها .
(٥) سورة النور ٢٤ الآية ٦١ .
(٦) سورة النحل ١٦ الآية ٧٨ .
(٧) البيضاوى ٣ / ١٠٥ .
(٨) سورة النحل ١٦ الآية ٧٨ .
(٩) البيضاوى ٢ / ٧١ ، ٣ / ١٠٥ .
(١٠) البحر المحيط ٣ / ١٨٥ .
(١١) إبراز المعانى ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ – حومة : القراءات واللهجات ص ٢٧ .

دفعت إلى وجـــود شيء من التناسق الصوتي في بعض ألفاظها . فليس غريبا إذن ماذكره اللغويون حين نسبوا ذلك إلى هوازن وهذيل ، فهذيل وإن كانت حجازية متأثرة بأهل المدر من الحجازيين ولاسيما قريش ، فإنها – مع هذا – قبيلة بدوية تجاور هوازن ، وغيرها من البدو بين مكة والطائف كما سبق أن ذكرنا ، وكما يشير إلى ذلك شعر الهذليين أنفسهم [١] ، فمن المعقول أن تتأثر هي ، أو تتأثر بطونها القريبـــة من هؤلاء بهذا التناسق الصوتي في بعض ألفاظها .

وهكذا كان اتجاه هذيل نحو الكسر غالبا حين يضم غيرها من القبائل البدوية الأخري التي تزداد توغلا في قلب الجزيرة العربية ، وتزداد بعدا عن أهل الحضر من الحجازيين في مدنهم أو قراهم .

ولكن قد نرى – مع ذلك – أن هذيلا « تضم » أحيانا حين « يكسر » غيرها ، وهذا معناه أنه لايتسنى لها أن تخلُص من الطابع البدوي الذي لها فيه نصيب ولجاراتها الأخريات في وسط الجزيرة منه أوفى نصيب .

ومن أمثلة ذلك قول هذيل « يعن » بضم العين بدلا من كسرها (أي يعرض) ، وقد روى به بيت للأعلام الهذلي يتحدث عن فراره ، وسرعة عـدوه كأنه ظليم [٢] ويقول السكري معقبا على هـذا البيت : « لغة هذيل يعن بالضم ، وغيرهم يعن بالكسر » [٣] .

وعلى هذا النحو كان إيثار هذيل للكسر كثيرا ، واتجاهها نحو الضم قليلا ، ولقد نحس لذلك الطابع أثره في اتجاه هذه القبيلة بخاصة ، وسائر القبائل الحجازية بعامة نحو استعمال الياء أكثر من استعمال الواو في الألفاظ التي تتعاقب فيها الواو والياء في لهجات العرب .

فإذا ما آثر غير الحجازيين الواو في كلمة ألفينا نطق الحجازيين – في كثير من

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٤٦ . الأمالي ٢ / ٢٢٨ .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٨٣ . الجمهرة (ت ح ح) . شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٦١ . اللسان (عنن) .
(٣) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٦٢ .

الأحيان ـ لهذه الكلمة نفسها بالياء بدلا منها وهذا مايسميه القدماء من علماء اللغة بالمعاقبة الحجازية، اذ يسمى الحجازيون الصوّاغ «الصياغ»[1] والصوام «الصيام»[2] ويستبدلون المياثر بالمواثر[3]، و «المياثق بالمواثق»[4]، ويقولون امرأة «شفياء كشفواء»[5].

ويريد ابن سيده أن يوضح هذه المعاقبة، والعلة الدافعة إليها، فيقول: «إنها قلب الواو ياء لغير علة إلا طلب الخفة»[6].

وهذيل تبدو فيها هذه الظاهرة فى وضوح، فهم يقولون للوازع (بمعنى الزاجر) «يازع»[7]، وقد روى بها قول حُصيب الهذلى يذكر قَرّته من العدُو:

لما رأيت بنى عمرو ويازعهم   أيقنت أنى لهم فى هذه قود[8]

ويقول السُّكرى: أراد وازعهم فقلب الواو ياء طلبا للخفة، ولعل السكرى لايعنى أن هذا صنيع الشاعر وحده حين راح يَنشد الخفة فى الياء وإنما يريد أن يقول إن الشاعر يمثل لغة قومه التى اتخذت هذا النهج فرارا من ثقل الواو إلى خفة الياء، اذ يقول هو نفسه بعد قليل: «لغتهم قلب الواو ياء»[9] ويلاحظ الجمحى أن كنانة هى الأخرى كانت تقول «يازعهم» بدلا من «وازعهم» شأنها فى ذلك شأن هذيل.

---

(١) اللسان «صدغ» – الخصائص ٢ / ٦٥ – إصلاح المنطق ص ١٠٥ .
ابن جنى: المنصف ٢ / ٦٣ .
(٢) المخصص ١٤ / ٢٢ .
(٣) المخصص ١٤ / ١٩ .
(٤) تاج العروس «وثق» .
(٥) تاج العروس «شفا» .
(٦) المخصص ١ / ١٥٠ ، ١٥ / ١٦٤ .
(٧) القاموس «وزع» .
(٨) القاموس ، تاج العروس ، اللسان «وزع» .
(٩) ، (١٠) شرح أشعار الهذليين «مخطوط» ص ٧٢ .

هذا وقد تستعمل هذيل « الخِيف » بالياء وأصله الواو ، وهكذا ورد في شعر صخر الغى :

فلا تقعدن على زَخـــة وتضمر في القلب وجدا وخيفا [1]

ونجد الحِيبة بالياء بدلا من الحَوبه بالواو في مثل قول أبي كبير :

ثم انصرفت ولا أبثك حيبتى [2]

هذا ويسوق صاحب المخصص بيت أبي صخر الهذلى :

فإن يعذر القلب العشية في الصبا فؤادك لا يعـــذرك فيــــه الأقاوم [3]

ثم يعرض فيه رواية أخرى هي « الأقايم » بالياء .

ولعل الاتجاه إلى هذه الرواية الأخيرة أنسب من سابقتها ، لما اتسمت به هذيل والحجازيون من إيثار الياء كما نرى .

وهذيل تقول أيضا : « أجييت » القـــدر في معنى « أجويتها أي غلفتها [4] ، و « يَغير » في معنى « يغور » أي يفيد ، ويقول عبد مناف بن ربع الهذلى :

ماذا يغير ابنتى ربـع عويلهما لاترقدان ولابؤسى لمن رقدا [5]

وإذا وجد في اللغة فلاه يفلوه ويفليه ، وفلوته وفليته فإننا نجدها في شعر الهذليين بالياء ، ومن أمثلة ذلك قول صخر الغى :

فليت عنـــه سيوف أريَح حتى باء بكفى ولم أكد أجـــد [6]

وليس هذا الأمر وقفا على الشعر بل نجد صداه في النثر ، وفي قراءة ابن مسعود ،

---

(1) ديوان الهذليين ٢ / ٧٤ – اللسان « خوف » – إصلاح المنطق ص ١٧ .
(2) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٢ – إصلاح المنطق ص ١٢٣ .
(3) المخصص ١٤ / ٢١ .
(4) ماتفرد به بعض أئمة اللغة ص ١١ .
(5) ديوان الهذليين ٢ / ٣٨ – الصحاح « غير » – محمد صديق خان : البلغة ص ١٠ .
(6) ديوان الهذليين ٢ / ٦٠ .

فإذا كان جمهور القراء قـــد قرءوا : « تذروه الرياح » (١) بالضم والواو ، فإن قراءة ابن مسعود « تذريه الرياح » بالكسر والياء [٢] .

هذا وقد روي عن ابن مسعود : « إياكم وهوَشات الليل ، وهوشات الأسواق أى فتنتها وهيجها » وزواه بعضهم « هيشات » بالياء [٣] .

ولعل الرواية الأخيرة أشبه من سابقتها بابن مسعود الهذلى أولا ، والحجازى ثانيا . وقد ورد فى بعض المواضع رواية الياء منفردة دون إشارة إلى الواو (٤) .

وقد روى عن ابن مسعود غير هذا قوله : « إذا قلت صه عند الخطبة فقد «لغيت» بكسر الغين وبالياء فى موضع لغوت [٥] .

هذا من آثار ميل هذيل للكسر غالبا ، ولكن اللغات واللهجـــات لا يمكن أن ينتظمهاأو يحكمها قانون عام شامل ، أو جامع مانع كما يقال ، وإنما هى دائمـا تعطى وتأخذ طبقاً لما يقتضيه ناموس الحياة ، وماتتطلبه حياة المجتمعات البشرية التى اتخذت من هذه اللغات ، أو تلك اللهجات أداة للتعبير ، فإذا كنا قد رأينا من هذيـــل ميلا للكسر ، وانعطافا نحو الياء ، فإنا قد رأينا عكس هذا أحياناً ، وهو أنها قد عرفت الضم مكان الكسر فى بعض ألفاظها ، وكان لهذا أثره فى تسرب الواو مكان الياء في شيء من كلامها ، ومن مظاهر ذلك قول هذيل . « أتوته آتوه » بمعنى «أتيته آتيه» ، فقد ذكر القالى ــ وهو من أشد النـــاس اهتماما بالهذليين ، ومن أكثرهم اتصالا بلهجتهم وأشعارهم ــ أن هذه لهجة هذلية ، وبها ورد شعر الهذليين فى ديوانهم ، وفى كثير من المصادر اللغوية والأدبية [٦] . كما نجد الأقوال فى موضع الأقيال (جمع قيل) وهم ملوك حمير فى شعر مالك بن خالد الخناعى يرد على مالك بن عوف النصرى زعيم

---

(١) سورة الكهف ١٨ الآية ٤٥ .
(٢) مختصر شواذ القراءات ص ٨٠ .
(٣) تاج العروس اللسان (هوش) . ـ الفائق ٣/١٢٥ ، ٢٢١ .
(٤) اللسان (هيش) .
(٥) البلغة ص ١٠ .
(٦) الأمالى ٢ / ٢٠٤ ـ ديوان الهذليين ١/ ١٦٥ ـ اللسان « أتى » ـ إصلاح المنطق ص ١٦٠ . مقاييس اللغة « أتو » . المفضليات ص٥٠٩ ـ المخصص ، ١٢ / ٢٩٣ ، ١٤ / ٢٤ ، ٢٨ .

هوازن (١) . ومن ذلك ما يذكر ابن عباد من أن هذيلا تقول « صلّوت الظهر » أى « صليته » وآم « يؤوم » بدلا من « يئيم » أى يدخن على النحل ليشتار العسل ، وهكذا رويت فى شعر ساعدة بن جؤية [٢] ، وشعر أبى ذؤيب (٣) ، وكلاهما هذلى كما سبق أن عرفنا ـ ولكنهم ـ إذ فعلوا ـ إنما جاءوا بمصدر هذا الفعل على أصله اليائى فى لهجتهم ، فلا يقولون «أوما» بل «أياما» ، وهكذا ورد فى كثير من أشعارهم [٤] .

وعند هذيل أيضاً (صلَوته) أى أصبت صلاه ، أو ضربته فى موضع صليته بالياء عند غيرهم (٥) ، و « أسوان » (أى حزين) بدلاً من « أسيان » فى بعض اللهجات الأخرى ، وقد وردت روايته بالواو فى الشعر الهذلى [٦] .

وقد نجد شيئا من ذلك فى لهجة الحجازيين بعامة ، فليس معنى المعاقبة الحجازية التى ذكرها اللغويون أن كل واو عند غيرهم تنطق ياء عندهم ، وإنما المقصود ـ فى تقديرى ـ هو أن الواو ، وإن كانت موجودة فى نطق الحجازيين فى الأصل ، فإنهم نظرا لطبيعتهم الحضرية ، وقدرتهم على الانتقاء ، والاختيار كانوا يميلون إلى استبدال الياء بها فى نطقهم ، مع بقاء الواو ماثلة فى بعض ألفاظهم ، وفى لهجات بعض قبائلهم ، ولقد تنبه إلى هذا بعض اللغويين فأشار إلى أن المعاقبة ليست مطردة فى لغتهم ، فهم وإن كانوا يسمون «الصواغ» الصياغ (٧) فإنهم يقولون المياثر والمواثر ، والمواثق والمياثق [٨] . وهذا الكلام لا يعدو الواقع ، ولا يتجافى عن الحق ، ولكن نضيف إليه أنه حين يوجد الواوى ، واليائى معاً فى لهجة الحجازيين ، فهما لا يوجدان جنبا إلى جنب فى لهجة قبيلة واحدة أو أكثر من قبائلهم . بل نجدهما فى لهجتين لقبيلتين مختلفتين تكون

---

(١) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ص ١٥٩ .
(٢) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٩٥٤ . تاج العروس « أيم ، قول » .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٩ ـ التمام ص ٢١٢ . الصحاح « أيم » .
(٤) شرح المفصل ٥ / ٤ ، ٨ ـ المنصف ٣ / ٦٣ ـ المخصص ٢٣٩/١٤ ـ البحر المحيط ٢٩٠/٣
(٥) تاج العروس ، اللسان « صلا » .
(٦) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٤ ـ اللسان « أسا » .
(٧) المحتسب ص ١٥٦ .
(٨) المخصص ١٤ / ١٩ .

إحداهما قد انتقلت إلى النطق بالياء على حين بقيت الأخرى على الواو لا تريم .

ولعل القبائل التي تحولت إلى الياء ، أو كثرت فيها مظاهر هذه المعاقبة إنما هي القبائل الحضرية كقريش ، والتي قلت فيها هي القبائل البدوية من هؤلاء الحجازيين كهذيل .

* * *

أصوات اللين الطويلة :

أصوات اللين الطويلة هي ألف المد ، وياء المد ، وواو المد . وهذه الأصوات في الواقع امتداد لأصوات اللين القصيرة ، وتشترك معها في الحكم على الرغم من اختلافها من حيث القصر والطول ، أو الاختلاس والإشباع ؛ لذلك نجد أن الطابع العام الذي تتسم به لهجة من اللهجات العربية من جهة ميلها إلى حركة بعينها تظهر فيها مقابلة لحركة أخرى في لهجة غيرها — ذلك الطابع نجده بارزا أيضا في أصوات اللين الطويلة ، فالقبائل التي تميل إلى الفتح مقابلا للكسر أو الضم عند غيرها ، نجدها — غالبا — تميل إلى الألف في الوقت الذي يتجه فيه غيرها إلى الياء أو الواو . والقبائل التي تتجه إلى الكسر مقابلا للضم ، أو تميل الى عكس ذلك — نجد هذا الاتجاه أو ذاك ينعكس أثره عليها فيما يتصل بالكسرة الطويلة ، أو الضمة الطويلة من هذه الأصوات .

فمن قال « يفرغ » بالفتح قال في المصدر « فراغا » ومن قال « يفرغ » بالضم جعل المصدر « فروغا »[1] .

ومن قال « بعنا وخفنا ، وهبنا » بالضم يقول في صيغة البناء للمفعول « بوع ، وخوف ، وهوب »[2] . ومن فتح أول المضارع في « أثم » قال « آثم » ، ومن كسره قال « إيثم »[3] ... وهكذا .

ولما كانت هذيل ممن يكسرون حروف المضارعة على النحو الذي سبقت الإشارة إليه في أصوات اللين القصيرة ، فإنه إذا ولي هذا الحرف همزة فإنها قد تصير صوت لين طويلا مماثلا للكسرة السابقة في حرف المضارعة اقتصاداً في الجهد العضلي ، وتحقيقا

(١) الكامل ١ / ٥٠ .
(٢) سيبويه : الكتاب ٢/٢٦١ .
(٣) اللسان « أثم » .

للتجانس بين الكسر والياء ، فنجد « إيثم » بدلا من آثم [١] و « تيمنه » بدلا من تأمنه ، و « تيلمون » فى موضع تألمون . وبهذه القراءة قرأ ابن مسعود ، وبعض تلاميذه من الكوفيين (٢) .

وإذا كان الحرف الذى يلى حرف المضارعة ياء ساكنة (Consonant) صارت عندهم لمجانسة الكسرة ياء مد (Vowel) ، فالفعل « ييأس » عندما تكسر ياؤه عند هذيل (وتميم وقيس وأسد) تصير ياؤه الثانية ياء مد فتنطق « ييأس » [٣] . ومثله الواو فى « يَوجل » فهى حرف ساكن ، ولكن كسر أول الفعل يجعل هــذه الواو صوت لين طويلا مجانسا للكسرة قبله ، وهو (ياء المــد) ، فيصير عند هذيل « ييجل » [٤] ... وهكذا .

وإذا تركنا المضارع إلى غيره ألفينا أن الفعل « عسى » معروف أنه عندما يتصل بضمير رفع متحرك (كضمير المتكلم أو المتكلمين ، وضمير المخاطب أو المخاطبين) فى مثل : « عسيت ، عسينا ، عسيت ، عسيتم » تظل سينه مفتوحة وهذا هو المألوف فى نطقه ، ولكن هذه السين قد تكسر أيضا [٥] فمند الفتح يعقب السين المفتوحة حرف ساكن (Consonant) هو الياء ، وهى قريبة فى المخرج من صوت اللين الذى هو ياء المــد . ومع كسر السين تصير هذه الياء الساكنة صوت لين طويلا هو هــذه الياء المكسور ماقبلها ، وبهذا قرأ نافع بن أبى نُعيم (المدنى) وهو حجازى طبعا ، وعليه قراءة ابن مسعود ، وهو حجازى هذلى، وقد نقل صاحب شرح الشاطبية عن أبى بكر الإدفوى أن هذه لغة هذيل يكسرونها مع المضمر خاصة [٦] .

* * *

---

(١) ابن الأثير : النهاية ١ / ٢٠ .
(٢) البحر المحيط ٢ / ٤٩٩ - الكشاف ١ / ٣٢٧ - إعراب القرآن ١ / ١٠٦ .
(٣) تاج العروس « يأس » - القراءات الشاذة ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) اللسان « وجل » .
(٥) الكشاف ١ / ٢٨٦ - أدب الكاتب ص ٢٥٩ .
(٦) إبراز المعاني « شرح الشاطبية » ص ٢٠٥ .

ومايقال فى الكسرة والياء قليل بالقياس إلى الفتحة والألف ، فالفعل سأل يسأل (ونظائره من الأفعال) نجد همزته قد سهلت عند هذيل فصارت ألفا[1] (أى صارت صوت لين طويلا) ؛ وذلك لأن قبلها صوت لين قصيراً يجانسها ، فمن اليسير مد الصوت به دون جهد .

وهذا حسان بن ثابت يهجو هذيلا فيقول :

سالت هذيل رسـول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

سالوا رسـولهم ما ليس معطيَهم ... حتى المات وكانوا سبـة العرب [2]

فهو – كما نرى – قد وضع « سال » موضع سأل ، فإذا لم يكن قد فعل هـذا رغبة فى أن يستقيم له الوزن ، فربما فعله يحاكى به هذيلا فى لهجتها حال هجائه إياها ، كما يفعل الناس حينما يحاكون كلام غيرهم أثناء تأنيبهم قصدا إلى المبالغة فى التنديد بهم وتبكيتهم ، وعلى هذا تكون لهجة خاصة ، وليست من ضرورات الشعر ومتطلباته . وقد نقل الأستراباذى عن السهيلى قوله : « سالت هذيل ليس على تسهيل الهمـزة ، ولكنها لغة » [3] ، وهذه اللغة قد رأينا أنها لهذيل .

ويحتمل أن يكون قـول حسان دليلا على وجودها فى بعض البيئات الحجازية الأخرى ، لاسيما أنه قرأ بها نافع [4] قوله تعالى : « سأل سائل بعـذاب واقع » [5] فلعلها إذن لهجة لبعض الحجازيين الآخرين إلى جانب هذيل[6] ، فقد ذكر أنها كانت قراءة عبد الله بن مسعود [7] ، كما قيل إنها كانت لهجة قريش أيضا [8] ، وهذا يوائم

---

(١) تاج العروس « سأل » .
(٢) المخصص ١٢ / ٢١٨ .
(٣) شرح شواهد الشافية ص ٣٤٠ .
(٤) البيضاوى ٤/٢٢٠ .
(٥) سورة المعارج ٧٠ الآية ١ .
(٦) شرح الشافية ٣ / ٢٤ .
(٧) البحر المحيط ٨/٣٣٢ .
(٨) شرح الشافية ٣/٢٤ .

ماذكروا من أن قريشاً كانت لاتهمز فى كلامها [1] ولا يستبعد أن يكون هذا أثرا من آثار اللهجة الهذلية .

وقد نجد من ذلك أيضا « مساب » أى « مسأب » [2] وهو سقاء العسل ، ومثاله من شعر أبى ذؤيب :

تأبط خافة فيها مساب [3]

فيحتمل أن يكون ضرورة شعرية ، كما يحتمل – مع الترجيح – أن يكون هذا اللفظ قد جاء هكذا على لهجة قومه ، ولا ضرورة فيه ، واللغويون يقولون بأن أبا ذؤيب ترك همزه ، ولم يشيروا إلى كون هذا ضرورة أو لهجة (٤) ، ولكننا قد ألفينا هذا اللفظ مهموزا فى شعر ساعدة بن جؤية (٥) ، وقد يوحى ذلك بأن صنيع أبى ذؤيب هو من قبيل الضرورة الشعرية تتطلبها سلامة الوزن ، واستقامته ؛ ولهذا لو كان ذلك الشاهد منفردا فى هذا المجال لما نظرت إليه ، ولكنه – ومعه غيره – يستأنس به فيما نحن بصدده . هذا مع ما يحتمل من أن تكون الضرورة فى شعر ساعدة لا فى بيت أبى ذؤيب الذى يسانده ما سبق ذكره من أن هذه لغة القوم من هذيل . ومع ذلك فأبو ذؤيب قردى من بنى صاهلة ، وساعدة من بنى كعب بن كاهل ، فهما من بطنين مختلفين ، وقد يكون لكل منهما فى هـــذا لهجته ، ثم إن ماذكره بعض الأفذاذ من علماء اللغة كأبى عمرو بشأن هذا البيت يرجح كون هذا اللفظ لهجة لاضرورة [6] .

ومن ذلك أيضا « منساة » بالألف بدلا من « منسأة » بالهمز ، وقد قرىء بها [7]

---

(١) اللسان « قبر » .

(٢) الصحاح « سأب » . اللسان « زهق ، خوف » .

(٣) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١/١٧٠ – ديوان الهذليين ١/٨٧ .

(٤) الصحاح « سأب » – المخصص ٥ / ١٩ .

(٥) تاج العروس « فرط » ، « سأب » – ديوان الهذليين ١ / ١٨٠ .

(٦) تاج العروس « مسد » .

(٧) المرجع السابق « نسا » .

قوله تعالى : « إلا دابة الأرض تأكل منسأته »[1] . وهنا يقـــرر بعض المفسرين من العلماء — تعليقا على هذه القراءة فى الآية — أن تخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غـــير قياس إذ القياس إخراجها بين بين ، ويقـــرر ذلك فيما يتصل بلفظ « سبأ » فى الآية نفسها إذ ينقل رواية عن ابن كثير أنه قلب همزة هذا اللفظ ألفا ، ثم يرد على ذلك بأنه لعل ابن كثير أخرج الهمزة بين بين ، فلم يؤده الراوى كما وجب[2] .

والحق أنها لهجة خاصة لبعض الحجازيين كما سبق وليست تسهيلا للهمزة حتى تكون بين بين(٣) . ولكنها مع ذلك لحة لطيفة تنبهنا إلى ماقد يعوز الرواية أحيانا من دقة ، وتدفعنا إلى محاولة التغلب على ذلك باستيحاء اللهجات الحديثة علّها تهدينا إلى بعض الظواهر الصوتية فى تلك اللهجات القديمة .

هكذا كانت لهجة الهذليين ، وبعض الحجازيين الآخرين ، ولهذا رويت عن القراء الحجازيين ، ومن تابعهم . ويحدثنا علماء القراءات ، ومن كتبوا فى علوم القرآن أن أبا عمرو بن العـــلاء — الذى ذكروا أن مادة قراءته من أهل الحجاز — كان لا يهمز القرآن ، وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير[4] ، فليس ذلك بغريب على البيئة الحجازية بعدما ذكرنا . وتلك لهجة عربيـــة حديثة نجدها شائعة بين العامة فى بعض البلاد العربية ، ومن بينها مصر .

وهذه اللهجة الحجازية الهذلية نجد صداها عند الشافعى (٥) ، وهو — كما نعلم — حجازى قرشى ، ثم إنه مكث فى بادية هذيل ردحا من الزمن ، وحفظ من أشعار الهذليين ماحفظ ، وعلق من لهجتهم ماعلق (٦) .

* * *

---

(١) سورة سبأ ٣٤ الآية ١٤ .
(٢) البيضاوى ٤ / ٥٠ .
(٣) شرح شواهد الشافية ص ٣٤٠ — الروض الأنف ٢ / ١٧٣ .
(٤) السيوطى : الإتقان ١ / ٩٨ .
(٥) الرسالة ص ٢٦٧ .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء ٧ / ٢٨١ وما بعدها .

وكما رأينا فى أول هـــذا المبحث كيف تحولت الياء الساكنة والواو الساكنة (Consonant) إلى صوت لين طويل (هو ياء المد) ملاءمة لصـــوت اللين القصير الذى هو من جنسه (وهو الكسرة) ، فإنا نجد هـــذه الظاهرة نفسها بالقياس إلى الفتحة إذا تلتها واو ساكنة ، وذلك مثل « لوعة » فإنا نجد عند هذيل « لاعة » ، وقد ورد بها حديث ابن مسعود : « إنى لأجد له من اللاعة ما أجد لولدى »[1] . ومن هذا القبيل قراءة ابن مسعود : « ذلك عيسى بن مريم قال الحق »[2] بضم اللام أى قول الحق (٣) .

ومن ذلك ما ذكره ابن يعيش من أن قوما من أهل الحجاز حملهم طلب التخفيف على أن يقلبوا حرف العلة فى مضارع افتعل ألفا : واواً كان أو ياء وإن كانت ساكنة ، فقالوا : « ياتعد ، وياتزن . . . وياتسر » وإن كان ابن يعيش لم يستطع أن يلمح العلة الأصلية فى ذلك ، فقال « إن اجتماع الياء مع الألف أخف عنـــدهم من اجتماعها مع الواو . والحق ـ كما ذكرنا ـ أن الفتحة ، وهى صوت لين قصير ، اقتضى مد الصوت بها فى سهولة ويسر أن يتلوها الألف ، فيكونا معا صوتا واحدا طويلا هو أسهل عليهم من انتقال اللسان من الفتح إلى الواو الساكنة فى « يوتعـد » ، أو إلى الياء الساكنة فى « ييتعد » ، ولكن ابن يعيش عاد فلمح الصلة بين الفتحة والألف ، فقـــال : « إنهم كرهوا اجتماع الواو والياء ، ففروا إلى الألف لانفتاح ماقبلها (٤) ، فإذا صح هذا عن هذيل كان ـ دون شك ـ عند من يفتحون منهم حروف المضارعة بوجه عام ، أو عند من يفتحون هذا الحرف من حروف المضارعة بوجه خاص . فقد سبق أن عرضنا لمـا ذكره اللغويون من قلة الكسر فى حرف المضارعة حين يكون ياء ، وقـــد نسبوا ذلك إلى قبيلة واحدة هى بهراء (بطن من قضاعة) ، ونحن وإن كنا قد ألفيناه عند قبائل أخرى غير بهراء ، ومن بينها هذيل ، فنحن لانمـارى فى أنه كان قليلا بين القبائل العربيـــة من جهة ، وبين البطون والأفخاذ فى القبائل التى نسب إليها كهذيل من جهة أخرى .

---

(١) تاج العروس ، اللسان « لوع » . ابن الأثير : النهاية ص ٧٠ .
(٢) سورة آل عمران ٣ الآية ١٣٧ .
(٣) الكشاف ٢ / ٧٠ .
(٤) شرح المفصل ١٠ / ٦٣ .

والاتجاه إلى الفتحة الطويلة على النحو الذى ذكرنا يكاد يقارن ما نجده من أمثلة كثيرة فى شعر هذيل كقولهم « غـزاة » (١) ، « وأذاة » (٢) ، « وشـكاة » (٣) ، و « وصاة » (٤) ، « ومهاب ومهـال » أى ذو هيبة ، وهول (٥) ، و « طُوال » فى معنى طويل (٦) ، ومايشابه ذلك من ألفاظ وردت فى أشعارهم .

* * *

وإذا كان هذا هو شأن الفتحة وأختها الألف ، على حد تعبير القدامى ، فإن الضمة والواو شأنهما كذلك ، فهم يقولون ، بوع ، وخوف ، وهوب فى البناء للمفعول ، كما يقولون : بُعنا ، وخُفنا ، وهُبنا (٧) ، فنجد عندهم . قول القول ، وبوع المتاع ، وقد روى أنها لهجة هذيل ، وبنى دُبير من بنى أسد (٨)، وبنى فقعس (٩) ، وقد ساقوا لهـذه اللهجة ذلك الشاهد النحوى المعروف :

ليت وهـل ينفـع شيئا ليت ليت شبابا بـوع فاشتريت (١٠)

وقد اقتصر بعض علماء النحو من المتأخرين كالصبان(١١) وابن عقيل(١٢) على نسبتها لبنى فقعس ، وبنى دُبير ، ولعلهما لم يقصدا إلى الدقة والتحرى ، والاستيعاب ، بل قصدا مايقصده كثير من علماء اللغة أحيانا من مجرد التمثيل لبعض من ينطقون هذه

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٣٧٠ ، ٧٦ شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ٣٣٦ ، ٢/٥٤٨ .
(٢) المرجع السابق (شرح أشعار الهذليين) ١/٢٢٤ .
(٣) المؤتلف والمختلف ص ٢٧١ . الجاحظ : الحيـوان ١ / ٣٤٨ . ديوان الهذليين ١ / ٢١ ، ٨١ ، ١٦٣ .
(٤) المزهر ١ / ١٤٩ - ديوان الهذليين ١ / ١٤٢ ، ٣ / ٥٠ .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٢ . مقاييس اللغة ٦ / ٢٠ .
(٦) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٥ .
(٧) سيبويه : الكتاب ٢/٣٦١ .
(٨) ، (٩) الروض الأنف ٢ / ٦٦ . التصريح ١/٢٩٣ .
(١٠) شرح شواهد ابن عقيل ص ١١١ .
(١١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٢/١٢ .
(١٢) شرح ابن عقيل (تحقيق محيى الدين) ١ / ٥٠٣ .

اللهجة ، أو لعلهما فعلا ذلك ؛ لأن هذه اللهجة فاشية فى دبير وبنى فقعس ، قليلة عند هذيل ، كما يفهم من عبارة التصريح [1] .

وقد صرح أبو حيان بأنها لغة هذيل ، وبنى دبير [2] ، وإن كان لم يذكر غيرَهما كما فعل غيره ، ولعله فعل ذلك على سبيل الاكتفاء ، والتمثيل الذى أشرت إليه ، لا على سبيل التقصى ، والتحديد العلمى الدقيق .

ويسوق أبو حيان أنه قرئ بهذه اللهجة قوله تعالى : « سىء بهم »[3] ، فقد قرأ عيسى بن عمر ، وطلحة بن مُصَرِّف : « سوء بهم » بالضم والواو ، لا بالكسر والياء . ويقرر أبو حيان هنا أيضا أنها لهجة هذيل وبنى دبير يقولون فى قيل وبيع ونحوهما : قول ، وبوع [4] .

وقد اتفقت المصادر ـ فيما نعلم ـ على أن ضم فاء الفعل فى مثل هذه الأفعال ، إنما هو ضمة خالصة [5] ، ويفصل صاحب التصريح الموضوع تفصيلا ، يمكن إيجازه فى أنه اذا اعتلت عين الماضى ثلاثيا كقام وباع ، أو كان على « افتعل » و « انفعل » كاختار وانقاد يكسر ماقبل عينه كسرا خالصا فى المبنى للمفعول ، وهو لغة قريش ومن جاورهم ، وإشمام الكسر الضم لغة كثير من قيس ، وأكثر بنى أسد ، وإخلاص الضم مثل « بوع وحوك » لهجة تنسب لبعض هذيل ، ولفقعس ودبير ، وهم من بنى أسد ، كما حكيت عن ضبة ، وبعض تميم [6] .

وإذا كانت نسبة الضم الخالص إلى ضبة وبعض تميم لا غرابة فيها ، فإن إشمام

---

(١) خالد الأزهرى : التصريح ١ / ١٩٣ .
(٢) البحر المحيط ١ / ٦٠ .
(٣) سورة هود الآية ٧٧ .
(٤) البحر المحيط ٧ / ١٥١ .
(٥) المرجع السابق ١ / ٦٠ ـ الكتاب ٢ / ٣٦١ .
السهيلى : الروض الأنف ٢/٦٢ ـ شرح شواهد ابن عقيل ص ١١١ .
السجاعى على القطر ص ٦٣ .
(٦) التصريح ١ / ١٩٣ .

الكسر الضم ، ونسبته إلى كثير من قبائل قيس وأسد ، مع نسبة الضم الخالص إلى هذيل — هذا الأمر قد يكون فيه شيء من الغرابة ، فإن الضم الخالص هو أشبه بهذه القبائل الموغلة فى البداوة . وما عبر عنه بإشمام الكسر الضم ، إنما هو نوع من إمالة الضم نحو الكسر ؛ أو هو فى واقع الأمر اتجاه نحو الكسر ، أى نحو نطق هذا اللفظ « بيع » كما ينطقه الحضريون من أهل الحجاز ، وهذا الاتجاه كان أشبه بهذيل الحجازية التى هى أكثر قربا من الحضر ، وأشد اتصالا به .

وأيًّاما كان الأمر ، فإنه يفهم من كلام صاحب التصريح — كما سبق أن أشرنا — أن هذه اللهجة غير منتشرة فى هذيل ، وإن كانت قد وجدت طريقها إلى بعض بطونها . ولعل من نطق هذه اللهجة منهم كان أكثر بداوة ، وتوغلا فى جوار بعض الناطقين بها من قبائل المجموعة الشرقية .

ويروى اللغويون أن من لغة هذيل أيضاً أن تقول « البوع » بالضم والواو تريد « الباع » ويسوق ابن منظور فى الباع لهجات ثلاثا : الباع ، والبَوع ، والبُوع ، ويذكر أن الأخيرة هذلية ، ويقدم لذلك شاهدا من شعر أبى ذؤيب :

فلو كان حبلا من ثمانين قامة   وخمسين بُوعا نالها بالأنامل [1]

ويسوق الزبيدى هذه اللهجات الثلاث ، ويقول أيضاً إن الأخيرة هذلية [2] ، ويستدل على هذا بالبيت الذى ذكره صاحب اللسان ، ولكن رواية البيت فى دواوين شعر الهذليين « مخطوطة ومطبوعة » : « سبعين باعا » على المألوف فى اللغة الفصحى [3] .

ومما ذكروا فيه الضم موضع الفتح قولهم إن هذيلا تقول « حضرموت » بضم الميم لابفتحها ، وقد جاء بذلك شعر هذيل فى مثل قول صخر الغى :

حدت مزنة من حضرموت مرية   ضجوع لها منها مدر وحالب [4]

(١) اللسان (بوع) .
(٢) تاج العروس (بوع) .
(٣) ديوان الهذليين (مخطوط . الشنقيطى) ص٢٦ - ديوان الهذليين (ط دار الكتب) ١٤٢/١ .
(٤) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢ / ١٤٨ .

وقد ذكر اللغويون أن هذه لهجة لهذيل [1] ، وإن كنت لا أميل فى ذلك إلى الضم الخالص ، بل أرجح إمالة الضم نحو الفتح كما سيأتى فى الإمالة .

ويقول بعض اللغويين والنحاة : إن هذيلا أو عُقيلا تجمع الاسم الموصول لجماعة الذكور بالواو والنون فى حال الرفع ، وبالياء والنون فى حال النصب والجر ، ويخص بعض اللغويين هذيلا دون غيرها بهذه اللهجة [2] ، وينسبها بعضهم إلى عقيل [3] ، ويرجح بعض الباحثين من المحدثين نسبة هذه الصيغة إلى عقيل ، لأنها أكثر توغلا فى شرق الجزيرة ، وأكثر بعدا عن البيئة الحجازية ، وأقرب إلى قبائل تميم من هذيل [4] ، وهذا — فى الحق — تعليل معقول . ولكن بعد أن روينا أن الاتجاه إلى الضم وإلى الواو لاتبرأ منه هذيل ، فغير مستبعد إذن أن يكون ذلك من كلامها ، ولا ينبغى أن يصرفنا عن ذلك كون هذيل من القبائل الحجازية ، فقد رأينا كيف أن هذيلا كانت حلقة وسَطا بين القبائل الحجازية أو المجموعة الغربية ، وقبائل تميم أو المجموعة الشرقية ، فهى من أكثر قبائل الحجاز اتصالا بقبائل نجد ، والقبائل الشرقية عامة . ويبدو ذلك واضحا من منازل هذيل ، وصلاتها بغيرها من القبائل كما مر فى غضون البحث .

ولعل نسبة هذه الصيغة إلى هذيل يؤكد احتمالها أن اللغويين والنحاة ينسبون لهذه القبيلة صيغة أخرى للاسم الموصول هى « اللاءون » ، وتستخدم عندهم فى رأى هؤلاء النحويين لجمع المذكر العاقل [5] . وفى هذه الصيغة من الشذوذ ما قد يستبعد معه استعمالها ، ولكن يلفت النظر فيها وجود الواو والنون ، فليست نسبة الضم والواو شيئاً غريبا على هذيل فى عموم لهجتها ، أو فى الاسم الموصول فيها ، وحسبنا أن نقول إن بعض هذيل هم الذين يحتمل نسبة هذه الصيغة إليهم ، وهؤلاء هم أقرب الهذليين جوارا واتصالا بالقبائل التميمية .

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق مزاج) ٢ / ١٨٤ .
(٢) البحر المحيط ١/٧٧ - ابن عقيل ١ / ٧٢ .
(٣) المغنى ٢ / ٥٧ .
(٤) د. أنيس : فى اللهجات العربية ص ٨٣ .
(٥) المغنى ٢ / ٥٧ .

ويبدو أن ثمة صلة بين الاسم الموصول « ذو » عند طيء ، وبين الموصول (اللذون) عند هذيل وعقيل ، تلك الصلة التي لم يلمحها القدامى ، ولم يشيروا إليها ، فقد ذكروا كلا من الصيغتين مستقلة عن الأخرى ، ولم ينتبهوا إلى وجود أي رابط بينهما ، مع أنهم قالوا هم أنفسهم إن « أل » في جميع الأسماء الموصولة زائدة ، وحذفها من الجميع لغة ، وكذلك حذف النون من نهايته[1] وقد وصل الأمر بالكوفيين إلى القول بأن الأصل في الذي الذال وحدها ، وماعدا ذلك زائد[2] ، ونحن لا نريد أن نزكي هذه المبالغة ، ونمعن في تأكيدها ، بل حسبنا أن نعلم أن « ذا » اسم موصول بعد «ما» في قولهم « ماذا » أي ما الذي ، وقد عممه الكوفيون ، فلم يقصروه على مجيئه بعد « ما » ، ثم أوردوا شاهدا لذلك[3] ، فليس هناك – بعد هذا – من غرابة في « ذو » الاسم الموصول عند طيء تحمل بعض الباحثين مثل (Rabin) على أن يعدها من الصيغ الغريبة التي أدى إليها المسلك الصناعي في النحو العربي[4] . فنحن نرى الصواب في نسبة «ذو» هذه إلى قبيلة بدوية موغلة في بداوتها كطيء ، أو من عساه أن تنسب إليه أيضاً ممن يجاورونها من أحياء العرب وقبائلهم ، فالموصول « ذو » لايبعد عن «اللذون» المنسوب إلى هذيل أو عقيل ، فبعد إسقاط الزوائد التي قال بها القدامى أنفسهم يصير « اللذون » هو نفسه (ذو) دون خلاف يؤبه له كما رأينا ، غير أن « ذو » الطائية هذه تكون للعاقل ولغيره ، وأشهر لغاتهم فيها أن تكون بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفرداً ومثنى ومجموعا . كما أن الأشهر فيها ملازمتها للواو رفعاً ونصبا وجرا[5] وهذا اتجاه هو أشبه مايكون بطيء ، تلك القبيلة التي أوغلت في بداوتها في شرق جزيرة العرب .

* * *

وإذا كان هذا هو شأن هذيل مع أصوات اللين الطويلة عندما تأتي في أوساط

---

(١) حاشية الخضري ١ / ٧٠ .
(٢) شرح المفصل ٣/١٣٩ .
(٣) المرجع السابق ٤/٢٣ .
(٤) Rabin : Ancient West Arabia. P 8.
(٥) شرح ابن عقيل ١ / ١٤٩ ، ١٥٠ .

الكلمات ، فإن لها معها شأنا آخر فى نهاية الكلمات أيضا ، ذلك أن هذيلا قد تخففت من أصوات اللين المذكورة أو معظمها اكتفاء منها بأصوات اللين القصيرة ، ويبدو ذلك واضحا فى الواو والياء ، فقد شاع حذفهما فى هذه اللهجة شيوعا كبيرا ، والاجتزاء عنهما بصوت اللين القصير (أى بالكسرة والضمة) ، ومن أمثلة ذلك : يأت ، ونبغ ، ويدع ، والأيد ، ولا أدر . . . وقد قرأ بهذا كثير من القراء ، ولكن يبدو أن حذف الياء كان أكثر ورودا حتى أنه لفت أنظار القدماء لفتا قويا ، فيذكر الزمخشرى ، وأبو حيان أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير فى لغة هذيل [1] ، ونجد مثل هذا تماما عند أصحاب المعاجم [2] ، وعلماء القراءات [3] وعلوم القرآن [4] ، ولقد نجد من ذلك فى القرآن الكريم (قراءة حفص) أن لفظ « يأت » هو هكذا بدون ياء فى بعض الآيات مثل قوله تعالى : « يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه » [5] ، و « الجوابى » كتبت هى الأخرى بغير ياء فى قوله تعالى : « وقدور كالجواب » [6] ، وقد ذكر صاحب الكشاف أنها قرئت هكذا اكتفاء بالكسرة [7] ، و « يدع » كتبت — هى الأخرى — بدون واو فى بعض الآيات ، كقوله سبحانه : « ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير » [8] .

وقد كتبت هذه الألفاظ هكذا — فى هذه الآيات وأمثالها — مطابقة لهذه اللهجة الهذلية ، أو كما يقول صاحب مناهل العرفان « إنها كتبت كذلك للدلالة على لغة هذيل [9] ، وفوق هذا ، نجد أن ما كتب من ذلك فى المصحف بالواو والياء يقرأ معظمه ابن مسعود وتلاميذه بالحذف [10] ، فقد قرأ عبد الله ، والحسن ، وعيسى ،

---

(١) البحر المحيط ٥ / ٢٦٢ .
(٢) اللسان ، تاج العروس (أتى) .
(٣) أبو شامة : شرح الشاطبية ص ٢١٩ .
(٤) مناهل العرفان ص ٣٨٣ .
(٥) سورة هود ١١ الآية ١٠٥ .
(٦) سورة سبأ ٣٤ الآية ١٣ .
(٧) الكشاف ٢ / ٢٢٧ .
(٨) سورة الإسراء ١٧ الآية ١١ .
(٩) مناهل العرفان ص ٢٨٣ .
(١٠) الكشاف ٣ / ٩ ، ١٤٨ .

والأعمش «الأيد»[1] بغير ياء فى موضع «الأيدى»[2] كما قرىء « الداع »[3] بإسقاط الياء كذلك[4] ، وقرأ ابن مسعود أيضا : « الزانية والزان »[5] بغير ياء[6] وقرأ حمزة ، والكسائى ، وأبوبكر ، وعاصم « يا بن أم »[7] بالكسر ، وأصله «يابن أمى» فحذف الياء اكتفاء بالكسرة[8] .

ومثل هذا ما نجده من حذف ياء المتكلم فى قوله تعالى: «رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث »[9] إذ هو فى قراءة ابن مسعود : « رب قد آتيتن من الملك وعلمتن » بحذف الياء فى الفعلين معا . وفى ذلك يقول ابن جنى : « أراد الياء فيهما فحذفها تخفيفا »[10] « وليس المقصود قصر هذا الحذف على ابن مسعود وحده دون قومه ، وإلا كان ابن جنى قد أخطأه التوفيق ، فليس هنالك من دافع يدفع ابن مسعود إلى هذا إلا أن يكون صنيع أهله وقومه من هذيل .

وهذه الياءات يسميها القراء بالزوائد ؛ لأنها زائدة على رسم المصحف فى أواخر الكلم ، ويقع ذلك فى الأسماء والأفعال نحو : الواد ، والمناد ، والتناد ، ويأت ، ونبغ ، ونرتع . . فهى فى هذا ونحوه لام الكلمة ، وقد تكون ياء فى موضع الجر أو النصب نحو دعانى ، وأخرتنى . . .

ومن القراء من يثبتها فى الوصل والوقف ، ومنهم من يثبت فى الوصل وحده ، ومنهم من يحذف على الإطلاق ، والحذف لغة هذيل[11] .

---

(١) الكشاف ٣ / ٩ .
(٢) سورة ص ٣٨ الآية ١٧ .
(٣) سورة القمر ٥٤ الآية ٣٦ .
(٤) الكشاف ٢ / ٤٢٠ .
(٥) سورة النور ٢٤ الآية ٢ .
(٦) مختصر شواذ القراءات ص ١٠٠ .
(٧) سورة طه ٢٠ الآية ٩٤ .
(٨) البيضاوى ٢ / ٢٤٤ .
(٩) سورة يوسف ١٢ الآية ١٠١ .
(١٠) المحتسب ص ٤٢١ .
(١١) إبراز المعانى (شرح الشاطبية) ص ١٢٩ .

وكذلك أورد علماء اللغة عدة لهجات فى الاسم الموصول للمفرد المذكر ، منها « اللذ » بكسر الذال كسرة قصيرة « واللذ » بتسكينها [1] والأخيرة ينسبها أبو سعيد السكرى لرجل من هذيل [2] فى رجز ينسبه اللغويون إلى ذلك الهذلى [3] ويبدو أن السكون فى هذا ضرورة شعرية لجأ إليها الراجز ، أما الكسر فهو أشبه مايكون باللهجة الهذلية فى تخلصها كثيراً من صوت اللين الطويل فى نهاية الكلمات . وإذا صح هذا فلعله ليس بلهجة هذيل جميعها ؛ فقد ورد « الذى » بالياء أيضا فى بعض أشعارها [4] . وذلك إذا لم يكن الإشباع أثرا من آثار اللهجة القرشية ظهر فى هذه الرواية .

وقد تخففت هذيل من صوت اللين الطويل إذا كان ألفاً أيضا ، ولكن ذلك قليل فى كلامهم ، فهم يقولون : ربَّ بمعنى « ربِّى » و « ربَّه » أى « رباه » [5] .

* * *

ومن مظاهر ذلك التخفيف عندهم أن يكون ذلك الحذف أحيانا فى وسط الكلمة لا فى آخرها فحسب ، فالمعروف أن الفعل الأجوف تحذف عينه فى الأمر حتى لايلتقى ساكنان ، فإذا حرك آخر الفعل لاتصاله بألف التثنية أو واو الجمع . . رجعت عينه المحذوفة لانتفاء علة الحذف ، ولكنها قد تظل محذوفة عند هذيل ، فيقولون : « بعا يا رجلان ، وبعوا يارجال » [6] ، ولهذا قرأ ابن مسعود : «فقلا له قولا لينا» [7] بضم القاف من غير واو ، خلافا لما عليه جمهور القراء ، وما نجده فى المصاحف التى بين أيدينا [8] .

---

(١) اللسان (لذى) . القاموس (الذى) .
(٢) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ص ٢٨٢ .
(٣) شرح المفصل ٣ / ١٤٠ .
(٤) ديوان الهذليين ٢ / ٥٠ ، ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ .
(٥) اللسان (ربب) . الأصمعى : الأضداد ص ٥١ .
(٦) الخصائص ٣ / ٨٩ ، ١٣١ .
(٧) المرجع السابق والصفحة السابقة . مختصر شواذ القراءات ص ١٥٥ .
(٨) سورة طه ٢٠ الآية ٤٤ .

وربما عد من قبيل الميل إلى حذف صوت اللين الطويل من وسط الكلمة أحيانا حذف ياء المد فى قراءة ابن مسعود « إلى أهلهم »[1] بدلاً من «أهليهم» فى قوله تعالى : « بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً »[2] .

* * *

وهكذا نرى أن هذيلا قد تلجأ إلى التخلص من صوت اللين الطويل ، ولا سيما فى نهاية الكلمات . وهذه الظاهرة واضحة فى كثير من اللهجات الحديثة ، فالحروف تختلس اختلاساً دون إشباع فى نهاية الكلمات ، أى أننا نحذف أصوات اللين الطويلة من آخر الكلمة طلباً للخفة فى كثير من الأحيان .

---

(١) مختصر فى شواذ القراءات ص ١٤٢ .
(٢) سورة الفتح ٤٨ الآية ١٢ .

الإمالة

الإمالة ظاهرة صوتية معروفة ، ليس هـــذا مجال الإطناب فيها ، وفى تعريفها ، وأنواعها وأسبابها ... فقد كتب فيها قديماً وحديثاً ما فيه كل غناء ، فحسبى أن أقول إنها الاتجاه بصوت اللين طويلا كان أم قصيراً إلى وضع يكون نطقه فيه شيئا وسطا بين صوتين مختلفين من أصوات اللين .

وإذا كانت الإمالة اليوم منتشرة فى اللهجات الحديثة ، كثيرة الظهور فى ألفاظها ، فإنها قد أخذت طريقها قبل ذلك إلى كثير من اللهجات العربية القديمة التماسا للخفة فى النطق (١)، ولكنها لم تأخذ مكانها من الكثرة والاستفاضة إلا فى حالة واحـــدة من حالاتها ، هى إمالة الفتحة إلى الكسرة ، أما غيرها من مظاهر الإمالة الأخرى ، فلم يوجد بشأنها إلا شذرات أو لمحات قليلة هنا وهناك ؛ ولهذا كان تعريفهم للإمالة لايكاد يخرج عن هذا النطاق (٢).

هذا هو الشأن فى مفهوم الإمالة عند القدماء . أما فيما يتصل بالقبائل التى كانت تؤثر الإمالة ، أو التى كانت لهجتها الفتح ، فإنا نجد أن علماء اللغة يكادون يتفقون على أن الفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد (٣). ويكاد المحدثون يتابعون القدامى فى ذلك التقسيم بغير جدال . بل إن بعضهم ليذهب إلى ماهو أبعد من ذلك ، فيدخل قبائل قيس كهوازن ، وسعد بن بكر فى مجموعة القبائل التى ينسب إليها الفتح ، فتراه يخرج قيساً هكذا — فى غـــير حق — من قبائل الإمالة ، ويستبدل بها « عبد القيس » محاولا أن يبعد بالإمالة ما استطاع إلى قبائل شرق الجزيرة العربية (٤).

---

(١) ابن الجزرى : منجد المقرئين ص ٥١ .

(٢) السمنودى : الدرة فى القراءات العشر ص ٢٨ .

(٣) إبراز المعانى ص ١٥ وما بعدها . شرح الشافية ٣ / ٤ . الإتقان ١ / ٩١ .

(٤) فى اللهجات العربية ص ٥٠ .

والحق أن هذا الكلام غير دقيق ، ثم إن هذا التقسيم فى عمومه يعوزه الضبط والتحديد ، فليس معناه أن أهل الحجاز لا يميلون فى نطقهم أبدا ، بل المقصود هو التغليب فحسب ، وقد أدرك هذا بعض علماء اللغة والنحو ، فوضعوا لذلك استثناء يحد من هذا العموم قليلا ، فقالوا إن ذلك هو الأصل عندهم – أى عند الحجازيين – ولا يميلون إلا فى مواضع قليلة [1] .

ومع هذا التحفظ والتيقظ من جانب هؤلاء العلماء نجد فى الكلام شمولا يدعو إلى الإبهام ، فهل جميع القبائل الحجازية سواء فى أنها لا تميل إلا فى مواضع قليلة ؟ أو أن منها من يميل قليلا ، ومنها من لا يميل أصلا ؟ وأى هذه القبائل يتسم بهذه الإمالة ، وأيها يأخذ بالفتح فلا يميل ؟

الواقع أننا إذا اعتبرنا الإمالة مرحلة وسطا من مراحل التطور فى اللهجات العربية كما يقول علماء الأصوات تأسيسا على القوانين الصوتية فى مختلف اللغات [2] ، وعلى المشاهدة الحسية فى اللهجات الحديثة ، ومانجده لدى القدامى أحياناً من لمحات مشرقة تشير إلى أن الياء كانت طورا سابقا على الألف فكانت بداية طيبة لما وصل إليه المحدثون من نتائج (٣)– فإنه من المعقول جدا أن تكون قبيلة حضرية كقريش قد وصلت إلى المرحلة الأخيرة من مراحل هذا التطور وهى « الفتح » ، وأن الإمالة تكاد تكون معدومة عند هذه القبيلة ، موجودة – فى قلة - عند بعض القبائل البدوية ولوكانت حجازية ، فاشية فى كثير من القبائل الأخرى كلما توغلنا شرقاً فى قبائل قيس وتميم وغيرهما .

إذن ليس بالأمر السهل أن نصدق أن هذيلا ، وجاراتها فى بوادى الحجاز كانوا لا يميلون أصلا ، وقد رأينا فى كل خطوة خطوناها أنهم مرحلة وسط بين المتحضرين من أهل الحجاز ، وبين البادين المتوغلين فى البداوة من قبائل المجموعة الشرقية ، وإنا لنجد من الآثار والروايات مايفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أمال أحياناً ، فلما سئل :

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشمونى ١٤٣/٤ .
(٢) فى اللهجات العربية ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٣) شرح الشافية ٣ / ١١ .

أتميل ، وليست الإمالة لغة قريش ؟ أجاب بأنها لغة الأخوال فى بنى سعد(١) ، ومعلوم أن الرسول نشأ فى هذه البادية التى يقيم فيها بنو سعد وجيرانهم من هذيل وغيرها . وينقل ابن الجزرى عن كتاب الكامل لأبى القاسم الهذلى أن الإمالة لغة هوازن ، وبكر بن وائل ، وسعد بن بكر (٢)، وهكذا كانت تتضافر الروايات على أن سعدا كانت تميل .

وبنو سعد وهذيل كانوا يعيشون فى مناطق متجاورة فى بادية الحجاز كما هو معروف ، فهل يحتمل إذن أن يكونوا فى وضع واحد تقريبا من حيث القول بأنهم حلقة وسطى بين من يميل ومن لا يميل ؟ وهل يمكن القول بأن هذيلا على الرغم من أنها لم يرو لها اللغويون فى الإمالة شيئا يذكر-كانت لاتخلو لهجتها من الإمالة ؟ وهل يمكن الاعتماد فى ذلك على مجرد جوارها لبعض قبائل قيس ، وبخاصة بنى سعد هؤلاء ، أو أن لدينا شيئاً من الأسانيد الموضوعية إلى جانب ذلك الناموس العام ؟

الحق أننا قد نجد مفتاح ذلك عند قراء الكوفة الذين انتشرت بينهم الإمالة انتشاراً لايعود فى أغلب الظن إلى القبائل المنبثة فى البيئة الكوفية من تميم وأسد ، بل يرجع أغلب الأثر فيه إلى ابن مسعود وتلاميذه من القراء ، ولاسيما أن القراءة مردها إلى التلقى والتلقين فهى فى الحق سنة متبعة .

فعاصم بن أبى النَجود ، وهو من الرعيل الأول من قراء الكوفة كانت تشتهر الإمالة عنه فى رواية أبى بكر بن عياش ، وتقل فى رواية حفص ، ولكن عاصما ينبئنا أن القراءة التى أقرأها حفصا هى قراءته على أبى عبد الرحمن السلمى عن على ، وأن الرواية التى أقرأها أبا بكر بن عياش هى القراءة التى قرأها على زر بن حبيش عن ابن مسعود (٣)، وهكذا ندرك أن الإمالة عند ابن عياش وأستاذه عاصم إنما هى راجعة فى أصلها إلى عبد الله بن مسعود .

---

(١) السيوطى : الإتقان ١ / ٩١ .
(٢) منجد المقرئين ، ومرشد الطالبين ص ٦٠ .
(٣) طبقات القراء ١ / ٣٤٦ .

وإن من أهم من اشتهروا بالإمالة من الكوفيين حمـــزة والكسائى [1] ، وإلى ابن مسعود تنتهى قراءتهما [2] ، فالكسائى من تلاميذ حمزة ، وحمزة عرض على الأعمش ، والأعمش يجود حرف ابن مسعود ، وإليه تنتهى قراءته أيضا [3] .

هذا ، وإن من الأخبار ما يفيد إمالة ابن مسعود للفظ « طه » من قوله تعـالى : « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » (٤) . وإذا كانت المراجع قــد كسرت الطاء والهاء فى الخبر الذى يفيد ذلك (٥)، فليس هذا إلا لأنها لم تستطع تصوير الإمالة تصويرا دقيقاً كما نصورها الآن ، ومـما يؤكد ذلك قراءة تلاميـــذ ابن مسعود كأبى بكر ، والكسائى ، والأعمش لهذا اللفظ بإمالة الطاء والهاء معاً [6] .

ثم إن البحث الذى يدور حول هذا اللفظ فى المراجع التى عرضت له كالقرطبى وغيره إنمـا يتناول الفتح والإمالة ولا شأن له بالكسر فى هذا المقام : ولهذ نجـد الخبر الذى يفيد ذلك قد وضعه صاحب الإتقان فى باب الإمالة [7] ، فكأنى به قد أدرك أن المقصود بالكسر هنا إنمـا هو الإمالة نحو الكسر ، لا الكسر الخالص .

ومما يزيد الأمر أكثر من هذا وضوحا أن أبا عمرو الدانى ، وهو من مشاهير علماء القراءات ، قد اعتبر هذا الخبر دليلا واضحا على الإمالة ، بل أصلا هاما من أصولها ، وذلك حين يقول : « وهذا الحديث أصل كبير فى الإمالة مع استقامة طرقه ، واشتهار نقلته » [8] .

---

(١) إرشاد المريد (شرح الشاطبية) ص١٤ .
(٢) طبقات القراء ١ / ٤٠٨ .
(٣) المرجع السابق ١ / ٢٦١ ، ٤٠٨ .
(٤) سورة طه الآية ١ .
(٥) الإتقان ١ / ٩١ ـ اللسان (طه) . ابن الجزرى : النشر ٢/٣١ . القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٦٨ .
(٦) القرطبى : المرجع نفسه ١١ / ١٦٨ .
(٧) الإتقان ١ / ٩١ .
(٨) الموضح (مخطوط) ورقة ٦٨ .

وقد نسبت الإمالة إلى ابن مسعود أيضا فى مثل قوله تعالى : « فنادته الملائكه وهو قائم يصلى فى المحراب »[1] إذ قرأ « فناديه الملائكة » بصيغة التذكير مع الإمالة[2] .

وهذا ـ إلى جانب ماسبق ـ يمكن الاستدلال به فى إثبات الإمالة فى بعض الألفاظ لابن مسعود ، وعلى هذا الأساس ـ يسانده الاتجاه العام الذى أشرنا إليه ـ يمكن الاطمئنان إلى القول بوجود الإمالة على نحوٍ ما فى كلام هذيل .

* * *

وإذا كان ماسبق من كلام فى الإمالة إنما هو متصل بإمالة الفتح نحو الكسر ، أو هو الفتحة تشوبها الكسرة ، فإنه قد أثر كذلك عن القراء الكسرة تشوبها الضمة فى نحو : قيل ، وغيض ، وجيء ، وحيل ، وسيق ، وسيء ، ومثله سيئت وهى قراءة الكسائى وهشام بإشمام الضم كسر أوائلها ، فلعل لذلك صلة باللهجة الهذلية التى ذكر الرواة فيها هذه الأفعال وأمثالها بالضم والواو إلى جانب القبائل الأخرى التى نسبوا إليها فى الأصل هذه الظاهرة الأخيرة ، واستشهدوا لذلك بالشاهد المعروف السابق ذكره فى أصوات اللين :

ليت وهل ينفـــع شيئا ليتُ . ليت شبـابا بـوع فاشـتريتُ

وقد صرح أبو حيان بأن هذه لغة بنى هذيل ، وبنى دبير ، يقولون فى قيل وبيع ونحوهما : قول وبوع[3] كما سبقت الإشارة .

هذا وقد ذكر اللغويون أن العرب تقول الباع والبَوع والبُوع ، ثم ينسبون لهذيل صيغة الضم مع الواو فلعل البوع هو المرحلة الأولى ، والبوع بالإمالة (bo) هو المرحلة الثانية التى وقفت عندها هذيل ، والباع هو المرحلة الثالثة وهى لهجه قريش[4] .

---

(١) سورة آل عمران ٣ الآية ٣٩ .

(٢) برجشترا سر : مختصر شواذ القراءات ص ٢٠ .

(٣) البحر المحيط ٥ / ١١٥ .

(٤) انظر الدكتور أنيس : فى اللهجات العربية ٥٥ ، ٨٦ .

وإذا صح هذا كان الضم مع الواو ليس ضما خالصا ، وإنما هو ضم ممال نحو الفتحة ، ولكن القدامى لم يستطيعوا تصوير النطق تصويرا دقيقا لعدم وجود حركات في اللغة تصور هذا النطق ، أو لم يلمحوه لأنه كان أمراً خارجا عن إمالة الفتح نحو الكسر ، تلك الإمالة المألوفة التي اهتموا بها ، ولفتت أنظارهم لفتاً قويا .

ومما يرجح أنه من هذا القبيل عندهم أيضاً حضرموت (Hadramot) بالامالة هكذا لا بالضم الخالص ، وذلك بدلاً من حضرموت كما سبق أن أشرنا ، وهذا يوائم النطق الحاضر لهذا اللفظ في بعض اللهجات العربية الحديثة .

ويمكن أن يكون من قبيل الإمالة التي هي مرحلة وسطى بين الفتح والكسر قولهم (كيد) أي كاد ، (مازيل) أي مازال ، ومن ذلك ماروراه اللغـــويون كالأصمعي والأخفش وغيرهما عن بعض شعراء هذيل كقول أبي خراش :

وكيد ضباع القف يأكلن جثتي وكيد خراش يوم ذلك ييتم [1]

فأرجح أن هذا اللفظ وأمثاله ليس بالكسر الخالص ، وإنمـا هو شيء وسط بين الفتح والكسر لم يلمحه الرواة أو قربوه تقريبا ؛ لأنهم لم يستطيعوا تصـويره التصوير الدقيق كما ذكرنا ، ثم جاءت مرحلة أخرى من مراحل التطور هي مرحلة الفتـح ، فصارت (كاد) عند من يفتح ولا يميل ، أي عند من وصـل بتطور اللفظ إلى آخر الشوط .

ويمكن الاستدلال على أن الإمالة كانت طورا سابقا على الفتح بما سبق من أن الإمالة كانت شائعة في البيئات البدوية التي هي أكثر حفاظاً على القديم ، واستعصاء على التطور السريع في النطق وغيره من مظاهر الحياة .

فالإمالة إذن كانت طوراً سابقاً للفتح في اللغة العربية ، وليس المحدثون هم وحدهم الذين يقولون بهذا الرأي دون غيرهم ، وإنما سبقهم إلى القول به بعض قدمائنا من العلماء فيما لمسناه لديهم من لمحات كانت ـ كما أشرنا ـ أساسا للمحدثين في أبحاثهم ، ومن ذلك

---

(١) المنصف ١ / ٢٠٢ .تاج العروس (زيل) ، (كود) ـ اللسان (زيل) شرح ١٠ / ٧٢ .

ماروا، الأسترابادي في شرح الشافية نقلا عن كتاب سيبويه: « وكره بعض العرب إمالة نحو رمى لكراهة أن يصيروا إلى مافروا منه ، يعني أنهم قلبوا الياء ألفا أولاً ، فلم يقلبوا الألف بعد ذلك ياء »[1] أي أن الإمالة كانت طورا لاحقا للياء سابقا للألف .

ومعنى ذلك أننا انتهينا إلى الألف بصورة واضحة في البيئات الحضرية من غرب الجزيرة العربية ، وبقيت الإمالة شائعة بين القبائل المتوغلة في البداوة في وسط الجزيرة العربية وفي شرقيها ، وكان منها أثارة في بعض القبائل البدوية الحجازية كبني سعد وهذيل .

(١) شرح الشافية ٣ / ١١ . الكتاب ٢ / ٢٦٣ .

المقصور المضاف إلى ياء المتكلم

درج النحاة واللغويون العرب على أن ينظروا في بنية الكلمات كما تلقاها الرواة من أفواه أصحابها ، فإذا ماوجدوا كلمة تختلف فى أدائها أو فى بنيتها عن الاتجـاه العام لنظائرها من الكلمات فى اللغة الفصحى — راحوا يبررون ذلك تبريرا ربما شابه شيء من التكلف والصنعة ، ولم يستطيعوا أن ينظروا دائماً نظرا سليما فى تعليل مايقع تحت أنظارهم من الظواهر اللغوية ، ولو قد استطاعوا أن يجمعوا الإلف إلى إلفه ، والنظير إلى نظيره ، لوصلوا من وراء هذا الاستقراء إلى نتائج باهرة .

فهم مثلا عندما وجدوا صيغة كصيغة المقصور مضافا إلى ياء المتكلم مثل : عصاى ، فتاى ، بشراى . . . واستقامت لهم هذه الصيغة فى اللغـة الفصحى ، أو التى يسميها بعض المحدثين باللغة الأدبية ، ثم اصطدموا بعد ذلك بما يخالف هذا الاتجاه كأن وجدوا «عصىَّ» بدلا من عصاى ، و«فتىّ» فى موضع فتاى ، و«بشرىّ» بديلا من بشراى . . . ، وذلك فى لهجة قبيلة من القبائل العربية كهذيل نراهم يقولون إن الألف قد انقلبت إلى الياء فى هذه اللهجة ، وهم يريدون بذلك أن يردوها فى يسر إلى الصيغة التى ألفوها ؛ فيستقيم لهم الأمر من أقرب طريق ، أو من الطريق الذى ألفوا أن يسلكوه .

والغريب أنهم يصفون هذا القلب بالجواز مرة ، وبالحسن مرة أخرى ، فبيْنا نرى ابن مالك يقول : « وفى المقصور عن هذيل انقلابها ياء حسن »[1] نجد عبارة التسهيل : « وإن كان ألفا لغير تثنية جاز فى هذيل القلب والإدغام »[2] ، ونجد فى شرح الرضى

---

(١) الصبان على شرح الأشمونى ٢ / ١٨٥ . السيوطى : البهجة ص ٨٠ .

(٢) ابن مالك : التسهيل ص ٤٦ .

للكافية ما يماثل ذلك [1] ، فما معنى الحسن ، وما معنى الجواز هنامادامت هذه لغة لقبيلة بعينها لا انفكاك لها منها ، ولا اختيار لها فيها ؟

ثم إن قولهم « تقلب الألف ياء عند هذيل » قد يوهم أن الألف هى الأصل القديم، والياء تطور لها ، والحق أن العكس هو الصحيح ، فالأصل هو وجود الواو والياء فى كثير من الكلمات قبل أن تتطور هذه الواو أو الياء إلى ألف ، ومن ذلك قولهم « أفعَوْ » يريدون « أفعى »[2] ، و « قفَىْ » يقصدون « قفا » [3] . وقد سبق أن ذكرنا أن هذا هو الطور الأول من أطوار النطق فى مثل هذا اللفظ الذى تطور فى اللهجة القرشية إلى الألف ، فصار « قفا ، وأفعى » . . . ولكنه وقف عند كثير من القبائل البدوية لايتطور ؛ فعصا كانت تنطق عندهم « عصوْ » ، وهدى « هدىْ » ، وبشرى « بشرى » ، وهكذا .

وعند الإضافة إلى ياء المتكلم كانُ لابد إذن من أن تدغم الياء فى الياء فى مثل بشرىْ فتصير بشرىّ ، وأن تقلب الواو ياء فى عصو ، لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون ، الأمر الذى يترتب عليه صعوبة النطق بها مع الياء فى مثل هذه الألفاظ ، ثم تدغم فى ياء المتكلم كسابقتها .

ولعل هـذا هو التعليل الصحيح لهذه الظاهرة اللغوية . أما بشأن نسبة الظاهرة نفسها إلى هذيل ، فإن جمهرة كتب اللغة والنحو والأدب تنسبها إلى هذه القبيلة[4] وقد وردت الرواية بذلك عن كثير من الرواة واللغويين القدامى كالرياشى[5] وغيره ، وقد

---

(١) شرح الكافية ١/١٩٤ .
(٢) ابن الأثير : النهاية ١/٤٤ ، ٢٤٢ ، اللسان (فعا) .
(٣) خزانة الأدب (السلفية) ٤ / ٣٢٦ .
(٤) اللسان (علل) - تاج العروس (هوى) . شرح الكافية ١ / ٢٩٤ .
التصريح ٢ / ٦١ - المحتسب ١ / ٦٦ - حاشية الخضرى ٢ / ٢٦ ، ١٧٩ .
التصريح ٢ / ٦١ - الصحاح (هوا) . القـراءات واللهجات ص ٢٧ . شرح أشعـار الهذليين (فراج) ١ / ٧ . البحر المحيط ١ / ١٦٩ ؛ ٤ / ٢٣٩ ، ٥ / ٢٩٠ .
(٥) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ٧ .

قرىء بلهجة هذيل هذه : « هدىّ » [1] فى موضع « هداى » [2] و « عصى » [3] بدلا من « عصاى [4] ونظائرهما فى القرآن الكريم .

وممن روى عنه من اللغويين نسبتها إلى هذيل ابن حبيب [5] ، وقد روى الضبى عن الأصمعى أيضاً نسبتها إلى هذه القبيلة [6] ومعلوم أن الأصمعى من أكثر أئمة اللغة وعلمائها اهتماماً باللغة الهذلية ، والشعر الهذلى ، وأنه طوف كثيرا فى منازل هـــذيل يروى شعرها ، ويتلقى اللغة من أفواه أصحابها ، إلى جانب ما قرأ من شعرهم على الشافعى الذى قضى بين ظهرانيهم ردحاً من الزمن ، وحفظ كثيراً من أشعـــارهم كما سبق أن أشرنا .

وإذا كان هذا الاتجاه الذى ذكرنا — بشأن المقصور المضاف إلى ياء المتكلم — فى اللهجة الهذلية له شىء من الشهرة والإلف عند علماء العربيـــة بعامة ، فلعل علماء القراءات بخاصة كانوا أشد من غيرهم إلفا لها ، ومعرفة بها ، حتى إنه عندما أشار ابن جنى إلى شذوذها [7] تعقبـه الشاطبى ، وخطأه فى أن ينسب الشذوذ إلى لغـة شهيرة [8] .

وقد أورد النحاة واللغويون لهذه اللهجة شاهدا من شعر أبى ذؤيب الهذلى — أشهر شعراء هذيل — هو بيته المعروف فى مطلع قصيدة يرثى بها أبناءه :

سبقوا هـوىّ وأعنقـوا لهواهمُ ... فتُخِرموا ولكل جنب مصرع [9]

---

(1) البيضاوى ١ / ١٤٥ . الكشاف ١ / ٥٤ . شواذ ابن خالويه ٦٥ .
(2) سورة البقرة ٢ الآية ٣٨ .
(3) البيضاوى ٣ / ١٧٣ .
(4) سورة طه ٢٠ الآية ١٨ .
(5) ديوان أبى ذؤيب ص ٥ ، اللسان (هوى) .
(6) المفضليات ص ٨٥٤ .
(7) حاشية الصبان ٤ / ١٤٤ .
(8) المرجع السابق والصفحة السابقة .
(9) تاج العروس (هوى) – المحتسب ١ / ٦٦ . شرح المفصل ٣ / ٣١ . ديوان الهذليين ١ / ٢ . شرح شواهد ابن عقيل ١ / ١٧١ - مميزات لغات العرب ٢٠٩ . شرح أشعار الهذليين ١ / ٧ .

وليس هذا البيت من الشواهد النحوية التي قد يتطرق إليها الشك أحيانا ، فقد ورد في دواوين شعر هذيل بهذه الرواية ، وهكذا روى في كتب اللغة والأدب مع أنه لو روى باللغة الفصحى لما أثر ذلك في استقامة وزنه وموسيقاه ، وهذا يمنع احتمال وقوع الضرورة الشعرية فيه .

ثم إنه قد جاء في كتب اللغة بعض الشواهد الأخرى التي تؤكده وتسانده[1] وهذا كله يزكي صحة هذه اللهجة منسوبة إلى هذيل .

فليس بعد هذا من شك في أن هذه لهجة لهذيل ، فإن هذيلا وإن كانت قبيلة حجازية ، فهي بدوية ، وقد لمسنا في لهجتها شيئاً من مظاهر البداوة التي نجدها فاشية في غيرها ، ومادمنا قد ألفينا أن هذه الظاهرة إنما هي طور من أطوار البداوة ، فلابد أن يشاركها فيه بعض القبائل البدوية الأخرى ، لاسيا تلك القبائل التي تفوق هذيلا في بداوتها ؛ ولهذا يقول ابن جني « إنها لغة فاشية في هذيل وغيرهم »[2] وهذا يدعونا إلى قبول تلك الرواية القائلة بأن هذه كانت لهجة طائية(٣) . فلا نرى تعارضا بينها وبين نسبة هذه اللهجة إلى هذيل كما ذكرنا .

وقد نسبوا إلى طلحة قوله « قفيّ »(٤) بدلاً من « قفاى » في حديث دار بشأن بيعة علي(٥)، وجاء في بعض الروايات أنه كان عند طلحة امرأة من طيء أي أن زوجه كانت طائية (٦) ، فإذا صحت هذه الرواية أمكن القول بأنه من المحتمل أن يكون قد علق بلسانه شيئاً من لهجتها ، ولهجة قومها ، كما يتأثر لسان الصاحب بصاحبه ، والعشير بعشيره ، لاسيا إذا طالت العشرة بينهما .

هذا ، وقد بالغ بعض علماء اللغة كعيسى بن عمر الثقفي ، وكان أحد من قرءوا

---

(١) اللسان (علل) .
(٢) المحتسب ١ / ٦٧ .
(٣) الزمخشري : الفائق ٣ / ٩١ .
(٤) مقاييس اللغة ٥ / ٢٠١ .
(٥) شرح المفصل ٣ / ٣١ .
(٦) الفائق ٣ / ٩١ .

بهذه اللهجة[1] ، فنسبها إلى قريش [2] ، وهذا شيء بعيد الاحتمال . ولعل الذى حدا به إلى ذلك هو ما روى من أن هذه كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم[3] ، ونحن نعلم أن طفولة النبي كانت فى بادية بنى سعد ، وقد علمنا أنه كان ينطق لغتهم أحياناً كما رأينا فى الإمالة ، ثم إن القرآن أنزل عليه بأحرفه المقروء بها ، فليس بدعاً أن تكون هذه قراءته إذا صحت نسبتها إليه .

فخلاصة القول إذن أن هذه اللغة هى لغة هذيل وبنى سعد ، ومن عساه أن يكون قد نطقها غيرهما من القبائل البدوية الأخرى مثل طيىء ، وأن الياء السابقة على ياء المتكلم ليست منقلبة عن أصل هو الألف ، وإنما هذا الصوت فى تلك اللهجة هو فى ذاته أصل قديم .

❀

(١) المحتسب ١ / ٦٦ . البحر المحيط ٤ / ٢٣٩ ، ٢٦٢
(٢) التصريح ٢ / ٦١ .
(٣) المحتسب ١ / ٦٦ .

الفصل الثانى

الهمز

الفصل الثانى

الهمز

يتسم الهمز – كما أدرك القدامى والمحدثون – بأنه أشد الحروف الشديدة ، فهو حرف مضغوط إذا رفهنا عنه انقلب حرفا من حروف اللين ، أو حرفا آخر ساكنا (Consonant) يكون أسهل منه نطقا ، وقد لمس القدماء من علماء النحو واللغة ذلك ؛ فقالوا إنه نبرة تخرج من أقصى الحلق ، وتحتاج فى تحقيقها إلى شىء من الجهد[1]؛ ولهذا ثقلت عليهم [2] .

وقريب من ذلك ماذكره المحدثون من أن « مخرجها فتحة المزمار التى تنطبق عند النطق بها ، ثم تنفتح فجأة ، فنسمع ذلك الصوت الانفجارى الذى نسميه بالهمزة المحققة [3] .

ولهذا نرى فى النطق بها كلفة[4] دفعت العرب – تبعا لاختلاف بيئاتهم وظروفهم – أن يسلكوا طرائق مختلفة ، ومسالك متعددة فى نطق هذا الحرف من حذفه أو إثباته . فهناك رائد وراد ، وسائد وساد . وتحقيقه ، أو تسهيله ، أو إسالته وجعله شيئا بين التحقيق والتسهيل ، فيقال : راس ورأس ، وبير وبئر ، وسورة وسؤرة . وقد يستبدلونه بحرف آخر ساكن ، أو يستبدلون به ذلك الحرف الساكن ، فيقال : استأدى

---

(١) الكتاب ٢/١٦٧ .
(٢) شرح المفصل ١٠ / ١٣٤ .
(٣) فى اللهجات العربية ص ٦٧ .
(٤) إبراز المعانى ص ٩٤ .

واستعدى ، وأيهات وهيهات (١) ، وأثرب ويثرب (٢) ؛ أيمنه ويمنه (٣) ، وعباءة وعباية (٤) ، ومصائب ومصاوب (٥) ، وقطع الله يديه . يديه (٦) ، وهاوأته وهاويته أى فاخرته (٧) .

ولا تنتهى الأمثلة على هذا عندما ذكرناه وإنما لذلك أمثلة كثيرة منبثة فى كتب اللغة ، بعضها منسوب إلى قائليه ، والكثير منها مجهول النسب على عادة القدماء فى عدم الاهتمام غالباً بأن يردوا هذه اللهجات إلى أصحابها .

وإلى جانب تلك الأمثلة العديدة التى أشرنا إليها نجد أن هذه الاتجاهات المختلفة فى نطق هذا الحرف قد صورها القراء فى قراءاتهم (٨) .

وسنرى فى هذا الفصل كيف كان اتجاه هذيل فى كلامها إزاء الهمزة تحقيقا ، وتسهيلا ، وحذفا ، وإثباتا ، وإبدالا .

وهذا مانحاول الوصول إليه فى هذه اللهجة الهذلية .

❀

---

(١) الخزانة (السلفية ١ / ٣٣١ .
(٢) اللسان (ثرب) .
(٣) المخصص ١٤ / ١٧.
(٤) إصلاح المنطق ص ١٧٩ .
(٥) المرجع السابق ص ١٥٤ .
(٦) القاموس (أدى).
(٧) تاج العروس (هوى) .
(٨) إرشاد المريد (شرح الشاطبية) ص ٦٥ وما بعدها . إبراز المعانى ص ١٠٨ وما بعدها .

تخفيف الهمز بالإبدال

سبق أن أشرنا إلى أن هذيلا كانت من القبائل التى لاتهمز فى كلامها إلا قليلا ، وأن الهمز كان ينقلب عندهم فى الغالب إلى حرف من حروف اللين لمناسبة الحركة السابقة عليه ، حتى يكوّنان معا صوت لين طويلا سهل النطق به فى يسر ، وذلك فى مثل : « سال ، وييتم ، وموصد » ... ، وفى « موصد » هذه يقول أبوبكر بن عياش الكوفى – الذى كان مرآة صادقة لنطق ابن مسعود وقراءته – كان لنا إمام يهمز (موصدة)(١)، فأشتهى أن أسد أذنى إذا سمعته (٢) .

ولكننا لا نعنى بالحديث عن الهمز عند هذيل الاقتصار على ذلك وحده ؛ فقد ذكر فى موضعه من أصوات اللين ، وإنما نود أن نمد أطناب الحديث فى ذلك ، وأن يكون البحث فيه على نطاق أكثر شمولا واتساعا .

فهذيل كانت – هى وبعض من جاورها من الحجازيين – تتخفف من الهمزة فتقلبها إلى بعض الحروف الساكنة القريبة فى مخرجها من صوت اللين ، ويفصل أبو زيد الميل إلى ترك الهمز عند الحجازيين فى قوله : « أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لاينبرون » ، وهذا ماينقله الزَّبيدى عن اليزيدى فى نوادره (٣) . وكان عيسى بن عمر يقول : « ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا » ، وروى عن أبى عمرو الهذلى قوله : « توضيت » فلم يهمزها ، وحول الهمزة ياء ، وذكر أن هذا هو الشأن فى كل ماأشبه ذلك من باب الهمز(٤) ، وقد روى مثل ذلك عن غير الهذلى من علماء اللغة (٥) .

---

(١) سورة البلد ٩٠ الآية ٢٠ .
(٢) الكشاف ٢/٥٤٦ .
(٣) تاج العروس (لبأ) .
(٤) اللسان (وضأ) .
(٥) تاج العروس (وضأ) .

والشافعي الحجازي الذي قضى شطرا كبيرا من شبابه الأول في هذيل يعيش بين ظهرانيها ، ويحفظ أشعارها ، ويتأثر بلهجتها (١) نراه يميل إلى تخفيف الهمزة بصورة واضحة ؛ فلفظ « مبتدأ » هو عنـــده « مبتدا » (٢) ، النسيئة « النسيّة » (٣) ، سُئل « سيل » (٤) . . وهكذا .

هذا ونجد قراءة ابن مسعود في قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد » (٥) : « الفواد » بالتخفيف (٦) .

ويسوق ابن سيده أن لفظ الجفاء (الذي يفسره بالأشياء التي توضع عليها القدور ، يهمز ولا يهمز ، وهذيل لا تهمزه (٧) ، ونقل مثل ذلك عن ابن جني أيضا (٨) .

ونجد في الشعر الهذلي « جابيا » بالتخفيف (وهو الجراد) (٩) ، وذلك في قول عبد مناف بن ربع :

صابوا بستة أبيـــات وأربـــعة ... حتى كأن عليهم جابيا لِبَدا[١٠]

« ورزية » بالتخفيف أيضا في قول أبي العيال الهذلي :

رزية قومه لم يأخذوا ثمنـا ولم يهبوا[١١]

---

(١) معجم الأدباء ١٧ / ٢٨٤ .
(٢) الرسالة ص ٢٦٧ .
(٣) المرجع السابق ص ١٧٤ ، ٢٧٨ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٣١ .
(٥) سورة النجم ٥٣ الآية ١١ .
(٦) مختصر شواذ القراءات ص ١٤٦ .
(٧) المخصص ٥/٦٤ - ١٦ / ٢٨ .
(٨) المرجع السابق والصفحات السابقة .
(٩) اللسان ، تاج العروس (جبى) .
(١٠) ديوان الهذليين ٢ / ٤٠ .
(١١) ديوان الهذليين ٢ / ٢٥٢ .

وكذلك تقول هذيل « النبى » ولا تقول « النبىء » ، والحق ولا تقول « الحبىء » ، وعليه جاءتنا رواية بيت المتنخل :

لا در درىَ إن أطعمت نازلكم   قرف الحتى وعندى البر مكنوز[1]

وقد ورد البيت بهذه الرواية فى ديوان الهذليين [2] ، وفى كتب النحو واللغة (٣) ، وإن كان بعضهم قد أورده « الحتىء » بالهمزة ، ولعل هذه الرواية قد اصطنعت لتكون شاهدا على ورود هذا اللفظ مهموزا بعد ذكره غير مهموز ، ولكن الرواية الصحيحة فيه — فيما أحسب — هى تخفيف الهمزة ياء وإدغامها فى الياء ، فالصورة التى جاءتنا عن طريق الرواية الأدبية ربما كانت أقرب إلى الواقع ، وأبعد من التكلف الذى قد يتطلبه الاستشهاد عند اللغويين والنحاة فى بعض الأحيان .

وينبغى لنا أن ننتبه إلى أن صيغة فعيل هذه فى مثل النبى ، والحتى ، وما إليهما من الألفاظ إذا نظرنا فيها مليا لمسنا — إلى جانب الفرار من الهمزة ذاتها — مبررا صوتياً آخر يزكى قلبها ياء هو وجود صوت لين سابق عليها ، وهو الكسرة والياء التى هى امتداد لها ، فكان مناسبا بعد هذا أن تكون تلك الهمزة ياء ؛ ليتم التجانس بينها وبين صوت اللين السابق عليها ؛ ولهذا كانت تلك لهجة قريش التى كانت تعنى بتخير ألفاظها ، وقد أنكر الرسول الهمز على من نطق « النبىء » مهموزا أمامه وقال : « إنا معشر قريش لا ننبر » (٤) .

ويتصل بهذا النوع من التخفيف مانجده فى مثل « نىء » أى غير ناضج ، فقد قلبت همزتها ياء ، ثم أدغمت فى الياء فصارت « نى » وهو غير « نى » التى هى بفتح النون فى معنى الشحم . وقد ساقوا لذلك هذا الشاهد من شعر هذيل :

فظلت وظل أصحابى لديهم   غريض اللحم نِى أو نضيج (٥)

---

(١) الشيباني : الجيم ص ٢١٠ — تاج العروس (البر) .
مقاييس اللغة ٢ / ١٣٦ . البيان والتبيين ١ / ٣٠ . الزمخشرى : الفائق ١ / ٢٢٧ .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٥ .
(٣) الكتاب ٢ / ٢٦١ . شرح الشافية ٢ / ٤٤٨ . اللسان (بور) .
(٤) تاج العروس (نبأ) .
(٥) المرجع السابق (نبأ) .

وهذا الشاهد أيضاً من شعر أبى ذؤيب :

عقــار كماء النِّىّ ليست بخمطــة ولا خَلة يكوى الشَّروب شهابها (١)

ومن هذا القبيْل قراءة ابن مسعود فى قوله تعالى : « وامرأته حمــالة الحطب » (٢) « ومريْته » بالتصغير مع قلب الهمزة ياء ، وإدغامها فى الياء (٣) .

* * *

وإذا كنا قد لمسنا ذلك فيما سبق همزته ياء لينة ، فلقد نجده أحيانا فيما سبق همزته واو لينة أيضا ؛ ففكرة التخفف من الهمز فيهما تــكاد تكون واحــــدة . ومن ذلك مانلمسه من نطقهم « الهدوّ » بدلا من الهدوء فى بعض وجوه استعمالها التى لا تبعد كثيرا عن المعنى الأصلى للهدوء فى عمومه ، ومن ذلك قول أبى ذؤيب الهذلى :

أمن أم سفيان طيف سرى هــدوًّا فأرق قلبــا قريحـا

فنجد فى قول أبى سعيد السكرى – شارح أشعار هذيل – أن الهدو هو الهدوء الذى يكون بعد انقضاء هزيع من الليل (٤).

ومثله قول ساعدة بن جؤية :

ومنك هدو الليل برق فهاجنى (٥)

وقول المتنخل :

فلا والله نادى الحــى ضيفى هــدوا بالمساءة والعِـلاط (٦)

---

(١) المرجع السابق (ناء) .
(٢) سورة المسد ١١١ الآية ٤ .
(٣) مختصر شواذ القراءات (الصفحة الأخيرة) .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٢٩ .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٢ – معجم البلدان ٤٢١/٥ ، ٦٨/٧ .
(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢١ – المحكم ١ / ٣٤٠ .

وقول عبد بن حبيب :

هدوا تحت أقمر مستكف يضيء علالة العلق الحبيب (١)

وهكذا نرى أن الأمثلة على هذا كثيرة فى شعر هذيل . بل إنا نجدهم يذهبون إلى ماهو أبعد من ذلك ، فيقلبون الهمزة حرفا مماثلا للحرف السابق عليها ، ولو لم يكن ذلك الحرف هو واو المد أو ياء المد كما فى الأمثلة التى مرت بنا . ومن أمثلة ذلك لفظ « المرء » إذ ينطقونه « المر » بالتضعيف بعد قلب الهمزة راء ، وإدغامها فى الراء ، فيبدو أن النطق بالهمزة يصعب عليهم تحقيقه فى بعض الأحوال ، ولا سيما بعد السكون الذى فيه خفة واضحة ، والهمزة معروفة بأنها من أشد الحروف الشديدة . ومن شواهد ذلك فى شعر هذيل قول أبى خراش الهذلى يرثى خالد بن زهير :

جمعت أمورا ينفذ المر بعضها من الحلم والمعروف والحسب الضخم (٢)

وقد ورد البيت فى ديوان الهذليين بهذه الرواية .

ومع هذا ، فقد انحدرت إلينا أبيات لغير أبى خراش وفيها جاء تحقيق الهمز خلافا لما وجدناه فى هذه الكثرة الكاثرة من شعر الهذليين ، وما لمسناه من أقوال اللغويين ، وقراءة ابن مسعود وتلاميذه من الكوفيين . وقد وجدنا هذا التحقيق ماثلا فى شعر أسامة بن الحارث الهذلى (٣)، وفى شعر المتنخل الهذلى (وهو من بنى خناعة) (٤) وشعر المعطل (وهو أحد بنى رهم بن سعد)(٥) .

فإذا لم تكن رواية هذه الأبيات متأثرة باللغة الفصحى ، فإنه من المحتمل أن يكون هذا اللفظ قد جاء عند بعض الهذليين مهموزاً ، وعند بعضهم — أو أكثرهم — غير مهموز ؛ ولهذا فنحن لانرفض نطق بعض الحجازيين بعامة — ومن بينهم هذيل — للهمز

---

(١) تاج العروس (حلب) .
(٢) ديوان الهذليين ٢/١٠٣ .
(٣) المرجع السابق ٢ / ٢٠٢ .
(٤) المرجع السابق ٣ / ١٧ .
(٥) ديوان الهذليين ٢/٨٥ . اللسان (أرأ) .

محققا أحيانا ، فقد روى أن أهل الحجاز يقولون : آدانى السلطان عليه أى أعدانى ، واستأديته عليه استعديته واستمنته » (١) .

ويقول ابن سيده : « القراءة المجمع عليها فى النبى طرح الهمزة ، وجماعة من أهل المدينة يهمزون (٢) . ولقد نجد نافعا المدنى نفسه — وهو أحد القراء السبعة يهمز لفظ النبىء .

وعلى الرغم من أن قراءة « معائش » بالهمزة مشهورة عن ابن عامر القارىء الشامى (٣) ، فقد روى عن نافع أنه قرأها كذلك مع أن الأصل فيها الياء ، وكان هذا محل نقد من جميع نحاة البصرة (٤) . ولم ترد هذه القراءة عن نافع وحده ، وإنما هى قراءة عبد الله بن مسعود والأعمش (٥) .

وقد قرأ نافع كذلك بعض الألفاظ الأخرى مهموزة كالبريئة فى موضع « البرية » ، وهكذا كان صنيع عدد آخر من القراء (٦) .

ويذكر ابن خالويه فى الشواذ أن أبا جعفر المدنى قرأ قوله تعالى : « اهتزت وربت »(٧) : « اهتزت وربأت »(٨) ، فالفعل « ربا » هو فى هذه القراءة « ربأ » ، والهمزة هنا محققة فى الموضع الذى نجد فيه صوت لين طويلا هو الألف .

ومثل هذا ما نجده عند هذيل فى حالات نادرة أيضا كقولهم « شأبة » بدلا من « شابه » ، و « دأبة » بدلا من « دابة » ، ولكن اللغويين اعتبروا هذا شذوذا فى اللهجة الهذلية (٩) ، ولعلهم لم يقولوا ذلك إلا لأنهم وجدوها نادرة من جهة ، ولأنها

---

(١) اللسان (أدا) .
(٢) المخصص ١٢ / ٢١٧ .
(٣) إبراز المعانى ص ٤٩٨ .
(٤) شرح المفصل ١٠ / ٩٧ اللسان (عيش) . المنصف ١ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ .
(٥) البحر المحيط ٨ / ١٣ .
(٦) إبراز المعانى ص ٤٩٨ .
(٧) سورة الحج ٢٢ الآية ٥ .
(٨) مختصر شواذ القراءات ص ٩٤ .
(٩) المنصف ١ / ٢٨١ — تاج العروس (عضل) .

- من جهة أخرى – إذا صحت كانت على نقيض الشائع المعروف من تسهيل الهمزة عند هذيل والحجازيين بعامة بدلا من تحقيقها .

وعلى هذا نستطيع – مع وجود هذه الحالات النادرة من تحقيق الهمزة – أن نقول بأن المبدأ العام عند هذيل ، وبعض الحجازيين الآخرين إنما هو تسهيل الهمزة .

وموجز ما ذكرنا من ذلك أن هذا الحرف يقلب حرفا من حروف المد الثلاث حين تسبقه حركة تناسب ذلك الحرف وتجانسه . وكذلك حين تجيء الهمزة ساكنة في وسط الكلمة مثل توضيت بدلا من توضأت ، وبديت بدلا من بدأت . . . وذلك لصعوبة النطق بها ساكنة ، فسكونها يزيد من شدتها وانفجارها .

ويتم تخفيفها بالإبدال أيضا في نهاية الكلمة في مثـــل : النبي والبرية والحتي والجابية ، وما إليها فتصير ياء لسبق الكسرة والياء عليها ، فالتجانس في النطق ، والميل إلى التيسير أدى إلى إبدالها .

* * *

أما في أول الكلمة ، فقد سبقت الإشارة إلى أن بعض العرب كان يبدل بالهمزة حرفا آخر كالهاء أو الياء ، فيقول مثلا : « هياك » في موضع « إياك » ، و « هراق » في مكان « أراق » ، و « يلم » بدلا من « ألم » ؛ ولكنه لم يثبت للهذليين شيء من ذلك ، فلعلهم يحققون الهمزة في أول الكلام ، ويزكي هذا الاتجاه قراءة ابن مسعود : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » (١) « ولا تأمموا » بالهمزة لا بالياء خلافا لما عليه جمهور القراء (٢) وأكثر من هذا أنهم لا يكتفون في أول الكلام بتحقيقها ، بل هم – لازدياد إلفهم لها في هذا الوضع – قد يستبدلونها ببعض الحروف كالواو والياء في شيء من الاطراد كما سنرى في هذا الفصل .

هذا إذا كانت الهمزة منفردة في الكلمة ، ولكن قد تجتمع همـــزتان في كلمة

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ٦٩ .

(٢) الكشاف ١ / ١٣٦ .

واحدة ، كما فى الكلمات المبدوءة بالهمز حينما تجتمع فيها – عند الاستفهام – همزة الاستفهام ، وهمزة الكلمة مثل : أأنذرتهم ، أأعجمى فى حال فتح الهمزة الثانية ، ومثل : « أئنا » فى حال كسرها ، « أؤنبئكم » فى حال ضمها ، وقد تكون الهمزتان من صلب الكلمة وبنيتها مثل : « أئمة » ، « أؤم » .

فعند اجتماع الهمزتين هكذا نجد الهمزة الأولى محققة عند الهذليين كما ذكرنا ، وكذلك الهمزة الثانية ؛ لأن الهمزة الأولى مفتوحة والثانية متحركة ، فلا تنطبق عليها قواعد الإبدال طبقاً لما أوجزناه فى إبدال الهمزة عندهم ، إذ لا صعوبة فى نطقها متحركة بالقياس إلى الهمزة الساكنة التى يصعب النطق بها فى سهولة ويسر كما سبق أن أشرنا .

وتحقيق الهمزة بهذه الصورة سائد بين قراء الكوفة (١) ، ومن أهمهم حمزة ، والكسائى ، وأبوبكر (٢) . وجميعهم تنتهى قراءتهم – كما عرفنا – إلى ابن مسعود . وهذا ابن مسعود نفسه يقرأ قول الله تعالى : « بل ادّارك علمهم »(٣): « بل أأدرك علمهم » بهمزتين : همزة الاستفهام ، وهمزة أفعل ؛ فحقق الهمزتين جميعا (٤) . وقد حققهما – كما ذكرنا – أهل الكوفة أيضا ، وهم من تلاميذ ابن مسعود (٥) .

وكذلك الشأن إذا كانت إحدى الهمزتين فى كلمة ، والأخرى تالية لها فى كلمة ثانية ، فتحقيق الهمزتين فى هذه الحالة كشأنه فى سابقتها .

وقد يكون لقائل أن يقول إن ذلك أثر من آثار البيئة الكوفية التى ينتشر فيها بنو أسد وبنو تميم ممن اشتهروا بالتحقيق . ونحن لا نمارى فى تأثير البيئة فى أصحابها ، ولكن أغلب الظن أن القراء ، بما يلتزمونه فى أدائهم من تحفظ واحتياط فيما يتصل بقراءات القرآن الكريم ، يكونون بيئة معنوية خاصة لها تأثير كبير فى نفوسهم ،

---

(١) العكبرى : التبيان فى شرح الديوان ١ / ٤ .
(٢) إرشاد المريد (شرح الشاطبية) هامش إبراز المعانى ص ٩٥ ومابعدها .
(٣) سورة النمل ٢٧ الآية ٦٦ .
(٤) البحر المحيط ٧ / ٩٢ . مختصر شواذ القراءات ص ١٠١
(٥) الواسطى : الإرشاد ص ١١١ .

ويؤكد هذا ماقيل ـ بحق ـ من أن القراءة سنة متبعة ، ثم إننا قد ألفينا فى قراءة ابن مسعود نفسه تحقيق الهمز هكذا فى أوائل الكلمات ، فليس ذلك مقصورا على تلاميذه من الكوفيين .

ومع هذا فقراء الكوفة حين ينهجون هذا النهج فى قراءتهم إنما يسيرون مع الاتجاه الذى سنراه فى هذا الفصل ، وهو اتجاه هذيل نحو إيثار الهمز فى أوائل الكلمات ، مع وجود حرف آخر مكانها كالواو أو الياء أحيانا فى بعض اللهجات العربية الأخرى(١) ، وهذا التلاقى يطمئننا على أننا على الجادة سائرون .

❁

---

(١) شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ٢/٥ : ٧٤٨٠٧ . البحر المحيط ٥/٣٣٢ .

حـــذف الهمزة

لم تقف اللهجه الهذلية فى التخفف من الهمزة على مجرد إبدالها ، وإنمـا قد تحذفها من الـكلمة أصلا . ولكن هذا الحـــذف لايقع – طبعا – فى أوائل الـكلمات ؛ فقد وقفنا على أن من خصائص هذه اللهجة تحقيق الهمزة فى أول الكلام ، وإن كنا نجدها قد حذفت عند العرب – ومن بينهم هذيل – فى بعض العبارات التى قالوا إن الحذف فيها راجع إلى كثرة الاستعمال مثـــل « عم صباحا » فى « انعم صباحا » « ويلمه » فى « ويل أمه » ... ونجد هذا ماثلا فى الشعر والنثر بعامة ، كما نجده فى شعر هذيل[1].

هذا وقد حذفت الهمزة هكذا بعد « يا » التى للنداء فى بعض أشعار هذيل ، ومن ذلك قول مالك بن خالد الخناعى :

تنادوا فقالوا يالحيان ماصموا عن الجد حتى تثخنوا القوم بالضرب[2]

يريد يا آل لحيان .

وفى قول صخر الغى :

ولست بمضطرولاذى ضراعة فخفض عليك القول يابا المثلم[3]

أى يا أبا المثلم .

وأغلب الظن أن هذا الحذف ليس من قبيل الضرورة الشعرية ، فقد حكى أبو زيد فى الاختيار « لاب لك » يريد « لا أب لك »(٤) ، فلعل وجود الهمزة مفتوحة بعد

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٧٨ – الإنصاف ٢ / ٤٣٣ .
(٢) ديوان الهذليين ٣/١٦ .
(٣) المرجع السابق ٢/٢٢٥ .
(٤) سمط اللآلى ١/٣٩٦ .

فتح وألف قد أغراهم فى بعض الأحيان ، أو أغرى بعضهم بحذفها مادام فى الكلام غنية عنها ، ولكن حينما جاءت فى أول الكلام عادت إلى التحقيق المعهود فى مثل قول الشاعر (صخر الغى) :

« أبا المثلم إنى غير مهتضم »[1] - « أبا المثلم أقصر قبل فاقرة »[2]

والغرض من هذا النوع من الحذف عامة إنما هو التخفف من الجهد العضلى ، وهذا لايخرج بنا عن الاتجاه السائد فى الحذف ، وفى غيره من أحكام الهمزة التى تهدف إلى التخلص من تحقيقها .

وأكثر مايقع هذا الحذف فإنه يكون فى وسط الكلمات أو نهايتها ، ومن أمثلة ذلك فى أوساط الكلمات :

حذف الهمزة المكسورة بعد الألف اللينة فى صيغة « فاعل » مثل راد فى موضع رائد[3] ، وسارها فى موضع سائرها ، وقد ورد ذلك فى شعر أبى ذؤيب :

وسود ماء المـــرد فاها فلونه كلون النؤور فهى أدماء سارها[4]

ومن أمثلة هذا فى شعره أيضاً :

فبات يجمـــع ثم تم إلى منى فأصبح رادا يبتغى المزج بالسحل[5]

ويماثل اللفظين السابقين لفظ هار بمعنى هائر . وقد ورد هذا فى قول ساعـــدة ابن جؤية :

فاستدبـــروهم فهاضوهم كأنهمُ أرجاء هار زفاه اليم منثلم[6]

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٨ .
(٢) المرجع السابق ٢ / ٢٢٩ .
(٣) المخصص ١٣/١٥٠ .
(٤) ديوان أبى ذؤيب ص ٣٠ - ديوان الهذليين ١ / ٢٤ .
شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ٧٣ . اللسان ، الصحاح (سير) وتاج العروس (سير ، سار) .
(٥) ديوان الهذليين ١ / ٤١ . تاج العروس (رود) ، (سحل) . المخصص ٢ / ١١٥ .
(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٦ .

وقد يظن الإنسان بادىء ذى بدء أن هـذه الأبيات قد دخلتها ضرورة الشعر فلا يُعتمد عليها أو يستدل بها ، ولكن يدفع هذا الاشتباه وجود نظير لهذه الألفاظ فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « على شفا جرف هار » (١) فقد ذكروا أن معناها فى الآية هائر (٢) .

وقد ورد بيت ساعدة هذا فى موضع آخر من ديوان الهذليين برواية أخرى هى : « استبدروهم بدلا من استبعدوهم »(٣) أما الشاهد فلا يزال متساندا فى هاتين الروايتين:

وهذا اللفظ نفسه نجده فى شعر أبى خراش الهذلى :

فلا وأبى لا تأكل الطير مثله طويل النجاد غير هار ولا هشم(٤)

يريد هائرا أى ضعيفا .

ونظيره « هال » فى شعر أمية بن أبى عائذ :

أحـم المـدامع يبنى الكنـاس فى دمث الترب ينثال هال (٥)

وعبارة السكرى فى شرح هذا البيت . « وهال : هائل مثل هار وهائر » .

ومثله أيضا « صات » بمعنى صائت فى قول صخر الغى :

يـكاد يدرج درجا أن يقلبـه من الأنامل صات قدحـه زعل (٦)

ويذكر ابن منظور أن مثل هذا كثير فى لغة هذيل (٧) .

* * *

(١) سورة التوبة ٩ الآية ١٠٩ .
(٢) نوادر أبى زيد ص ٣٠ .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٦ .
(٤) ديوان الهذليين ٢/١٥٥ .
(٥) المرجع السابق ٢ / ١٧٦ ـ شرح أشعار الهذليين ٢ /٤٩٩ .
(٦) ديوان الهذليين ٢/٢٣٢ ـ شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٧٤ .
(٧) اللسان (رود) .

وظاهرة حذف الهمزة هكذا لا تقتصر على الصيغة السابقة بأمثلتها المتعددة ، وإنما نجدها فى بعض ألفاظ المقصور التى يوجد لها نظير ممدود من لفظها ومعناها ، فمثل هذه الألفاظ يمكن أن نعدها من هذا الباب ، فالزنى مقصورا (محذوف الهمزة) لغة الحجاز عموما « وهذيل حجازية » ، والممدود لغـــة نجد[1] . وقد نقل ابن منظور ما يراه اللحيانى العالم اللغوى الهذلى من أن القصر لغـة أهل الحجاز ، والمد لغة بنى تميم[2] ، وينقل الزبيدى هو الآخر هذه الرواية ، ثم ينقل عن صاحب الصحاح ما ذكره هو أيضا من أن القصر لأهل الحجاز ، والمد لأهل نجد[3] .

وإنا لنجد آثار هذه الظاهرة — ظاهرة التخفف من الهمزة بالحذف — منعكسة على كتابة الشافعى الحجازى القرشى الذى قضى باكورة شبابه الأول فى بادية هذيل كما سبق أن ذكرنا[4] .

وحذف الهمزة فى لغة الحجاز هكذا بعد حرف المد أى بعد صوت اللين الطويل نجده مواتيا لاتجاه اللهجة الهذلية نحو تخفيف الهمزة ، فقد سبق أن ألفيناها تخفَّف إلى حرف لين مناسب لصوت اللين السابق عليها ، ولـكنها هنا قد سُبقت أصلا بصوت لين طويل فلا يمكن أن تخفف إلى صوت لين آخر ؛ ولهذا اتجه تخفيفها نحو الحذف .

وليست هذه بالطبع عملية آلية تحدث عن وعى وتدبير سابق ، وإنما هى ظاهرة اجتماعية ، شأنها شأن الظواهر اللغوية جميعاً تحدث فى ضمير المجتمع ، وإذا تطور تطورت معه دون سابق عمد .

ولا يشترط لحذف الهمزة بعد حرف المد أن تـكون فى موضع معين من الـكلمة ، فالمهم هو أن يوجد صوت اللين الطويل — الذى يتمثل هنا فى حرف الألف — سابقا لها كما ذكرنا . وقد رأينا من ذلك فى الشعر الهذلى : « يالحيان » بدلا من « يا آل لحيان » ، « يا با المثلم » ، وأصلها « يا أبا المثلم » .

---

(١) المصباح (زنى) .

(٢) اللسان (زنا) .

(٣) تاج العروس (زنى) .

(٤) انظر الرسالة ص ٥٨٣ .

ومن هذا القبيل تضال بدلا من تضاءل فى قول أبى خراش :

وما بعد أن قد هدنى الدهر هدة تضال لها جسمى ورق لها عظمى[1]

ومثل هذا ما نجده فى حديث ابن مسعود : « من استطاع الباه فليتزوج »[2] والباه هنا هو الباءة ، فحذف الهمز فيها للتيسير ، وهذا التيسير هو هنا جد واضح ملموس . وهذا اللفظ نجده الآن على ألسنة كثير من الريفيين فى بعض البلاد العربية .

هذا وقد قرأ ابن مسعود نفسه ، وبعض تلاميذه من أساطين علماء القراءات قوله تعالى : « ويكون لكما الكبرياء »[3] : « الكبريا » بحذف الهمزة[4] وقد قرأ أهل مكة فى مثل ذلك قوله تعالى : « شركائى الذين »[5] : « شركاى الذين »[6] من غير همز .

* * *

وإذا كنا قد رأينا الهمز محذوفا هكذا بعد حرف المد ، فقد نرى أحيانا حذفه قبل ذلك الحرف ، ومن أمثلة ذلك قراءة ابن مسعود : « لا يأكله إلا الخاطون »[7] بحذف الهمزة[8] ، وقراءة الأعمش : « أنبونى »[9] بحذفها كذلك[10] .

ولكن احتمال الحذف فى هذين اللفظين ونظائرهما يضعفه أن بعض ذلك قد يرجع إلى تسهيل الهمزة فى الأصل ، أى أن الهمزة قلبت ياء فى المفرد « الخاطى » فصار كالمنقوص ، فجاء جمعه الخاطون ، كما قلبت ألفا فى الماضى « أنبأ » فصار « أنبا » ،

---

(1) سمط اللآلى ١ / ٣٩٦ .
(2) اللسان (بوه) .
(3) سورة يونس ١٠ الآية ٧٨ .
(4) مختصر شواذ القراءات ص ١٦١ .
(5) سورة النحل ١٦ الآية ٢٧ .
(6) مختصر شواذ القراءات ص ٧٢ .
(7) سورة الحاقة ٦٩ الآية ٣٧ .
(8) البيضاوى ٤ / ٢١٩ ـ الكشاف ٢ / ٤٨٧ ـ مختصر شواذ القراءات ص ١٦١ .
(9) سورة البقرة ٢ الآية ٣١ .
(10) البحر المحيط ١ / ١٤٦ .

فجاء الأمر « أنبونى » ، فيكون ذلك راجعا إلى التسهيل فى الأصل لا إلى الحذف الذى نحن الآن بصدده .

ولعل من آثار هذا الحذف ما نجده عند الشافعى من نطق بعض الألفاظ محذوفة الهمزة كالقران أى « القرآن » إذ ألفيناه دائما عنده هكذا دون همز [1] .

وربما كان من أمثال هذا الحذف أيضا عند هذيل « رفونى » ونجد هذا فى قول شاعرهم أبى خراش :

رفونى وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه همُ همُ [2]

وقد اتخذ اللغويون من ذلك البيت شاهدا على أن رفا بمعنى سكن وهدأ ، وعلى أن الأصل فيه الهمز . ومنه الرفاء أى الالتئام والموافقة ، ولكنّ قليل منهم من أدرك صلة هذا اللفظ باللهجة الهذلية ، فكل ما يقوله ابن منظور هو أن الشاعر يريد رفؤونى فألقى الهمز [3] ، وينقل الزَّبيدى عن بعض علماء اللغة « أن الشاعر ألقى الهمزة ، والهمزة لا تلقى إلا فى الشعر ، وقد ألقاها فى هذا البيت » . ونحن لا نريد أن نعقب على قوله إن « الهمزة لا تلقى إلا فى الشعر » ففى هذا الفصل من فصول البحث ما يكفينا مؤونة ذلك ، بل يجعل الرد عليه من قبيل الحديث المعاد ، وكل ما نريد أن نقوله هو أن هذا الرأى — على علاته — يتجه إلى أن الحذف هنا من ضرورات الشعر . وهو رأى يعارضه ما سبقه من قول ، كما يخالفه رأى ابن سيده إذ يقول : إن الشاعر أراد «رفؤونى» فترك الهمز ، وهو بهذا يبعد بنا عن الضرورة الشعرية ، فلا يصرح بها ، ولا يشير إليها [4] .

ولكن أبا سعيد السكرى — راوية شعر هذيل — يخطو بنا إلى الأمام خطوة أخرى ،

(١) الرسالة ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ .

(٢) ديوان الهذليين ٢/١٤٤ . الجمرة (رفو) . تاج العروس (راع . رفا) . أساس البلاغة (رفو) .

(٣) اللسان (رفا) .

(٤) المخصص ١٦ / ٣١ .

فيقول : إن أهل الحجاز لا يهمزون فترك الهمز[1] ، وبهذا كشف اللثام عن وجه الحق ، ووصل بنا إلى أصل هذه اللغة الحجازية أولا ، والهذلية ثانيا . فالشاهد الذى يسوقه اللغويون إنما هو لشاعر هذلى ، والطابع فيه طابع اللهجة الهذلية .

* * *

ولكن لعل إسقاط الهمز فى هذا المقام لا يعود إلى الحذف كما تشير إليه عبارة اللغويين فى قولهم « ألقى الهمزة . . أو تركها » بل يرجع إلى تخفيف الهمزة أصلا فى « رفأ » فصارت « رفا » ، فجاء الإسناد طبيعيا (رفونى) كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى بعض الألفاظ الهذلية الأخرى .

* * *

وهكذا قد رأينا أن التخفف من الهمز تسهيلا ، وحذفا ، وإبدالا هو من سمات البيئة الحجازية بعامة ، وإن كنا نلمسه واضحا فى هذيل ، ولكن إذا كنا قد رأينا شيئاً من الخروج على هذا الاتجاه بتحقيق الهمزة أحيانا فى بعض البيئات الحجازية خلافا لطابعها العام كما فى مكة والمدينة ، فإنا قد لمسنا أن الهذليين هم أنفسهم لم يسلموا من التحقيق ، وهو مطرد عندهم فى أوائل الكلمات ، حتى حين يسبقها همز فى كلمة سابقة عليها ، أو يتلوها همز فى الكلمة نفسها ، ومن مظاهر ذلك أيضا أنهم قد يستبدلون الهمزة بغيرها فى أول الكلمة ، أى أنهم يؤثرونها على بعض الحروف كالواو والياء فى أوائل الكلمات .

وهذا ما نحاول إيضاحه الآن .

إيثار الهمز فى أوائل الكلمات

إن من يقرأ شعر هذيل يجد فيه كلمات كثيرة أبدلت فيها الواو همزة ، أى أن هؤلاء الهذليين كانوا ينطقونها همزة ، وهناك آخرون من غيرهم ينطقونها واوا ، ويكثر ذلك عندهم حينما تكون الواو مكسورة ، إذ ينطقها هؤلاء همزة مكسورة .

---

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٤٤ .

ومن ذلك قول المعطل الهذلى

له إلدة سفع الوجــوه كأنهم يصقّهم وعك من الموم ما هن[1]

وقول ساعدة بن جؤية :

لها إلدة سفع الوجوه كأنهم نصال شراها القين لما تركّب[2]

وفى شعر مالك بن خالد الخناعى :

لإلدك أصحابى فلا تزدهيهمُ بسابة إذ مدت عليك الحلائب[3]

وشعر البريق الهذلى :

فأصبحت لا أدعو من الناس واحدا سوى إلدة فى الدار غير مقيم[4]

وشعر الأعلم الهذلى :

تزوجــت حبشيــا فأترح إلدتى كما زحزحت عند المبارك هيمها[5]

فيصرح السكرى فى شرح أشعار الهذليين بأن هذه لهجة لهذيل[6] .

ومع هذا فقد روى ذلك اللفظ فى بعض هذه الأبيات أو فى غيرها بالواو لا بالهمزة فى بعض المراجع[7] ، أو بالواو إلى جانب الهمزة فى بعضها الآخر[8] . وإذا لم تــكن هذه الرواية من إيحاء اللغة الفصحى كما أرجح ، فيحتمل أن يكون قلب الواو المكسورة همزة مكسورة غير مطرد عند هذيل ، أى أن منهم من ينطقها واوا فى بعض بطونها ، ومنهم من يحققها همزة فى بطون أخرى .

---

(١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٥٦ ،تحقيق فراج ١ / ١٤٩ . ديوان الهذليين ٣ / ٤٩ .

(٢) ديوان الهذليين . القسم الأول ص ٢٣٠ .

(٣) ديوان الهذليين ٣ / ٩ .

(٤) ديوان الهذليين ٣ / ٦١ .

(٥) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٣٢٦ .

(٦) المرجع السابق ٢ / ٧٤٥ ، ٧٤٨ .

(٧) البقية ص ٢١ . ديوان الهذليين ٢ / ١٩٣ . تاج العروس (يمر) .

(٨) ديوان الهذليين ٣ / ٩ ، ٥٨ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١٠٣ ، ١٥٦ .

وليس قلب الواو المكسورة همزة أمراً مقصـــورا على هذا اللفظ الوارد فى هذه الأبيات بل كثيرا ما نجده فى ألفاظ أخرى مثل وشاح ، ووسادة وغيرهما ، فقد ورد إسادة ، وإشاح فى شعر الهذليين بهمزة مكسورة ، وهكذا يرويها من اللغويين من ينسبها إلى هذيل بكسر الهمزة (لا بضمها)[1] ، ولكن ابن سيده يذكر أن إبدال الهمزة المكسورة من الواو المكسورة غير مطرد[2] ، فلعله يعنى بذلك أنه غير مطرد فى اللغة بعامة ، إذ أنه لم يخصص عدم الاطراد بلهجة معينة ، بل أطلق ذلك اطلاقا . أما أبو حيان فيقرر أن ذلك « مطرد فى لغة هذيل يبدلون الواو المكسورة الواقعة أولاً همزة »[3] .

وهكذا نرى أنه سواء اطرد هذا أم لم يطرد ، فهو من كلام هذيل . وقد قرأ به سعيد بن جبير الكوفى[4] ، وبعض الكوفيين الآخرين[5] « إعاء » بدلا من وعاء فى قوله تعالى : « ثم استخرجها من وعاءِ أخيه »[6] . كما ورد ذلك فى شعر حبيب بن الأعلم من مشاهير شعراء هذيل[7] .



ولا يقتصر الأمر فى ذلك على الواو المكسورة ، بل إن الواو المضمومة قد تنقلب هى الأخرى عند هذيل همزة مضمومة . وقد جاءت هكذا فى شعر معقل بن خويلد الهذلى :

أبا معقل إن كنت أشحت حلة ... أبا معقل فانظر بنبلك من ترمى[8]

(١) ديوان الهذليين ٢/٨٣ - مشارق الأنوار ٢/٢٩٦ - الجمهرة (وس) - البحر المحيط ٥/٣٣٢ .
(٢) المخصص ٤ / ٨٨ .
(٣) البحر المحيط ٥ / ٣٣٢ .
(٤) المرجع السابق « الصفحة نفسها » . المنصف ٣ / ٢٩ .
(٥) مختصر شواذ القراءات ص ٦٠ .
(٦) سورة يوسف ١٢ الآية ٧٦ .
(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٨٣ .
(٨) المرجع السابق ٣ / ٦٥ . شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ١٠٨ - تاج العروس (وشح) .

وفى شعر عمرو بن الداخل الهذلى :

تمنانى وأبيض مشرفيا أشاح الصدر أخلص بالصقال[1]

وفى شعر أبى صخر الهذلى :

فكان لها أدى وريقة ميعق وليداً إلى أن رأسى اليوم أشيب[2]

وقد قال ابن جنى فى ذلك : « يريد ودى وهى لغته »[3] .

ويذكر البيضاوى فى تفسيره أن الكوفيين - غير حفص - قرءوا قوله تعالى : « وأنى لهم التناوش »[4] : « التناؤش » بالهمز على قلب الواو لضمها[5] أى أن الواو المضمومة قلبت همزة فى هذه القراءة ، ولو لم تكن فى أول الكلام ، وقد نسب ابن الجزرى ذلك إلى حمزة والكسائى وشعبة[6] ، وأغلب الظن أن هذه قراءتهم عن ابن مسعود . أما حفص فقد تلقى قراءة عاصم ، تلك القراءة التى تنتهى إلى على بن أبى طالب كما سبق أن ذكرنا .

هذا وقد قرأ ابن مسعود نفسه قوله تعالى : « ما ووري عنهما من سوءاتهما »[7] : « ما أورى »[8] بالهمز موضع الواو أيضا ، ومثل هذا ما جاء فى شعرهم من قولهم « أحدان » بالهمزة المضمومة فى موضع « وحدان » بالواو المضمومة . فقول مالك بن خالد الخناعى :

أحمى الصريمة أحدان الرجال له صيد ومستمع بالليل هجاس[9]

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ١١٦ .

(٢) ابن جنى : التمام فى تفسير أشعار هذيل ١٧١ .

(٣) المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٤) سورة سبأ ٣٤ الآية ٥٢ .

(٥) البيضاوى ٤ / ٥٦ .

(٦) شرح الشاطبية ص ٢٧٢ .

(٧) سورة الأعراف ٧ الآية ٢٠ .

(٨) الكشاف ١ / ٣٢٥ — البحر المحيط ١ / ٢٩٥ .

(٩) ديوان الهذليين ٣ / ٤ .

فسره صاحب اللسان بأنه جمع واحد ، وهو الرجل الواحد المتقدم في بأس ، أو علم ، أو غير ذلك ، كأنه لا مثيل له[1] . ويقول الزبيدى : « يقال فى جمع الواحد أحدان. قلبت الواو همزة لانضمامها » ثم يسوق هذا الشاهد نفسه مع تغيير طفيف لا يمس جوهره ، ولا موطن الاستشهاد فيه[2] .

* * *

هذه أمثلة مما جاء فى شعر الهذليين ، ومما وافتنا به كتب اللغة عن لهجة هذيل ، وبعض ما أطلعتنا عليه كتب القراءات من قراءة ابن مسعود وتلاميذه من الكوفيين ، وكل ذلك لم نقصد به إلى الحصر ، ولم نعمد إلى الاستقصاء بل المراد منه مجرد تقرير المبدأ من قلب الواو مكسورة أو مضمومة ــ فى كثير من الأحيان ــ عند هذيل همزة تجانس هذه الواو فى حركتها . أما الأمثلة فكثيرة ، وقد أشار إلى كثرتها ابن السكيت فى « إصلاح المنطق »[3] .

وإذا كان هذا القلب يقع كثيرا فى الواو المكسورة أو المضمومة ، فقد نجد أحيانا أن الواو والياء المفتوحتين قد تقلب كل منهما همزة مفتوحة ، فإنا نجد فى اللغة وريت وأريت من التورية أى أردت الشىء وأظهرت غيره[4] ، ويممت وأممت أى قصدت ، وعلى هذه الأخيرة قرأ ابن مسعود قوله تعالى : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون »[5] « ولا تأمموا » بالهمز لا بالياء[6] التى هى قراءة الكثيرين من القراء . وأغلب الظن أن هذه لغة قومه من هذيل ، فليس هناك من دافع يدفعه إلى ذلك إلا أنها لغته .

وهكذا نرى أن هذيلا كانت تتسم بإيثار الهمز فى أوائل الكلمات عن طريق الإبدال كما نرى ، أو عن طريق التحقيق كما سبق أن رأينا . ولعل هذا ما دفع بعض أصحاب

---

(١) اللسان « وحد » .
(٢) تاج العروس « وحد » .
(٣) إصلاح المنطق ص ١٧٩ .
(٤) اللسان « ورى » .
(٥) سورة البقرة ٢ الآية ٢٦٧ .
(٦) الكشاف ١ / ١٢٦ .

المراجع إلى القول بأن هذيلا كانت تظهر الهمزة فى كلامها .

* * *

وقصارى القول إن الهذليين كانوا يؤثرون تحقيق الهمزة ، أو إبدالها من غيرها أحيانا فى أوائل الألفاظ ، ولكنهم كانوا ممن يؤثرون تخفيفها بالحذف أو القلب فى أوساطها .

وهذا التخفيف الذى نلمسه فى بعض اللهجات القديمة نجده واضحا فى لهجاتنا الحديثة ، فلفظ السوء فيها « السّوّ » ، والخطيئة « خطية » ، والشؤم « شوم » ، والبئر « بير » ، والذئب « ديب » ، والثأر « تار » ، والفأر « فار » ، والفأل « فال » ، والرأس « راس » . . . وهكذا .

❁

---

(١) ابن المنير الإسكندرى : الانتصاف ١ / ٧٢ .

الفصل الثالث

الإبدال في سائر الحروف

الفصل الثالث

ما وقع فيه الإبدال من سائر الحروف

تنقسم الحروف العربية عدة مجموعات تتشابه كل مجموعة منها من حيث مخارجها أو من حيث صفاتها ، ولسنا الآن بصدد الحديث المسهب المتخصص فى مخارج هذه الحروف وصفاتها ، ولكنى أود أن ألفت النظر إلى أننا فى حديثنا عن هذه اللهجة الهذلية ، من حيث إبدالها حرفا بآخر فى بعض ألفاظها ، من الخير أن نسير على هدى من هذه الأقسام وتلك المجموعات التى أثبت علماء اللغة والقراءات من القدامى ، وعلماء الأصوات من المحدثين أن بينها تقاربا أو مشاركة ، فقد أشار هؤلاء القدامى أنفسهم إلى أهمية ذلك حين قالوا : « إذا تقارب الحرفان فى المخرج تعاقبا فى اللغات »[1] ، فلا شك أن هذا التقارب ، أو تلك المشاركة ستساعدنا على معالجة الموضوع إلى حد كبير .

الإبدال فى حروف الحلق :

هناك تقارب كبير فى حروف الحلق ، وهى : « الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء » كما هو معلوم .

وقد سبق أن أفردت للهمزة فصلا خاصا بها هو الفصل الثانى من هذا الباب ؛ وذلك لأهمية الحديث عنها تسهيلا وتحقيقا ، وحذفا وإبدالا ، ولذلك فالحديث فى هذا المبحث من هذا الفصل مقصور على الحروف الحلقية الأخرى ، وقد ذكرت أن بينها جميعا تقاربا كبيراً منشؤه اتحاد مخرجها ، إذ أن هذا المخرج فى عمومه هو الحلق ، ولذلك سميت بهذا الاسم ، فهى إن كانت تتفاوت بعض التفاوت فى مكانها من الحلق فإنها مع هذا متقاربة تقاربا من شأنه أن يجعل حلول بعضها محل بعض أمرا ممكنا فى بعض الألفاظ عند مختلف القبائل العربية تبعا لطبيعة كل قبيلة وظروفها ، وإيثارها بعض الأصوات على بعضها الآخر .

---

(١) اللسان « كشط » .

وبعض الخصائص القديمة التى اتسم بها بعض اللهجات العربية إن هى إلا نوع من هذا الإبدال فى حروف الحلق أو غيرها . ونظرا لما ألفه الرواة واللغويون من سماع اللغة الفصحى ، صارت هذه السمات والخصائص فى أغلبها نابية على أسماعهم ؛ فسموها أسماء خاصة كالعنعنة والفحفحة والاستنطاء ، وما إلى ذلك من أسماء ومصطلحات ، واعتبروها من عيوب هذه اللهجات التى سلمت منها اللهجة القرشية .

وكان من نصيب هذيل فى ذلك هذه السمة التى سموها بالفحفحة ، والتى عبروا عنها بأنها قلب الحاء عينا فى بعض الكلمات .

وبعض اللغويين ينسب ذلك إلى هذه القبيلة وحدها[1] . وبعضهم ينسبه إليها ، وإلى ثقيف معها[2] ، وهم لم يُبعدوا فى ذلك ؛ لأن هذيلا وثقيفا متجاورتان فى المواطن والمنازل — كما رأينا — فليس ببعيد أن يكون ذلك لغة لهما معا ، أو على الأقل لثقيف مع جيرانها من البطون الهذلية المصاقبة لها ، ولا يغض من ذلك شىء سوى أن ثقيفا قبيلة حضرية مقرها الطائف ، أما هذيل فقبيلة بدوية — أو فيها بداوة — فهذه الظاهرة ربما كانت أشبه بها من سواها .

والمثال المشهور الذى تواردت عليه المراجع بشأن هذه الظاهرة هو « حتى » حيث أبدلت حاؤها عينا ، فجميع هذه المراجع قد اتفقت على أن ابن مسعود قرأ بها قوله تعالى : « حتى حين »[3] بإبدال الحاء الأولى عينا « عتى حين »[4] . وكثير من هؤلاء يَروى أن عمر بلغه أن ابن مسعود يقرىء الناس « عتى حين » فكتب له : إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ؛ فأقرىء الناس بلغة قريش .

ومهما يكن من شأن هذه الرواية ، فإنها تعد دليلا آخر على أن ابن مسعود كان

---

(١) ابن سيده : المحكم ٢ / ٢٤ — تاج العروس « فح - حث » - البحر المحيط ٥/٣٢٧ .
الرضى : شرح الكافية ٢ / ٢٥٢ - التسهيل ص ٤٤ المزهر ص ١٣٣ - الاقتراح ص ٨٣ - حاشية الامير على المغنى ١ / ١٠٣ .

(٢) الصحاح ، اللسان ، تاج العروس « عتا » .

(٣) سورة يوسف ١٢ الآية ٣٥

(٤) مختصر شواذ القراءات ص ٦٢ .

متأثرا فى قراءته بلغة قومه[1] . هذا إلى جانب ما هو معلوم من أن ذلك هو ما تقتضيه طبائع الأشياء ؛ فينبغى إذن أن تكون قراءته نبراسا يهدينا السبيل .

وهناك أمثلة أخرى لهذه الظاهرة نجدها فى بعض المراجع التى تخرج بها عن هذه الدائرة الضيقة إلى شيء من التعميم ، فتبعد بها عن أن تكون مقصورة على الحاء فى هذا اللفظ وحده ، ومن ذلك قولهم إن هذيلا يبدلون الحاء عينا فيقولون : « علت العياة لكل عى » أى « حلت الحياة لكل حى »[2] ، « اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض »[3] أى « اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض » .

ولعل السر فى إبدال هذيل ، أو بعض بطونها للحاء عينا هو أن العين صوت مجهور ، والحاء صوت مهموس ، والمجهور قد يناسب بيئة فيها بداوة كهذيل أكثر مما يلائمها الصوت المهموس ، ثم إن فى الحاء رخاوة ، وفى العين شيء من الشدة إذ هى ليست بالرخوة ولا بالشديدة ، وإنما هى شيء بين الأمرين ، أو كما يقول القدماء متوسطة بين الشدة والرخاوة[4] ؛ ولهذا أمكن أن تحل محل الحاء لاتحاد مخرجيهما تقريبا ، مع ملاءمتها لقبيلة مثل هذيل .

ومع ذلك ، فإنه يشك بعض الباحثين فى نسبة هذه الظاهرة الصوتية إلى هذيل ، ويشكك فى هذه الرواية المنسوبة إلى عمر ؛ ليصل من وراء تضعيفها إلى تضعيف نسبة هذه اللهجة إلى هذه القبيلة . واستبعاد الرواية المذكورة يعتمد على أنها تناقض التيسير فى القراءات القرآنية ، وتخالف ما يهدف إليه الحديث الشريف : « أنزل القرآن على سبعة أحرف ... » ويسوق صاحب هذا الرأى من الباحثين وجها واحدا لاحتمال ثبوت هذه الرواية حين يستدرك قائلا : « ... إلا إذا أراد عمر أن ينهى ابن مسعود عن إرغام القرشيين على القراءة بغير ما يستطيعون ، وما تميل إليه ألسنتهم ، وذلك بإملاء لهجة من اللهجات عليهم كلهجة هذيل فى هذه القراءة »[5] .

---

(١) يوهان فك : العربية ص ٧٨ .
(٢) مميزات لغات العرب ص ١٣ .
(٣) فى اللهجات العربية ص ٨٧ .
(٤) أبو حيان : الارتشاف (المقدمة) ص ٨ .
(٥) فى اللهجات العربية ص ٩٧ .

والحق أنه لا تناقض إطلاقا بين الرواية المنسوبة إلى عمر ، وبين التيسير المشار إليه ، وإلا أمكن القول بأن العمل الجليل الذى عمله عثمان حين جمع الناس فى الأمصار الإسلامية على مصحف واحد ، ورفض ما خالف رسمه من قراءات كان عملا مناقضا أشد المناقضة لذلك التيسير ، فالمسألة هى أن تعصب الأمصار الإسلامية لقراءاتهم وقرائهم ، ذلك التعصب الشديد الذى اتسع نطاقه فى عهد عثمان لا بد أن قد بدرت بوادره فى عهد عمر — وليست الشقة بينهما بعيدة — فلعل عمر كان قد بدأ يناهض هذه الظاهرة التى اتسع نطاقها فى عهد عثمان فقام فيها بعمل حاسم .

ولا شأن لإرغام القرشيين على هذه القراءة كما يذكر الباحث فى تبريره الوحيد لاحتمال ثبوت هذه الرواية ؛ لأن ذلك — فيما يبدو — حدث فى الكوفة أثناء إقامة ابن مسعود بها ، إذ نجد فى بعض الروايات أن عمر كتب الى ابن مسعود كتابة[1] ، ولم يشافهه مشافهة . وإذا صح هذا فمجتمع الكوفة فى أغلبه قائم على قبائل تميم ، وأسد ، أما قريش فليس لها فيه نصيب كبير .

ومما هو جدير بالذكر أنه على الرغم من أن القــراءة قد روعى فيها السماع من الرسول ، وأن التيسير فى القراءات كان أمراً موقوفا على السماع ، فإنه قد ثبت أن بعض الصحابة كان يقرأ أحياناً بالمرادف ، أو بطريقة الأداء التى تناسب لهجة قومه ، ولو لم يكن ذلك من سماعه ، وقد ذكر من هــذا القبيل تلك القراءة التى قرأ بها ابن مسعود ، والتى قلب فيها الحاء عينا ، ومن ثم أنكر عمر عليه قراءته[2] . فهذا وجه من الوجوه التى يحتمل أنها دفعت عمر الى أن يكتب الى ابن مسعود ما كتب .

أما الحديث بشأن هذه الظاهرة الصوتية فى ذاتها ، واستبعاد نسبتها إلى هذيل ، وتأسيس هذا القول على اتصال هذيل ببيئة الحجاز اتصالا روحيا ، وقرب مساكنهم من الحجاز ، فإنا نقول — بشأن هذا الاتصال — ما هو أكثر من هذا الكلام الذى تعوزه الدقة ، ذلك أن هذيلا ليست متصلة ببيئة الحجاز فحسب ، وليست مساكنهم قريبة من الحجاز فقط ، بل إن هذه القبيلة قبيلة حجازية ، ومنازلها من بلاد الحجاز

---

(١) عبد الوهاب حمودة : القراءات واللهجات ص ٨ ، ٢٦ ، ١٢٣ .

(٢) القراءات واللهجات ص ٨ ، ٢٦ ، ١٢٣ .

لا قريبة منها ، ولكنها مع ذلك حلقة وسطى – كما قلنا – بين الحضريين من الحجازيين ، وبين الموغلين فى البداوة من غيرهم ، فهى وإن كانت تجاور الحضر فى الحجاز ، وتتأثر بهم وقد تؤثر فيهم ، فإنها من جهة أخرى تجاور غيرهم من قبائل وسط الجزيرة ؛ ولهذا فهى أيضا تؤثر فيهم وتتأثر بهم كما يقضى بذلك الناموس الاجتماعى ؛ فلا نستبعد بعد هذا أن نجد هذيلا تستبدل فى كلامها حرفا مجهورا بآخر مهموس وهما متفقان فى مخرجها اتفاقا يجعل بينهما من التقارب فى النطق ما يؤكد هذا الاحتمال .

ولكن يبدو أن هذيلا كانت تعكس هذا الوضع أحيانا ، فتقلب العين المجهورة حاء مهموسة إذا دعا لذلك داع كأن يليها حرف مهموس كالثاء نظراً للتجاور بين الحرفين ، وتيسير النطق بهما فى شيء من التقارب والانسجام الصوتى ، وهذا ما يعبر عنه ابن جنى بتقريب الحرف من الحرف ، حين كتب فى أهميته ، واتجـاه كثير من العرب إليه : « التقريب للحرف من الحرف باب طويل منقاد »[1] فليس غريباً إذن أن ينسب إلى ابن مسعود أنه كان يقرأ قوله تعـــالى : « إذا بعثر ما فى القبور »[2] : « بحثر » بالحاء لا بالعين[3] . على أن هذه الظاهرة إذا صحت كانت ، كما لاحظ بعض الباحثين[4] ، أولى بأن توسم بالفحفحة من الظاهرة الأولى أى هى أحق بهذا الاسم من قلب الحاء عيناً فى بعض الألفاظ التى سبقت إليها الإشارة .

وقد يدخل فى هذا النوع من الإبدال بين حروف الحلق ما يسوقه اللغويون من أن الحاء قد تنطق هاء فى بعض ألفاظ اللغة مثل : « كده يكده » أى « كدح يكدح » ، « وكدهه الهم يكدهه » إذا أجهده ، ويستدلون لذلك بقول بعض شعراء هذيل كأسامة الهذلى حين يصف الخمر :

إذا نضحت بالماء وازداد فورها   نجا وهو مكدوه من الغم ناجد[5]

فهل يمكن أن يستأنس بهذا مجرد استئناس على أن من الهذليين من يصنع هذا

---

(١) المحتسب ص ٧٥٩ .
(٢) سورة الطارق ١٠٠ الآية ٩
(٣) مختصر شواذ القراءات ص ١٧٧ . البحر المحيط ٨ / ٥٠٥ .
(٤) د . أنيس فى اللهجات العربية ص ٩٧ .
(٥) اللسان (كده) .

الصنيع ؟ لأنه من المحتمل أن يكون مثل هذا الشاهد مصنوعا ، أو حصل فيه من التصحيف أو التحريف ما قد يدل عليه وجود هذا البيت فى ديوان الهذليين ـ مخطوطا ومطبوعا ـ « مكدود » بالدال لا بالهاء[1] .

هذا وقد ذكر اللغويون أن العين (وهى حرف حلقى) تقلب عند هذيل « نونا » وهى حرف غير حلقى ، فمخرج كل منهما بعيد عن مخرج الأخرى ؛ ولهذا نجد فى هذه الظاهرة شيئا من الغرابة ، لا سيا أنه قد انفرد بها لفظ واحد هو الفعل « أعطى » إذ يروى أن الهذليين ينطقونه « أنطى » ، وقد ذكروا أن مرد هذا النطق إلى مجاورة العين الساكنة للنون[2] ، مع أنه ليس فى هذه المجاورة ما يسوغ ذلك ، وليس هناك مبرر ظاهر لوجوده ، كما أنه ليست هنالك علاقة واضحة بين العين والنون تبرر هذه الظاهرة الصوتية ، اللهم إلا أن يكون من أسبابها اشتراك هذين الحرفين فى الصفة إذ هما صوتان مجهوران ، ثم هما أيضا صوتان متوسطان بين الشدة والرخاوة[3] ، ولكن يضاف إلى ذلك أن النون من الأصوات الكثيرة الدوران فى اللغات السامية ، ومن أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً وظهوراً[4] ، وهذا كل ما يمكن أن يقال فى تبرير هذه الظاهرة التى سماها اللغويون بالاستنطاء ، ومرجع هذه التسمية هو وجود النون والطاء متجاورتين بعد إبدال العين نوناً فى الكلمة .

وقد نسب معظم اللغويين هذه الظاهرة إلى هذيل ، وأضافوا إلى ذلك أنه قرىء بها قوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر »[5] : «أنطيناك»[6] بإبدال العين نونا فى الكلمة ، كما ذكروا أيضا أن ابن مسعود والأعمش كانت قراءتها : « وأنطاهم تقواهم »[7] أى « وأعطاهم تقواهم »[8] .

---

(١) ديوان الهذليين (مخطوط) ص ٨٦ ، (دار الكتب) ٢ / ٢٠٤ .

(٢) مميزات لغات العرب ص ١٥ .

(٣) الارتشاف ص ٨ . فى اللهجات العربية ص ١٠٤ .

(٤) فى اللهجات العربية ص ١٣١ . الأصوات اللغوية ص ٥٢ .

(٥) سورة الكوثر ١٠٨ الآية ١ .

(٦) اللسان . القاموس (نطا) ـ القراءات واللهجات ص ١٢٣ ـ مميزات لغات العرب ص ١٥ .

(٧) مختصر شواذ القراءات ص ١٤١ .

(٨) سورة القتال ٤٧ الآية ١٧ .

ومع هذا فإن من اللغويين من ينسب هذه الظاهرة إلى اليمن[1] ، ولعل مصدر ذلك هو ما ذكر من أن الأنصار والأزد كانوا يلهجون بها ، وأولئك وهؤلاء هم في أصل نشأتهم من اليمن[2] .

وكثير من المراجع ينسبها إلى سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار[3] ، وينسبون القراءة بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] ، وقد ذكروا من قول الرسول أيضا حديث عطية السعدى : « اليد العليا هي المنطية ، واليد السفلى هي المنطاة »[5] ، ونظيره قول الرسول أيضاً : « وإن مال الله مسئول ومنطى »[6] أي « معطى » وقوله : « لا مانع لما أنطيت ، ولا منطِى لما منعت »[7] ، وأنطه كذا وكذا أي أعطه[8] .

ولعل في هذا ما يؤكد نسبة هذه الظاهرة إلى بني سعد أظئار النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعض من جاورهم من الهذليين الذين تنسب إليهم هــــذه الظاهرة أصلا ، وكذلك بعض القيسين من الأعراب القاطنين في وسط الجزيرة العربية .

وليست هذه الظاهرة غريبة على بعض القبائل البدوية ، فإنها لا تزال شائعة في لهجة بعض الأعراب بصحارى مصر[9] ، ومنهم بعض أعراب الفيوم ، ويقال إن أصلهم من بني سعد .

---

(١) الزمخشرى : الفائق ص ٨ ـ تاج العــــروس « نطى » ـ اللسان « نطا » ـ ابن الأثير : النهاية ١٥٤/٤ .

(٢) تاج العروس « نطو » .

(٣) المرجع السابق والمادة السابقة .

(٤) الكشاف ٢ / ٥٦٣ . البحر المحيط ٨ / ٥٢٥ .

(٥) الاقتراح ص ٨٣ . القراءات واللهجات ص ١٢٣ . مميزات لغات العرب ص ١٥ ـــ البحر المحيط ٥٢٥/٨ .

(٦) اللسان « نطا » .

(٧) القاموس « نطا » .

(٨) اللسان « نطى » .

(٩) مميزات لغات العرب ص ١٥ .

الإبدال فى باقى الحروف :

هناك غير حروف الحلق مجموعات أخرى من حروف الهجاء يربط بينها – كما أشرنا – قرب فى المخرج ، أو اتحاد فى الصفة ، وإن يكن ذلك فيها أقل وضوحا وبروزا منه فى حروف الحلق ، لكننا نلمس لها أثرا فى اختلاف اللهجات العربية ؛ ولهذا نعرض لها بالبحث والدرس وصولا إلى ما عساه أن يكون لها من أثر فى هذيل بالقياس إلى بعض اللهجات العربية الأخرى .

إبدال السين :

السين والصاد من الحروف العشرة المهموسة ، فهما مشتركتان فى هذه الصفة ، وإلى هذا تربط بينهما رابطة أخرى هى أن مخرجهما واحد (هو ما بين الثنايا وطرف اللسان) ، ولذلك نجد أن كلا منهما يحل محل الآخر فى اللغة فى حالات معينة ، فيقال مثلا « باسقات » و « باصقات » فى لهجتين مختلفتين . ويذكر ابن جنى فى تعليل هذه الظاهرة أن الصاد أبدلت من السين لاستعلاء القاف ، فتم هذا الإبدال لما فى الصاد – هى الأخرى – من الاستعلاء ، ومثال ذلك أيضا « زقر » لغة فى « سقر » ، وهذه هى الأخرى – على حد تعبير ابن جنى – من باب تقريب الحرف من الحرف ، وذلك أن السين مهموسة ، والقاف مجهورة ، فأبدلت السين زايا ، وهى مجهورة لتقرب من القاف[٢] . والأمثلة على هذا كثيرة فى اللغة .

فما موقف هذيل من هذه الظاهرة ؟ هل تهملها ولا تعيرها اهتماما ، أو تتأثر فى لهجتها بهذا الاتساق ، والتقريب بين الحروف فى النطق حين يدعو لذلك داع من الدواعى الصوتية المشار إليها ؟

الحق أن هذيلا يتأثر مثل هذه الحروف فى لهجتها بمجاورة حروف أخرى لها من المخارج والصفات ما يستدعى ذلك ، أى أنها لا تبقى هذه الحروف على أصلها فى كل حال ، بل قد تبدل منها حرفا آخر إذا دفع إلى ذلك دافع من الدوافع المذكورة .

---

(١) ابن جنى : سر صناعة الإعراب ١ / ١٥٣ .

(٢) المحتسب ص ٧٥١ . القاموس « زقر » .

ويسوق اللغويون لذلك بعض أمثـلة عامة لم يقصرها العلماء والرواة على هذيل وجيرانها ، وإلى جانبها أمثلة أخرى ذكر هؤلاء الرواة والعلماء أنها من خصائص الهذليين، وبعض من جاوروهم فى مواطنهم . ولعل ما ذكر من ذلك غير منسوب إلى هذيل أو غيرها إنما يرجع بعضه فى الأصل إلى هذه البيئة الهذلية ، وإن كان قد دخل فى اللغة ومعاجمها ، فصار من ألفاظ العربية التى لم ينسبها هؤلاء الرواة إلى قبيل خاص من القبائل العربية .

ومما عده العلماء من ألفاظ اللغة العامة متأثراً بهذه الظاهرة كلمة « مصيطر » التى أبدلت فيها السين صادا لاستفالة السين ، واستعلاء كل من الصاد والطاء ، وقد استقر هذا فى اللغة الفصحى ، وظهر فى رسم المصحف[1] ، وقرأ به معظم قراء الكوفة[2] وغيرهم .

ومن الأمثلة التى نص اللغويون على نسبتها لهذيل ، وبعض من جاورها من قبائل العرب ما نقله الزبيدى عن الفراء من قوله :

« بنو سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل يقولون : هو أخوه صوغه بالصاد ، وأكثر الكلام (سوغه) بالسين[3] » ، وهذا ما ينقله صاحب اللسان أيضاً عن الفراء[4] .

ونسب أبو حيان هذه الظاهرة إلى بنى كلب فقال : إنهم يبدلون الصاد من السين إذا جامعت الغين ، أو الخاء ، أو القاف ؛ فليس عجيبـا أن تنسب لبنى كلب وهم بدو ما دمنا قد وجدنا أن القبائل التى سبقت نسبة هذه الظاهرة إليها هم من البدو أيضا كبنى سليم وهوازن وهذيل ، وإن كان اتساق أمثال هذه الظواهر فى البدو أو الحضر ليس بالأمر الرتيب الذى لا يتخلف .

ومن أمثال ما ورد من ذلك بالصاد عند هذيل ما نجده فى أشعارهم كقول شاعرهم :

---

(١) سورة الغاشية ٨٨ الآية ٢٢ .

(٢) البيضاوى ٤ / ٢٥٣ .

(٣) تاج العروس « صيغ » .

(٤) اللسان « صوغ » .

تصيـخ إلى دوى الأرض تهوى بسمعها كما أصغى الشجيـج[1]

وتعقيب ابن جنى على هذا البيت هو أن العرب قالوا « أساخ » بسمعه و « أصا فكأن الصاد قلبت عن السين لأجل استعلاء الخاء ، كما قالوا فى «مسـاليخ» : «مصاليخ وفى « سالغ » : « صالغ » لأن الصاد أخص بالخاء والغين منها ببقية حروف الحلق[2]

وهكذا يبدو من استقراء اللغويين لهذا الموضوع أنهم وجدوا – فيما جمعوا من الم اللغوية – أن هذا النوع من الإبدال المتأثر بمجاورة هذه « السين » لغيرها قد تم - يكون بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء ، والسبب فى ذلك أن هذه الحروف كلها حروف الاستعلاء ، والصاد هى الأخـــرى مستعلية[3] . وهذه الحروف يتوافر ف صفات تسوغ هذا الإبدال كما أشرنا . ولهذا شرط ابن مالك فى التسهيل أنه لا تب الصاد من السين جوازا على هـــذه اللهجة إلا إذا وقع بعدها أحد هذه الأحرف - لو فصل بينها حرف أو حرفان ، فهذا لا يؤثر فى حدوث هذه الظاهرة[4] ، وقد لـ ذلك فعلا مع وجود حرف فاصل هو الياء الساكنة فى « مصيطر » ، والواو السا فى « صوغه » ، وما شابه ذلك من كلمات .

* * *

ذلك هو صنيع هذيل ومن جاورها فى شأن هذه الحروف ، ولكننا نجد أن هذ إلى جانب هذا قد تقلب السين تاء فى بعض الألفاظ مثل « تسوخ » إذ تنطقها أحـ « تتوخ » ، وقد ذكر ذلك صاحب الأمالى فى « ما تتعاقب فيه السين والثاء المثلثة[5] وساق لذلك هذا الشاهد من شعر أبى ذؤيب :

قصر الصبوح لها فشرج لحمها بالنى فهى تتوخ فيها الإصبع

أى تدخل فيها الإصبع .

---

(١) ، (٢) ابن جنى التمام فى تفسير أشعار هذيل ص ٢٦ .

(٣) أبو حيان : الارتشاف ص ٨ .

(٤) ابن مالك : التسهيل ص ٣١٧ . تاج العروس (باب الصاد) ٤ / ٢٧٢ .

(٥) القالى : الأمالى ٢ / ١١١ .

وقد ورد هذا البيت بهذه الرواية نفسها فى كتب اللغة[1] وفى دواوين شعر هذيل[2] .

ونجد ذلك أيضا فى شعر المتنخل يصف سيفا :

أبيض كالرجـع رسـوب إذا ما ثاخ فى محتفـل يختلى[3]

وفى هذا يرى ابن جنى أن الثاء أبدلت من السين لاجتماعها فى الهمس[4] ، ولكنا – مع هذا – إذا كنا قد وجدنا مبرراً صوتيا مقبولا حال القلب من السين إلى الصاد مع الخاء وأخواتها من حروف الاستعلاء كالعين ، والقاف، والطاء ، فقد لا نجد مثل هذا المبرر فى وضوح مع قلب السين ثاء قبل هذه الخاء فى «تثوخ» إذ الجامع بين الثاء والسين هو كونها من الحروف المهموسة ، وهذا هو الذى يشير إليه ابن جنى ، ولكن كان من الممكن أن يكون تعليل هذه الظاهرة أوضح وأتم ، لو لم تكن الخاء هي الأخرى شريكة لهما فى هذه الصفة إذ هى مهموسة مثلها ، فليس لها قدرة على أن تجتذب أحد هذين الحرفين إليها من دون صاحبه ، ثم إن هذه الأحرف الثلاثة تشترك معاً فى صفة أخرى هى أنها من الحروف الرخوة التى سماها المحدثون من علماء الأصوات بالأصوات الاحتكاكية (Fricatives)[5] فليس هناك – والحال هكذا – داع يدعو إلى ذلك إلا أن تمتاز الثاء عن السين بما يؤهلها لهذا الإبدال ، ولا وجود لهذا المؤهل – كما نرى – إلا أن يكون ذلك غير راجع إلى التأثر بمجاورة الخاء بل مرده إلى ما أشار اليه ابن جنى من أن السين والثاء متحدتان فى الصفة ، ونضيف إليه أنهما قريبتان فى المخرج ، فليس ما يمنع – حال التساهل فى النطق الذى تتسم به البيئات البدوية – من أن تحل إحداهما محل الأخرى ، وذلك أن مخرج الثاء من بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا ، ومخرج السين ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى[6] ، فالمخرج متقارب ، والصفة واحدة .

---

(١) مقاييس اللغة « ثوخ » – المخصص ٩/١٣ ، ٢٨ . أساس البلاغة « شرج » – اللسان « ثوى » . تاج العروس « شرج » . سمط اللآلى ١/٤٤٨ .

(٢) ديوان أبي ذؤيب « مخطوط الشنقيطى ٢٣ » تيمور ص ٣٢ . ديوان الهذليين ١ / ١٦ . التمام ص ٢٦ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٣ .

(٣) ديوان الهذليين ٢/١٢٠ – اللسان « حفل ، رجع » . الصحاح « ثوخ » . تاج العروس «حفل» .

(٤) التمام ص ٢٦ .

(٥) الأصوات اللغوية ص ٢٥ .

(٦) أبو حيان : الارتشاف ١ / ٣ وما بعدها .

وإذا لم يكن هذا التبرير الصوتي مقبولا أو كافياً فلعلها كانت لثغة قبل أن تكون لهجة .

إبدال الفاء ثاء :

الفاء والثاء كلتاهما من الحروف المهموسة ، وهما أيضا من الحروف الرخوة ، فهما متفقتان في صفتين هامتين من شأنهما أن تحدثا بين الحرفين نوعا من التقارب يتهيأ معه لبعض القبائل إيثار نطق أحدهما بدلا من الآخر في بعض ألفاظها ، على حين أنه يتهيأ لقبيلة أو قبائل أخرى أن تؤثر ما لم تؤثره سابقتها ، وذلك دون وعي أو قصد من هذه القبيلة أو تلك ، وإنما ظروف كل بيئة هي صاحبة الشأن في الموضوع ، ولقد نجد في تراثنا العربي كلمات تصور لنا ذلك الإبدال مثل : « الحفالة » و « الحثالة » وهي الردىء من كل شيء ، و « فلغه » و « ثلغه » إذ اشدخه . و « الأثاثي » و « الأثافي » . و « ثم » و « فم »[1] . . . إلى غير ذلك من كلمات .

وقد نسب اللغويون النطق في بعض هذه الألفاظ بالثاء إلى تميم ، وبالفاء إلى الحجاز ، ومن ذلك ما رووا من أن تميا تقول : « الأثاثي » بدلا من « الأثافي »[2] ، و « تلثمت » على الفم لا تلفمت[3] .

ولكنهم قد عكسوا أحيانا ، فنسبوا النطق بالفاء في حالات نادرة إلى تميم ، وبالثاء لأهل الحجاز ، فقالوا إن الحجازيين يقولون للقبر « جدث » وتميم تقول « جدف » .

* * *

فما موقف هذيل من هذه الظاهرة ؟ وإلى أي الفريقين كانت تميل ؟ الواقع أن هذيلا مع أنها حجازية لا يستطيع الإنسان أن ينسب إليها كل ما ينسبه إلى الحجازيين نظرا لوضع هذيل في ظروفها البيئية التي كثيرا ما وجدنا تأثيرها واضحا فيها ، ولكن يبدو أن الهذليين كانوا يتبعون أصلهم الحجازي في نطقهم للكثير من أمثال هذه الألفاظ .

---

(١) الخصائص ٢ / ٤٤٠ .

(٢) القالي : الأمالي ٢ / ٣٢ - تاج العروس « أثث » .

(٣) المصباح (لثم) .

ومن ذلك «جدث» و «أجداث» التى وردت فى شعرهم بالثاء[1] ، ويقرؤها ابن مسعود كذلك حينما ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، حتى إنك فى قوله تعالى : « من كل حدب ينسلون »[2] تجد قراءة ابن مسعود : « من كل جدث »[3] ولا شك أن هذا الاتجاه يؤكد أن هذه لغة هذيل .

وفضلا عن قراءة ابن مسعود لهذا اللفظ « جدث » بالثاء نجد ابن عباس قد قرأه كذلك[4] ، وهذا مما يزكى نسبته إلى الحجاز أولا ثم إلى هذيل ثانيا .

هذا الى أن « الثُوم » فى رأى الكثيرين من العلماء لغة فى « الفُوم » أى الحنطة ، وهذه اللغة رواها اللحيانى اللغوى الهذلى ، ونقلها الزبيدى عن أبى حنيفة الدينورى فى كتاب النبات . وهكذا هى بالثاء فى مصحف ابن مسعود[5] ، وبها كانت قراءته[6] ، كما روى أن ابن عباس كانت هذه قراءته كذلك[7] .

وما رواه اللغويون من ألفاظ قليلة ذكروا أن نطق الحجازيين فيها بالفاء ، ونطق التميميين بالثاء مثل تلفمت وتلثمت[8] ، والأثافى والأثاثى[9] يحتمل أن يكون وهما من الرواة ، ومع ذلك فاللغات واللهجات لا تتخذ لنفسها خطاً مستقيماً دائما تسير عليه ، ولا تحيد عنه ، بل إن بعض قبائل الإقليم الواحد ، أو بعض بطون القبيلة الواحدة قد تتأثر بقبائل أخرى مجاورة لها ، فتتخذ فى بعض نطقها سمتا تختلف فيه شيئاً من الاختلاف عن القبيلة الأم ، أو القبائل ذات الطابع الواحد ، ثم تهيء ظروف الرواية أن يأخذ الوضع عند الرواة أحياناً وجهاً من التعميم غير دقيق .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٦٢ .
(٢) سورة الأنبياء ٢١ الآية ٩٦ .
(٣) البحر المحيط ٦/٣٣٨ . ابن جنى : المحتسب ص ٥١٩ .
(٤) البحر المحيط ٦/٣٣٨ .
(٥) تاج العروس « ثوم » .
(٦) الأمالى ٢/٣٣ . المخصص ١٣/٢٨٥ . الصحاح « فوم » البحر المحيط ١ / ٢٣٣ .
(٧) المحتسب ١ / ٨٣ .
(٨) المصباح « لثم » .
(٩) تاج العروس « أثث » . المزهر ١ / ٢٧٥ .

وقد نجد صدى كلام اللغويين هذا فى شىء من الشعر الهذلى كقول عبد الله بن أبى ثعلب القردى الهذلى يرثى من أصيب فى الطاعون من هذيل فى مصر والشام :

فماذا هنالك من حسرة مولولة لا يرد اللفاما[1]

أو لعل كلام اللغويين كان صدى لما رأوه فى مثل هذا البيت من الشعر الحجازى الهذلى .

ومهما يكن من أمر فإن هذيلا إزاء هذه الظاهرة كانت — فيما نظن — يغلب عليها طابعها الحجازى الذى تأثرت به أكثر مما عداه .

القاف والكاف :

هذان الحرفان متقاربان فى مخرجيهما تقارباً كبيراً إذ مخرج القاف فى تعبير اللغويين وعلماء القراءات هو الجزء الأول من أقصى اللسان ، ويليه مخرج الكاف مباشرة[2] .

ثم هما متفقان فى بعض صفاتهما إذ هما حرفان شديدان يمتنع جريان الصوت معهما ، فليس غريبا أن يحل أحدهما محل الآخر فى بعض الألفاظ عند بعض القبائل العربية ، ومن أمثلة ذلك : القحط والكحط[3] ، والقسط والكسط[4] ، والقشط والكشط[5] . وتنسب القاف فى هذه الأخيرة إلى قيس وتميم وأسد ، كما تعزى الكاف إلى قريش[6] .

ويذكر بعض اللغويين أنها كانت فى مصحف ابن مسعود « قشطت » بالقاف لا بالكاف[7] ، وبها كانت قراءته[8] فى قوله تعالى « وإذا السماء كشطت »[9] ،

---

(١) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ٢ / ٨٨٠ .
(٢) الارتشاف ص ٣ .
(٣) القاموس ، وتاج العروس ، واللسان « كحط » .
(٤) اللسان والقاموس « كشط » .
(٥) القاموس « كشط » .
(٦) الأمالى ٢ / ١٣٥ .
(٧) المرجع السابق والصفحة نفسها .
(٨) الكشاف ٣ / ٢٥٤ . تاج العروس « قشط » . البحر المحيط ٨١ / ٤٣٤ . مختصر شواذ القراءات ص ١٦٧ .
(٩) سورة الانشقاق ٨١ الآية ١١ .

وهى بالقاف أيضا فى قراءة بعض الكوفيين كالشعبى والنخعى[1] . وقد قرأ ابن مسعود أيضا « قافورا »[2] أى « كافورا » فى قوله تعالى : « كان مزاجها كافورا »[3] .

ولعل السر فى هذا الإبدال هو ما سبقت إليه الإشارة من تقارب هذين الحرفين (القاف والكاف) فى المخرج واشتراكهما فى الصفة[4] .

وإذا كنا قد رأينا أن الكاف أبدلت قافا هكذا فى قراءة ابن مسعود فى الموضعين السابقين ، فلقد نجد عكس هذه الظاهرة فى قراءته أيضا ، ففى قوله تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر »[5] نجد قراءة ابن مسعود « تكهر » بالكاف المبدلة من القاف[6] . وتذكر المراجع أن القهر والكهر واحد فى معناهما ، وعلى هذا فإن « تكهر » بالكاف إنما هى لهجة فى « تقهر »[7] ، وقد قرأ بها ذلك الصحابى الهذلى .

وقد يبدو للنظرة العجلى أن هناك تعارضا واضطرابا فى الرواية ما بين نسبة القاف إلى ابن مسعود — وترجيح نسبتها من وراء ذلك — إلى اللهجة الهذلية بدلا من الكاف فى مثل « قشطت » ، وثبوت عكس هذا فى مثل « تكهر » . والحق أنه لا تعارض ولا اضطراب ، فقد رأينا تعليلا سليما لإيثار القاف فى الحالة الأولى ، وسنرى الآن أن إيثار الكاف فى الحالة الثانية إنما يرجع — بالإضافة إلى تقارب الحرفين : القاف والكاف — إلى أن الكاف والهاء التالية لها تشتركان لا فى صفة واحدة بل فى كثير من الصفات التى تجعل للهاء تأثيراً فى إبدال القاف كافاً فى مثل هـذا اللفظ . ومن وجوه اشتراك الكاف والهاء فى الصفة أنهما مهموستان منخفضتـان أى هما معا من حروف الهمس والاستفالة .

---

(١) تاج العروس « قشط » .
(٢) البحر المحيط ٨ / ٤٣٤ .
(٣) سورة الدهر ٢٦ الآية ٥ .
(٤) الارتشاف ص ٨ .
(٥) سورة الضحى ٩٣ الآية ٩ .
(٦) الفائق ٢ / ٤٣٧ . تاج العروس ، واللسان ، ومقاييس اللغة « كهر » .
(٧) الصحاح « كهر » . البحر المحيط ٨ / ٤٨٦ .

ولهذا ترجح أن هذيلا كان من لهجتها إبدال هذين الحرفين المتقاربين فى المخرج ، المتحدين فى بعض الصفات إذا دعا إلى ذلك داع كالتأثر بالأصوات المتجاورة ، أو تقريب الحرف من الحرف كما يقول بعض القدامى فى هذا الصدد .

الدال والذال :

هذان الحرفان متقاربان فى مخرجيهما ، إذ مخرج الدال من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، ومخرج الذال من بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا[1] ، كما أنهما تتحدان فى بعض الصفات إذ هما مجهورتان ، ولكنهما تختلفان فى بعض الصفات الأخرى ، فالدال حرف شديد أو انفجارى (Plosive) ، والذال حرف رخو[2] أو احتكاكى (Fricative) ؛ ولذلك نجد أن أحدهما قد يحل محل الآخر فى لسان بعض القبائل العربية تبعاً لطبيعة النطق فيها ، وميلها إلى الأصوات الشديدة أو الرخوة ، ومن ذلك مثلا «لحم خراديل» بالدال الشديدة فى نطق بعض القبائل ، «وخراذيل» بالذال الرخوة فى نطق غيرها[3] .

ويبدو أن هذيلا كانت لا تُمَثّت نفسها فى نطق كل من هذين الحرفين بل كانت تبدل كلا منهما من الآخر إذا دعا لذلك مبرر صوتى ، فلقد نجد أن ابن مسعود كان يقرأ قوله تعالى : « فشرد بهم من خلفهم »[4] بالذال فى موضع الدال أى « فشرذ بهم »[5] ، وكذلك هى موجودة فى مصحفه[6] ، ومثل ذلك قوله تعالى : « فهل من مدكر »[7] إذ نجد قراءة ابن مسعود أيضاً « فهـــل من مذكر » بالذال لا بالدال فى جميع آيات السورة[8] .

---

(١) الارتشاف ص ٨ .

(٢) المرجع السابق والصفحة السابقة .

(٣) البحر المحيط ٤ / ٥٠٩ . القاموس « خردل » .

(٤) سورة الأنفال ٦٨ الآية ٥٧ .

(٥) مختصر شواذ القراءات ص ٥٠ . البحر المحيط ٤ / ٥٠٩ .

(٦) البحر المحيط ٤/٥٠٩ .

(٧) سورة القمر ٥٥ الآية ١٥ وغيرها .

(٨) مختصر شواذ القراءات ص ١٤٧ .

ولا نكاد نجد مبرراً صوتياً لهذا أكثر من تقارب مخرج الحرفين ، واحتمال سبق أحدهما إلى لسان بعض القبائل التى قد تحول بداوتها دون التزام الدقة أحياناً فى نطق بعض الحروف المتقاربة كهذيل . أما التناسق الصوتى ، أو التأثر بالأصوات المتجاورة ، وغير هذا من القوانين الصوتية ، فلا نجد له اثراً واضحاً فى ذلك .

وإذا كنا قد وجدنا فى قراءة ابن مسعود أنه نطق الدال ذالا فيما سبق فقد نلمس عكس هذه الظاهرة فى بعض الآيات الأخرى إذ نجد الذال عنده دالا فى قوله تعالى : « إلاًّ ولا ذمة »[1] فهو يقرؤها : « إلا ولا دمة »[2] ، وكذلك قوله تعالى : « وإنا لجميع حاذرون »[3] نجده فى قراءته « حادرون »[4] بالدال دون الذال . وقوله جل شأنه . « أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر »[5] يقرؤه : « يدكر من ادّكر »[6] .

ولعلنا لا نجد لهذه الظاهرة الأخيرة تبريراً معقولا غالبا إلا ما سبق ذكره من قرب مخرج هذين الحرفين ، واشتراكهما فى بعض الصفات ، وإذا كان هناك خلاف بينهما يتمثل فى أن الدال شديدة ، والذال رخوة ، فلا أثر لذلك فى المثالين الأولين من ناحية القوانين الصوتية ، والتأثر بالأصوات المتجاورة ؛ لأن الميم والراء — وهما الحرفان التاليان فى هذين المثالين — كلاهما حرف متوسط بين الشدة والرخاوة ، ويستوى فى تحقيق الانسجام الصوتى أن يكون قبلها دال شديدة ، أو ذال رخوة ، فلا غلبة لإحداهما على الأخرى فى هذا المجال . أما فى المثال الثالث « يدكر من ادكر » فإن شدة الكاف ناسبتها شدة الدال إلى جانب أن التاء السابقة عليها هى الأخرى شديدة ؛ ولأن مخرجها واحد فقد قلبت التاء دالا وأدغمت فى الدال .

اللام والنون :

هذان الحرفان متقاربان فى مخرجيهما[7] ، وهما من الأصوات المجهورة ، ونجدهما

---

(١) سورة التوبة ٩ الآية ٨ .

(٢) مختصر شواذ القراءات ص ٥٢ .

(٣) سورة الشعراء ٢٦ الآية ٥٦ .

(٤) تاج العروس « حدر » .

(٥) سورة فاطر ٣٥ الآية ٣٧ .

(٦) مختصر شواذ القراءات ص ١٢٣ .

(٧) الارتشاف ص ٣ ، وانظر الأصوات اللغوية ص ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ .

فى الوقت نفسه من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، ثم هما من الحروف المنخفضة أو المستفلة ، وفوق ذلك فإنها من الحروف التى سماها القدامى من علماء اللغة والقراءات بالحروف الذلقية [1] أى التى تخرج من طرف اللسان ، وقد فسروا الذلق هنا هذا التفسير .

فهذان الحرفان متقاربان فى المخرج ، متحدان فى أغلب الصفات فبينهما علاقة صوتية كبيرة ، وقد اعتبر المحدثون من علماء الأصوات أن وجه الشبه بين هذين الحرفين ، بل بين حروف المجموعة التى ينتميان إليها ، وهى مجموعة الحروف الذلقية إنما هو — إلى جانب قرب مخرجها — يتمثل فى اشتراكها فى نسبة وضوحها الصوتى ، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة فى السمع [2] .

فليس غريباً — وقد اتفق هذان الحرفان هذا الاتفاق — أن نجد بينهما مراوحة فى اللغة أى فى لهجات القبائل العربية ، فالعلوان فى لهجة هو العنوان فى أخرى [3] ، وكذلك القلة والقنة ، والجمع قلل وقنن [4] . وقد روى الأعمش فى حديث عبد الله بن مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة ، فخطأه أبو عمرو ، وذكر أنها بالنون لا باللام [5] ، والحق أنها لهجتان مختلفان ، وردت إحداهما على لسان ابن مسعود ، رواها عنه الأعمش أحد تلاميذ مدرسته ، فلعلها لهجة هذلية أبدلت فيها النون لاماً لتقاربها الشديد ، وللفرار من النطق بالنونين متجاورتين فى كلمة ؛ لأن فى هذا شيئاً من الثقل ، ولعل هذا ديدن هذيل — وبعض القبائل العربية الأخرى — فى سائر الألفاظ التى تبدل فيها النون لاماً كما فى الأمثلة التى مرت بنا . ومع ذلك فإن العلاقة القوية بين هذين الحرفين جعلت الرواة يشتبه عليهم أمرهما ، فيروى بعضهم قراءة ابن مسعود قول الله تعالى : « فوكزه موسى فقضى عليه » [6] : « فلكزه موسى

---

(١) الارتشاف ص ٨ ، ٩ .

(٢) الأصوات اللغوية ص ٥٣ .

(٣) اللسان « عنن » .

(٤) المخصص ١٠ / ٧١ .

(٥) الخصائص ٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ - البقية ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(٦) سورة القصص ٢٨ الآية ١٥ .

فقضى عليه »[1] باللام ، ويرويها بعضهم بالنـــون « فنـكزه »[2] ، ولعل رواية اللام أصح .

الياء والجيم :

الياء والجيم مخرجهما واحد تقريبـاً ، هو وسط اللسان مع تجويف الفم[3] ، وهما متحدان في بعض الصفات ، إذ هما حرفان مجهـوران ، وهما كذلك منخفضان أو مستفلان ، ولكنهما يختلفان في أن الجيم شديدة ، والياء متوسطة بين الشدة والرخاوة ، فهى شبه رخوة إذا قيست بالجيم في شدتها .

ونظراً لما بين هذين الحرفين من تقارب كبير – مع ما ذكرنا من خلاف – نجد بعض العرب يبدلون الجيم ياء ، فيقولون في شجرة « شيرة » ، وفي تصغيرها « شييرة »[4] ، وبعضهم يقلب الياء جيماً ، فيقول في «تميمى»: « تميمج » ، وفي علي : «علج»[5] ، ويبدو أن شدة الجيم جعلتها أنسب للنطق البدوى من الياء ؛ ولذلك نسب الرواة كثيراً من الألفاظ التي تعمد إلى نطق الجيم موضع اليـاء إلى بعض القبائل البدوية ؛ ولهذا فإن الشعر الذي يستشهد به الرواة على وجود هذه الظاهرة نجده منسوباً إلى أهل البادية[6] .

ومن القبائل البدوية التي ينسبون إليها هذه الظاهرة بنو سعد[7] المجاورون لهذيل ، فقد ذكر ابن يعيش في شرح المفصل أن ناسا من بني سعد يبدلون من الياء المشددة جيما في الوقف لأن الياء خفية ، وهى من مخرج الجيم ، فلولا شدة الجيم لـكانت ياء ، ولولا لين الياء لـكانت جيما ، ثم يضرب لذلك أمثلة من الشعر والنثر[8] ، ويحـكى الزَّبيدى عن سيبويه ما يقارب ذلك[9] .

---

(١) البحر المحيط ٧ / ٧٠
(٢) الارتشاف ص ٣ .
(٣) سر صناعة الإعراب ١ / ٥٢ . الأصوات اللغوية ص ٦٥ .
(٤) اللسان « شير » .
(٥) شرح المفصل ٩ / ٧٤ . ابن جني : المنصف ٣ / ٧٨ ، ٧٩ .
(٦) المنصف ٣ / ٧٨ ، ٧٩ .
(٧) المرجع السابق في الموضع نفسه .
(٨) المرجع السابق والصفحة السابقة .
(٩) تاج العروس « شجر » .

وإن فى جوار سعد وهذيل سببا قويا يلفتنا إلى محاولة البحث عن صلة هذيل بهذه الظاهرة التى يبدو أنها كانت لهجة لهذيل هى الأخرى ، ويقوى هذا الاحتمال ما روى عن ابن مسعود من قوله « على كل غنج » يريد « على كل غنى »[1] ، وقوله لما وضعت رجلى على مُذَمر أبى جهل قال « اعل عنج » أى تنح عنى[2] ، كما روى عنه مثل هذا اللفظ فى مناسبات أخرى[3] .

ولهذا نميل إلى القول بأن هذه الظاهرة كانت من الظواهر الصوتية عند هذيل أو بعض هذيل .

الصاد والضاد :

الصاد والضاد متقاربان فى مخرجيهما إذ مخرج الصاد ما بين طرف اللسان ، وطرف الثنايا العليا[4] . ومخرج الضاد قريب من ذلك[5] ، وهما متفقتان فى بعض الصفات ، فكلاهما حرف رخو ، ثم هما من حروف الإطباق ، ومن حروف الاستعلاء ، ولا يختلفان إلا فى أن الصاد مهموسة والضاد مجهورة . وهذا من شأنه أن يساعد على وجود الإبدال بين هذين الحرفين ، ويجعله من خصائص اللهجات العربية المختلفة ، فمن هذه القبائل من يقول « نضنض لسانه » بالضاد أى حركه ، ومنهم من يقول « نصنصه » بالصاد[6] ، وكذلك نجد بعضهم يقول « لأقيمن ضَلَمك » بالضاد ، وغيرهم يقول « صلعك » بالصاد أى عوجك[7] .

ولعل هذيلا كانت تؤثر الضاد المجهورة فيما جاء من الألفاظ على هذا النمط ، ومن ذلك قولهم « قوس مضلوعه » أى فيها عطف واعوجاج . وقد جاء بذلك شعرهم فى مثل قول المتنخل :

---

(١) اللسان « شجر » .

(٢) تاج العروس « غنج » . اللسان « علا » ابن الأثير : النهاية ٣ / ١٢٥ .

(٣) الفائق ٣ / ١٧١ .

(٤) الارتشاف ص ٣ .

(٥) الأصوات اللغوية ص ٤٩ .

(٦) تاج العروس « نض » .

(٧) اللسان « ضلع » .

واسل عن الحب بمضاوعة تابعها البارى ولم يعجل[1]

وما روى من ذلك فى شعرهم بالصاد والضاد ، فنحن أميل فيه إلى أن الضاد هى لهجتهم ، وأن رواية الصاد ربما كانت من صنع علماء اللغة للاستدلال والاستشهاد على أنها لهجة عربية ، ومن ذلك ما رووا من قول أبى ذؤيب :

فراق كقيض السن فالصبر إنه لكل أناس عثرة وجبور[2]

فقد جاءت الرواية فيه « قيض » ، « قيص » بالضاد والصاد ، ولكن لعل الضاد كما قلنا أنسب لهذيل ، وأشبه بلهجتها .

وقد فسر بعض اللغويين هذا اللفظ فى اللهجتين بأن معناه الانشقاق[3] ، وإن كان بعضهم قد فسر القيض بالضاد بأنه الانشقاق طولا ، وبالصاد بأنه الانهيار من أصله[4] ، فهما عند هذا الفريق من اللغويين كلمتان لكل منهما مدلول يخالف مدلول الأخرى بعض المخالفة ، وليستا لهجتين مختلفتين فى كلمة واحدة ، ولكن منهم من يصرح بأن معناهما واحد[5] أى أنهما لغتان مختلفتان لمدلول واحد ، وإذا كان الأمر هكذا ، فإن الضاد المجهورة أنسب لهذيل من الصاد المهموسة .

ثم إننا إذا وقفنا وقفة قصيرة عند قوله تعالى : « فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض »[6] وجدنا أنه عندما قرأها بعض القراء «ينقاص» بالصاد المهموسة لزم ابن مسعود الضاد المجهورة ، فقرأها « ينقاض » ، وفى هذا دليل آخر على ما نحن بصدده .

وإذا كان من لهجة بعض القبائل العربية أن يقولوا « تبصع العرق » فى معنى تبَّخَ

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١١ . اللسان « ضلع » والرواية فيه فوقها بدلا من تابعها .

(٢) ديوان الهذليين ١٣٨/١ ـ اللسان «قيض» ـ تاج العروس « قيض ، قيص » ـ الصحاح «قيص» .

(٣) تاج العروس « قيص » .

(٤) الصحاح « قيص » .

(٥) الصحاح « قيص » .

(٦) سورة الكهف ١٨ الآية ٧٧ .

فمن ذلك ما ذكروا من أن العيقة (وهى الساحة فى البر والبحر) إذا جاءت فى شعر هذيل فهى بالعين ، أما عند بعض الشعراء من غير هذيل فهى بالغين[1] . وقد رويت هكذا بالعين فى قول المتنخل :

أنشأ فى العيقة يرمى له[2]

وفى قول ساعدة بن جؤية :

ساد تجرم فى البضيع ثمانيا   يلوى بعيقات البحار ويجنب[3]

وقوله :

ومشرب تغسر للرجال كأنهم   بعيقاته هدءا سباع خواشف[4]

ونحن إذا نظرنا مليا وجدنا أن العين والغين كلاهما من الحروف المجهورة ، ولكن الغين مع هذا حرف رخو ، والعين حرف متوسط بين الشدة والرخاوة ، فلعله أقرب إلى استعمال هذيل . وإذا كان فى قول اللغويين من مأخذ ، فليس هو فى نسبة نطق هذا اللفظ بالعين إلى هذيل أو شعرائها ، بل إن هذا المأخذ ينصب على تعميمهم حين نسبوا الغين إلى غير هذيل ، وأطلقوا القول هكذا إطلاقا دون تخصيص قبيلة معينة أو قبائل بأعيانها ، ولكن مثل هذا كثير عندهم كما سبق أن أشرنا .

ولعل من سمات هذيل أيضا ما ذكر من أن « مقناة » فى معنى « أرض موافقة لنازليها » إنما هى فى لغة هذيل « مفناة » بالفاء[5] ، وأن طيئا تقول مقناة بالقاف ، وقد روى ذلك عن أبى عمرو[6] .

---

(١) معجم البلدان ٦ / ٢١٨ .
(٢) ديوان الهذليين ٢/٦ .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٧٢ .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ٢٢٤ .
(٥) التمام ص ١٧ . تاج العروس « قنى » . المخصص ١٠ / ١٥٥ . شرح أشعار الهذليين « قراج » ٢ / ٥٩٣ .
(٦) التمام ص ١٧ .

ونحن إذا أردنا أن نختبر هذه الحقيقة فى ضوء القوانين الصوتية ، ووازنا بين هذين الحرفين ألفينا القاف مجهورة شديدة ، والفاء مهموسة رخوة[1] ؛ ولهذا فإن اللغويين والرواة لم يجانبوا الحق حين نسبوا الفاء إلى هذيل ، فهى أقل بداوة ، وأكثر اتصالا بالحضر الحجازى من غــيرها . أما القاف فهى أشبه بطيء ؛ لأن طيئا أكثر توغلا فى البداوة ، وأشد بعداً عن الحضر فى البيئة الحجازية وغيرها .

ومن قبيل ذلك أيضا أن قول الله تعالى : « فوكزه موسى فقضى عليه »[2] نجد فيه قراءة ابن مسعود « فلـكزه »[3] باللام بدلا من الواو ، فلعل هذا أثر من آثار لهجة قومه ، فيكون إبدالا للام من الواو فى بعض ألفاظهم .

وربما كان إيثار اللام هنا راجعا إلى أنه على الرغم من اتحادها مع الواو فى كثير من الصفات كالجهر ، والاستفالة ، والتوسط بين الشدة والرخاوة ... ، فإن نسبة وضوحها الصوتى أقوى من الواو ، حتى لقد عدها المحدثون من علماء الأصوات من أوضح الأصوات الساكنة فى السمع[4] .

ومن العلاقة المشار إليها بين بعض الأصوات الساكنة ، وموقف العرب منها بعامة ، وما أخذت به نفسى أن أعرض له من موقف هذيل بخاصة — ما نقله الرواة من أن ريح الشمال ، أو ريح الجنوب (على خلاف بين الرواة) اسمها (يسع) بضم الياء عند الحجازيين أو بعضهم ، وأما عند غيرهم فهى (نسع) أو (مسع)[5] بكسر النون والميم .

والصلة بين الياء ، وبين النون والميم تتضح فى أنها جميعا تتحد فى أكثر الصفات ، فهى من الحروف المجهورة ؛ وتشترك أيضـا فى أنها من الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، ومن الحروف المنخفضة أو المستفلة فى تعبير القراء . ولكنها تختلف فى أن النون من الحروف التى سماها القدامى بالحروف الذلقية ، والتى لاحظ المحدثون — كما

---

(١) الارتشاف ص ٣ . سر صناعة الإعراب ص ٦٨ ، ٦٩

(٢) سورة القصص ٢٨ الآية ١٥ .

(٣) البحر المحيط ٧ / ١٠٧ .

(٤) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ٥٣ .

(٥) اللسان ، تاج العروس « يسع » . الصحاح « مسع » .

أشرنا – أنها من أوضح الأصوات الساكنة فى السمع[1] ، فليس بدعا أن نجدها تخلف الياء أحياناً كما رأينا فى (يسع ونسع) ؛ ولهذا نرجح أن أصل هــذا اللفظ عند بعض البدو فى الجزيرة العربية ، ومن بينهم هذيل الحجازية البدوية ، هو (نسع) بالنون أولاً ، ثم استبدل بها بعضهم الميم إما عن طريق التقارب بينهما فى الصفات – كما سبق – وإن كان المخرجان مختلفين ، أو غير متقاربين . وإما عن طريق الخطأ أول الأمر ، ثم صار هذا الخطأ بمرور الوقت لهجة من اللهجات .

ولا يضعف هذا الافتراض ما نراه من أمثلة وجود النون والميم فى اللهجات العربية ، فمن ذلك على سبيل المثال (انتقع لونه وامتقع) ، فقد ذكر اللغويون أن النون فيها هى الأصل ، وأن ميم (امتقع) بدل من نونها[2] كما ذكر بعضهم ذلك فى شأن (نسع ومسع)[3] وهذا ما رجحته بعد طول نظر .

وإذا كان الرواة قد نسبوا هذين اللفظين معا (نسع ومسع) إلى اللهجات العربية ، فيما عدا بعض الحجازيين ، فإن هؤلاء الرواة قد نسبوهما معا أيضا إلى هذيل[4] . ولكننا نجد مع هذا أن كلمة « نسع » بالنون هى اللفظ الشائع فى اللهجة الهذلية ، وهو الذى جاءنا كثيرا فى أشعارهم وشواهدهم ، وقد استفاضت به الرواية فى المراجع المختلفة ، ومن شعرهم فى ذلك قول المتنخل الهذلى :

قد حال بين دريسيه مـؤوبة   نسع لها بعضاه الأرض تهزيز[5]

وقول قيس بن خويلد :

ويلمها لقحـــة إما تأويهـم   نســع شــآمية فيها الأعاصير[6]

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٥٣ .

(٢) اللسان « نقع » .

(٣) تاج العروس « نسع » .

(٤) تاج العروس « نسع » .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٦ . الصحاح « مسع » . سمط اللآلى ٢ / ٧٢٤ . ابن سيده : المحكم ١/٣٣١ . المنصف ٢ / ٦٠ .

(٦) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٦٠٧ . تاج العروس ، اللسان « نسع » .

ومع ذلك لا يبعد أن نجد بعض البطون الهذلية قد نطقتها بالميم بدلا من النون كما روى ذلك بعض الرواة[1] ، وإن كان معظم الروايات التي وصلتنا من شعر الهذليين لا يؤيد هذا الاحتمال .

ومن قبيل ذلك أيضا ما أشاروا إليه من العلاقة بين الطاء والتاء ، فقد رووا أن ابن مسعود قال : « لا غلت في الإسلام » يشيرون بذلك إلى الطاء في غلط[2] ، وإلى أن التاء بدل منها في لفظ ابن مسعود ، وأغلب الظن أن الغلت في حديث ابن مسعود مرده إلى الغلث بالثاء ، لا إلى الغلط بالطاء ، والغلث هو الشوائب التي تشوب الشيء فتحط من قيمته كغلث القمح وغيره ، فالتـاء صوت مجهور آثره الهذليون أو بعضهم على الثاء المهموسة ، ولعل هذا إلى الحق أقرب ، وذلك ما نجد له نظيرا في اللهجات الحديثة إذ نجد العامة عندنا يقولون عن غلث الحبوب غلت ، فهي لهجـة مشهورة في بعض البلاد العربية .

وإذا كان هذا هو ما انتهينا إليه بشأن هذا اللفظ ، وما يحمله من معنى في حديث ابن مسعود ، وذلك في ضوء اللهجات الحديثة إلى جانب السمت العام للغة ، وما يلمح من سياق هذا الحديث – فإنا نستطيع بعد هذا أن نلمح صلة ما بين التاء والطاء في شعر الهذليين ، إذ نجدهم ينطقون التاء طاء أحيانا ، وذلك في مثل قول ساعدة بن جؤية :

بأصدق بأسا من خليل ثمينة　　　وأمضى إذا ما أفلط القائم اليد[3]

فأغلب الظن أن الفعل « أفلط » المذكور في البيت هو نفسه « أفلت » ، ولا فرق بينهما معنى ولفظا إلا في قلب التاء طاء .

وعلى الرغم مما درج عليه شراح شعر هذيل من إضفاء معنى خاص على هذه المادة

---

(1) سمط اللآلى ١ / ١٠٧ .

(2) الفائق ٢ / ١٧٩ . تاج العروس « غلت » .

(3) ديوان الهذليين ١ / ٢٤٠ ـــ اللسان « فلط ، ثمن ، خلل » . مقاييس اللغة « ثمن » ١/٣٨٤ .

هو معنى « المفاجأة »[1] وجعله لغة خاصة بهذيل[2] ، فإننا — حتى مع هذا — نلمح ارتباطه القوى بمعنى الإفلات إذ فيه هو الآخر مفاجأة وسرعة .

وينسب ابن فارس وابن منظور نطق التاء طاء فى هذا اللفظ الى تميم ويصفان ذلك بأنه لهجة قبيحة . ونحن لا يهمنا هذا الوصف والتعقيب عليه قدر ما يهمنا أن نقرر أن نسبة هذه اللهجة إلى تميم أمر غير مستبعد ، فهى أشبه بهذه البيئات البدوية كقبائل تميم هذهوجيرانها ، ومن المحتمل أن يكون الهذليون —أو بعضهم — قد علقوهامن جيرانهم هؤلاء ، كما علقوا بعض الألفاظ الأخرى منهم ، ومن غيرهم من المجاورين لهم .

وقد أدرك ابن منظور أن لفظ « أفلط » الموجود بالبيت السابق لا يخرج عن معنى الإفلات المعهود حين يقول : « أفلطنى الرجل إفلاطا مثل أفلتنى » كما يقول تعقيبا على البيت نفسه إن الشاعر « أراد أفلت القائم اليد ... »[3] .

ونجد فى حواشى معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن « أفلط مثل أفلت وزنا ومعنى »[4] أى أن المعنى كما نرى هو « الإفـــلات » وذلك يزكى هـــذا الإبدال الذى أشرنا إليه .

وليست هذه الظاهرة غريبة على اللغات السامية ، فالتاء فى بعض الأفعال العربية مثل « قتل » نجدها فى هذا الفعل باللغةالعبرية طاء اذ أنهذا الفعلهو وجميع تصريفاته يحمل هذه الطاء ، وكذلك مصدره .

* * *

(١) ديوان الهذليين ١ / ٢٤٠ — ٢ / ١٢ ، ٢٦ . اللسان ، القاموس ، تاج العروس « فلط » .
(٢) اللسان « فلط » .
(٣) اللسان « فلط » .
(٤) مقاييس اللغة « ثمن » .

القلب

القلب – فى رأيى – نوع من الإبدال ، ولكنه ليس بإبدال حرف بحرف آخر يحل محله ، بل هو إبدال مكانى ، يحل فيه كل من الحرفين مكان الآخر ، وهذا النوع من الإبدال المكانى أو القلب هو مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات فى الجزيرة العربية ، وقد صورته كتب النحو واللغة غير منسوب غالبا إلى قبائل بأعيانها ، كقولهم : « طمس وطسم »[1] « المدقس لغة فى الدمقس »[2] ، « بضت لثته وضبت »[3] ، « هرجع لغة فى هجرع »[4] « بكل السويق ولبكه »[5] ، وكذلك « البكيلة واللبيكة »[6] . . .

وقد عقد ابن سيده فى كتابه المخصص فصلا خاصا فى ذلك بعنوان « المقلوب » جمع فيه تحت هذا الاسم كثيرا من هذه الألفاظ ، دون أن ينسبها – غالبا – إلى قبائل معينة عرفت بها[7] .

ولكنا نجد هؤلاء اللغويين ينسبون ذلك أحيانا إلى لهجات معينة : « الجبذ لغة تميم فى جذب الشىء أى مده »[8] و « صقع الإنسان بمعنى صعق »[9] وكذلك « صاعقة وصاقعة »[10] و « هى الصواعق والصواقع »[11] . فهم ينسبون هذه الألفاظ :

---

(١) القالى : الأمالى ١ / ٧٥ .

(٢) اللسان « مدقس » .

(٣) الضبى : المفضليات ص ٧٨٤ .

(٤) اللسان « هجرع » .

(٥) المرجع السابق (بكل . لبك) .

(٦) اللسان « لبك » .

(٧) المخصص جـ ١٤ ص ٢٧ وما بعدها .

(٨) التهذيب ، تاج العروس « جبذ » .

(٩) ابن القوطية : الأفعال ص ٢٤٣ .

(١٠) اللسان (صقع) .

(١١) المفضليات ص ٧٨٤ .

« جبذ » ، « صقع ، صاقعة ، صواقع » إلى تميم . ومن ذلك أيضاً « عميق ، معيق » إذ ينقل ابن منظور فيها قول الفراء : « لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم يقولون معيق » [1] .

وإذا أردنا أن نلتمس صدى هذا في اللهجة الهذلية ، وفي شعر الهذليين ، فلعلنا لا نجد من ذلك شيئا ذا بال ؛ لأنه ليس من المتوقع أن يصور شعرهم هذا الأمر تصويرا واضحا حتى حال وجود هذه الظاهرة عند هذيل ؛ فإن هذا الشعر قد انحدر إلينا بعد أن مر على ألسنة رواته ، وأقلام جامعيه في ظل الفصحى ، ثم يحتمل إلى جانب هذا أنه قد ردت الكثير منه إلى هذه الفصحى أقلام المحدثين ممن حققوا دواوين شعر هذيل ، وأولئك وهؤلاء لا يألفون مثل هذا القلب الذي أصبح نابيا على الأسماع بعد هذا الإلف الطويل لنطق ألفاظ اللغة على ترتيب حروفها المألوف .

وليس معنى هذا أن الشعر الهذلي يخلو من هذه الظاهرة خلوا تاما ، فإننا نجد شيئا من ذلك في قول أبي خراش :

يبادر جنح الليـل فهو مهابذ يحث الجناح بالتبسط والقبض[2]

فمهابذ هذه من « هبذ » مقلوب « هذب » ، « هابذ » مقلوب « هاذب » ، وكلاهما معناه الجد والإسراع [3] .

وتعقيب شارح ديوان الهذليين على هذا البيت أن ذلك اللفظ أصله من يهذب ولكنه قلبه[4] وكم كنا نود أن يحدثنا لماذا قلبه ؟ لأنه لهجة قومه أو بعض قومه ؟ أم أنه فعل هذا تلاعباً بالألفاظ دون قصد أو غرض ! .

الحق أنهم كثيراً ما يطلقـون أحكاما فردية كهذه دون أن يحاولوا إدخال هذه

---

(١) اللسان « عمق » .

(٢) ديوان الهذليين (والرواية فيه « قرب الليل ») . اللسان « هبذ » . المخصص ١٤ / ٢٨ .

(٣) القاموس المحيط « هبذ ، هذب » .

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٩ .

الظاهرة أو غيرها فى الإطار العام الذى ينتظمها ، ولو قد أخذوا أنفسهم بالسير فى هذا الاتجاه لجاءت أحكامهم أكثر دقة وتسديدا .

هذا وقد أطلقت اللفظة على المرأة العجوز الفانية « شهربة ، وشهبرة »[1] ، ولكن اللفظ الأخير هو الذى تطالعنا به رواية ديوان الهذليين لبيت ساعدة بن جؤيّة :

لهـا خفـان قد ثلبـا ورأس كرأس الضّـود شهبرة نؤول[2]

وقد أنشد أبو سعيد السكرى شاهداً آخر يسانده هو قول الراجز :

رب عجـوز من أناس شهـبرة[3]

وينسب اللغويون هذا الرجز لشاعر آخر من بنى ضبة[4] . وذلك اللفظ طبعا هو مقلوب لفظ « شهربة » الذى رواه النحويون[5] فى بيت من الرجز ساقوه شاهداً من شواهدهم منسوباً إلى رؤبة بن العجاج :

أم الحليـس لعجـوز شهربة ترضى من اللحم بعظم الرقبة[6]

* * *

وإلى جانب هذا نجد لهذه الظاهرة أثرا فى قراءة ابن‌مسعود ، تلك القراءة التى درج هذا البحث على اعتبارها مفتاحاً هاماً يساعدنا على فتح ما غلق من أبواب هذه اللهجة الهذلية ، فتحدثنا المراجع أن ابن‌مسعود قرأ قول الله تعالى: « من كل فج عميق » :[7]

---

(١) القاموس « شهرب ، شهبر » .
(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢١٥ .
(٣) المرجع السابق ١ / ٢١٦ — اللسان « شهبر » .
(٤) المرجع السابق والمادة السابقة .
(٥) شرح شواهد ابن عقيل ص ٧٦ .
(٦) المرجع السابق فى الموضع نفسه . شرح ابن عقيل للألفية ١ / ١٣٤ . حاشية الصبان على شرح الأشمونى ١ / ١٩٨ .
(٧) سورة الحج ٢٢ الآية ٢٧ .

« من كل فج معيق »[1] بهذه اللهجة التى سبقت نسبتها عند اللغويين إلى تميم ، والتى نجد أثارة منها فى الشعر الهذلى .

والحسن البصرى الذى قال عن نفسه — كما روى عنه بعض الرواة — إنه قضى شطرا من عمره فى هذيل[2] قرأ قوله تعـالى : « من الصواعق »[3] : « من الصواقع »[4] ، « الصاعقة »[5] « الصاقعة »[6] .

ونعود ثانية إلى قراءة ابن مسعود ، فقد قرأ قوله تعـالى : « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر »[7] : « حرج »[8] بتقديم الراء قبل الجيم هكذا على القلب .



فلعل فى مثل هذه الإشارات ما يفيد وجود آثار هذا القلب فى بعض ألفاظ اللهجة الهذلية ، ولعل بعض الروايات التى تفيد القلب فى بعض الألفاظ مثل « بطيخ وطبيخ » وتنسب ذلك لأهل الحجاز[9] إنما تعنى نسبتها إلى بعض الحجازيين المجاورين للقبائل الشرقية كهذيل ؛ ولذلك فإن الرواية التى تنسب ذلك إلى أهل المدينة خاصة هى عندى أضعف الروايات[10] .



---

(١) الكشاف ٢ / ٦٠ . البحر المحيط ٦ / ٣٦٤ .
(٢) تاج العروس « وضأ » .
(٣) سورة البقرة ٢ الآية ١٩ ، سورة الرعد ١٣ الآية ١٣ .
(٤) مختصر شواذ القراءات ص ١٤٤ — القراءات الشاذة ص ٢٤ ، ٢٥ .
(٥) سورة البقرة ٢ الآية ٥٥ .
(٦) مختصر شواذ القراءات ص ١٤٤ .
(٧) سورة الأنعام ٦ الآية ١٣٨ .
(٨) الكشاف ١ / ٣١٤ .
(٩) المزهر ٢ / ٩٧ .
(١٠) أساس البلاغة (طبخ) .

الفصل الرابع

التخلص من بعض أعباء النطق

الفصل الرابع

التخلص من بعض أعباء النطق

الإدغـــام والإظهـــار

أكثر ما يطلق الإدغام عند اللغويين فعلى تداخل الحرفين المتماثلين فى المضعف بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً مثل رد ، شد . . .

وأكثر ما يطلق الإظهار (أو الفك) عندهم ، فعلى فك هذا الإدغام أى جعل الحرف المشدد حرفين أولهما متحرك ، والثـانى ساكن مثل اردد ، ولم يردد ، اشدد ، ولم يشدد . . .

والإدغام والإظهار لهجتان معروفتان عند القبائل العربية المشهورة ، وقد نسب الرواة أولهما (وهو الإدغام) إلى القبائل التميمية ، كما نسبوا الثانى (وهو الإظهار) إلى القبائل الحجازية ، فقد قالوا : الإدغام تميمى ، والإظهار حجازى[1] .

ولكن الإدغام مع هذا ليس مقصوراً على تداخل الحرفين المتماثلين فحسب ، وإنما يشمل أيضاً تداخل الحرفين المتقاربين فى مخرجهما كالتاء والطاء فى « يتطـوع »[2] إذ يصير هذا اللفظ بالإدغام « يطّوع » والتاء والذال فى « يتذكر » حين يصير بالإدغام « يذّكر »[3] ، والتـاء والصاد فى « يتصمد » حيث تصير بالإدغام « يصّمد »[4] . فسبب الإدغام إذن هو التجانس والمماثلة بين الحروف ، والتقارب بينها كما نرى .

والإدغام والإظهار بمعناهما الواسع قد عنى بهما علماء القراءات أكثر من عناية اللغويين؛ لأن هؤلاء القراء كان جهدهم منصبـا على تجويد القرآن الـكريم ، وما ورد فيه من

---

(١) المحتسب ص ١٥٣ . الزمخشرى : الفائق ٣ / ١١١ . اللسان « جرر ، غصص » تاج العروس « غصص » . الخزانة ٤ / ١٠٥ . مميزات لغات العرب ص ١٣٦ .
(٢) الكشاف ١ / ٢٤٦ . شرح المفصل ٩ / ١٢٦ . الارتشاف ١٣١ . التصريح ١ / ١٢٨ .
(٣) البحر المحيط ٥ / ١١٧ .
(٤) المرجع السابق فى الموضع نفسه .

قراءات مختلفة لا شك أنها تمثل الكثير من اللهجات العربية . وقد جاء فى هذه القراءات ألفاظ كثيرة تمثل الإدغام ، وأخـــرى على عكسها تمثل الإظهار ، وقد نجد الإدغام والإظهار ماثلين فى اللفظ الواحد تبعا لاختلاف القراءات أو اللهجات .

وإنه ليتضح مما رواه الرواة ، وهو ما تقتضيه طبائع الأشياء ، أن الإدغام — فى عمومه — من سمات القبائل البدوية التى يصعب عليها النطق بالحروف المتجـاورة إذا كانت متقاربة أو متماثلة ، فنجد اختلاطا وتداخلا عندهم فى نطقها . وقد أدرك القدامى ذلك فذكروا أن وجه الإدغام هو التخفيف ، وأنه ثقل الالتقاء بين المتجانسين على ألسنتهم فعمدوا بالإدغام إلى ضرب من الخفة[1] ، كما ذكر فى إدغام الحرفين المتقاربين أن سببه تقريب الأصـــوات بعضها من بعض[2] ، وهذا كلام نجد مصداقه عند البدو غالباً ، أما الحضر كالحجـازيين أو بعضهم ، فمن شأنهم نطق الألفاظ فى أناة ، وتمييز الحروف بعضها من بعض تمييزا يتسنى معه وجود الإظهار الذى يتحقق به فصل الحروف بعضها عن بعض ؛ ولهذا فإن من نسب الإظهار إلى قريش[3] هو — عندى — أكثر دقة ممن نسبه إلى الحجازيين جميعا ؛ لأن قريشاً قبيلة حضرية ، أما غيرها من قبائل الحجاز فأغلبهم من البدو ..

والهذليون وهم يعيشون فى بادية الحجـاز يجمعون بعض خصائص البـدو فى وسط الجزيرة ، وبعض خصائص الحضر من الحجازيين وإن كانوا أقرب ميلا إلى الإظهار فى المضعف ، وهذا يتفق وطبيعتهم الحجازية ، وقد ورد ذلك فى كثير من أشعارهم .

ومن أمثلة هذا قول أبى ذؤيب :

فإن أعتذر منها فإنى مكذَّب ... وإن تعتذر يردد عليها اعتذارها[4]

وقول أسامه بن الحارث :

عصانى ولم يردد على بطاعة ... لمـكث ولم تقبض عليه الأشاجع[5]

---

(١) شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .
(٢) المرجع السابق ١٠ / ١٢٤ .
(٣) تاج العروس ٢ / ٩٤ .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ٢٢ .
(٥) المرجع السابق ٢ / ٢٠٠ .

وقول المتنخل :

تنكَلُّ عن متسق ظَلْمه ... في ثغره الإثمد لم يفلل[1]

وقول أبي خراش القردي (الهذلي) :

ما لدبيَّة منذ العام لم أره ... وسط الشُّروب ولم يلمم ولم يطف ؟[2]

وقول أبي جندب بن مرة القردي (أخي أبي خراش) :

ففر زهير خيفة من عقابنا ... فليتك لم تغرر فتصبح نادما[3]

وقول مالك بن الحارث الكاهلي (الهذلي) ، وينسبه صاحب اللسان[4] خطأً لأبي سهم الهذلي :

ومن تقلل حلوبته وينكل ... من الأعداء يغبُقه القَراح[5]

وقول أبي كبير في تأبط شرا :

حملت به في ليلة مزءودة ... كرهاً وعقد نطاقها لم يُحلل[6]

وقد يمكن القول بأن ظروف الوزن هي التي دفعت شعراءهم إلى الإظهار فيما ورد فيه الإظهار من شعرهم ، ولكن استفاضة ذلك عندهم تدفع احتمال وجود الضرورة فيه ، فلم يبق إلا أنهم فعلوا ذلك في حال الاختيار ؛ لأن الإظهار في مثل هذا يلائم البيئة الحجازية ، فلم يخرجوا فيه على أصلهم الحجازي الذي يميل إلى الإظهار .

ومما يؤيد هذا أن قول الله سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام : « اشدد به

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٥ .
(٢) المرجع نفسه ٢ / ١٥٥ .
(٣) المرجع نفسه ٣ / ٨٨ .
(٤) اللسان « غبق » .
(٥) ديوان الهذليين ٣ / ٨٢ .
(٦) البحتري : الحماسة ص ١٩ . ابن هشام : المغنى ص ٦٥ .

أزرى »[1] هو هكذا بالإظهار فى مصحف ابن مسعود[2] موافقا للغة قريش .

هذا وقد قرأ ابن مسعود قوله تعالى : « لا تضار والدة بولدها »[3] « لا تضارر » هكذا بالفك أو الإظهار لا بالإدغام[4] .

وإلى ذلك نجد أن الإدغام فى بعض الحروف المتقاربة فى مخرجها قد روى عن ابن مسعود فى قراءته لبعض حروف القرآن الكريم ، كما روى عنه الإظهار فى بعض حروف أخرى .

ومما ورد عنه الإظهار فيه قوله تعالى : « كأنما يصعد فى السماء »[5] إذ قرأها « يتصعد » بالإظهار[6] ، وفى قوله سبحانه : « ومن تطوع خيراً »[7] حين نجد قراءة بعض القراء « يَّطوَّع » مدغماً فى معنى « يتطوع » نرى قراءة ابن مسعود « يتطوع » بالإظهار[8] ، وكذلك قوله تعالى : « ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون »[9] نجد قراءة ابن مسعود «يتذكرون » بالإظهار[10] . وقوله جل شأنه : « حتى إذا اداركوا فيها »[11] قراءة ابن مسعود « تداركوا »[12] ، وكذلك قوله سبحانه « فادارأتم فيها »[13]

---

(1) سورة طه ٢٠ الآية ٣٠ .

(2) البحر المحيط ٦ / ٢٤٠ — مختصر شواذ القراءات ص ٨٧ .

(3) سورة البقرة ٢ الآية ٢٣٣ .

(4) البحر المحيط ٢ / ٢١٣ — مختصر شواذ القراءات ص ١١ .

(5) سورة الأنعام ٦ الآية ١٢٥ .

(6) مختصر شواذ القراءات ص ٤١ . الكشاف ١ / ٥٢٦ .

(7) سورة البقرة ٢ الآية ١٥٨ .

(8) الكشاف ١ / ٢٤٨ .

(9) سورة التوبة ٩ الآية ١٢٦ .

(10) البحر المحيط ٥ / ١١٧ .

(11) سور الأعراف ٧ الآية ٣٨ .

(12) البحر المحيط ٤ / ١٩٦ .

(13) سورة البقرة ٢ الآية ٧٢ .

قرأها « فتدارأتم »[1] ، « أعدت للكافرين »[2] قرأها « أعتدت »[3] كما روى عنه الإظهار فى قراءته لقول الله سبحانه « فنِعِمَّا هى »[4] ، فقد قرأ « فنعم ما هى » بفك الإدغام خلافاً لقراءة جمهور القراء[5] . ومثل ذلك فى مصحفه « تتصدقوا » بتاءين ، ، وهى عند غيره « تصَّدقوا » بالإدغام ، وتصَدقو بالحذف[6] .

فكل هذا بفك الإدغام عند ابن مسعود .

* * *

ولكن روى عنه الإدغام فى قوله تعالى : « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون »[7] ، فقراءته « ولا يساءلون » بتشديد السين أى بإدغام التاء فى السين[8] . وقد جاء ذلك على لسان أبى ذؤيب فى قوله :

ولكن خبروا قومى بلائى إذ ما اساءلت عنى الشعوب[9]

وقول ساعدة بن جؤية :

فأشرعوا يزنيات محرّبة مثل الكواكب يتاقون بالسمم[10]

ومثله إدغام التاء فى التاء فى قول ساعدة نفسه :

فبينامُ يتّابعون لينتهوا بِقُذُفٍ نياف مستقل صخورها[11] .

(١) مختصر شواذ القراءات ص ٨ .
(٢) سورة البقرة ٢ الآية ٢٤ .
(٣) مختصر شواذ القراءات ص ٤ .
(٤) سورة البقرة ٢ / ٢٧١ .
(٥) مختصر شواذ القراءات ص ١٥ .
(٦) البحر المحيط ٢ / ٣٤١ .
(٧) سورة المؤمنون ٢٣ الآية ١٠١ .
(٨) البحر المحيط ٦ / ٤٢١ .
(٩) ديوان الهذليين ١ / ٩٨ ـــ شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١١١ .
(١٠) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٣ .
(١١) المرجع السابق ٢ / ٢١٥ .

والتاء في الشين في قول أبي خراش :

كأنهمُ يشبشبون بطائر ... خفيف المشاش عظمه غير ذي نحض[1]

وهذا ما نجده عند ابن مسعود في قراءة قوله تعالى : « إن البقر تشابه علينا »[2] ، فقد قرأ « تشابه » بتشديد الشين أي تتشابه ، فأدغم تاء الفعل في الشين التالية لها[3] .

ونجد مثل ذلك أيضا في قوله تعالى : « فلا جناح عليهما أن يُصلحا »[4] فقد قرأه ابن مسعود والأعمش « إن اصالحا » أي « إن تصالحا » بإدغام التاء في الصاد[5] . وقول الله تعالى : « قالوا سِحران تظاهرا »[6] قرأه طلحة بن مصرف والأعمش وعبدالله (أي ابن مسعود) : « قالوا ساحران اظاهرا »[7] ، وقد صوبه ابن خالويه ، وذكر أن أصله تظاهرا ، ثم أدغم فلحقته ألف الوصل (أي همزته) ، وذكر أيضا أنها كذلك في حرف ابن مسعود ، وبه أخذ الأعمش وطلحة ، لأنهما كانا يتبعان قراءته[8] . وكذلك قول الله سبحانه : « ولا تقربوهن حتى يطْهُرن »[9] قرأه حمزة والكسائي يَطَّهَّرن ، وهكذا كانت قراءة عاصم أيضا في رواية أبي بكر بن عياش ، وجميعهم من تلاميذ ابن مسعود . هذا إلى ما سبق توضيحه من أن قراءة أبي بكر بن عياش عن عاصم هي دائما قراءة عاصم عن زر بن حُبيش عن ابن مسعود . قرأ هؤلاء جميعا « يطهرن » بتشديد الطاء والهاء ، وأصله « يتطهرن » .

وكذلك قرأ ابن مسعود قوله تعالى : « ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه »[10] : « ومن

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٩ .
(٢) سورة البقرة ٢ الآية ٧٠ .
(٣) مختصر شواذ القراءات ص ٦ .
(٤) سورة النساء ٤ الآية ١٢٨ .
(٥) البحر المحيط ٣ / ٣٦٣ .
(٦) سورة القصص ٢٨ الآية ٤٨ .
(٧) البحر المحيط ٧ / ١٢٤ ــ مختصر شواذ القراءات ص ١١٣ .
(٨) مختصر شواذ القراءات ص ١١٣ .
(٩) سورة البقرة ٢ الآية ٢٢٢ .
(١٠) سورة فاطر ٣٥ الآية ١٨ .

ازكى فإنما يزكى لنفسه »[1] بالإدغام . وقوله تعالى : « أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر »[2] قرأه « ما يدكر فيه من ادكر »[3] بإدغام التاء مع قلب الذال دالا .

هذا وقد نقل عن الفراء قوله بأن ابن مسعود كان يدغم التاء من قوله تعالى : « والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا »[4] فى الحرف الذى يليها[5] ، وهو الصاد ثم الزاى ثم الذال فى هذه الآيات .

ومن الاستقراء السابق نجد أن ما ورد فيه الإظهار من شعر هذيل ، وقراءة ابن مسعود هو من الكثرة بحال ترجح معها كفته . أما ما ورد فيه الإدغام من هذه الشواهد فهو أقل من سابقه كثرة وانتشارا ، ثم هو مقصور على إدغام التاء فى بعض الحروف التالية لها . وذلك خلافا للإظهار ، فهو ليس مقصوراً على التاء وحدها بل يتعداها إلى غيرها كما يتضح من الرجوع إلى الأبيات الشعرية ، والآيات القرآنية التى سقناها فى هذا الموطن .

ولعل ورود بعض مظاهر الإدغام المشار إليها فى قراءة ابن مسعود ، وبعض تلاميذه ، وفيما ورد فيه ذلك أحيانا من الشعر الهذلى ـ يزكى الاتجاه الذى لمسناه من أن هذيلا ، وإن كانت تجنح إلى الطابع الحجازى ، أى الاتجاه العام لمجموعة غرب الجزيرة العربية ، فإنها ـ مع هذا ـ لم تسلم من التأثر بالاتجاه الشرقى فى وسط الجزيرة ، وبعض الظواهر اللغوية التى كانت سائدة فيه ، ومن بينها إدغام بعض الحروف إدغاماً يظهر واضحا عند هذه القبائل أكثر منه عند هذيل .

---

(١) البحر المحيط ٧ / ٣٠٨ . مختصر شواذ القراءات ص ١٢٣ .

(٢) سورة فاطر ٣٥ الآية ٣٧ .

(٣) مختصر شواذ القراءات ص ١٠٣ .

(٤) سورة الصافات ٣٧ الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

(٥) إبراز المعانى ص ٤ .

الترخيم والحذف

إذا كنا قد رأينا بعض العرب ، ولا سيما البادون منهم قد يلجئون إلى التحلل من أعباء النطق بإدغام بعض الحروف المتماثلة أو المتقاربة بعضها فى بعض ، فإنا قد نرى بعضا آخر منهم يتحلل من هذه الأعباء أحيانا بحذف بعض الحروف حين تأخذ من الكلمات وضعاً معيناً يجعلهم فى نطقها بحاجة إلى شىء من الأناة التى لا تساعدهم عليها بيئتهم ؛ ولهذا نراهم يحذفون بعض هذه الحروف حتى يسهل عليهم نطق هذه الكلمات فى سهولة ويسر ، أو حتى ينطقوها فى سرعة دون لجوء إلى التحفظ والاحتياط الذى يأخذ به الحضريون أنفسهم .

ومن ذلك مثلا قولهم : يا أبا الحكا يريدون أبا الحكم ، ولم يسَمَ يريدون لم يسمع . . وهذا ما يسمونه بالقُطعة فى لغة طيء[1] . ونجد لذلك أثرا فى لهجة بعض البلاد العربية الآن ، ومن بينها بعض البلاد المصرية كالمحلة الكبرى وما حولها ، وإبيار ، وكثير من بلدان محافظتى البحيرة وبنى سويف .

ومن هذا الحذف ما يسمونه الترخيم ، وهو حذف آخر المنادى أحيانا مثل : يا حار ، ويا مال ، ويا صاح أى يا حارث ويا مالك ويا صاحى[2] .

وهذا النوع من الحذف نجد منه أثارة فى لغة هذيل ، وهو موجود فى أشعارهم .

ومن ذلك قول مالك بن خالد الخناعى :

يا مى لا يعجز الأيام مجترىء ... فى حومة الموت رزّام وفرّاس

يا مى إن تفقدى قوما ولدتهم ... أو تُخلَسيهم فإن الدهر خلاس[3]

وقوله :

أمال بن عوف إنما الغزو بيننا ... ثلاث ليال غير مغزاة أشهر[4]

---

(١) اللسان « قطع » .

(٢) الثعالبى : فقه اللغة ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(٣) ديوان الهذليين ٣ / ١ وما بعدها . الكتاب ١ / ٣٤٨ . شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ٢٢٦ .

(٤) ديوان الهذليين ٣ / ٧ — البقية ص ١١ .

وقول أبي المثلم الخناعي الهذلي يخاطب عامر بن العجلان :

أعام بن عجلان مقصورة بفيرى من شبع عرّض[1]

وقول أبي ذؤيب القردي الهذلي :

أعاذل إن الرزء مثل ابن مالك زهير وأمثال ابن نضلة واقد
أعاذل أبقى للملامة حظها إذا راح عنى بالجلية عائدى[2]

وقول قيس بن العيزارة الصاهلي :

يا حار إنى يا بن أم عميد[3]

أحار بن قيس إن قومك أصبحوا مقيمين بين السرو حتى الخشارم[4]

وقول عمرو ذي الكلب الهذلي :

وهل لك لو قتلت غزى مالى ؟[5]

وغير هذا كثير في شعر أبي خراش[6] ، وأمية بن أبي عائذ الهذلي[7] وسلمى بن المقعد[8] ، وأبي العيال[9] ، وأبي المورق[10] ، وإياس بن سهم[11] ، والأبح بن مرة[12] ،

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٣٠٦ .
(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٢٠ وما بعدها — شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٩٠ .
(٣) ديوان الهذليين ٣ / ٧٢ — شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٢٩٧ .
(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ – ٦٠١ .
(٥) ديوان الهذليين ٣ / ١١٤ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١٣٣ .
(٦) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٠ ، ١٣٦ .
(٧) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٢٩٣ .
(٨) المرجع السابق ٢ / ٧٩١ .
(٩) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٦ .
(١٠) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٧٧٨ .
(١١) المرجع السابق ٢ / ٥٤٢ .
(١٢) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٣٩٢ ، « تحقيق فراج » ٢ / ٦٦٧ .

وأبي كبير[1] وغيرهم من شعراء هذيل .

ولا يمكن القول بأن حاجتهم إلى استقامة الوزن الشعرى هى التى حملتهم على هذا الحذف أو الترخيم ، فإن كثرته بهذه الصورة المستفيضة فى شعرهم تمنع هذا الاحتمال .

ثم إننا – إلى جانب ما ذكر فيه من شعر كثير – نجده أيضا فى قراءة ابن مسعود قول الله تعالى : « ونادوا يا مالك »[2] إذ قرأها « يا مال »[3] . ويروى الرواة أن ابن عباس لم يُسغ هذه القراءة تأسيساً على أن أهل النار سيكونون فى شغل شاغل عن هذا الترخيم[4] . وأغلب الظن أن هذا القول مدسوس عليه ، ولو صحت نسبته إليه لما كان الحق فى جانبه ؛ لأن هذه لهجة عربية ، وقراءة من القراءات يقرؤها ابن مسعود ، وهى لهجة قومه ، فلا شأن لها بأهل النار ، وما سيكونون فيه ، وإذا كان قد نسب إلى ابن عباس عدم استحسان الترخيم فى هذا الموطن ، فقد حسنه غيره كابن جنى ، وذكر أن علة ذلك هى ضعف أهل النار عن إتمام الاسم[5] ، وهذا التعليل هو الآخر تعليل متكلف كسابقة المنسوب خطأ أو عمدا إلى ابن عباس كما سبقت الإشارة . ويعلق الطيبى على كلام ابن جنى بأن هذا اعتذار منه لقراءة ابن مسعود حيث ردها ابن عباس بقوله : « ما أشغل أهل النار عن الترخيم »[6] .

والحق أنه لا وجه لهذا الجدال ، ولا لذلك الاعتراض ، ولا هذا الاعتذار ؛ فإنما هى لهجة كما ذكرنا ، وكما نرى فى كثير من المراجع عندما تعرض لهذه الآية الكريمة .

ويمكن أن نعد من أنواع الحذف للتخفيف حذف أحد المثلين أحيانا تخلصا من تضعيف الحرف ، وذلك فى مثل « رُبَّ » فقد وردت فى شعر الهذليين كثيرا « رُبَ »

---

(١) ديوان الهذليين ٢ – ٨٥ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ . ابن السيد البطليوسى : الاقتضاب ص ٦٢ . الخصائص ٢ ٤٤٠ . سمط اللآلى ٢ / ٧٢٢ .

(٢) سورة الزخرف ٤٣ الآية ٧٧ .

(٣) مختصر شواذ القراءات ص ١٣٦ .

(٤) المرجع السابق والصفحة السابقة .

(٥) ابن جنى : المنصف ٢ / ١٨٦ .

(٦) المرجع السابق والصفحة السابقة .

بالتخفيف ، ومن ذلك قول أبي كبير الهذلي :

رب هيضل لجب لففت بهيضل[1]

وقول أبي قلابة الهذلي اللحياني :

رب هامة تبكي عليك كريمة[2]

وليس لنا أن نتجه إلى الضرورة فننسب إليها صنيع شعراء هذيل بشأن هذا اللفظ ، وتخفيف ما فيه من تضعيف ، فإن علماء اللغة والنحو الذين يفزعون أحيانا إلى الشذوذ ، وإلى الضرورة يحلون بها كثيرا مما يعترضهم من خلاف لغوى نطق به الشعر . هؤلاء هم أنفسهم لم يقولوا بوجود الضرورة فى هذه الأبيات وأمثالها ، وإنما ساقوها مستدلين بها على وجود « رب » مخففة فى لغة العرب . وكثيراً ما نراهم يقولون إن فى « رب » ثمان لغات ، هذه إحداها .

هذا وقد قرىء القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ربما يود الذين كفروا »[3] بالتخفيف فى « رب » ، وهذه هى القراءة التى قرأ بها حفص ، وعاصم ، وزر بن حبيش[4] ، والأخير هو أستاذ عاصم وطريقه إلى ابن مسعود كما سبق أن أشرنا ، وهذا يدل على أنها قراءته . وذلك كله يؤكد وجود الحذف للتخفيف لا للضرورة فى هذا اللفظ فى اللهجة الهذلية .

ومن هذا الباب حذف أحد المثلين فى بعض الأفعال للتخفيف مثل اتقى واتخذ ، فكثيراً ما نراهما عند هذيل تَقِىَ وتَخِذ ، فإنه إن تكن الأولى قد وردت قليلا فى شعر الهذليين بالتضعيف[5] ، فلقد وردت كثيراً فى هذا الشعر بالتخفيف ، ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية :

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٩٠ — اللسان « هضل » . البطليوسى : الاقتضاب ص ٦٢ .

(٢) البقية ص ١٦ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٧٢٠ .

(٣) سورة الحجر ١٥ الآية ٢ .

(٤) تاج العروس « رب » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٢١٣ . أساس البلاغة ص ١٧٦ .

يتّقي به نفيان كل عشيةٍ فالماء فوق متونه يتصبب[1]

إذ ورد أن قوله يتقي يريد به يتّقِي ، وهي لهجة لهذيل[2] .

ونجد البيت نفسه لساعدة فى نوادر أبى زيد مع خلاف طفيف لا يمس موطن الشاهد فيه :

يتقي به نفيان كل عشية فالماء فوق سراته يتصبب[3]

ومن ذلك أيضا قول ساعدة نفسه :

ولو أن الذى يُتْقَى عليه بضحيان أشم به الوعول[4]

وقوله :

بذخاه كلهم إذا ما نوكروا يُتْقَى كما يتقى الطلى الأجرب[5]

ومن العوادى أن تَقَتك ببغضة وتقاذف منها وأنك ترقب[6]

وأغلب الظن أن هذا التخفيف ليس من قبيل ما ألجأت إليه الضرورة الشعرية ؛ فإنه يوجد حال الاختيار فى النثر أيضاً ، فقد نسب سيبويه إلى بعض العرب – ولعل منهم هذيلا – أنهم يقولون : « تَقِى الله رجل فعل خيرا »[7] يريدون : اتقى الله رجل . . فيحذفون ويخففون .

ومثل هذا نجده فى « تجه » بمعنى « اتجه » حيث يقول صخر الغى :

تجهنا غادين فساءلتنى بواحدها وأسأل عن تليدى[8]

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق والصفحة السابقة .

(٣) نوادر أبى زيد ص ٤ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٢١٨ .

(٥) المرجع السابق ١ / ١٨٤ – تاج العروس « مدخ » .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ١٦٨ .

(٧) الكتاب ٢ / ٤٣٩ . اللسان « رق » .

(٨) ديوان الهذليين ٢ / ٦٧ .

وما يقال فى تقى وتجه يقال مثله فى تخذ ، فقد نص بعض علماء العربية ، ومن بينهم أبو عمرو بن العلاء على أنها لهجة هذيل(١) ، وقد نطق بها شعرهم ، ومن ذلك قول أبى جندب الهذلى فى بنى لحيان :

تخذت غـران إثرهُمْ دليـــلا   وفروا فى الحجـاز ليعجزونى(٢)

ثم إن قول الله تعالى : « لو شئت لاتخذت عليه أجرا »(٣) قرأه بعض القراء السبعة « لتخذت » بالتخفيف ، ويقـــول أبو عبيدة : « هى مكتوبة هكذا وهى لغة هذيل »(٤) .

ونحن إذا ما نظرنا فى المصحف ألفيناها هكذا دون ألف (أى دون همزة الوصل) ؛ ليتسع رسمها لتلك القراءة . وقد قرأها كذلك عبد الله بن مسعود وآخرون بالحذف والتخفيف ، وهذا يؤيد الاتجاه إلى أنها لهجة هذلية .

* * *

ومن وجوه حذف أحد المثلين للتخفيف حذف التاء من أول المضارع إذا سبقته تاء المضارعة مثل « تشكى أى تتشكى » فى قول جنوب أخت عمرو ذى الـكلب الهذلى :

وخرق تجـاوزت مجهـــوله   بوجناء حرف تشـكى الـكلالا(٥)

و « توقى أى تتوقى » فى قول أبى ذؤيب :

توقى بأطراف القران وعينها   كعين الحبارى أخطأتها الأجادل(٦)

---

(١) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٨٦ ، « تحقيق فراج » ١ / ٣٥٤ .
(٢) ديوان الهذليين ٣ / ٩٥ ، شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٨٦ .
(٣) سورة الـكهف ١٨ الآية ٧٧ .
(٤) إبراز المعانى ص ٣٨٦ .
(٥) معاهد التنصيص ٢ / ٢٠٧ . ديوان الهذليين ٣ / ١٢٣ .
(٦) ديوان الهذليين ١ / ٨٢ .

و « تسكلف أي تتسكلف » في قول ساعدة بن جؤية :

ولقد نهيتك أن تسكلف نائيا　　من دونه فوت عليك ومطلب(١)

كما نجد « تخيرْ أي تتخير » في شعر أبي ذؤيب(٢) ، وفي شعر أبي خراش(٣) ، وفي شعر إياس بن سهم(٤) .

و « توجس أي تتوجس في شعر عمرو بن الداخل السهمي »(٥) .

و « تبغى أي تتبغى » في شعر ساعدة بن جؤية(٦) .

و « تزلزل أي تتزلزل » في شعر أبي ذؤيب(٧) .

و « تلقى أي تتلقى » في شعر أبي خراش(٨) .

و « تحدث أي تتحدث » في شعر أمية بن أبي عائذ(٩) .

و « تهاوى أي تتهاوى »(١٠) ، و « تطاول أي تتطاول »(١١) في شعره كذلك .

و « تساق أي تتساق » في شعر أبي صخر(١٢) .

و « تزاور أي تتزاور » في شعر عبد الله بن أبي ثعلب(١٣) .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٧٢ .

(٢) مقاييس اللغة ١ / ٨٤ . ديوان الهذليين ١ / ١٤٦ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٤٨ .

(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٥٢٨ .

(٥) ديوان الهذليين ٣ / ٩٩ .

(٦) الكتاب ٢ / ٣٥ . ديوان الهذليين ١ / ٢٣٧ .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ١٢٢ .

(٨) المرجع السابق ٢ / ١٦٧ .

(٩) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٥٣٩ .

(١٠) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٩ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٥٠٨ .

(١١) المرجع السابق « فراج » ٢ / ٤٩ .

(١٢) المرجع السابق ٢ / ٩٤١ .

(١٣) التمام ص ١٥٨ .

و « توارث أى تتوارث » فى شعر بدر بن عامر(١) .

و « تساقط أى تتساقط فى شعر عبد الله بن مسلم بن جندب(٢) » .

وهناك أمثلة لا حصر لها لمن ذكرنا ، ومن لم نذكر من الشعراء .

ومن ذلك أيضا ما ذكر من أن لفظ « تتوفاهم » فى الآية الكريمة : « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . . . » (٣) هو فى مصحف ابن مسعود « توفاهم » بتاء واحدة (٤) .

وهذا يؤيد الاتجاه إلى الحذف المشار إليه .

* * *

وإذا كان العرب أو بعض قبائلهم قد ألفوا التخفيف بالحذف فى بعض أسماء القبائل المركبة من كلمتين مثل بنى القين ، وبنى الحارث ، وبنى الجهم حين حذفوا جزءاً من صدرها فصارت : بلقين ، وبلحارث ، وبلجهم(٥) — فإن لهذيل ما يشبه ذلك من التخفيف فى ألفاظ قد تنفرد ببعضها ، وقد يشاركها فيها غيرها ، ولكنا نجدها كثيرا فى شعر الهذليين ، ومن أمثلة ما نجده عندهم من ذلك « م الآن » فى موضع «من الآن» ، فيحذفون شطر حرف الجر ، وينحتون من الكلمتين كلمة واحدة .

ومن ذلك قول أبى صخر الهذلى :

كأنهما م الآن لم يتغيرا وقد مر للدارين من بعدنا عصر(٦)

وإلى جانب ما ذكر فيه هذا البيت من مراجع نجده عند ياقوت أيضا مع تغيير

---

(١) ديوان الهذليين ٢ ٢٦٦ .

(٢) البقية ص ٧٣ .

(٣) سورة النحل ١٦ الآية ٢٨ .

(٤) البحر المحيط ٥ / ٤٨٦ .

(٥) إبراز المعانى ص ٣٨٧ .

(٦) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٩٥٦ . المنصف ٢ / ٢٢٩ . البقية ص ٩٣ . الأمالى ١ / ١٤٦ . الخصائص ١ / ٣١٠ . الحصرى : زهر الآداب ٣ / ٧٦٢ .

طفيف فى روايته لا يؤثر على جوهر الشاهد فيه [1] وكذلك الشأن عند البغدادى فى خزانته (٢) .

ويذكر صاحب المنصف أن علة حذف النون فى مثل ذلك إنما هى التقاء الساكنين(٣)، وهذا التعليل لا يخرج بنا عن إطار الحذف للتخفيف .

ومن هذا النوع من الحذف أيضاً قول مليح بن الحكم الهذلى :

فلما دنت م الأرض عولى فوقها مراكب من ميس وبيض مدبج

وقول قيس بن العيزارة :

تقول ألا أعويتنا إذ أسرتنا فيالك مرءا م الأمور الأشائم(٤)

وهذا النوع من الحذف ينسب أحياناً إلى بعض قبائل اليمن مثل خثعم وزُبَيد(٥) . والحق أنه مما تتسم به البيئة البدوية بوجه عام ، ولكن يبدو أننا كلما توغلنا فى البادية وجدنا هذه الظاهرة أكثر وضوحاً منها فى هذيل .

وهذا النمط من الحذف نجد له نظيرا فى بعض لهجاتنا العربية الحديثة ، ولا سيا عند غير المثقفين فى بلادنا .

وإذا كانت النون قد حذفت هنا — بدلا من فتحها — لالتقاء الساكنين تخفيفاً ، فقد تحذف لسبب نفسه ، أى بغية التخفيف ، ولكن دون التقاء ساكنين كما فى الحالة السابقة ، وأكثر ما يكون ذلك فى نون الفعل المضارع من « كان » مجزوما ، ومن أمثلة ما جاء فى شعرهم من ذلك قول أبى ذؤيب :

وإن أك نائيا عنه فإنى فرحت بأنه غبن البياع(٦)

(١) معجم البلدان ٢ / ٣٤٢ .
(٢) الخزانة ٣/ ٢٣٤ .
(٣) ابن جنى : المنصف ٢ / ٢٢٩ .
(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٦٠١ .
(٥) ميوات لغات العرب ص ٣٢ .
(٦) شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٣٠ . ديوان أبى ذؤيب ص ٢٠٨ .

وقـــوله :

عصانى الفـــؤاد فأسلمته　　　ولم أك مما عنــاه ضريحا(١)

وقول أبى خراش :

ولم يك مثلوج الفؤاد مُهَيجا(٢)

وقول صخر الغى .

فإن تك قد سمعت دعاء داع . . . (٣)

ومن يك عقــله ما قال صخر . . .

وقول ساعدة بن جؤية :

فإن يك عتَّاب أصاب بسهمه　　　حشــاه فعنّاه الجوى والمحارف

فإن تك قسراً عقبت من جنيدب　　　فقد علموا فى الغزو كيف نحارف(٤)

وقول أبى الخنّان الهذلى :

فإن تك جُمْلٌ قد بانت نواها . . . (٥)

وقول عمرو بن معمر الهذلى يرثى عبد الله ومصعبا الزبيريين :

فإن يك عبد الله أودى بمصعب　　　وأصبح عبد الله شلوا ملحبا(٦)

وحين نطيل النظر فى شعر الهذليين نجد عندهم من ذلك الشىء الكثير(٧) .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ١٥٨ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٤ .

(٤) المرجع السابق ١ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٥) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٨٩٨ .

(٦) المؤتلف والمختلف ص ٢٢٦ .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ - ٢ / ٢٤٤ .
شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٥٦ - ٢ / ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

وليس هذا مقصورا عليهم ، بل جاء عنهم وعن غيرهم ، حتى إننا نجد الحذف والإثبات من سمات الفصحى ، وإذا كان الإثبات ماثلا فى الكتاب الكريم ، فإنه قد سجل الحذف أيضا فى قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : « ولم أك بغيا » (١) . وفى قوله سبحانه : « فإن يتوبوا يك خيرا لهم »(٢) ، « ولم يك من المشركين »(٣) « ولم يك شيئا » (٤) « ألم يك نطفة من منى يمنى » (٥) « وإن يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم »(٦) « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا »(٧) .

أما أمثلة إثبات النون هذه فى القرآن الكريم فمنها قوله تعالى : « ولم أكن بدعائك رب شقيا » (٨) ، « فإن لم يكن له ولد » (٩) « إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما »(١٠) إلى غير ذلك من الآيات(١١) .

وقد جاء الإثبات أيضا – وإن كان أقل من الحذف – فى بعض شعر هذيل كقول قيس بن عيزارة من بنى صاهلة :

سرا ثابت بزى ذميا ولم أكن سلت عليه شل منى الأصابع(١٢)

فلم يكن حذف النون من هذا اللفظ هو كل ما عرف عن الهذليين أو غيرهم دون

---

(١) سورة مريم ١٩ الآية ٢٠ .
(٢) سورة التوبة ٩ الآية ٧٤ .
(٣) سورة النحل ١٦ الآية ١٢٠ .
(٤) سورة مريم ١٩ الآية ٦٧ .
(٥) سورة القيامة ٧٥ الآية ٣٧ .
(٦) سورة غافر ٤٠ الآية ٢٨ .
(٧) سورة غافر الآية ٨٥ .
(٨) سورة مريم الآية ٤ .
(٩) سورة النساء ٤ الآية ١١ .
(١٠) سورة النساء ٤ الآية ١٣٥ .
(١١) سورة البقرة ٢ الآية ١٩٦ – سورة النساء ٤ الآيات ١٢ ، ٣٨ ، ٨٥ ، ١٣٧ ، ١٦٨ ، ١٧٦ . سورة الأنعام ٦ الآيتان ١٣١ ، ١٣٩ . سورة الأعراف ٧ الآيتان ٢ ، ١١ .
(١٢) ديوان الهذليين ٣ – ٧٧ .

وجود الأصل الذي هو إثباتها ، فالمقصود إذن هو تسجيل هذه الظاهرة ؛ لأن وجودها فى أى حال يعد من ظواهر الحذف الذى نحن بصدده ، ولا سيما بعد أن رأينا كثرتها فى شعر هذيل بصورة تلفت النظر .

★ ★ ★

وإذا كان نطق الكلمتين كلمة واحدة يتم عن طريق حذف آخر أولاهما مثل « م الآن ، م الأرض » ، فقد يتم ذلك أيضا بحذف أول ثانيتهما ، وذلك مثل « ويلمه ، ويلمها » .

وقد جاء ذلك كثيرا فى شعر هذيل ، ومنه قول المتنخل يرثى ولده أثيلة :

ويلمه رجلا تأتى به غبَنَـا ... إذا تجـرد لا خال ولا بخل[1]

وقول قيس بن خويلد :

ويلمها لِقحة إما تأوبها ... نِسع شآمية فيها الأعاصير[2]

وقول قيس بن عيزارة فى تأبط شرا :

فويلم شملٍ جر شعل على الحصى ★ . . .[3]

وقول أبى ذؤيب :

ويلم قتلى فويق القاع من عُشَر ★ . . .[4]

وقول سلمى بن المقعد :

ويـلم ساعـدة بن زيد عاديا ★ . . .[5]

★ ★ ★

(١) اللسان « أمم » ، الاقتضاب ص ٣٦٣ .
(٢) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٦٠٧ . أساس البلاغة ، اللسان « نسع » .
(٣) ديوان الهذليين ٣ / ٧٨ . اللسان « بزز » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ٤٤ .
(٥) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٧٩٨ .

ومن الحذف الذى يلفت النظر عندهم حذف حروف من كلمات مختلفة أحيانا ، وإدماجها حتى تصير الكلمات التى يقع على أجزائها هذا الحذف كأنها كلمة واحدة مثل: « أمن أجل أنك » إذ يحذفون الجار ، ثم اللام من « أجل » ، والهمزة من « أنك » ويختزلونها اختزالا ، فتصير « أجنك » ، ومثلها « أجنّى » أى « من أجل أنى » ، ومن ذلك قول الهذلى (عمرو بن أبى جرة أخى بنى قريم)[1] .

أجنى كلما ذكرت كليب   أبيت كأننى أكوى بجمر[2]

وقد جاء فى شرح السكرى لأشعار الهذليين أن قوله « أجنى » يريد به من أجل أنى[3] .

وفى حديث ابن مسعود أن امرأته قالت له : « . . . أجنك من أصحاب محمد تقول هذا ؟ تريد « من أجل أنك »(٤) .

★ ★ ★

وهكذا نرى للحذف مجالا فى اللهجة الهذلية ، وربما كان هذا المجال أكثر رحابة وانفساحاً عند غيرهم من المتوغلين فى البداوة من جزيرة العرب .

ولا يزال هذا الطابع ماثلا فى لهجاتنا العامية المنتشرة فى الريف ، ولا سيما عند غير المثقفين ؛ لأن هؤلاء لا يستطيعون التحكم فى جهاز النطق تحكما كاملا يتيح لهم نطق الكلمات كاملة بصورة تتضح فيها جميع حروفها متميزاً بعضها عن بعض .

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٨٠٠ .
(٢) المرجع السابق ٢ / ٨٠١ - اللسان « جنن » .
(٣) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٨٠١ .
(٤) اللسان « أجن - جنن » النهاية ١ / ٢٢ .

الباب الثاني

الجنس والعدد وبعض ظواهر البنية ممثلة في الاشتقاق

الفصل الأول

الجنس «التذكير والتأنيث»

الفصل الاول

الجنس « التذكير والتأنيث »

لا خلاف طبعا بين العرب فى تذكير الأسماء إذا كان المذكر حقيقيا كأعلام المذكرين العقلاء ، كما أنه لا خلاف بينهم فى التأنيث إذا كان المؤنث حقيقيا كأسماء الأعلام للإناث العاقلات ، ولكن يقع الخلاف بينهم إذا كان المؤنث مجازيا غير حقيقى كالطريق والسوق وما يشبهها ، فبعضهم يقصد إلى التأنيث ، وبعضهم يعمد إلى التذكير .

وقد ذكر الرواة واللغويون من أمثلة هذا قولهم : « أهل الحجاز يؤنثون الطريق والصراط والسبيل والسوق والزقاق ، وتميم تذكّر هذا كله »(١) ، وقولهم : « العنق مؤنثة فى الحجاز ، مذكرة عند غيرهم »(٢) ، وقول أبى زيد : « أهل تهامة يؤنثون العضد ، وبنو تميم يذكرون »(٣) .

وعرضوا للجنس المميز واحده بالتاء ، فقالوا بأن أهل الحجاز يؤنثونه ، ويذكره التميميون(٤) ، وتطبيقاً لذلك نجد فى اللسان : « أهل الحجاز يؤنثون النخل ، وأهل نجد يذكرون »(٥) . ونجد فى الأضداد « النخل يؤنثه أهل الحجاز ، ويذكره سائر الناس »(٦) .

وتعميم الرواة فى قولهم الحجاز ، وتميم ، وسائر الناس . . . هو فى الحق تعميم

---

(١) اللسان « زقق » ـ المصباح « زق » .

(٢) المصباح : الخاتمة ص ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ .

(٣) العدوى : فتح الجليل « هامش شرح ابن عقيل للجرجاوى ص ١٦٢ .

(٤) التسهيل ص ٦٤ .

(٥) اللسان « نخل » .

(٦) السجستانى : الأضداد ص ٧٥ .

خاطىء ، ولكن قد نفيد منه - على عمومه - معرفة موقف الحجازيين بعامة من هذه الظاهرة ، وبعد هذا قد ينفعنا في الوقوف على الاتجاه العام لهذيل باعتبارها قبيلة حجازية، فربما كان الغالب عليها من هذه الوجهة أن تذكر أغلب ما ذكره هؤلاء ، وأن تؤنث معظم ما أنثوه ، ولكن قبل أن تتبادر إلى الذهن هذه الفكرة أو غيرها ينبغي للباحث أن يبحث الأمر في أناة ، وأن يضع نصب عينيه - كما نشير دائماً - موقف هذيل ، ومكانها من القبائل الحجازية ولا سيما قريش ، وبين قبائل وسط الجزيرة العربية ، وما كان لهذا الموقع المتوسط ، وهذا الجوار المزدوج من أثر في التذبذب أحياناً بين أولئك وهؤلاء ، وذلك بصورة تتفاوت في عمقها تبعاً لعمق المؤثرات الواقعة عليها ، ومدى تأثيرها فيها ؛ ولهذا نجد أن بعض ما يؤنثه الحجازيون قد تجعله هذيل مذكراً ، وما يذكرونه قد تأتي به مؤنثاً ، فقد روى أن ابن مسعود قرأ قوله تعالى : « قل هذه سبيلي »(١) : « قل هذا سبيلي » على التذكير(٢) مخالفاً بذلك الاتجاه العام الذي رووه عن الحجازيين من تأنيث السبيل والطريق ، وما إليهما مما سبقت إليه الإشارة .

وأغلب الظن أن اتجاهه هذا إنما هو صنيع قبيلة من هذيل ، فليس هناك ما يدفعه إلى ذلك إلا أن يكون لغة قومه ، ومما يزكي ذلك أيضاً ما ذكره اللغويون من أن الطريق يذكر ويؤنث ، وأن الدليل على تذكيره قول صخر الغي الهذلي :

فلما جزمت به قربتي   تيممت أطرقه أو خليفا(٣)

فهذا كجريب وأجربة ، وقفير وأقفرة(٤) ، ولهذا يقول صاحب المصباح إن « جمع الطريق على لغة التذكير أطرقه »(٥) أي أن صيغة أفعلة في جمع التكسير هي جمع فعيل إذا كان مذكراً لا مؤنثاً . واستدلالهم على ذلك بشعر هذلي له معناه في توكيد ما نحن بصدده .

---

(١) سورة يوسف ١٢ الآية ١٠٨ .
(٢) البحر المحيط ٥ / ٣٥٣ .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٧٦ .
(٤) البكري : معجم ما استعجم ص ١٦٧ .
(٥) المصباح « طرق » .

هذا وقد جاء الطريق في شعر أبي ذؤيب مذكراً حين يقول :

فافتنهن من السواء وماؤه بثر وعانده طريق مهيع[1]

وقول مالك بن خالد الخناعي :

ولكن حمى ذاك الطريق المراقب[2]

ولو قد رأى الطريق غير مذكر لقال « تلك » ، ولا تثريب عليه من حيث وزن الشعر وموسيقاه ، إذ الوزن في الحالين لا يتغير .

ولعل صنيع هذيل في ذلك قد تأثر به الشافعي ، فهو الآخر يذكر السبيل حين يعرض له [3] .

وكذلك قرأ ابن مسعود قوله تعالى : « قد بدت البغضاء »[4] « قد بدا البغضاء »[5] .

ويذكر أبو حيان أن علة ذلك هي أن الفاعل مؤنث مجازاً ، أو على معنى البغض . فهو يشير في تعليله الأول إلى الخلاف القائم بين العرب في التذكير والتأنيث حين يكون الفاعل مؤنثاً مجازي التأنيث ، ولكنه في تعليله الثاني – أي في تأويل البغضاء بمعنى البغض حتى يستقيم التذكير – قد بعد بنا عن الجادة التي نسير عليها ، وهي أن ابن مسعود هذلي يصدر في كثير من حروفه أو قراءته عن لهجة قبيلته وأهله .

وقد آثرنا أن نقول في كثير من حروفه لا في حروفه كلها ؛ لأنه قد يتأثر في شيء من ذلك ببعض من خالطهم من العرب ، ولا سيما قريش التي عاش بين ظهرانيها ردحا

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٥ – مقاييس اللغة « بثر » . تاج العروس « سوا » . اللسان « بثر . سوا » معجم البلدان « بثر والسواء » ٥ / ١٥٧ . ابن الأنباري : الأضداد . السجستاني : الأضداد وفيه « عارضه بدلا من عانده » ص ١٤٠ .

(٢) ديوان الهذليين ٣ / ١٠ .

(٣) الرسالة ص ٢١١ .

(٤) سورة آل عمران ٣ الآية ١١٨ .

(٥) الكشاف ١ / ٣٤٥ – البحر المحيط ٣ / ٣٩ .

من الزمن قبل الإسلام وبعده ، ثم إن من قراءته ما قد يكون هدفه التفسير ، والقراءة في هذه الحال لا تصور لهجة من اللهجات . ولكن ما بقى بعد هذا من حروفه وقراءته ، وهو كثير ، يصور شيئاً ذا بال من لهجة قومه هذيل .

ثم إنه بينما كان جمهور القراء يقرأ قول الله تعالى : « كلتا الجنتين » [1] على التأنيث نجد الآية نفسها في مصحف ابن مسعود « كلا الجنتين » بصيغة التذكير [2] .

واللغويون حينما صرحوا بأن السكين يذكر ويؤنث [3] لم يسعفهم في الاستدلال على التذكير إلا شاهد هذلى ورد في شعر أبي ذؤيب من الديوان ، وفي كتب اللغة [4] ، فمن حقنا أن نستأنس به في ذلك .

فيبدو أن هذيلا كانت تتجه أحياناً إلى التذكير ، فلا تؤنث حينذاك إلا إذا كان الاسم مؤنثاً تأنيثاً حقيقياً .

وأكثر من هذا أن بعض الصيغ التي ذكر اللغويون أنه يستوى فيها المذكر والمؤنث في بعض الصفات كان لا يسعفهم في الاستشهاد عليها ، والاستدلال لها مثْلُ الشعر الهذلى كما في قول أبي شهاب المازنى :

صناع بإشفاها حصان بشكرها جواد بقوت البطن والعرق زاخر [5]

ومعنى هذا أن المؤنث حتى إذا كان مؤنثاً حقيقى التأنيث كان يوصف أحياناً بما يوصف به المذكر ، والشعر الهذلى هو الشاهد على ذلك ، وهذا تغليب لجانب الذكورة الذى أشرنا إليه عند هذيل .

---

(١) سورة الكهف ١٨ الآية ٣٣ .

(٢) البحر المحيط ٦ / ١٢٤ .

(٣) المخصص ١٧ / ١٦ .

(٤) ديوان أبي ذؤيب « مخطوط الشنقيطى » ورقة ١٠٢ . ديوان الهذليين ١ / ١٥١ .

(٥) تاج العروس « جيد ، زخر » . اللسان « زخر » . العباب الزاخر « جود » . ابن السكيت : إصلاح المنطق ص ١٤٨ . ابن الأنبارى : الأضداد ص ٢٤٢ .

ومن الاتجاه إلى التذكير عند شعراء هذيل تذكير « العَجُز » فى قول أبى خراش :

بهيا غير أن العجز منها تخال سراته لبناً حليبا [1]

★ ★ ★

هذا وقد يروون نقيض ذلك عن هذيل فى بعض الألفاظ ، فهم يقولون إن هذيلا تؤنث « الإزار »[2] ، ويسوقون لذلك شاهداً من الشعر الهذلى تواردوا على ذكره ، والاستدلال به ، هو قول أبى ذؤيب :

تبرأ من دمّ القتيل وبزه وقد علقت دمّ القتيل إزارها [3]

ولكن يبدو أن اللغويين والنحاة لم يأخذوا ذلك عن هذيل أصالة ، وإنما استنبطوه استنباطاً عن طريق ذلك المثال من الشعر الهذلى ، ثم راحوا بعد هذا يستشهدون به على صحة ما رووه .

ثم إن هذا الشاهد ليس نصاً قاطعاً فى تقرير ما ذهبوا إليه ، إذ أن فاعل الفعل علق ليس من الضرورى أن يكون هو لفظ « إزار » حتى يمكن أن يستدل على تأنيثه من تأنيث فعله ، فقد يصح أن يكون فاعل « علق » هو الضمير العائد على المرأة المشار إليها فى البيت ، وكلمة « إزار » هى أشبه ما تكون بما اصطلحوا على تسميته «بدل اشتمال» . وعلى هذا تكون الصلة معقودة بين « علقت » وبين ضمير المؤنث الغائب « هى » ، ولا صلة بينها وبين كلمة إزار فى نهاية البيت .

وهذا الاحتمال القوى يضعف الاستدلال بالبيت فى تقرير هذه الحقيقة العلمية ، بل إن ابن سيده هدم حجية البيت على هذا الأساس[4] .

---

(١) ابن سيده : المحكم ١ / ١٧٩ .

(٢) مقاييس اللغة « عقم ، علق » . الصناعتين ص ٢٧٨ .

(٣) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٧٧ . ديوان الهذليين ١ / ٢٦ . اللسان ، تاج العروس « أزر » . مقاييس اللغة « علق » . المخصص ١٧ / ١٥٥ . الصناعتين ص ٢٧٨ .

(٤) المخصص ١٧ / ٢٢ .

ثم إننا نجد السكرى فى ثنايا شرحه لهذا البيت ينص على أنه يقال « إزار وإزارة تذكر وتؤنث » [1] .

وذلك يلفت نظرنا إلى أن تأنيث هذا اللفظ عند من يؤنثونه قد يكون بالتاء أى عن طريق التأنيث اللفظى ، فوجوده مؤنثاً بالتاء فى اللغة يزكى احتمال تذكيره فى البيت ، ويضعف احتمال تأنيثه فيه . وهذا مجرد استئناس نلفت النظر إليه بجانب ما سقناه من دليل .

هذا ورواية أبى عمرو الشيبانى : « وبزه » بالرفع [2] أى « وبزه إزارها وقد علقت دمه » . وعلى هذا فالبيت لا شاهد فيه على ما ذهبوا إليه .

فيمكن الخروج من هذا كله بأن هناك اتجاهاً عند هذيل إلى معاملة المؤنث المجازى — على الأقل فى بعض ألفاظه — معاملة المذكر .

★ ★ ★

أما جمع التكسير فمن ألفاظه ما ورد مذكراً ، ومنها ما جاء مؤنثاً عند هذيل ، وإن كان الميل إلى التذكير أوضح .

ومن أمثلة التأنيث عندهم فى ذلك قول جنوب ترثى أخاها عمراً :

تمشى النسور إليه وهى لاهية مشى العذارى عليهن الجلابيب [3]

وقول أسامة الهذلى :

مقلصة قد أهجرتها فحولها [4]

---

(1) الخصص ١٧ / ١٦ .

(2) كتاب الصناعتين ص ٢٧٨ .

(3) شرح أشعار الهذليين « فراج ٢ / ٥٨٠ » — ديوان الهذليين ٣ / ١٢٥ . تاج العروس « جلبب » . مقاييس اللغة « جلب » .

(4) تاج العروس « منع » .

وقول أبي ذؤيب :

.. * ولو كانت فيها لدى البوارق[1]

ومن مظاهر التذكير أو تجريد الفعل من علامة التأنيث مع جمع التكسير

قول أبي خراش :

أبى نسيانه فقرى إليه ومشهده إذا اريد الجلود[2]

وقول أبي ذؤيب :

إذا بنى القباب على عكاظ[3]

وقول ساعدة بن جؤية :

فما برح الأسباب حتى وضعنه[4]

ومن أمثلة التذكير أيضاً قراءة ابن مسعود قوله تعالى : « وإذ قالت الملائكة »[5] : « وإذ قال الملائكة »[6] .

ويمكن أن ترجح قراءة ابن مسعود هذه جانب التذكير على جانب التأنيث في هذا الشأن ، إذا لم يكن فراره من التأنيث لدافع ديني قد يكون هو تحرجه من تأنيث الفعل مع الملائكة الذين نعى الله على المشركين أن جعلوهم إناثا في بعض آي القرآن الكريم ، ومع هذا فالقراءة سنة متبعة ، وغير خاضعة للاستحسان أو للتقدير الشخصي غالباً ، مما قد يستبعد معه هذا الاحتمال .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٥٣ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٦١ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٩٨ . اللسان والصحاح « عكظ » . تاج العروس « عكظ ، قول » . أسواق العرب في الجاهلية ص ٣٣٩ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٩ . تاج العروس ، مقاييس اللغة « حث » .

(٥) سورة آل عمران ٣ الآية ٤٢ .

(٦) البحر المحيط ٢ / ٤٥٥ .

وقد قرأ حمزة والكسائي من كبار قراء الكوفة ، ومن تلاميذ ابن مسعود بها قول الله تعالى : « فنادته الملائكة »[1] « فناداه بالتذكير »[2] .

فيمكن الاستئناس بهذا على أن هذيلا تميل إلى التذكير في جمع التكسير (أو تجريد الفعل من علامة التأنيث مع هذا الجمع) ، وقد يتأكد لدينا ذلك إذا عرفنا أن أكثر ما عامل فيه الهذليون جمع التكسير معاملة المؤنث إنما تحققه غالبا حينما يكون هذا الجمع جمعا لمؤنث كصيغة فواعل التي يغلب أن تكون جمعا لفاعلة مثل بوارق التي سبقت الإشارة إليها في قول أبي ذؤيب .

وصوافق في قوله أيضاً :

أخ لك مأمون السجيات خِضرِم ... إذا صفقته في الحروب الصوافق[3]

وعوائق في قوله كذلك :

ألا هل أتى أم الحويرث مرسل ... نعم خالد إن لم تعقه العوائق[4]

وكوادس في قوله :

فلو أنني كنت السليم لعدتني ... مريعاً ولم تحبسك عني الكوادس[5]

وسوابق في قول حذيفة بن أنس الهذلي :

لأدركهم شعث النواصي كأنهم ... سوابق حجاج توافي الجمرا [6]

وكذلك الدوامع صفة للعيون ، واللوامع صفة للبارقات في قول قيس بن العيزارة :

رجال ونسوان بأكناف راية ... إلى حُثُن ثم العيون الدوامع

---

(١) سورة آل عمران ٣ الآية ٣٩ .

(٢) البيضاوي ٢ / ١٧ . البحر المحيط ٢ / ٢٤٦ . مختصر شواذ القراءات ص ٢٠ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٥٣ .

(٤) المرجع السابق ١ / ١٥١ .

(٥) المرجع السابق ١ / ١٦ . مقاييس اللغة ٥ / ١٦٥ .

(٦) تاج العروس « جمر » .

سقى الله ذات الغمر وبلا وديمة   وجادت عليها البارقات اللوامع[1]

★ ★ ★

ومع هذا فالتأنيث ليس مطرداً عندهم حتى مع هذه الصيغة فلقد نجد فى شعرهم ما يخرج على ذلك مثل قول أبى خراش :

فصار الفتى كالكهل ليس بقائل   سوى العدل شيئاً واستراح العواذل[2]

ونجد التذكير واضحاً أيضاً فى قول أبى ذؤيب :

فغدا يُشَرِّق متنَه فبــداله   أولى ســوابقها قريباً توزع[3]

هذا ، وإليك بيتاً من شعر الهذليين يرويه علماء اللغة فى كتبهم ومعاجمهم :

لو كان فى قلبى كقدر قلامة   حبــاً لغــيرك ما أتاها أرسلى[4]

فى هذا البيت أيضاً نجد مظهراً من مظاهر ميلهم إلى التذكير ، فصيغة أفعُل (أرسل) هذه هى من جموع التكسير للمؤنث[5] ، ومع هذا جرد الفعل معها من علامة التأنيث .

ومما يزيد الأمر تأكيداً بشأن هذا اللفظ ، وكونه جمعاً لمؤنث أن علماء اللغة راحوا يبررون ذلك جاهدين ، فيقول الزبيدى إن أرسل هو « جمع الرسول على أنه مؤنث بمعنى الرسالة » ، ويقول ابن جنى : « كسر رسولا وهو مذكر على أرسل وهو من تكسير المؤنث كأتان وآتن ، وعناق وأعنق . . كا كان الرسول هنا إنما يراد به المرأة ؛ لأنها غالباً ما تستخدم فى هذا الباب » .

وهذا يؤكد ما نذهب إليه من إيثــار التذكير مع صيغة للجمع هى من صيغ

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٧٩ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٢٢٩ .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٠ . البحر المحيط ٤ / ٤٠٤ .
(٣) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٧ . اللسان « شرق » .
(٤) تاج العروس . اللسان « رسل » . الخصائص ٢ / ٤١٦ .
(٥) شرح ابن عقيل على الألفية ، وحاشية الخضرى عليه ٢ / ١٥٤ .

التأنيث ، وربما كان هذا الجمع جمعاً للمؤنث فملا إلى جانب الصيغة نفسها كما تدل على .لك إشارة ابن جنى . وقد كان مجال القول ذا سعة ، يمكن الشاعر من أن يقول : أتتها أرسلى » بصيغة التأنيث دون أن يكون عليه بأس فى وزن أو لغة ، ولكنه — فى أغلب الظن — اتجاه قومه من هذيل .

وأكثر من هذا أنا نجد منهم ميلا إلى تذكير الفعل أحياناً مع جمع التكسير للأسماء التى تدل على مؤنث حقيقى كقول أبى ذؤيب :

وقام بنـــاتى بالنعـــال حواسراً (١)

أو ما يقوم مقام هذا الجمع مما يطلقون عليه «اسم الجمع» لأنه لا مفرد له من لفظه ، كقول قيس بن عيزارة :

وقال نســـاء لو قتلـت لساءنا (٢)

ولا يمكن القول بأن الضرورة الشعرية هى التى دفعت كلا من هذين الشاعرين إلى ذلك ؛ لأن فى الإمكان إلحاق التاء بالفعل دون تأثير على الوزن أو إخلال بالموسيقا ، بل إن وجود التاء أدعى إلى استقامة الوزن من غير علة أو زحاف .

وهكذا نرى فيما انحدر إلينا من تراث الهذليين وأشعارهم مراوحة بين التذكير والتأنيث مع جمع التكسير ، تلك الظاهرة التى قد نراها على صورة ما عند غيرهم من أبناء العربية ، ونحس صداها فى قواعد النحاة التى ضمنوها كتبهم ، والتى كانت — كما نعلم — مرتكزة على ما سبقها من جمع للشواهد العربية ، ومشافهة للأعراب فى بواديهم ، ولا شك أن من بين هؤلاء ، بل من أهمهم هذيل التى نجد علماء العربية يعتمدون عليها كثيراً فى إيراد شواهدهم .

ولكن إلى جانب هذا قد لمسنا أن الميل إلى التذكير فى هذا المجال واضح وضوحاً كاملا عند هؤلاء الهذليين .



---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٢٢ . تاج العروس ، اللسان « حسر » .

وإذا كان هذا هو الشأن فى جمع التكسير ، فنحن لا نبعد كثيراً حين نلتقى بالا إلى ما يسمى "اسم الجنس الجمعى" وهو الذى يفصل بينه وبين واحده بالتاء مثل : نخلة ونخل ، ونعامة ونعام . . . ، فقد سبق أن رأينا ما رووا من اختلاف العرب فيه بين تذكير وتأنيث إذ نسبوا التأنيث فيه إلى الحجاز ، والتذكير لنجد وتميم[1] .

فما موقف هذيل فى هذا بين أولئك وهؤلاء ؟

يبدو أن الهذليين كانوا ينطقون أغلب مفردات هذا الجنس بصيغة التذكير ؛ فشعرهم ناطق بهذا فى وضوح ، وإن كان النحاة واللغويون يسوقون بعض أبيات من الشعر الهذلى تشير إلى تأنيث القليل من هذه الألفاظ « كالنحـــل » ، فقد روى مؤنثا فى بيت أبى ذؤيب :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها فى بيت نوب عواسل[2]

ومع هذا فإن رواية البيت فى ديوان الهذليين بلفظ « الدَّبْر » بدلا من النحل ، وإن كان قد ورد النحل مؤنثاً أيضاً فى موضع آخر من الشعر الهذلى[3] .

ومن أسماء الأجناس التى ورد فيها التذكير « النخل » فى مثل قول أبى ذؤيب :

يا هل أريك حمول الحى غادية كالنخل زينه يَنع وإفضاح[4]

وإذا كان اللغويون والنحـاة يروون الشطر الأخير من هذا البيت : « كالنخل زينها ... » بصيغة التأنيث فى معرض الاستشهاد بالبيت على لفظ لغوى أو قاعدة نحوية ، فلعل هذا راجع إلى عدم العنـاية الكافية بالرواية الصحيحـة للبيت ما دام متسقا مع الاتجاه الذى إليه يقصدون[5] .

---

(١) انظر الصفحة الأولى من هذا الفصل .

(٢) ابن الأنبارى : الأضداد ص ٨ . المخصص ٨ / ١٧٨ . الإتقان ١ / ١٣٢ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٦ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٤٥ .

(٥) اللسان « نحل » . الصحاح ، تاج العروس « فضح » ـ شواهد كتاب سيبويه ص ٢٣ «مجموعة» .

ومن عجب أن الزبيدى يتحدث فى هذا الموطن عن النخل بصيغة التذكير فيقول : « أفضح النخل احمر واصفر » ، ثم يسوق البيت بصيغة التأنيث مخالفاً بذلك روايته كما جاء فى الديوان ، ومتعارضاً مع منطق التذكير السابق عليه ، والذى ساق البيت تأييداً له .

ويساند رواية هذا البيت بتذكير النخل فى الديوان ما جاء من تذكيره فى مواضع أخرى من شعر الهذليين أنفسهم .

فهذا أبو ذؤيب نفسه يقول :

كما زال نخل بالعـراق مكمم   أمرَّ له من ذى الفرات خليج[1]

ففى هذا البيت أكثر من شاهد على تذكيره ، فإلى جانب تجريد الفعل معه من علامة التأنيث نجد أن النعت التابع له فى البيت مذكر ، والضمير العائد عليه فى « له » هو الآخر مذكر ، وهذا أمر قاطع تركن النفس إليه ، وترتاح له .

ثم إننا كثيراً ما نجد فى شعرهم تذكير اسم الجنس الجمعى فى غير ما ذكرنا ، وذلك مثل غاب ، ونعام ، وهضب ، وصفا ، وهام :

« غاب تشيمه ضرام مثْقب »[2]

« يشمع بالنهى النعام الشوارد »[3]

« زف النعامُ إلى حَفانه الرُّوَحُ »[4]

« فمشّوا بآذان النعـام المصلّمّ »[5]

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٥٠ .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق ٢ / ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق ١ / ١٠٦ .

(٥) اللسان « مشش » .

« وإلا النعـــام وحفـــانه »[1]

« هضب الصفا المترحلف الدلاص »[2]

« بتــلاع ترثم هامهم لم يقبر »[3]

ومثل هذا عندهم كثير .

* * *

ونحن نعرف أن لغات العرب ماثلة فى الكتاب الكريم وقراءاته ، ولهذا فإن اسم الجنس الذى هذا نوعه نجد فيه التذكير أحياناً ، والتأنيث أحياناً أخرى . وقد ورد فيه لفظ البقر مذكراً فى قوله تعالى : « إن البقر تشابه علينا »[4] ، وكلنا نلمس التأنيث أيضاً فى قراءة من قرءوا « إن البقر تشابهُ علينا »[5] بلفظ المضارع مع تضعيف الشين أى تتشابه .

وهنا نجد قراءة ابن مسعود « يشّابه » بياء المضارعة لا بالتاء أى بلفظ التذكير لا بالتأنيث . وهذا يساند ما ألفيناه فى الشعر الهذلى من اتجاه إلى التذكير الذى أشرنا إليه فيما نحن بصدده .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٩٦ . اللسان « صفن ، لهق » . الصحاح « حفف » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٩١ - شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٤٨٨ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٢ .

(٤) سورة البقرة ٢ الآية ٧٠ .

(٥) البحر المحيط ١ / ٢٥٤ .

الفصل الثانى

العدد « التثنية والجمع »

الفصل الثانى

العدد « التثنية والجمع »

لم يرد خلاف يذكر بين العرب فيما يتصل بتكوين المثنى ، وجمع الذكور العقلاء جمع مذكر سالماً ؛ وذلك لأنهما مطردان ، يسيران على نظام راتب ينضوى تحته أفراد كل من المجموعتين بصورة لا تكاد ترى فيهما شيئاً من الخلاف ، فالمفرد فى كل منهما تضاف إليه زوائد معينة تجعل منه مثنى أو جمعاً فى حالات إعرابه المختلفة بشكل لا يتغير ولا يحوّل .

فالخلاف — إذن — كل الخلاف إنما هو قائم فى الجموع التى اصطلح علماء النحو واللغة على تسميتها بجموع التكسير ، فهى جموع شاذة فى أصل تكوينها ، وقد اختلف السماع — فى كثير منها — بين قوم وقوم ، ومن قبيل إلى قبيل . وليس أغلب الضوابط التى وضعها النحاة بشأنها سوى ضوابط مقصود بها مجرد التيسير والتقريب ؛ ولهذا نجد كثيراً من الألفاظ المتشابهة أو المتماثلة فى أوزانها تخرج فى جمعها على ما تخضع له مثيلاتها من الكلمات .

ولعل فى هذا مظهراً من مظاهر الحرية المطلقة التى وجد العرب فيها أنفسهم ، والتى كانت تتمثل فى صعوبة خضوعهم — ولا سيما البادون منهم — لنظام ثابت فى حياتهم ، ونزوعهم دائماً إلى الانطلاق الذى يظهر أحياناً فى نطقهم ، ويتراءى فى اختلاف لهجاتهم . هذا إلى جانب الأثر الفعال للبيئات المختلفة التى يخضع لها العربى ، ويقع تحت سلطانها ، فتتأثر بها حياته ولهجته .

وإنا واجدون صورة من ذلك تنعكس على نظام هذا النوع من الجموع عند هذيل ، فنجد بعضها متسقاً مع الاتجاه العام الذى نقله إلينا علماء العربية بشأن هذه الجموع ، وبعضها الآخر يخرج على هذا النهج العام ، فينتحى ناحية أخرى تنفرد بها هذيل ،

أو يشاركها فيها غيرها من القبائل المجاورة لها ، والتى تخضع معها لظروف ومؤثرات واحدة .

ومع هذا فهناك صورة أخرى من صور الخلاف تبدو فى جمع المؤنث سواء كان بالألف والتاء ، وهو ما يسميه النحاة جمع المؤنث السالم ، أو كان بصيغة أخرى غير هذه ، وسنلم بالحديث عن هذا الجمع فى إيجاز ، ثم نشفعه بالحديث عن جموع التكسير .

جمع المؤنث

كثيراً ما يكون جمع المؤنث بالألف والتاء فى نهايته مع المحافظة على بنيته ، وهذا ما يسميه النحاة جمع المؤنث السالم .

وإلى جانب ما غلب فيه استعمال هذا الجمع أصلا فى اللغة نجده أيضاً فى غضون ما سماه النحاة جمعاً للقلة من جموع التكسير فيما كان منتهياً بالتاء من أوزان الثلاثى . وقد يجمع خصوصاً إذا كان وصفاً على وزن « فاعلة » بصيغة أخرى هى « فواعل » مثل شاعرة وشواعر ، وكاتبة وكواتب ، وكافرة وكوافر . وأمثلة فواعل هذه عند الهذليين كثيرة لا تحصى عدا [1] .

ولكن يبدو للوهلة الأولى أنه ليس فى الأمر جديد ما دام ذلك منتشراً فى الأدب ، ومنبثاً فى اللغة العامة ، لا عند هذيل وحدها ، حتى إننا لنجد فى القرآن الكريم : صواف وصافات ، ورواسى وراسيات ، كما نجد فيه كوافر ، وجوار ، وغواش ، وجواب . . . بيد أن الذى يلفت النظر هو كثرة وجود هذا الجمع فى الشعر الهذلى بالصورة التى أشرنا إليها فى الوقت الذى يقل فيه نظائرها بالألف والتاء عندهم إلى حد كبير .

فهل لظروف الوزن والقافية دخل فى هذه المفاضلة ؟ أى أن القوالب الشعرية التى صبوا فيها أشعارهم ، والقوافى التى بنوا عليها قصائدهم أملت عليهم هذا الجمع الذى

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٢٢ ؛ ٢/ ١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٤٥ ، ٩٨ ، ١٥٠ ، ١٦٧ .
شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٢٢٩ ، « تحقيق فراج » ١/ ٤٠ ، ١٩١ . اللسان «رضع» .
تاج العروس « حسر ؛ حر » . الشعر والشعراء ص ٥٨ .

استقامت معه أوزانهم وأعاريضهم وقوافيهم فى يسر لا تشوبه مشقة أو عنت ؟ الحق أن الضرورة ليست هنا بذات أثر كبير ؛ لأن الضرورات التى يمكن أن يقال إنها رجحت هذا الجانب كان من الممكن أيضاً أن ترجح كفة الجانب الآخر . هذا إلى أن تحكّم الوزن والقافية إذا جاز أحياناً على صغار الشعراء ، فمن الإجحاف أن نصم كبارهم كأبى ذؤيب ، وساعدة بن جؤية ، وأبى خراش ، وأبى كبير وغيرهم بأن قد كانوا عبيداً للوزن والقافية بصورة تحملهم على الخروج فى الكثير من شعرهم على لهجتهم ، ولهجة قومهم إلى الحد الذى يسوقنا إليه هذا الافتراض .

ومما يلفت النظر فى هذا الجمع عدول الهذليين عن بعض ما آثرت الفصحى ، وآثر القرآن جمعه بالألف والتاء مثل « الصافنات » فقلما وجدنا هذا اللفظ بهذا الجمع فى أشعارهم ، فهم يعدلون إلى صوافن فى مثل قول أمية بن أبى عائذ :

« فظلت صوافن خوص العيون » [1]

وقول ساعدة بن جؤية :

« ظلت صوافن بالأرزان طاوية » [2]

ومن أمثلة ذلك عندهم جمع صالحة وصفا للمرأة على « صوالح » فى قول ساعدة ابن جؤيّة :

مقت نساء بالحجاز صوالحا ـــــ وليّنا مقتنطكل سوداء عنكبه [3]

★ ★ ★

هذا وقد قرأ ابن مسعود قوله تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » [4]. « فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله » [5] . ويؤيد

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٨ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٥٠١ .

(٢) تاج العروس « عنق ، وزن » . الجمهرة « ح د م » . تاج العروس « عنق » . ديوان الهذليين ١ / ١٩٧ . والرواية فيه « صادية » بدلاً من « طاوية » .

(٣) المحكم « عنكب » .

(٤) سورة النساء ٤ الآية ٢٦ .

(٥) ابن خالويه : كتاب ليس ص ٢٢ . الكشاف ١ / ٣٩٥ .

أبو حيان نسبة هذه القراءة إلى ابن مسعود ، ثم يضيف إلى ذلك أنها وجدت هكذا في مصحفه [1] .

وهكذا يمكن القول بالاتجاه إلى هذه الصيغة من صيغ الجمع ، وبروزها عند هذيل ، وإن كنا نجد ذلك بصورة ما — كما أشرنا — في الفصحى التي هي انطباع للهجة القرشية ، وما علقته من مختلف لهجات العرب ، ومن بينها أو من أهمها هذيل .

ومع هذا فشيوع هذا الجمع (جمعاً لفاعلة) في العربية بعامة إنما هو مقصور على الأسماء ، أما الصفات فإنها — فيما أحسب — في هذيل أعم وأكثر .

وإذا كنا نجد هذا الجمع فاشياً في صيغة فاعل أو فاعلة وصفاً للمؤنث ، فقد نجده أيضاً في صيغة فاعل وصفاً للمذكر مثل « فارس وفوارس » عند الهذليين [2] ، وغيرهم ، وإن كان قليلا كما قرر اللغويون والنحاة .

ولكن يبدو أن هذيلا كانت أكثر اتجاهاً إلى هذا الجمع حتى في الحالة الأخيرة ، فإنا نجد في شعرها « قوائد » جمعاً لقائد وصفاً للخيل في قول أسامة بن الحارث :

فلاه عن الآلاف في كل مسكن   إلى لحق الأوزار خيل قوائد [3]

وإذا كان المألوف في جمع « غاز » هو « غزاة » ، فإنا نراه في بعض شعر الهذليين « غواز » مثل قول ساعدة بن جؤية :

تقدم يوماً في ثلاثة فتية   بجرداء نُصْبٍ للغوازى ثغورها [4]

ثم إن كتب اللغة تحدثنا أن هذيلا تجمع العاجز من الرجال « عواجز » . فاستناداً إلى هذه الرواية ، وإلى شعر الهذليين أنفسهم ، وقراءات ابن مسعود ومصحفه نستطيع القول بأن هذا الجمع قد احتل من اللهجة الهذلية مكاناً مرموقاً .

---

(١) البحر المحيط ٣ / ٢٤٠ .
(٢) أساس البلاغة « رمى » .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٣ .
(٤) المرجع السابق ٢ / ٢١٥ .

أما الجمع بالألف والتاء ، فقد وقع شيء من الخلاف في بنيته ، وتكوينه من حيث تحريك بعض حروفه أو تسكينها دون مساس بالاتجاه العام في هذا التكوين ، فهذا الخلاف في حقيقته خلاف صوتي وقع في بعض الحركات .

فقد ذكر اللغويون والنحاة أن ما كان من الأسماء الثلاثية المؤنثة على وزن « فَعْلة » صحيح العين مثل زفرة ، وسجدة ، وجفنة فإن عينه تفتح في الجمع ، فتقول : « زفرات ، وسجدات ، وجفنات »[1] . ولكنها يمتنع تحريكها ، ويلزم تسكينها إذا ما كانت حرف علة (واواً كان أو ياء) مثل : بيضة ، وبيعة ، وجوزة ، وعورة ، وروضة ، فإن المشهور في جمعها « بيضات ، وجوازت ، وعورات ، وروضات »[2] بالتسكين .

وقد قرأ جمهور القراء : « ثلاث عورات لكم »[3] بسكون الواو[4] . ويذكر أبو حيان أنها لغة أكثر العرب لا يحركون الواو والياء في مثل هذا الجمع[5] .

ولكنّ هؤلاء اللغويين والنحاة ينسبون فتح العين في مثل هذا إلى هذيل ، وقد استفاض ذلك في كتب اللغة والنحو والقراءات[6] وبهذه اللهجة قرأ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، والأعمش من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة : «ثلاث عورات لكم»[7] بفتح الواو بدلا من سكونها[8] .

---

(١) شرح المفصل ٥ / ٣٠ . البحر المحيط ٧ / ٥١٥ .

(٢) تاج العروس « عور » . المصباح « بيض ، بيع » . المحتسب ١/٤٠ . البحر المحيط ٧/٥١٥ .

(٣) سورة النور ٢٤ الآية ٥٨ .

(٤) البحر المحيط ٦ / ٤٤٩ .

(٥) المرجع السابق والصفحة السابقة .

(٦) البحر المحيط ٦ / ٤٤٩ ، ٤٧٢ . ٧ / ٥١٥ . السيوطي : البهجة ص ١٢٨ . تاج العروس ، اللسان « عير » ، المصباح « عور » . الارتشاف ص ٢٣٦ . التسهيل ص ٦ . شرح المفصل ٥ / ٥٠ . المخصص ٧ / ٣١ . مميزات لغات العرب ص ٢٩ . شرح الشافية ٢ / ١٠٩ وما بعدها ـ شرح الكافية ٢ / ١٨٦ .
حمودة : القراءات واللهجات ص ١٢٥ . المبرد : المقتضب ص ٤٧٢ .

(٧) سورة النور ٢٤ الآية ٥٨ .

(٨) مختصر شواذ القراءات ص ١٠٣ . البحر المحيط ٦ / ٤٤٩ . شرح المفصل ٥ / ٣٠ . التصريح على التوضيح ٢ / ٣٠١ . الصبان على الأشموني ٤ / ٧٥ . الخضري على ابن عقيل ٢ / ١٥٢ .

ويسوق النحاة واللغويون شاهداً لهذه اللهجة ينسبونه إلى هذيل هو قول شاعرهم

أخو بيَضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح[1]

وهذا الشاهد - وإن كان متواتراً عند اللغويين في كتبهم ومعاجمهم - لم أجده فيما بين أيدينا من دواوين شعر هذيل، وهو الشاهد الوحيد الذي يستندون إليه، ويتواردون جميعهم عليه.

ومع هذا فثمة بيت آخر لشاعر هذلي هو أبو صخر لم يخرج عن مألوف الناس في هذا الجمع، هو قوله:

أراد الشيب منى خبل نفسى لأنسى ذكر بيْضات الحجال

ولا شك أن وجود هذا البيت المناهض يضعف من قوة استدلال اللغويين والنحاة بالشاهد السابق، لا سيما أنه شاهد لغوى لا نكاد نعثر عليه في أدب الهذليين وأشعارهم، ولا يعرف قائله، أما هذا البيت فقد روى في شرح أشعار الهذليين منسوباً إلى قائله[2].

فنحن إذن بين أمرين: إما أن نهدر حجية هذا الشاهد، فلا نقبل الفكرة من أساسها، أو نحسن الظن بهذا الإجماع أو ما يشبه الإجماع عند هؤلاء القدامى من علماء العربية، فلا نمارى كثيراً في صحة هذا البيت، ونسبته الى هذيل احتمالا لسقوطه من دواوين أشعارهم، وعدم تنبه رواة الشعر الهذلي وجامعيه إلى ذلك.

وقد يسعفنا في هذا قصيدة لأبي ذؤيب مطلعها:

لعمرك إني يوم أنظر صاحبي على أن أراه قافلا لشحيح[3]

فهذه القصيدة، وذلك البيت الذي اتخذه اللغويون شاهداً - كلاهما من بحر واحد وقافية واحدة، فيحتمل سقوط هذا البيت منها.

---

(١) الخصائص ٣/١٨٤ . الارتشاف ص ٢٣٦ . المحتسب ١/٣٦ ، ٤٠٠ . شرح الشافية ٢/١١١.
(٢) شرح اشعار الهذليين « تحقيق فراج » ٢ / ٩٦٢ .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ١١٤ .

ولكن يبقى أمامنا شيء آخر ، هو وقوف هذين البيتين متعارضين وجهاً لوجه فى تراثنا الأدبى واللغوى .

فهل نقول بوجود ضرورة شعرية فى أحد هذين اللفظين ، ونفسح المجال للفظ الآخر ؟ إننا حين نفعل ذلك إما أن نعتبر الأصل بيضات بالتسكين ، وبيضات بالتحريك ضرورة ، وبهذا نهدم رأى النحاة من هذا الجانب أيضاً ، وإما أن نعتبر بيَضات هي الأصل الصحيح عند هذيل ، وأن استدلال اللغويين أصاب المحز ، وأن بيضات بالتسكين ضرورة لجأ إليها أبو صخر فخرج بها على الأصل عند قومه من هذيل .

وكان من الممكن أن نقول إنه علق هذا النطق هو وبعض قومه من جيران لهم يتسمون بالتسكين فيه كالحضريين من الحجازيين ، ولكن يمكن أن نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فإن أبا صخر كان هو نفسه إسلامياً أموياً [١] ، فلا جرم أن تكون الفصحى قد أصبحت أثيرة لديه ، ولو فى بعض ألفاظها بحكم هذا الإلف الطويل بينه وبين هذه الفصحى فى ظل الدولة الإسلامية .

كل هذه احتمالات تفرض نفسها على الباحث ، ولا بد له من أن ينتهى فيها إلى رأى خاص ، ولو على سبيل الترجيح فى ضوء ما عرضنا .

ومما تقدم يمكننا أن نرجح الآن صحة نسبة هذه الظاهرة بوجه عام إلى هذيل .

ولكن إذا أردنا أن نصل إلى رأى فى الموضوع يكون أكثر دقة فإنما يقوم ذلك على أساس فكرة التوسط بين البدو الموغلين فى بداوتهم ، وبين الحضر ، ذلك التوسط الذى لمسناه فى هذيل ، ووجدنا صداه فى بعض مظاهر حياتها ولهجتها . فلعل هذه الظاهرة موجودة فى وضوح عند البدو الموغلين فى بداوتهم وسط الجزيرة العربية ، وهناك أثارة منها عند هذيل المجاورة لهم ، والتى تشاركهم فى بعض سماتهم ، ولكنها من جهة أخرى تجاور الحضر فتأخذ بعض خصائصهم ؛ ولهذا فاللغويون الذين ينسبون هذه الظاهرة إلى هذيل وحدها على أساس أنها ظاهرة بارزة فيها من دون غيرها يجانبون الصواب ، ولا سيا بعد أن رأينا ما فى ذلك من ضعف ، وبعد أن نرى أن بعضهم قد نسبها إلى

---

(١) خزانة الأدب « السلفية » ٢ / ٢٣٧ .

تميم[1] ، أو إلى المجموعة الشرقية من قبائل شبه الجزيرة العربية ، وقد جمع بعض المحدثين بين الروايتين ، فذكر أنها لهجة هذيل وبنى تميم [2] .

ويبدو أن الطور الأول من أطوار النطق فى هذا الجمع كان فتح عينه صحيحة كانت أو معتلة ، ثم اتجه بعد هذا عند الحضريين إلى التسكين فى المعتل مسايرة لناموس التطور الذى خضع له هؤلاء الحضر من الحجازيين ، أما غيرهم من البدو فى وسط الجزيرة ، فقد استجابوا لقانون الانسجام الذى تحقق لهم بالبقاء على التحريك ، كما أشار إلى ذلك القدامى أنفسهم حين قالوا إن الإتباع لغة هذيل والإسكان لغة غيرهم ، فهم وإن كانوا على غير حق — كما أشرنا — فى قصر الفتح على هذيل ، وغير محقين أيضاً حين جعلوا الإسكان عاماً عند سائر العرب فى قولهم : « والإسكان لغة غيرهم »[3] فإنهم مع هذا قد لمحوا أن الدافع إلى الفتح إنما هو الإتباع الذى لا يعدو أن يكون هو قانون الانسجام المشار إليه .

هذا إلى أن تحريك الواو والياء أظهر فى النطق من تسكينهما ، فهو أشبه ما يكون بهذه البيئة البدوية .

وإذا كان قد نسب إلى ابن عباس شىء من ذلك حين نسب إليه فتح الواو فى « عورات[4] » ، فإن هذه الرواية موضع نظر ، وأغلب الظن أن راويها واهم ، قد اختلط عليه الأمر بين عورات وعيرات ، فالأخيرة هى التى وردت فى حديث ابن عباس : « أجاز لها العِيَرات » جمع عِير[5] . وقد ذكر اللغويون أن صيغة الجمع فى هذا اللفظ الأخير هى هكذا عند أكثر القبائل العربية ، وأنها وإن كانت لهجة هذيل ، فإن غيرهم من العرب تنطق بها ، حتى لقد قال سيبويه « إنهم أجمعوا فيها على لغة هذيل »[6] .

---

(١) مختصر شواذ القراءات ص ١٠٣ .

(٢) القراءات واللهجات ص ١٢٥ .

(٣) الصبان على الأشمونى ٤ / ٢٥ — الخضرى على ابن عقيل ٢ / ١٥٢ .

(٤) البحر المحيط ٦ / ٤٤٩ .

(٥) ابن الاثير : النهاية ٣ / ١٤٣ .

(٦) الكتاب ١٩١/٢ . المصباح « عور » . اللسان « عير » . التسهيل ص ٦ . المخصص ١٣١/٧ . النهاية ٣ / ١٤٣ .

والحق أن وجود هـــذا اللفظ هكذا عند كثير من العرب من بدو وحضر يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الطور الأول فى هذه الصيغة من صيغ الجمع كان فتح عينة ثم نزع الحضريون إلى الإسكان ، وأن هذا اللفظ من الألفاظ القليلة أو النادرة التى لم يلحقها التطور المذكور ، فيذكر اللغويون أن التسكين فيها قليل[1] . أى أن السائد فيها هو الفتح ، ومنه الحديث الذى رواه صاحب النهاية « إنهم كانو يترصدون عِيَرات قريش »[2]. ومنه أيضاً حديث ابن عباس الذى سبقت إليه الإشارة .

ويذهب المبرد والزجاج إلى أن صيغة هـــذا الجمع (عيرات) هو بفتح العين لا بكسرها[3] ، وكأنهما فى ذلك يريدان أن يتلاءما مع الاتجاه العام من وجود الإتباع فى جميع أمثال هذه الألفاظ عند من يجمعونها هذا الجمع ، أى أن قولهما هذا ربما كان من وحى ما رأياه فى جمع هذه الأسماء المعتلة العين مثل : بَيَضات ، ورَوَضات ، وجوزات وغيرها ، ولـكنهما — فى الحق — لم يتنبها إلى أن هذه الأسماء هى نفسها مفتوحة الفاء فى المفرد ، ولكنها مكسورتها فى نحو « عير » فعيرات هذه جمع عِير لا جمع عَير ، فلا يستقيم لهما إذنْ مع هذا قياس .

جمـــوع التكسير

يذكر علماء النحو واللغة كثيراً من صيغ الجموع فى هذا النوع من الجمع ، فقد رووا لكل وزن من أوزان الثلاثى أو غيره صيغاً مختلفة . وقد وصفوا بعض صيغ هذا الجمع بأنها من جموع القلة ، واعتبروا بعضها الآخر من جموع الكثرة .

وسنشير إلى كثير من هذه الأوزان المختلفة للجموع ، وموقف هذيل منها وفاقاً أو خلافاً لتستبين لنا اتجـاهات هذيل فى هذا الموضوع على ضوء ما وصل إلينا عن جموع التكسير فى العربية مذكوراً فى بطون الكتب ، وأمهات المراجع .

---

(١) المخصص ٧ / ١٣١ .
(٢) ابن الأثير : النهاية ٣ / ١٤٣ .
(٣) الصبان على الأشمونى ٤ / ٧٦

وزن فَعْـــل :

يذكر النحاة أن هذا الوزن جمعه فى القلة على أفْعُل مثل : « كلب وأكلب » ، « كعب وأكعب » . . وأنه قد شذ عن العرب تكسيرهم إياه على أفعال ، نحو : « فرخ وأفراخ » ، « رأد وأرآد » (والرأد أصل اللحيين) [1] ، والصيغة الأولى نجدها عند هذيل كما نجدها فى الفصحى ، ومن أمثلتها :

« وجه وأوجه » فى شعر أبى ذؤيب[2] ، و « سهم وأسهم » ، و « ركب وأركب » ، فى شعر ساعدة بن جؤية[3] .

ولكنا نجد هاتين الصيغتين معا فى قول مالك بن خالد الخناعى :

من فوقه أنسر سود وأغربة ومن دونه أعنز كلف وأتياس[4]

ففى هذا البيت جمع نسر على أنسر ، وعنز على أعنز ، ولكن فيه أيضا جمع تيس على أتياس . وهذه الصيغة الأخيرة التى وصفوها بالشذوذ نجدها فى شعر كثير من الهذليين الآخرين[5] .

وقد يتبادر إلى الذهن أن هناك تناقضاً ملحوظاً فى وجود هاتين الصيغتين جنباً إلى جنب عند هؤلاء الهذليين ، بل وفى شعر الشاعر الواحد من شعرائهم أحيانا كما رأينا الآن عند مالك بن خالد الخناعى . ولكنا مع دقة النظر ، وطول الأناة نرى أنه ليس فى الأمر تعارض أو تناقض ، فإن لكل من هاتين الصيغتين — غالباً — ميدانها الذى تختص به ، ولا تكاد تنازعها فيه الصيغة الأخرى . فبيْنا نجد أن صيغة « أفعُل »

---

(١) شرح المفصل ٥ / ١٦ — المقتضب ص ٢٧٤ .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ١١٥ .

(٣) المرجع السابق ١ / ١٧٣ . ٢ / ٢١٢ .

(٤) ديوان الهذليين ٣ / ٢ . اللسان « تيس » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٤١ — ٢ / ٤٠ ، ٤٨ ، ١٤٨ — ٣ / ٤٦ . معجم البلدان ٢ / ١٢٤ . شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ٢ / ٩٤١ ، ٩٤٢ .

تكون فى جمع الأسماء الصحيحة مثل « شهر وأشهر » ، نرى أن صيغة « أفعال » تكون فى الأسماء التى فى وسطها أو فى آخرها حرف علة (Vowel) ، وذلك فى مثل جمع « ناب على أنياب » ، « روح على أرواح » ، « عام على أعـــوام » فى شعر أبى صخر وأبى ذؤيب[1] .

وكذلك فى الأسماء التى يكون فى وسطها وآخرها واو أو ياء ساكنة ، وذلك مثل طود وأطواد ، وطور وأطوار ، وفىء وأفياء ، وريد وأرياد فى شعر أبى صخر[2] . ولوز وألواز ، ويوم وأيام فى شعر أمية بن أبى عائذ[3] ، وضيف وأضيـــاف فى شعر أبى العيال[4] وشعر أبى خراش[5] ، وسيف وأسياف فى شعر عبد مناف بن ربع[6] . ومثل هذا فى شعر الهذليين كثير[7] .

وهكذا نرى أن صيغة « أفعال » جمعا لفَعْل ذائعة فى شعر الهذليين ذيوعاً كبيراً ، ولكنها ليست غريبة على الفصحى أيضا ، وإنما هى مألوفة فى الاستعمال اللغوى العام .

ومع هذا فقد نجد عند الهذليين خروجا قليلا على ذلك الاطراد ، فإنا نرى عندهم ـ كما رأينا كذلك فى الاستعمال اللغوى المألوف ـ جمع فَعل غير معتل على أفعال مثل ألف وآلاف[8] ، وخرت وأخرات[9] .

ولكنا حين ننظر فى هذه الأسماء نجد أن فاءها فى الغالب حرف حلقى ، فهل كان هذا صنيعهم مع ما كان من هذا الوزن وفى بنيته حرف من حروف الحلق ؟ هذه ملاحظة

---

(١) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ٢ / ٩٥٤ ، ٩٦٤ ــ ديوان الهذليين ١ / ٧١ .

(٢) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٩٢٧ ، ٩٢٩ ، ٩٤١ ــ معجم البلدان ٦ / ٤٠٤ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٤ ، ١٨٨ .

(٤) المرجع السابق ٢ / ٢٤٤ .

(٥) المرجع نفسه ٢ / ١٤٨ .

(٦) المرجع نفسه ٢ / ٤٨ .

(٧) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٢٦ ، ٤٣٩ .

(٨) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٣ .

(٩) المرجع السابق ٢ / ٣٣ .

مجردة لا أبني عليها حكما ، ولكنها مجرد إشارة ، فقد سبق أن رأينا كذلك فى أول هذا المبحث أن « رأد وأرآد ، فرخ وأفراخ » وهما المثالان اللذان نص النحاة على شذوذ جمعها على أفعال – كلاهما يتضمن بين حروفه حرفاً حلقياً .

وما دمنا قد رأينا كثرة ورود «أفعال» جمعاً لفَعْل فيما اعتبره النحاة جمعاً للقلة ، فليس ثمة ما يدعو لاعتباره شاذاً فى اللغة [١] ، وكل ما هنالك أنه استعمل غالبا فيما كان وسطه أو آخره حرف علة أو واواً ساكنة أو ياء ساكنة كما مر بنا ، وقلما خرج عن هذا المجال .

وإذا كان النحاة حين قالوا بشذوذ جمع فَعْل على « أفعال » جمعاً للقلة كما رأينا كان من بين ما ساقوه من أمثلة لذلك الشذوذ جمع « زند على أزناد » [٢] – فإنا نجد أن من شعراء هذيل من تخطى ذلك إلى « أزاند » التى نجدها فى قول أبى ذؤيب :

كمالية الخطين وارى الأزاند [٣]

ولا أحسب أن هذا من قبيل الضرورة يلجأ إليها الشاعر لتحقيق وزن أو قافية ، فهو أبعد من أن يدخل فى باب الضرورة الشعرية ، ولا سيما عند مثل أبى ذؤيب ، ثم إن له نظائر فى شعر هذيل منها جمع قوم على « آقاوم » لا على « أقوام » ، وذلك فى قول أبى صخر :

لا يعذرك فيه الأقاوم [٤]

وجمع قول على « أقاول » لا على « أقوال » فى قول أبى صخر أيضاً :

بعداوة ظهرت وزغر أقاول [٥]

ولا يبعد عن هذا كثيراً ما نجده من أهاضب جمع هضْبة (أو لعلها جمع هضْب

---

(١) شرح المفصل ٥ / ١٦ .

(٢) المرجع السابق والصفحة السابقة .

(٣) تاج العروس « زند » . ديوان الهذليين ١ / ١٢١ . اللسان « علا » .

(٤) اللسان « قوم » .

(٥) أبو عمرو الشيبانى : الجيم مجلد ٢ / ١٢٠ . معجم البلدان ٤ / ٢٩٣ .

كما فى الألفاظ السابقة) ، وذلك فى قول صخر الغى بن عبد الله الهذلى يرثى أخاه أبا عمرو :

لعمرو أبى عمرو لقد ساقه المنا إلى جدث يوزى له بالأهاضب (١)

وفى قول أبى صخر الهذلى :

فألحقن محبوكا كأن نشاصه مناكب من عروان بيض الأهاضب(٢)

وقول حذيفة بن أنس من شعرائهم :

وخلتم قتال القوم بضع مدامة إذا أخرجوها من صدوع الأهاضب(٣)

ولعل قائلا يقول إن أهاضب ليست جمع هضب ولا هضبة ، وإنما هى جمع « أهضوبة » ، وهذا الجمع فى أصله « أهاضيب » مثل أكذوبة وأكاذيب . ثم إنها تحت تأثير الضرورة صارت هكذا « أهاضب » أو إنها فى ذاتها لهجة فى أهاضيب . ولكن يدحض هذا أن المعاجم اللغوية لم تستعمل أهضوبة فى المعنى الذى نحن بصدده .

هذا ويصرح صاحب اللسان أن هذا اللفظ جمع لهضبة (٤) كما يقرر السكرى ذلك فى شرح أشعار الهذليين(٥) .

ولعل الشأن فى هذه الصيغة الغريبة من صيغ الجمع ليس شأن الهذليين وحدهم ، وإنما يشاركهم فيها بعض جيرانهم من قبيلة فهم وغيرها ، فهذا أبو عامر بن الأخنس الفهمى يقول :

أقاوم لا يعدو عن الظل غيرهم فذو البث فيهم والفقير مدعدع(٦)

---

(١) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٦ . ديوان الهذليين ٢ / ٥١ . معجم البلدان ٦ / ١٥٩ .
(٢) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٩١٩ . معجم البلدان ٦ / ١٥٩ .
(٣) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١٠٥ .
(٤) اللسان « هضب » .
(٥) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٢٢٦ .
(٦) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٨٠٦ .

وإذا كنا قد رأينا أن هذه الصيغة من صيغ الجمع غريبة غير معروفة فى مألوف اللغة ، فقد نجدها تمتد أحيانا إلى ما لا مفرد له من لفظه مثل « أغنـــام » التى نجدها عندهم فى بعض الأحيان « أغانم » كما فى قول أبى جندب الهذلى :

« أجمّع منهم جاملا وأغانما »[1]

ويحتمل أن تكون « أغانم » هذه هى « أغانيم » كما يرى ابن سيده فيما ينقل عنه صاحب اللسان ، وأن فيها حذفا ، كما يحتمل أن تكون كما هى دون حذف كما يرى ابن منظور نفسه[2] .

* * *

هذا هو شأن جمع القلة فى وزن « فَعْل » ، أما جمع الكثرة فيه ، فقد ذكروا أنه يجىء على « فِعال » ، « وفُعول » نحو « كلب وكلاب » ، « فلس وفلوس »[3] .

وصيغة « فعـول » هذه التى ذكروها نجدها عند الهـذليين كثيراً فى مثل « كشح وكشوح »[4] ، و « سعد وسعود »[5] ، و « سَفْر (بطن الوادى) وسفور »[6] ، « وريد وريود »[7] (والريد الحرف النـاتىء من الجبل) . . وغير هذا كثير لا يقع تحت حصر .

وقد ورد على لسان ابن مسعود من هذا الجمع « خلوف » فى قوله : « ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف »[8] .

---

(١) ديون الهذليين ٣ / ٨٩ . معجم ما استعجم ٢ / ٤٤٩ .

(٢) اللسان « غنم » .

(٣) شرح المفصل ٥ / ١٤ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٢١ . اللسان « علا » .

(٥) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٩٧٦ .

(٦) المرجع السابق ٢ / ٩٤٩ .

(٧) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٨ .

(٨) ابن الأثير : النهاية ١ ٣٤٩ .

وقد تضاف التاء إلى بعض ألفاظ هذا الجمع كقول ابن مسعود : « . . . إلا امرأة قد يئست من البعولة »[1] فى جمع بعل .

أما الصيغة الأخرى التى يجمع فيها « فَعْل » على « فِعال » ، فهى أيضا كثيرة عند هذيل ، وغير هذيل .

ومن أمثلتها فى شعر الهذليين : جمع جحش على جحاش فى قول أبى كبير :

فاهتجن من فزع وطار جحاشها [2]

ورهب على رهاب فى قول أبى ذؤيب :

بيض رهاب ريشهن مقزع [3]

ومن ذلك أيضا : « دحل ودحال » (الدحل هوة من الأرض فيها ضيق) ، « وهجل وهجال » (الهجل ما اطمأن من الأرض) ، « ونجل ونجال » (النجل النز يستخرج من البئر) ، وذلك فى شعر أمية بن أبى عائذ [4] ، وشعر عمرو ذى الكلب الهذلى [5] .

ولكنا قد نجد شيئا من الشذوذ أو الخروج عن مألوف ما عرفناه فى هذه الصيغة أيضاً عند الهذليين فى أشعارهم ، فقد يجمع عندهم « فَعْل » على « فِعَل » مثل « حيد وحِيد » [6] (والحيد كل نتوء فى قرن أو جبل) .

وذلك فى قول صخر الغى :

تملى بها طول الحياة فقرنه له حيد أشرافها كالرواجب [7]

---

(١) اللسان « بعل » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١١٥ .

(٣) المرجع السابق ١ / ١٤ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٣١ .

(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٤٩٩ . ديوان الهذليين ٢ / ١٧٩ وما بعدها .

(٥) معجم البلدان ٥ / ٤٣١ .

(٦) القاموس « حيد » . العباب الزاخر ص ١٨٣ . الكتاب ٢ / ١٤٣ .

(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٥٢ .

وعلى (فُعُل) مثل « سحل وسحل » فى قول المتنخل :

كالسحل البيض جلا لونها * . . . [1]

وقد أشار إلى شذوذه صاحب المخصص[2] .

وعلى « فُعَّل » مثل سخل وسخل (والسخل الضعيف)[3] وذلك فى قول أبى كبير :

فلقد جمعت من الصحاب سرية   خدبا لدات غير وخْش سُخَّل[4]

وزن فَعَل :

إذا كان الاتجاه العام فى جمع المفرد الثلاثى الذى على وزن « فعل » أن يكون على « أفعال » [5] ، وذلك فيما عده النحاة من جموع القلة — فإنا نجد ذلك شائعاً فى شعر هذيل[6] « كجمل وأجمـــال » ، « نسى وأنساء » ، « وشز وأوشاز » . ومثل هذا عندهم كثير .

ولكنا نجد أن صيغة هذا الجمع تأتى عندهم فى أحيان قليلة على وزن « أفعُل » كما فى شعر خويلد الهذلى (والد معقل بن خويلد من مشاهير شعراء هذيل) :

إلى معشر لا يختنون نساءهم   وأكل الجراد عندهم غير أفند[7]

وشعر صخر الغى :

أصخر بن عبد الله هل ينفعنَّنى   إليك ارتجاعى أفندى وتسلمى[8] ؟

---

(1) ديوان الهذليين ٢ / ١٠ — المخصص ١٤ / ١١٤ .
(2) المرجع الأخير . الصفحة نفسها .
(3) القاموس « سخل » .
(4) ديوان الهذليين ٢ / ٩٠ .
(5) المبرد : المقتضب ص ٤٧٨ . شرح المفصل ٥ / ١٤ .
(6) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٣٠٥ ، ٦٣ ، ١٤٠ — ٢ / ٥٣٨ ... — ديوان الهذليين ١ / ٥١ ، ١٢٨ — ٢ / ٩ ، ٣٦ ، ٣٨ ... ٣ / ٧٩ .
(7) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١١٥ — « تحقيق فراج » ١ / ٣٨٧ .
(8) المقتضب ص ٤٧٨ .

فلفظ « أفند » فى كلا البيتين مفرده « فنَد » وهو الحق .

ونجد فى كتب النحو أمثـلة لهذا الجمع كأجبل وأزمن . ومنه فى شعر هذيل قول جنوب ترثى أخاها عمراً :

أتيح له غـرا أجبــل فنــالا لعمرك منه منــالا [1]

ويذكر الجوهرى من أمثلة هذا الجمع « جدث وأجدث » وشاهده على ذلك بيت المتنخل الهذلى :

عرفت بأجدُث فنِعاف عرق علامات كتحبير النماط [2]

والحق أن الجوهرى واهم فى هذا الاستشهاد الذى يوحى بأن لفظ « أجدث » فى البيت هو جمع « جدث » ، وواقع الأمر على غير ذلك ؛ « فأجدث » اسم موضع قد يستأنس به من بعيد على وجود ذلك الجمع ، ولـكنه – مع هذا – اسم لمـكان ، فلا ينبغى له أن يعمد إليه قاصدا الاستشهاد به .

* * *

هذا شأن جمع القلة فى صيغة « فَعَل » ، أما جمع الـكثرة فى هذا الوزن فقد جاء – كما يسوق النحاة – على « فِعال وفُعول » كجمال وأسود [3] .

وألفاظ الجمع فى هاتين الصيغتين وغيرهما سائدة فى اللغـة ، ومن أمثلتها فى الشعر الهذلى : « غماط فى جمع غمط » [4] ، « نقال فى جمع نقل » [5] ، « أسود فى جمع أسد » [6] ، وسبوب فى جمع سبب » (أى حبل) [7] .

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٥٨٣ — ديوان الهذليين ٣ / ١٢١ .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٨ . الصحاح « جدث » .
(٣) شرح المفصل ٥ / ١٧ — المقتضب ص ٤٧٨ .
(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٤٩ — اللسان « غمط » .
(٥) تاج العروس « نقل » .
(٦) ديوان الهذليين ٣ / ٧٤ ، ١٠٩ .
(٧) المرجع السابق ١ / ١٨١ .

ولكنا نجد أن من العرب من يجمع لفظ « أسد » على « أُسْد » ، و « وثن » على « وثن » أو « أثن » بإبدال الواو المضمومة همزة ، ولهذا فإن قول الله تعالى : « إن يدعون من دونه إلا إناثا »[1] قرىء إلا « أثنا »[2] .

وهذه القراءة هى أشبه ما تكون بقراءة ابن مسعود ، وسمتها سمت هذيل فى إبدال الواو المكسورة أو المضمومة فى أول الكلمة همزة مكسورة أو مضمومة كما مر فى موضعه من الكتاب[3] .

فهذه الصيغة من صيغ الجمع (جمع فَعَل على فُعْل) ربما كانت من نهج هذيل أحيانا فى ذلك الوزن من أوزان الثلاثى ، وقد وردت كثيرا فى أشعارهم ، ومن ذلك قول أبى ذؤيب :

« ألفيتَ أغلب من أسد المسدّ »[4]

وقوله :

« كأن محرّبا من أسد ترْج . . . »[5]

وقول البريق :

« وما إن شابك من أسد ترج »[6]

وقول ساعدة بن جؤية :

« فما خادر من أسد حَلية جَنه »[7]

---

(١) سورة النساء ٤ الآية ١١٧ .

(٢) الكشاف ١ / ٢٢٩ .

(٣) انظر ص (١٠٠ - ١٠٥) من هذا الكتاب .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١١٠ . الاقتضاب ص ٤٠١ — العباب الزاخر « سدد » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٩٧ . أساس البلاغة « قبب » . تاج العروس « حرب » .

(٦) ديوان الهذليين ٣ / ٦٣ . اللسان « شبك » .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٨ .

ومن ذلك أيضاً جمع خشب على خُشْب فى قول مالك بن خالد الخناعى :

« بذات اللظى خشب تجر إلى خشب »[١]

وجمع ولد على وُلْد فى شعر البريق الهذلى[٢] ، وفى مواطن كثيرة من الشعر الهذلى .

وبهذا قرأ حمزة والكسائى من تلاميذ ابن مسعود قوله تعالى : « إن ترن أنا أقل منك مالا ووَلداً »[٣]: « مالا ووُلدا »[٤] وقوله تعالى : « قل إن كان للرحمن وَلد »[٥]؛ « قل إن كان للرحمن وُلد »[٦] .

ومن ذلك ما وافتنا به المراجع من أن هذيلا ، وبعض جيرانها من خزاعة وكنانة يجمعون لفظ « عسل » على « عُسْل »[٧] ، وقد جاءتنا هذه الصيغة هكذا فى شعر هذيل[٨] .

* * *

وهكذا يمكن القول باتجاه هذيل أحياناً إلى هذه الصيغة غير المألوفة من صيغ الجمع فى هذا الوزن من أوزان الثلاثى .

وزن فَعِل :

يذكر النحاة أن هذا الوزن يجمع على أفعال مثل « كبد وأكباد » وهم لا يكادون

---

(١) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١٦٩ . ديوان الهذليين ٣ / ١٦ .
(٢) البقية ص ٢٣ . ديوان الهذليين ٢ / ١٩٣ . شرح أشعار الهذليين « فـراج » ٢ / ٧٥٩ — الجيم ص ٢٢٥ .
(٣) سورة الكهف ٨ الآية ٣٩ .
(٤) البيضاوى ٣ / ١٦٧ .
(٥) سورة الزخرف ٤٣ الآية ٨١ .
(٦) البيضاوى ٤ / ١٣٤ .
(٧) معجم البلدان « عرام » — Rab n, Ancient west Arabia, 79
(٨) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٤٩ .

يتجاوزون هذه الصيغة إلى صيغ جموع الكثرة عندهم ، فقلما وجد فى جمع هذا الوزن « فعول » مثل « نمر ونمور »[1] .

ومن أمثلة هذا الجمع فى الشعر الهذلى : « عقب وأعقاب » فى شعر ساعدة بن جؤية[2] ، و « وعِل وأوعال » فى شعره أيضا[3] ، و « كبد وأكباد » فى شعر أبى ذؤيب[4] ، « ورحم وأرحام » فى شعر عبد مناف بن ربع[5] . ومثل هذا عندهم كثير .

أما صيغة فعول ، تلك الصيغة النادرة فى هـذا الوزن فإننا نجدها عند الهذليين فى شعر أبى ذؤيب وساعدة بن جؤية[6] ، وغيرهما من شعراء هذيل .

ومع هذا فهناك ـ عند الهذليين ـ ما هو أشد ندرة من الصيغة السابقة ، وهو جمع نمر على « نُمُر » ولعلها « نُمْر » فسكنت الميم ضرورة ، ويحتمل ألا تكون هناك ضرورة وأنها صيغة أصلية هى فُعُل فى جمع « فَعِل » كما وجدنا فى جمع « فَعَل » .

وقد ألفينا هذه الصيغة فى بعض شعر هذيل كقول أبى جندب الهذلى :

« لبسنا للكماة جلود نُمْر »[7]

فالشعر الهذلى يكاد يتفق ـ مع خلاف يسير ـ وجموع التكسير خاصا بهذا الوزن من أوزان الثلاثى ، ولعل مرد هذا إلى أن هذا الوزن ضيق محدود ، فلم يوجد فيه للخلاف مجال يذكر .

وزن فَعُل :

يذكر النحاة أن جمعه يأتى على أفعال مثل « عجز وأعجاز » و « عضد وأعضاد » ،

---

(1) شرح المفصل ٥ / ١٨ .
(2) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٣ . أساس البلاغة واللسان « جذم » .
(3) ديوان الهذليين ١ / ١٩٣ .
(4) المرجع السابق ١ / ٦٧ ـ اللسان « عكف ، شفف » .
(5) ديوان الهذليين ٢ / ٤٦ .
(6) المرجع السابق ١ / ٢١٨ ، ٢ / ١٧٩ .
(7) سمط اللآلى ٠ / ٧٩٩ .

وقالوا إن العرب لم يتجاوزوه إلى غيره ، فاقتصروا فيه على أدنى العدد لقلته ، وإن كان قد ورد فى اللغة « رجل ورجال » و « سبع وسباع » وهذا قليل [1] .

وقد ورد على الصيغة الأولى عند الهذليين ألفاظ منها « عضد وأعضاد » فى شعر ساعدة بن جؤية [2] وغيره من شعراء هذيل .

أما الصيغة الثانية الموسومة بقلتها فمنها فى شعر الهذليين : « رجل ورجال » [3] و « سبع وسباع »[4] و « ضبع وضباع »[5] . . .

ولكن وافانا الشعر الهذلى بصيغة نادرة هى جمع « ضبُع » على « ضُبُع » فى قول حبيب بن الأعلم :

فأكون صيدهمُ بها   وأصير للضبعِ السواغب [6]

وقوله :

تراها الضبع أعظمهن رأسا   جُراهمةٌ لها حِرَة وثيل [7]

ويحتمل أن تكون « ضُبُع:على فعل » ، وهى تستقيم مع البيت الأول ، وتسكن لضرورة الوزن فى الثانى . وسواء كان هذا أم ذاك فهى فى كل حال صيغة نادرة .

وقد وردت فى شعر الهذليين صيغة أخرى يمكن اعتبارها إحدى الصيغ النادرة فى هذا الجمع ، تلك هى « أفاعل » فقد جاء فى شعرهم « أراجل » ، وهذا على لسان أبى ذؤيب :

---

(١) شرح المفصل ٥ / ١٨ .
(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٧٩ .
(٣) المرجع السابق ٢ / ١١٦ .
(٤) المرجع السابق ١ / ٢٢٤ — ٢ / ١٠٦ — ٣ / ٣١ .
(٥) المرجع السابق ٢ / ١٠٠ .
(٦) المرجع نفسه ٢ / ٧٩ .
(٧) المرجع نفسه ٢ / ٨٧ .

أمَّ بنيه صيفهم وشتاءهم وقالوا تعدّ واغز وسط الأراجل[1]

وقد رووا هذا اللفظ أيضاً على لسان شاعر آخر هو سلمى بن المقعد الهذلى[2] .

ويذكر بعض علماء اللغة أن هذا الجمع هو جمع رجُل ، ويستشهدون لذلك بالبيت السابق من شعر أبى ذؤيب[3] .

ولكن سبق أن عرفنا أن هذيلا قد يجمع فى لهجتها « فَعْل » على أفاعل مثل « زند وأزاند » ، فيبدو أن هذا من ذاك . أى أن لفظ « أراجل » فى هذا البيت ليس جمعاً لرجل ، وإنما هو جمع « رجل » بفتح الراء وسكون الجيم ، ومعناه المشاة أو الرجالة ، ولا سيا فى الحرب (وقد سبق البيت فى شأنها) . وقد ورد هكذا بلفظه ومعناه فى أشعارهم ، وفسره السكرى هذا التفسير فى « شرح أشعار هذيل »[4] .

وقد عقب بعض اللغويين على هذا البيت بأن الأراجل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل مثل صاحب وأصحاب وأصاحيب ، إلا أنه حذف الياء من « الأراجيل » لضرورة الشعر ، وساق دليلا يؤيد به دعواه ، هو قول أبى المثلم الهذلى :

يا صخر ورّاد ماء قد تناقعه سوم الأراجيل حتى جمّه طَحِل[5]

ونحن لا نستطيع أن نرفض هذا الرأى ، فإن « أفاعل وأفاعيل » موجودتان جنباً إلى جنب فى الشعر الهذلى ، وقد أدى وجودهما معا إلى اختلاف فى الرواية أحياناً ، حتى فيما جاء على هذا الوزن من أسماء الأماكن مثل « أعاجيل » و « أعاجل » فى بيت المعطل الهذلى :

سددت عليه الزرب ثم قريته بفاثا أتاه من أعاجيل خصّفا

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٤٠ . ديوان الهذليين ١ / ٨٣ . اللسان « رجل » .
(٢) معجم البلدان ٣ / ٢٢٦ .
(٣) اللسان ، الصحاح « رجل » .
(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٦١ .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٢٣٣ .

فقد وردت به الرواية فى ديوان الهذليين « أعاجيل » ، وهو فى شرح السكرى « أعاجل » (١) .

فيحتمل لكثرة ورود هاتين الصيغتين معاً فى الشعر الهذلى أن يكون « أراجل » « أراجيل » جمعين متقاربين مفردهما واحد ، وقد جاء أحدهما على لسان بعض البطون الهذلية ، والآخر على لسان بطن أو بطون أخرى لهذه القبيلة .

وليس فى الأمر خلاف كبير أكثر من إشباع الكسرة أو عدم إشباعها ، فليست هناك هوة كبيرة تمنع من احتمال وجودهما معاً عند قبيلة ممتدة الأطراف كهذه القبيلة . وقد يكون اللفظان لفظاً واحداً هو فى الأصل « أراجيل » ثم حذفت ياؤه للضرورة فيما جاء فيه هذا الحذف من أشعارهم .

وزن فِعْل :

يجمع هذا الوزن فى القلة على « أفعال » ، وفى الكثرة على « فُعول » و « فِعال » ، وفعول فيه أكثر ، وذلك مثل « حِمل وأحمال وحمول » ، و « عدل وأعدال وعدول » ، و « بئر وآبار وبئار » .

وقد يجتزئون « بأفعال » عن « فُعول وفعال » فقالوا « خمس وأخماس » وشبر وأشبار . . .(٢) .

وهذه الصيغة الأخيرة « أفعال » نجد لها مُثلا كثيرة عند هذيل منها « مسح وأمساح »(٣) ، و « لهب وألهاب »(٤) ، و « قطع وأقطاع »(٥) ، و « فند وافناد »(٦) وغير ذلك من أمثلة لا تحصر .

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٥٢ .

(٢) شرح المفصل ٥ / ١٩ .

(٣) تاج العروس « مسح » .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٧٥ ، ٢١٢ . اللسان « ضيف » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٤٠ - المحكم ١ / ٨٨ .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٢٠١ - معجم البلدان « كبكب » ٧ / ٢٣٣ . صحيح الأخبار ١ / ٣٦ .

ولكن نجد فى شعر هذيل – فيما يختص بهذه الصيغة – شيئا من الشذوذ فى جمع « حقد » فإن علماء النحو واللغة يقولون بأن جمعه حقائد على وزن «فعائل» ، وشاهدهم على ذلك قول أبى صخر الهذلى :

وعدّ إلى قوم تجيش صدورهم بغش ولا يخفون حمل الحقائد[1]

وكان الأولى أن يكون هذا الجمع جمعا لحقيدة مثل حفيظة وحفائظ ، وضغينة وضغائن ، وعقيدة وعقائد .

وعلى هذا ينبغى إخراج « حقائد » هذه مما نحن بصدده أى من جمع « فِعْل » إلى جمع فعيلة ، وهذا ما لاحظه بعض اللغويين أنفسهم(٢) .

أما الصيغة المشهورة فى جمع الكثرة وهى « فعول » فمما جاء منها فى شعر الهذليين أنهم جمعوا سب (وهو الحبل) على سبوب(٣) ، ولهم (وهو الوعل المسن) على لهوم(٤) ، وحدج (وهو الهودج) على حدوج(٥) . . .

وقد نجد فى هذه الصيغة ما يوهم أحياناً بالخروج عليها فى بعض ألفاظ هذا الجمع مثل « مطىّ » فى قول أبى ذؤيب :

« لقد لاقى المطى بنجد عُفْر »(٦)

وقول ساعدة بن جؤية :

« إذا ما غزا منهم مطى وعاوع »(٧)

---

(١) تاج العروس ، المحكم « حقد » .

(٢) ابن سيده : المحكم (الحاء والقاف والدال) ٢ / ٢٩٥ .

(٣) ديوان الهذليين ١/١٨١ — سمط اللآلى ٢ / ٨٩٥ . تاج العروس « لط » . اللسان « لهف » .

(٤) تاج العروس « قرهب » — المخصص ٨ / ٣٩ . ديوان الهذليين ٢ / ٥٣ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٤٨ .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٥٠ والرواية فيه « بجنب » بدلا من بنجد .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٩٢ — شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٠٤ .

(٧) تاج العروس « وعع » .

فقد ذكر بعض علماء اللغة أن « المطى » هم الرجال بلغة هذيل ، وأن الواحد منها « مِطْو »(١) . وهكذا فسر فى ديوان الهذليين ، فيكون على هذا الرأى جمعا « لِفعْل » .

ولكن يغلب على الظن أنه جمع « مطية » فيكون فى معنى الركائب والمطايا ، ويكون من باب الجنس الذى يميز بينه وبين واحده بالتاء . وعلى هذا يمكن استبعاد التفسير السابق ، وما قد بنى عليه من كون هذه الكلمة جمعاً « لمطو » .

ويؤيد ما نذهب إليه فى هذا الشأن قول أبى ذؤيب نفسه :

وكنت كرقراق السحاب إذا جرى   لقوم وقد بات المطى بهم تخدى

فالمطى هنا نص فيما يُركب ، ولعلها استعملت فى غير هذا الموضع مجازا على الرجال والرفاق فى السفر أو فى الحرب .

أما الصيغة الثانية من صيغ الكثرة « فِعَال » فإنا نجد من أمثلتها فى الشعر الهذلى : « قطع وقطاع » (٢) ، و « جذل وجذال » (٣) ، « وزق وزقاق » (٤) .

وهنا تصادفنا صيغة غريبة فى جمع « زف » ، فقد كان وجه الشبه بينها وبين سابقتها « زق » يوحى بأن جمعها زفاف كزقاق، وغيرها مما هو على وزنها ومضعف كتضعيفها مثل ظل وظلال ، ولكنها تنكبت طريقها فصار جمعها « زقازف »(٥) .

تلك أهم الجموع فى هذا الوزن « فِعْل » ما هو مألوف منها ، وما هو غير مألوف .

ولكنا نلمس عند هؤلاء الهذليين صيغاً أخرى فى هذا الوزن من أوزان الثلاثى ، فنجد « فعل وأفعُل » مثل « شبل وأشبل »(٦) و « قطع وأقطع »(٧) .

---

(١) تاج العروس « وعع » .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٦ .
(٣) المرجع السابق ٣ / ٤٧ .
(٤) المرجع السابق ١ / ٢٤ .
(٥) المرجع السابق ١ / ٢٢٥ .
(٦) المرجع نفسه ١ / ٢٣٨ .
(٧) المرجع نفسه ١ / ٧ .

كما نجد « فِعْل وأفعل » مثل « جرو وأجر » (١) .

وإذا كنا قد رأينا عند الهذليين إغراباً فى جمع « فَعْل » على « أفاعل وأفاعيل » مثل « أراجل وأراجيل » ، فإنا نجد « أفاعيل » هذه فى جمع « فِعْل » أيضا ، فقد جمع قدح على أقاديح فى قول أبى ذؤيب :

أما أولات الذرا منها فعاصية تحول بين مناقيها الأقاديح (٢)

وبينما نجد اللغويين فى معاجمهم يعدّونها جمع « قِدح » (٣) نجدها فى شرح ديوان الهذليين جمع « أقدُح » (٤) .

وأيا ما كان الأمر فهى صيغة شاذة نادرة .

وزن فِعَل :

يجمع فى اللغة السائدة جمع قلة على أفعال مثل عنب وأعناب ، وضلَع وأضلاع(٥). وجمع كثرة على « فعول » مثل ضلوع .

والأخيرة نجدها فى قول أبى ذؤيب :

فحط عليها والضلوع كأنها من الخوف أمثال السهام النواصل(٦)

كما نجدها فى شعر ساعدة بن جؤية (٧) ، وقيس بن عَيزارة (٨) وعمرو بن الداخل (٩) وغيرهم من شعراء هذيل .

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٤ .
(٢) المحكم « ق . د . ح » . ديوان الهذليين ١ / ١٠٨ .
(٣) القاموس « قدح » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٠٨ .
(٥) شرح المفصل ٥ / ١٩ .
(٦) ديوان الهذليين ١ / ١٤٣ .
(٧) المرجع السابق ١ / ٢٣٦ .
(٨) المرجع السابق ٣ / ٧٣ .
(٩) المرجع نفسه ٣ / ١٠٢ .

وإذا كان المشهور فى جمع القلة أضلاع - كما سبق - فإن من شعراء هذيل من قال أضلع ، كقول أبى ذؤيب :

« فاشتملت عليه الأضـــلع » (١)

ومنهم من أغرب كثيراً ، فقال « أضالع » مثل قول أبى صخر :

« فذلك يبدى ما تجن الأضالع » (٢)

هذا ، ومما تجدر معرفته أن هذا الجمع من جموع الثلاثى قليل سواء كان فى شعر الهذليين أو فى اللغة بوجه عام .

وزن فِعِل :

يذكر النحاة أن هذا الوزن يجمع جمع قلة على « أفعال » مثل : « إبل وآبال » ، و « إطل (وهى الخاصرة) وآطال » . وأن العرب لم يجمعوه جمع كثرة ، وإنما اجتزءوا فيه بجمع القلة ، وأنه مع هذا قليل فى كلامهم(٣) ، ويبدو أن المسألة لا تقف عند حد القلة بل تتجاوزها إلى الندرة ، فلا يكاد يعثر الباحث فى كلام العرب على غير هذه الأمثلة التى ذكروها ، وقد تصفحت دواوين شعر الهذليين ، وآثارهم الأدبيـة على سعتها ، وما ورد فى كتب اللغة والنحو من إشارات حول هذه اللهجة الهذلية ، فلم أعثر عندهم على أثر لهذه الصيغة من صيغ الجمع . وهذه النتيجة السلبية ليست بذات خطر كبير ولـكنها ظاهرة أسجلها تعبيرا عن حقيقـــة أرجحها بعد أن تمخض عنها البحث وطول النظر .

وزن فُعْل :

يجىء فى جمع القلة على أفعال نحو « قفل وأقفال ، وبرد وأبراد » (٤) ومن ذلك

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٩ .
(٢) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٩٣٠ .
(٣) شرح المفصل ٥ / ١٩ .
(٤) شرح المفصل ٥ / ١٩ .

فى الشعر الهذلى « قرب وأقراب » ، وهى الخـــواصر جمع خاصرة . وهذا فى قول أبى ذؤيب :

« فبدا له أقراب هذا رائغا » (١)

وقول أبى خراش :

« علج أقب مسيَّر الأقــراب » (٢)

وكذلك « عرف وأعراف » فى شعر المتنخل (٣) ، « وعُرض وأعراض » فى شعر البريق (٤) ، و « هدب وأهداب » فى شعر أبى ذؤيب (٥) ، و « خرص وأخراص » (وهى عيدان يخرج بها العسل ، أو يصـلح بها ما أخذ منه) وذلك فى شعر ساعدة ابن جؤية (٦) .

أما جمع الكثرة فيه فهو على « فِعال وفُعول » ، وفعال فيه أكثر (٧) ، ومن أمثلة « فعال » عرض وعراض فى قول أبى ذؤيب :

« كأنه فى عراض الشام مصباح » (٨)

و « مهر على مهار » فى شعره كذلك (٩) ، و « قـــرط على قــراط » فى شعر المتنخل (١٠) .

وبعض هذه الألفاظ يبدو مألوفا فى جمعه ، وبعضه يبدو غير مألوف على الرغم

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٩ ـ شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٥٤ .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٩ . تاج العروس « وحد » .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٢٣ .
(٤) المرجع السابق ٣ / ٦٠ .
(٥) ديوان الهذليين ١/١١٢ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١/١٦٩ . معجم البلدان ١ / ٥٠ .
(٦) ديوان الهذليين ١ / ١٨٠ ، ٢٠٨ .
(٧) شرح المفصل ٥ / ١٩ .
(٨) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٨٣ . ديوان الهذليين ١ / ٣٠ .
(٩) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٨٣ .
(١٠) ديوان الهذليين ٢ / ٢٧ .

من قياسيته . ولكن لعل عدم الإلف مرده إلى عدم الاستعمال الكثير لكل ألفاظ اللغة على قدم المساواة بينها .

ولكن هناك ملاحظة جديرة بالنظر هي أن جل ما ألفيته في الشعر الهذلي من هذا الوزن مضعفاً ، وجدت جمعه في الكثرة على هذه الصيغة « فِعال » ولا أكاد أجد منه شيئاً على « فُعول » إلا نادراً .

ومن أمثلة جمع المضعف على فعال : « قف وقفاف » في شعر ساعدة بن جؤية(١) ، وفي شعر مالك بن خالد الخناعي(٢) و « زج وزجاج » (والزج طرف الرمح) في شعر ساعدة أيضاً(٣) ، و « جذ على جذاذ » في شعر المعطل(٤) ، و « جل على جلال » في شعر أمية بن أبي عائذ(٥) .

ومن الغرابة بمكان أن « السم » الذي يجمع في مألوف اللغة على « سموم » نراه يجمع أكثر ما يجمع عندهم على « سمام »(٦) .

ولعل هذا يؤكد صحة الظاهرة المستنبطة من ذلك الاستقراء ، وهي أن جمع « فَعْل » جمع كثرة حال تضعيفه غالباً ما يكون على « فِعال » .

أما الصيغة الأخرى من صيغ الكثرة « فعول » فلم أجد فيها من هذا المضعف إلا « دف ودفوف » ، وذلك في شعر أمية ابن أبي عائذ (٧) .

ومن غير المضعف « برد وبرود »(٨) ، و « نؤى ونؤيّ »(٩) ، و « غنم وغنوم »(١٠) .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٩٩ .
(٢) المرجع السابق ٣ / ٨ .
(٣) المرجع نفسه ١ / ٢٣ .
(٤) اللسان « سحن » . ديوان الهذليين ٣ / ٤٥ .
(٥) اللسان « دخل » . ديوان الهذليين ٢ / ٨١ .
(٦) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٩١ .
(٧) ديوان الهذليين ٢ / ١٨٣ .
(٨) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٢٨٢ .
(٩) ديوان الهذليين ١ / ٦٦ .
(١٠) المرجع السابق ٢ / ٢٢٨ ـ اللسان « غنم » .

وإذا كان المشهور فى اللغة ، والمعروف عند اللغويين والنحاة أن لفظ « فُلك » هو مفرد وجمع على السواء(١) ، فإننا — مع هذا — نجد ابن سيده يحكى جمعه على « فلوك » ويَدعَم هذا القول بشاهد هذلى ينسبه إلى أحد شعرائهم :

جوافل فى السراب كما استقلت فلوك البحر زال بها الشرير(٢)

فإذا صح هذا كان ذلك اللفظ أحد الجموع التى جاءت قياسية فى شعر هذيل ، وإن كانت غير مألوفة فى الاستعمال اللغوى الفصيح .

وزن فُعُل :

يجمع على أفعال نحو عنق وأعناق ، وأذن وآذان . وقد ذكر النحاة أن العرب لم يجاوزوا هذه الصيغة إلى غيرها لقلة الألفاظ الواردة على هذا الوزن فى اللغة(٣) .

ومن أمثلة ذلك عند الهذليين — كما هو فى اللغة السائدة — « أذن وآذان » (٤) ، و « عنق وأعناق » (٥) .

ومنها أيضاً جمع « قذف على أقذاف » ، (وقد فسروا القذف بأنه ناحية الجبل ، ولعلهم يعنون جانبه أو سفحه) ، وذلك فى قول المتنخل :

أوفى يبيت على أقذاف شاهقة جلْس يزل بها الخطاف والحجل(٦)

هذا إذا غضضنا النظر عن احتمال كون المفرد « قذف » بفتح القاف والذال وبضمهما . كما ذكر علماء اللغة (٧) ، وإلا أمكن إلحاقه بجمع « فَعَل » ، وصيغة الجمع فيهما واحدة ، وهذا يضعف الاستدلال به جمعاً لفُعُل .

---

(١) المخصص ١٠ / ١٨ .
(٢) المرجع السابق « الصفحة نفسها » .
(٣) شرح المفصل ٥ / ٢٠ .
(٤) ديوان الهذليين ٢ / ٨٠ . اللسان « جلس » .
(٥) اللسان « زفف » . المرزبانى : الموشح ص ٨٧ .
(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٣٦ .
(٧) القاموس « قذف » . ديوان الهذليين ٢ / ٣٦ .

ومع هذا فالرأى أن « قذف » بضمتين هو أشبه الضبطين بهذيل ، وذلك فى ضوء ما ذكرنا فى أصوات اللين القصيرة صدرَ الباب الثانى من هذا البحث .

وهذه الصيغة — كما سبق القول فى بعض الصيغ الأخرى — ضيقة محدودة ، فمجال الخلاف فيها — هو الآخر — فى أضيق الحدود .

وزن فَعْلة :

جمعه فى القلة بالألف والتاء مثل « جفنة وجفنات » ، ومن أمثلته فى الشعر الهذلى :

« عيقه وعيقات » فى قول أبى ذؤيب :

« يلوى بعيقات البحار ويجنب »(١)

و « ثبرة وثبرات » فى شعره أيضاً (٢) .

ويجمع هذا الوزن فى الكثرة على « فعال » مثل « جفان وصحاف » ، ومن أمثلته فى شعر هذيل : « طخفة وطخاف » (وهى الرقيق من السحاب) فى شعر صخر الغى (٣) ، و « ريطة ورياط » فى شعر المتنخل (٤) ، و (قطرة وقطار) فى شعر ساعدة بن جؤية (٥) ، و (سبحة وسباح) فى شعر مالك بن خالد الخناعى (٦) ، و (حرة وحرار) فى شعر أبى خراش (٧) .

ويذكر النحاة أن ذلك هو الوزن القياسى فى جمع « فَعلة » سواء كان صحيح العين أو معتلها (٨) ، ونجد مصداق هذا فى كثرته صحيحاً ومعتلا فى الشعر الهذلى .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٧٢ .
(٢) المرجع السابق ١ / ١٤٨ .
(٣) المرجع السابق ٢ / ٥٢ .
(٤) المرجع نفسه ٢ / ١٩ .
(٥) المرجع نفسه ١ / ٢٢٧ .
(٦) المرجع نفسه ٣ / ٦ .
(٧) المرجع نفسه ٢ / ١٧١ .
(٨) شرح المفصل ٥ / ٢١ .

ومع ذلك فقد نجد عند الهذليين خروجاً عليه ، فهم يجمعون أحياناً حلقه على حَلَق ، وهذا في مثل قول أبي ذؤيب :

والدهر لا يبقى على حدثانه مستشعر حلق الحديد مقنع [1]

ومن شواذ هذا الجمع عندهم جمع حلبة على حلائب (وهى الجماعات) فى شعر مالك ابن خالد الخناعى :

لإلدك أصحابى فلا تزدهيهمُ بسابة إذ مدت عليك الحلائب [2]

وقول حبيب بن الأعلم الهذلى :

أُغرى أبا وهب ليعجزهم ومدوا بالحــلائب [3]

فنجد فى بعض صيغ الجمع فى هذا الوزن شذوذاً عن السائد المألوف .

وزن فِعْلة :

يجمع فى القلة بالألف والتاء نحو سدرة وسدرات ، وكسرة وكسرات . وفى الكثرة على « فِعَل » مثل سدر ، وكسر .

والمعتل اللام يجمع على « فِعَــــل » مثل لحية ولحى ، ولا يكادون يجمعونه بالألف والتاء .

والمعتل العين يجمع بالصيغتين معاً ، فيقال : قيمة وقيمات وقيم . وكذلك الشأن فى المضعف « عدّة ، وعدات ، وعدد » [4] .

وهاتان الصيغتان ممثلتان فى شعر الهذليين .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٥ .
(٢) المرجع السابق ٣ / ٩ .
(٣) المرجع السابق ٢ / ٧٨ .
(٤) شرح المفصل ٥ / ٢٣ .

ولكنا نجد إلى جانب ذلك فى شعر هذيل صيغاً أخرى خارجة على هذا الوزن ، منها ما هو مألوف فى اللغة ، وهذا فى جمع « فِعْلة » على « فُعَل » مثل « ذروة وذرى » فى شعر صخر الغى [1] .

كما نجد خروجاً غير مألوف فى الصحيح والمضعف معا ، ويتراءى هذا فى جمع فِعلة على « فِعال » خلافاً للمألوف من جمعها في القلة بالألف والتاء ، وفي الكثرة على وزن « فِعَل » .

ومن ذلك جمع « لقحة على لقاح » في قول أبي خراش :

« غـذِيّ لقـاح لا يزال كأنه . . . » [2]

وجمع « حلة على حلال » في قول عمرو ذى الـكلب :

بفتيـــان عمـارط من هذيل   هُمُ ينفـــون آناس الحِـلال [3]

وزن فُعْلة :

يجمع جمع قلة بالألف والتاء مثل « حجرة وحجرات » . ويجمع جمع كثرة على « فُعَل » مثل « حجر » [4] ، فمن أمثلة جمعه بالألف والتاء رجمة ورجمات في شعر أبي ذؤيب [5] . ومن أمثلة جمعه على « فُعَل » حزنة وحزن في شعر ساعدة بن جؤية [6] (والحزن الجبال الغلاظ) ؛ وجحمة وجحم (وهى حر النـار) ، وقحمة وقحم (وهى عظائم الأمور) وذلك في شعره أيضاً [7] ، وصحرة وصحر (أى صحراء وصحارى) في شعر أبي ذؤيب [8] ، وربدة وربد (والربد آثار سوداء في الشىء)

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٦٩ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٢٨ .

(٣) المرجع السابق ٣ / ١١٥ ـــ اللسان « أنس » .

(٤) شرح المفصل ٥ / ٢٣ .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٩٩ .

(٦) المرجع السابق ١ / ٢٠٨ .

(٧) المرجع السابق ١ / ١٩١ ، ١٩٢ .

(٨) المرجع السابق ١/٩٢ . الصحاح « يرع » . اللسان « يرع ، سى » . مقاييس اللغة « صحر » .

فى شعره كذلك [١] ، وفى شعر مالك بن خالد الخناعى [٢] ، وشعر صخر الغى [٣] ، وجنادة بن عامر [٤] .

ومن المضعف حمة وحمم فى شعر ساعدة بن جؤية [٥] .

وإلى جانب صيغة « فُعَل » هذه فى المضعف نجد « فعال » ومنها فى شعرهم قبة وقباب [٦] ، وجمة وجمام [٦] (وهى ما اجتمع من الماء) .

* * *

وقد تخرج « فُعلة » عما هو مألوف فى جمعها ، فتجمع فى شعر الهذليين على « فعائل » جمعاً نادراً كجمع عصبة على عصائب فى قول مالك بن خالد الخناعى :

كأنا ببطن الشعب غربان غيلة ومن فوقنا منهم رجال عصائب[٧]

* * *

تلك أهم الملاحظات على جموع التكسير فى أهم أوزان الثلاثى ممثلة فى الشعر الهذلى . أما أوزان غير الثلاثى فهى موضوع دراستنا فى المبحث التالى من مباحث هذا الفصل .

جموع غير الثلاثى

جمع الرباعى :

يجمع الرباعى الذى جميع حروفه أصلية ، اسماً كان أو صفة ، مجرداً من التاء أو

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ٣ / ١٦ .

(٣) المرجع السابق ٢ / ٦٠ .

(٤) المرجع السابق ٣ / ٣٠ .

(٥) المرجع نفسه ١ / ٢٠١ .

(٦) المرجع نفسه ١ / ٧٣ ، ٩٨ .

(٦) المرجع نفسه ٢ / ٢٠٧ .

(٧) المرجع نفسه ٣ / ١٢ .

غير مجرد منها على وزن « فعالل » كثمالب ، ويستعمل هذا للكثير والقليل معاً ، ومما جاء على طريقته «مفاعل» كمساجد ومكارم[1] وينقاس في كل رباعي أوله ميم زائدة .

وقد وردت صيغة «فعالل» هذه كثيراً في الشعر الهذلي مثل : «حوشب وحواشب» (منتفخات البطون) في شعر حبيب بن الأعلم[2] ، « جنجن وجناجن » (وهي عظام الصدر) في شعر المعطل [3] ، « جندع وجنادع » (اسم علم لشخص وقبيلة) في شعر البريق [4] ، وسلجم وسلاجم (والسلاجم الطوال) في شعر عمرو بن الداخل [5] ، « وحنتم وحناتم » (أي سحب سود) في شعر أبي ذؤيب [6] ، و «حنظب وحناظب» (حشرة تشبه الخنفساء) ، و «جأنب وجآنب» (والجأنب الطويل أو الضخم الغليظ) في شعر حذيفة بن أنس [7] ، و « جندب وجنادب » في شعر أمية بن أبي عائذ [8] .

وفي حديث ابن مسعود أنه « كان يصلي والجنادب تنقُز من الرمضاء » [9] .

ومن «مفاعل» التي جاءت عليها بعض الجموع نجد : « مسحنة ومساحن » (وهي الرحى) في شعر المعطل [10] و « مشوذ ومشاوذ » (عمائم) في شعر قيس بن عيزارة [11] ، و « ومِذنب ومذانب » في شعر حذيفة بن أنس [12] ، و « مقنب

---

(١) شرح المفصل ٥ / ٣٨ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٨٠ .

(٣) المرجع السابق ٣ / ٤٨ .

(٤) المرجع نفسه ٣ / ٥٤ .

(٥) المرجع نفسه ٣ / ١٠٣ . الصحاح « عقر » .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٥١ . اللسان « حنتم » . التصحيف والتحريف ص ٩٦ .

(٧) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٨) ديوان الهذليين ٢ / ١٩٥ .

(٩) ابن الأثير : النهاية ١ / ٢١٣ .

(١٠) ديوان الهذليين ٣ / ٤٥ . اللسان « سحن » .

(١١) ديوان الهذليين ٣ / ٧٤ .

(١٢) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٢٢٥ .

ومقانب » (أى جماعات) ، و « ملاث وملاوث » (أى ملاجىء يلجأ إليهم) في شعر أبي ذؤيب [1] .

ولكن خرج الهذليون أحياناً في شعرهم على هذه الصيغة ، فبدلا من « مفاعل » نرى « مفاعيل » ، « فملاوث » هذه نجدها « ملاويث » . وقد وردت هكذا في شعر أبي ذؤيب [2] .

وإذا كانت « فعالل » هى الغالبة فى هذا الجمع « جمع الرباعى » عند الهذليين ، وفى اللغة السائدة ، فإنا نجد مع هذا في شعر هذيل « فعاليل » ، ومن ذلك خلاجيم وعلاجيم جمع خلجم وعلجم في قول أبي ذؤيب نفسه :

إذا ما الخلاجيم العلاجيم نَـكلوا   وطال عليهم حميها وسعارها [3]

. . .

علاجيمه غرقى في رواء كأنهـا   قيـان شروب رجعهن نشيج [4]

ولكن رواية الديوان للبيت الأخير « ضفادعه » بدلا من « علاجيمه » [5] ، فيكون على هذا سائراً فى الاتجاه المعتاد في هذا الجمع ، ولا خروج فيه .

هذا وقد وجد « فعالل » و « فعاليل » معاً في شعر ساعدة بن جؤية :

« فخرّ وألقت كل نعل شراذما » [6]

« ولم يبق من شرها إلا شراذيم » [7]

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٤٤ ، ١١٣ .
(٢) تاج العروس « لوث » .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ٣٢ — كتاب الصناعتين ص ٢٦٠ .
(٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٢٣٣ .
(٥) ديوان الهذليين ١ / ٥٥ .
(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٨ . تاج العروس « شرذم » .
(٧) المرجع الأخير « المادة نفسها » .

فلعل الضرورة ألجأته إلى حذف الياء فى « شراذم » ، أو إشباع الكسرة فى « شراذيم » ، وإن كانت الصيغتان قد وجدتا معاً فى أشعار قومه ، ولكن صيغة « فعالل » هى الصيغة الغالبة — كما رأينا — فى هذا الجمع ، حتى عند الهذليين أنفسهم ؛ فليس غريباً أن يعتبرها النحاة أصلا فى جمع الرباعى .

جمع الخماسى :

المشهور فى جمع الخماسى أنه يرد إلى الرباعى فيجمع جمعه ، فيقال : سفرجل وسفارج ، وشمردل وشمارد [1] .

وهذا المسلك نجده عند الهذليين غالباً ، فهم يقولون : « غرنّيق وغرانق » (نوع من طيور الماء طويل العنق) ونجد هذا فى شعر جنادة بن عامر [2] ، و « عمروط وعمارط » ، (وهم الذين لا يتركون شيئاً إلا أخذوه) وذلك فى شعر عمرو ذى الكلب [3] ، و « بطريق وبطارق » ، و « عُطبول (وهي المرأة الفتية) وعطابل » وهذا فى شعر أبى ذؤيب[4] ، « وصحصاح وصحاصح » (وهو ما استوى من الأرض) ، و « وعواع ووعاوع » (أول من يغيث من المقاتلين) وهو فى شعر أبى كبير[5] .

وقد أقر بعض اللغويين هذا اللفظ الأخير « وعاوع » وصححوا وروده جمعاً لهذا المفرد[6] وهكذا وصل إلينا فى بعض معاجمهم [7] . ولكن من اللغويين من يقول بأن أصله « وعاويع » فحذف الياء للضرورة[8] ، ويقارب هذا ما يقوله ابن منظور بشأن « بطارق وبطاريق » فى بيت أبى ذؤيب الذى سبقت إليه الإشارة [9] .

---

(١) شرح المفصل ٥ / ٣٩ .
(٢) ديوان الهذليين ٣ / ٣٠ .
(٣) المرجع السابق ٣ / ١١٥ — اللسان وتاج العروس « أنس » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٤١ ، ١٥٣ — اللسان « بطرق » .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٢٨ .
(٦) المرجع السابق ٢ / ٩١ .
(٧) القاموس ، تاج العروس « وعوع » .
(٨) المخصص « وعع » .
(٩) اللسان « بطرق » .

والحق أنه لا داعى لهذا القول ؛ فإن من المعروف عند هذيل وفى الفصحى أن يكون جمع الخماسى هو نفسه جمع الرباعى ، وقد وجد فيه أمثال هذا بالحذف فى ألفاظ كثيرة ، كما وجد الإشباع فى ألفاظ أخرى .

فإذا كان المشهور فى جمع الخماسى – كما رأينا – هو صيغة « فعالل » كجمع الرباعى سواء بسواء ، فإن بعض ألفاظ الخماسى يخرج – مع هذا – عن ذلك الاتجاه العام ، فنجده فى شعر الهذليين ، وقد يكون عند غيرهم أيضاً « فعاليل » كما لمسنا ذلك فى الرباعى . ومن أمثلة هذا جراميز (أى أعضاء الجسم) ، وبلاعيم فى شعر أمية بن أبى عائذ [1] ، وعناجيج (أى الطوال الأعناق) فى شعر ساعدة بن جؤية [2] ، ومُليح ابن الحكم [3] ، وشماريخ فى شعر مالك بن خالد الخناعى [4] .

جمع أسماء من أربعة أحرف ثالثها حرف مد زائد :

وزن فَعَال :

يجمع على « أفعلة » كزمان وأزمنة ، وقد يجمع أيضاً على « فعول » [5] .

ولكنا نجد عند الهذليين ، وفى مألوف اللغة ما يخرج على ذلك ، فنجد جمع «فَعَال» على « فِعال » مثل جواد وجياد [6] ، كما يجمع على « فعائل » مثل شمال وشمائل [7] .

وإذا كان المألوف فى جمع « فَعال » وصفاً كجبان هو « جبناء » فإننا نجد فيه عند الهذليين « أجبان » ، وذلك فى قول أبى قلابة الهذلى اللحيانى :

إذ لا يقارع أطراف الظبات إذا استوقدن إلا كماة غير أجبان [8]

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٦ ، ١٨٣ مقاييس اللغة « حيد » .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٩ .
(٣) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ٣ / ١٠٠١ .
(٤) ديوان الهذليين ٣ / ١١ .
(٥) شرح المفصل ٥ / ٤١ .
(٦) ديوان الهذليين ٣ / ٢٨ .
(٧) المرجع السابق ٢ / ١٤٩ .
(٨) ديوان الهذليين ٣ / ٣٩ .

وزن فِعال :

يجمع في القلة على « أفعلة » « كحمار وأحمرة » ، وفي الكثرة على « فُعُل » مثل « حمر » ، وقد يجمع أيضاً على « فعائل »[1] .

ومن أمثلة جمعه في الشعر الهذلي على « أفعلة » سقاء وأسقية في شعر أبي ذؤيب[2] ، وشفاء وأشفية في شعر العجلان بن خويلد[3] .

ومن جمعه على « فُعُل » إزار وأزر في شعر أبي ذؤيب[4] ، ولجام ولجم في شعر ساعدة بن جؤية[5] .

أما جمعه على « فعائل » فمنه شمال وشمائل في شعر المتنخل[6] وأبي خراش[7] ...

ويلاحظ أن شمائل هذه إذا كانت هنا جمعاً لشمال بالكسرة ، فإنها في الوزن السابق جمع لشمال بالفتح . وهكذا نجد « فعائل » شركة في الجمع بين « فِعال وفَعال » . وهذا الاشتراك نجده في أحوال كثيرة .

ولكن جمع « فِعال » ليس مقصوراً على الصيغ المذكورة ، فقد يجمع على « أفعُل » كذراع وأذرع[8] ، ولسان وألسن[9] . ونجد هذا في واقع اللغة كما نجده ماثلا في شعر هذيل .

ولا نكاد نجد خروجاً عندهم في هذا الوزن من أوزان الجمع عن مألوف اللغة .

---

(١) شرح المفصل ٥ / ٤١ .
(٢) ديوان الهذليين ١ / ٤٢ .
(٣) المرجع السابق ٣ / ٣١٢ .
(٤) المرجع السابق ١ / ١٥٠ .
(٥) المرجع السابق ١ / ٢٠٣ .
(٦) المرجع نفسه ٢ / ٣٢ .
(٧) المرجع نفسه ٢ / ١٢٠ .
(٨) المرجع نفسه ١ / ١٠ .
(٩) المرجع نفسه ٢ / ٢٦٠ .

وزن فُعال :

يجمع فى القلة على « أفعلة » ، وفى الكثرة على « فِعلان » [1] . ومن أمثلة جمعه على « فعلان » غراب وغربان فى شعر مالك بن خالد الخناعى [2] وعقاب على عقبان فى شعر أبى ذؤيب [3] وساعدة بن جؤية [4] وأبى خراش [5] .

ومن أمثلة « أفعلة » جمع غراب على أغربة فى قول مالك بن خالد الخناعى :

(من فـوقه أنسر سود وأغربة) [6]

ورغاء على أرغية فى شعره أيضاً [7] .

وقد يشذ عن هذا فنراه فى شعر هؤلاء الهذليين على (أفعُل) مثل كراع وأكرع فى شعر أبى ذؤيب [8] .

وزن فعيل :

يجمع فى القلة على (أفعلة) مثل كثيب وأكثبة . وقد يجمع على (فِعْلة) كصبى وصبية ، وعلى (أفعال) كيمين وأيمان .

وفى الكثرة على (فُعُل ، وفُعلان) مثل (كثيب وكثب وكثبان) . وما عدا ذلك فقد عده النحويون من الشواذ [9].

---

(١) شرح المفصل ٥ / ٤١ .

(٢) ديوان الهذليين ٣ / ١٢ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٣٨ ، ١٠٤ .

(٤) المرجع السابق ١ / ٢٢٦ .

(٥) المرجع نفسه ٢ / ٢٣٣ .

(٦) المرجع نفسه ٣ / ٢ .

(٧) المرجع نفسه ٣ / ١٧ .

(٨) المرجع نفسه ١ / ٧ . تاج العروس « حصب » .

(٩) شرح المفصل ٥ / ٤١ .

ومن أمثلة جمعه على (أفعـلة) : عقيق وأعقة في شعر أبي خراش [1] وطريق وأطرقة في شعر صخر الغي[2] ، ومسيل وأمسلة في شعر أبي ذؤيب[3] .

وإذا كان لفظ (مريع) أي خصيب يجمع في مألوف اللغة على (أمراع) كأفعال، فإنه يجمع في شعر الهذليين جمعاً غريباً هو (أمرُع) على أفعُل كما جاء في شعر أبي ذؤيب [4] .

وقد بلغ من غرابة هذا الجمع أن أنكره بعض علماء العربية كابن برى ، وقد قال بأنه جمع (مَرْع) وهو الكلأ [5] .

ومن أمثلة ورود هذا الجمع في الـكثرة على (فُعُل) مسيل ومُسُل ، وقضيب وقضب في شعر صخر الغي [6] ، وصبير وصبر (وهو الغيم الأبيض) في شعر ساعدة بن جؤية [7] ، وسحيل وسحل (الثياب البيض) في شعر المتنخل [8] .

ومما خَرَج على القياس المألوف في صياغة هذا الجمع : جمع فعيل على (فعائل) مثل أصيل وأصائل في قول أبي ذؤيب :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل [9]

وسنين على سنائن (وهي الرياح) في قول المفطل :

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٧٦ ـــ مقاييس اللغة ، اللسان « جزم » .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٠١ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٤ . الصحاح ، واللسان « مرع » . التصحيف والتحريف ص ٨٠ .

(٥) اللسان « مرع » .

(٦) شرح أشعارَ الهذليين « مخطوط » ٢٤ ـــ ديوان الهذليين ٢ / ١٢٨ ، ٢٣٨ .

(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٢ ـــ اللسان « صبر » .

(٨) ديوان الهذليين ٢ / ١٠ .

(٩) المرجع السابق ١ / ١٤١ ـــ المبرد : الكامل ٢ / ٢٨ . اللسان وتاج العروس « أصـــل » . إصلاح المنطق ص ٣٥٤ .

أبَيْنا الدّيان غيرَ بِيض كأنها فضول رِجاع رقرقتها السنائن[1]

وهذه الصيغة من صيغ الجمع إنما هى فى مألوف اللغة جمع (فعيلة) لا جمع (فعيل) .

هذا شأن (فعيل) حينما يكون اسماً . أما (فعيل) وصفاً ، فقد خرج على المألوف في جمعه (غليظ وغلظاء) في قراءة ابن مسعود : (أذلة على المؤمنين غلظاء على الكافرين)[2] بدلا من (أعزة على الكافرين)[3] في قراءة جمهور القراء .

والجمع المعرف لهذا اللفظ في القرآن (غلاظ) ، وهو الاستعمال المألوف في الفصحى بشأن هذا الجمع .

وزن فَعول :

يجرونه في جمع التكسير مجرى (فعيل) ، فهو في القلة على (أفعلة) كأعمدة ، وفي الكثرة على (فُعُل) كعمد[4] .

وأمثلته في جمع القلة كثيرة في شعر هذيل . ومن أمثلته في الكثرة عندهم : بكور وبُكر (ما بكر من النخل) في شعر المتنخل[5] ، عَجول وعجل (وهى التى أكل السبع ولدها أو مات) في شعر أبي المثلم[6] .

وقد نجد عند الهذليين خروجا على المألوف في هذا الجمع إذ يجمعون أحياناً وزن (فَعول) على (أفعل) مثل رسول وأرسل[7] .

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٤٧ .
(٢) البحر المحيط ٣ / ٥١١ .
(٣) سورة المائدة ٥ الآية ٥٤ .
(٤) شرح المفصل ٥ / ٤١ .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٣ .
(٦) المرجع السابق ٢ / ٢٣٤ .
(٧) المرجع السابق ٢ / ٩٩ .

كما نجد جمع « فَعول » أحياناً أخرى على « فَعائل » مثل جَدود وجدائد (وهى الأتن التى خف لبنها) فى شعر أبى ذؤيب[1] ، وأسامة بن الحارث[2] ، وأبى خراش[3] .

وزن فاعل (صفة) :

الأصل فيه أن يجمع بالواو والنون ، ومؤنثه بالألف والتاء . وقد ذكر النحاة أنه يجمع جمع تكسير على « فعل » مثل بازل وبزل ، كما ذكروا إلى جانب هذا صيغاً أخرى[4]

وليس هناك خلاف يؤبه له بين ما جاءنا فى شعر الهذليين ، وما نص عليه النحاة فى كتبهم ، غير أننا قد سبق لنا أن رأينا فى الجمع بالألف والتاء أن الهذليين يعدلون عنه فى جمع « فاعلة » إلى « فواعل » فى كثير من تراثهم .

وهنا نرى أنهم قد يعدلون عن الجمع بالواو والنون فى جمع « فاعل » وعن بعض جموع التكسير فى هذا الوزن نفسه إلى صيغة « فُعَّل » ونجد من هذا : « شاهد وشُهَّد » فى شعر أبى ذؤيب[5] ، و « باد وبدَّى »[6] فى قراءة طلحة[7] بن مصرف من تلاميذ ابن مسعود ، وغاز وغزَّى[8] وقد رويت عن ابن مسعود نفسه[9] .

ومثل هذا أيضاً ما نجده فى قوله تعالى : « مستكبرين به سامرا تهجرون »[10] ، فقد قرأها ابن مسعود « سُمَّرا » بالجمع على صيغة « فُعَّل »[11] . وكذلك قوله سبحانه :

---

(١) ديوان الهذليين ١/٤ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١/١١ . السجستانى : الأضداد ص٩١ .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٤ .
(٣) المرجع السابق ٢ / ١١٧ .
(٤) شرح المفصل ٥ / ٥٤ .
(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٥٣ .
(٦) سورة الأحزاب ٣٣ الآية ٢٠ .
(٧) مختصر شواذ القراءات ص ١١٨ .
(٨) سورة آل عمران ٣ الآية ١٥٦ .
(٩) مختصر شواذ القراءات ص ١١٨ .
(١٠) سورة المؤمنون ٢٣ الآية ٦٧ .
(١١) ابن جنى المحتسب ص ٥٥٤ .

« أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين » (١) ، فقد قرأها أيضاً (خُيَّفا) بهذه الصيغة نفسها (٢) .

فلعل فى هذا كله ما يشير إلى اتجاه هذيل إلى هذه الصيغة من صيغ الجمع فى بعض الألفاظ التى جاءت على وزن فاعل وكانت صفة من الصفات .

بقيت إشارة سريعة هى أنه إذا كان معروفاً أن وزن (فاعل) من صيغ جمعه المألوفة (فواعل) مثل جانح (أى مائل بجناحه) والجمع جوانح ، فإنا — مع هذا نجده عند الهذليين (أجناح) بدلا من جوانح ، وذلك فى مثل قول أبى ذؤيب :

قمر بالطير منه فاعم كدر ... فيه الظباء وفيه العصم أجناح (٣)

فصيغة (أفعال) فى هذا المقام هى من صيغ الجمع الغريبة التى نجدها أحياناً فى الشعر الهذلى .

وربما كان أغرب من هذا أن هذه الصيغة نفسها وردت فى شعرهم جمعاً لوزن (فُعلى) صفة كحبلى ، فمألوف الجمع فيها (حبالى) ولكنها وجدت عندهم (أحبال) فى قول أبى جندب الهذلى :

إذا معشر يوماً بغونى بغَيْتهم ... بُسقِيطة الأحبال فقماء قِنطر (٤)

وعند ساعدة بن جؤية فى قوله :

ذا جرأة تسقط الأحبال رهبته ... مهما يكن من مسامٍ مكره يسم (٥)

جمع الرباعى المبدوء بهمزة :

يجمع على صيغة واحدة هى (أفاعل) مثل أبكم وأباكم ، وإصبع وأصابع (٦) .

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ١١٤ .

(٢) القالى : الأمالى ١ / ٢١٠ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٤٨ .

(٤) ديوان الهذليين ٣ / ٩٣ .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٢ . اللسان ، وتاج العروس « حبل » .

(٦) شرح المفصل ٥ / ٦٢ .

ومن ذلك فى الشعر الهذلى (أيهر وأباهر) فى شعر عمرو بن الداخل (١) وأجدل وأجادل (الصقور) فى شعر أبى ذؤيب (٢) ، و (أبرق وأبارق) (جبال) فى شعر ساعدة بن جؤية (٣) ، و (أبجل وأباجل) (عرق فى الرجْل) فى شعر أبى خراش(٤) ، وأشجع وأشاجع (أصول الأصابع) فى شعر أسامة بن الحارث (٥) ، (وأزمل وأزامل) (الأصوات المختلفة) فى شعر أبى قلابة (٦) .

وقد ورد هذا الجمع فى اللفظ الأخير عند الهذليين (أزاميل) وذلك فى شعر عبد مناف بن ربع الهذلى (٧) . ونرى مثل هذا الإشباع أيضاً فى مواطن أخرى من الشعر الهذلى كلفظ (أناجيج) من قول أبى ذؤيب :

بُغايةً إنما يبغى الصحاب من الفتيان فى مثله الشم الأناجيج (٨)

وقد سبق أن أشرنا إلى أن مثل هذا قد يحدث عن ضرورة شعرية ، أو لعله من قبيل الخلاف بين لهجات البطون المختلفة لهذه القبيلة التى تشغل حيزاً كبيراً من أرض الجزيرة العربية يتعرض فيه بعض بطونها لما قد لا تتعرض له البطون الأخرى من مؤثرات .

وإذا كان قد سبق القول بمثل هذا فيما عرضنا له من صيغ مشابهة وقع فيها الاختلاس حيناً ، والإشباع حيناً آخر . فإنه هو نفسه يقال فيما لم نعرض له من صيغ مثل (مطافل) و (مطافيل) فى جمع (مُطفِل) ، فقد جاء الإشباع فيهما عند أبى ذؤيب(٩)،

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٠١ .
(٢) المرجع السابق ١ / ٨٢ ، ١٤٢ .
(٣) المرجع السابق ١ / ١٧٠ .
(٤) المرجع السابق ٢ / ١٢٣ .
(٥) المرجع نفسه ٢ / ٢٠٠ .
(٦) المرجع نفسه ٣ / ٣٣ .
(٧) المرجع نفسه ٢ / ٤١ .
(٨) اللسان « بغى » . ديوان الهذليين ١ / ١١٣ .
(٩) ديوان الهذليين ١ / ١٤١ . الصحاح « طفل » . اللسان « بكر » . ابن الأنبارى : الأضداد ص ١٠٨ . مسالك الأبصار ١ / ٣٨٦ .

كما روى الاختلاس في شعر أبي كبير (١) ، وشعر مليح الهذلي (٢) ، وفي شعر أبي ذؤيب أيضاً (٣) .

وكذلك (مطاعم) و (مطاعيم) ، فقد روى الإشباع في شعر ساعدة بن العجلان(٤) ، وشعر أبي ذؤيب(٥) ، كما روى الاختلاس في شعر أبي المثلم(٦) .

ولكني — مع ذلك — أميل إلى القول بالضرورة في بعض هذا على الأقل فيما وقع فيه الاختلاس والإشباع على لسان شاعر واحد من شعرائهم .

* * *

وإذا كنا نلمس ظاهرة الإشباع في صيغة (أفاعل) هذه ، ونظائرها مما وقع فيه ذلك ، فإنا نجد – مع هذا – صيغة أشد غرابة ، وبعداً عن مألوف اللغة في هذا النوع من الجمع ، تلك هي (أفعال) جمعاً (لأفعل) ، فقد ورد في شعر هذيل (أجلاح) في جمع (أجلح) ، ومنه قول أبي ذؤيب :

إلا تكن ظعنا تبنى هوادجها فإنهن حسان الزي أجلاح (٧)

* * *

وهكذا نرى في جموع التكسير في شعر هذيل شيئاً من الشذوذ ، ونلمس أنه قد يجيء الجمع عندهم أحياناً على غير مفرده المستعمل في مألوف اللغة .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٩١ .
(٢) ابن سيده : المحكم ٢ / ٢٤٢ .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٤٠ . المخصص ١٦ / ١٦١ . الخصائص ٣ / ١٢٣ . مسالك الأبصار ١ / ٣٥٦ .
(٤) ديوان الهذليين ٣ / ١١١ .
(٥) المرجع السابق ١ / ١٥٠ .
(٦) المرجع السابق ٢ / ٢٢٨ .
(٧) ديوان الهذليين ١ / ٤٧ .

ونحن لم نعمد إلى عرض بعض صيغ جموع التكسير هذا العرض السريع إلا لبيان موقف الشعر الهذلى – وما يسانده من آثار هذلية أخرى – مما قرره النحويون فى هذا الشأن .

وليس القصد من ذلك هو دراسة هذه الجموع فى شكل جامع مستوعب ، لأننا لسنا بصدد لغة نقعد قواعدها ، ونوضح أصولها ، وإنما هى ظواهر خاصة نرصدها فى شىء من القصد والإيجاز .



الفصل الثالث
بعض ظواهر البنية ممثّلة في الاشتقاق

الفصل الثالث

بعض ظواهر البنية ممثلة في الاشتقاق

قد تتغير بنية الكلمات عن طريق التغاير فى الاشتقاق من لهجة إلى أخرى داخل اللغة الواحدة ، وقد يتناول هذا التغير المصادر والأفعال المختلفة ، والمشتقات الأخرى إن قليلا أو كثيراً ، ولكنه ، مهما يكن الأمر ، فإن هذه الظاهرة من الظواهر الجديرة بأن يتتبعها الباحث ويسجلها فى شىء من العناية ؛ لما لها من أثر فى تمييز اللهجات بعضها عن بعض ، وما يتبع ذلك من آثار أخرى لها أهميتها البالغة فى الدراسات اللغوية .

وقد أفردت لذلك هذا الفصل من فصول البحث .

المصدر

المعلوم أن المصدر — شأنه شأن غيره — لا يختلف اختلافاً جوهرياً عنه فى اللغة السائدة التى يقوم فى الواقع نحوها وصرفها ومفرداتها على تتبع هذه اللهجات ، والأخذ مما هو جدير منها بالأخذ بين لغات العرب ، ومن بينهم هذيل .

ولكنا — مع هذا — نجد شيئاً من الخلاف يلفت النظر فى بعض الأحيان .

ومن ذلك ما نراه من اتجاه إلى صياغة بعض المصادر على (فُعول) ، فقد تتفق هذيل فى بعض هذا مع الاتجاه العام للغة مثل صياغة مصدر (فَعَل) اللازم على فعول ، ومن ذلك قولهم : (بدا بُدوا) ، و (مثل مثولا) كما فى قول أبى خراش :

يقربه النهض النجيح لما يرى　　فمنه بدو مرة ومثول [1]

---

(١) ديوان الهذليين ٢/١٢٣ ـ القالى : الأمالى ١/٥٧ ، ٥٨ ـ ابن السكيت : الأضداد ص ١٨١ الأصمعى : الأضداد ص ٣١ . الجمرة « ثلم » .

ومثل ذلك (عكف عكوفاً) ، و (هجع هجوعاً) ، و (رجع رجوعاً) ، و (طلع طلوعاً) فى شعر أبى ذؤيب [1] ، و (غبر غبوراً) ، (همر هموراً) ، و (فتر فتوراً) فى شعر ساعدة بن جؤية [2] .

ولكن إذا كان الاتجاه العام للغة قد يؤثر أحياناً (فَعالا) على (فُعول) فى هذا النوع من المصادر كقولهم (صلح صلاحاً) ، (كل كلالا) ، فإنا نجد عند هذيل ميلا إلى (فعول) مثل (صُلوح ، وكُلول) .

وهذا فى قول ساعدة بن جؤية :

ألا قالت أمامة إذ رأتنى لشانئك الضراعة والكلول [3]

وقول عون بن عبد الله بن عتبة :

وكيف بأطرافى إذا ما شتمتنى وما بعد شتم الوالدين صلوح [4]

فالصلوح هو الصلاح [5] ، والأخير هو السائد فى اللغة .

وصيغة فعول هذه مألوفة فيما كان على مثال (قعد يقعد قعوداً) ، ولهذا ينضوى تحتها لفظ (صلوح) على أساس أنه مصدر قياسى ، وإن كان — فى الغالب — غير مألوف فى الاستعمال اللغوى .

أما لفظ (كلول) فعلى الرغم من وجوده فى المعاجم اللغوية [6] فإنه — مع ذلك — لا يساير قواعد النحاة ، وما وضعوه فى باب المصدر من مقاييس ، هذا إلى جانب بعده عن المألوف فى الاستعمال اللغوى .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٨٦ ، ١٠٠ . الهمدانى : الألفاظ الكتابية ص ٢٨٦ . اللسان « غور » . العينى : الشواهد الكبرى « على هامش الخزانة » ١ / ١١٥ .

(٢) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ٣ / ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٢١١ .

(٤) تاج العروس « طرف » . اللسان « مثل » ، « طرف » .

(٥) القاموس « صلح » .

(٦) المرجع السابق « كلل » .

وإذا كان المشهور فى الفعل (جبر) أن مصدره (جبْر) فإنا ألفيناه فى شعر الهذليين بلفظ (جبور) .

وذلك فى قول أبى ذؤيب :

(لكل أناس عثرة وجبور)[1].

ولكن النحاة واللغويين يقولون بأن هذا الفعل يأتى لازماً ومتعدياً ، ويسوقون لذلك شاهداً خاصاً هو قول الراجز :

(جبر الدين الإله فجبر)

وعلى هذا يمكن أن يكون المصدر (جبوراً) مصدراً للفعل (جبر) اللازم دون المتعدى ، وبهذا يتسق مع ما وضعه النحاة من قواعد ، وإن كان مع هذا غريباً غير مألوف .

وما يقال فى (جبر) يقال مثله فى (همر) فالمصدر عندهم فيه (همور) وهو — كما سبق أن أشرنا — ماثل فى شعر ساعدة بن جؤية [2] . وما يقال فى (جبور) و (همور) يقال فى (طمور) من طمر فى شعر أبى ذؤيب [3] .

وإذا كان المعروف أن مصدر الفعل (عثر) بمعنى زل وأخطأ هو (عثر) و (عثار) ، وإلى جانبهما يوجد فى معاجم اللغة (عثير) [4] ، فإنا نجد فيه عند الهذليين (عثوراً) على وزن (فعول) . وذلك فى قول أبى ذؤيب :

لا يبعدن الله لبك إذ غزا   فسافر والأحلام جم عثورها [5]

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٣٨ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٦٦ . الصحاح « قيص » . تاج العروس ، اللسان « قيص ، قيض » . الجمهرة « جبر » . المخصص ١٣ / ٤٣ . ابن السكيت : الأضداد ص ١٧١ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٧ .

(٣) المرجع السابق ١ / ١٥٦ — الأساس ، الجمهرة « جبر » .

(٤) القاموس « عثر » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٥٧ .

والعثور أكثر ما يستعمل فى مألوف اللغة ، فإنما يستعمل فى العثور على الشيء .

ولعل من هذا أيضاً لفظ (فروج) مصدراً للفعل (فرج) فى قول أبى ذؤيب :

(والشر بعد القارعات فروج)[1]

أى تفرج وانكشاف ، فهذا أولى من اعتباره جمع تكسير ، وأكثر استقامة مع السياق ، وإن كان اللغويون يتأرجحون فيه بين المصدر والجمع .

وكذلك شأنهم فى لفظ (وعوث) حين يقول صخر الغى فى أبى المثلم :

يحرض قومه كى يقتلونى على المُزَنى إذ كثر الوعوث

فهم يعتبرون أحياناً أن (الوعوث) الخلط والشر[2] ، وأحياناً أخرى يقولون بأن (الوعث) هو فساد الأمر واختلاطه ، والجمع وعوث[3] .

ومن ذلك أيضاً أننا نجد عندهم لفظ (نصور) مصدراً للفعل (نصَر) فى قول أبى ذؤيب :

(فتلك الجوازى عقبها ونصورها)[4]

و (صنوع) مصدراً للفعل (صنع) فى قوله :

(كواهية الأخرات رث صنوعها)[5]

وإذا كان الزبيدى ينقل إلينا قول ابن سيده : (صنوعها لا أعرف له واحداً)[6] ، فإن هذا وهم منه حين عدل عن المصدر إلى افتراض الجمع الذى لا يعرف له واحداً .

---

(١) تاج العروس « فرج » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٣ ، المحكم وتاج العروس « وعث » .

(٣) اللسان « وعث » .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٥٨ . المحكم « عقب » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٨٦ . تاج العروس « صنع » . معجم البلدان « كساء » ٧ / ٢٩٤ .

(٦) تاج العروس « صنع » .

والحق أنه مصدر كما يفهم من سياق البيت ، وهو ما نبه عليه السكرى فى شرح أشعار الهذليين .

وإذا كان هذا هو شأن الهذليين مع صيغة (فعول) مصدراً فى هذا النوع من الفعل ، فإنه من الغريب أيضاً أن نجد — عندهم — إلى جانبها فى أحوال نادرة صيغة مفعول مصدراً (لفعُل) اللازم ، فنجد لفظ (مجلود) مصدراً بمعنى (جلَد) ، وذلك فى مثل قول قيس بن عيزارة :

وأبيك إن الحارث بن خـويلد ... لأخـو مدافعة له مجـلود [1]

وعلى هذا الأساس سجل اللغويون هذا المصدر إلى جانب المصادر التى ساقوها لهذا الفعل ، فقالوا : (جلُد جلادة ، وجُلودة وجلَدا ومجلودا) [2] .

وهذا المصدر غير مألوف فى الاستعمال اللغوى كثيراً ، والنحاة لا يأبهون بذكره لشذوذه عندهم ، وعدم استقامته مع قواعدهم ، ولكنه — كما نرى — حقيقة لغوية نشير إليها ، لأنه لا ينبغى إهمالها .

وهذا ما نجده أيضاً عند هؤلاء الهذليين من جعل (الميسور) مصدراً [3] فى معنى (اليسر) [4] . وتصور هذا قراءة ابن مسعود ، فقوله تعالى : (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) [5] نجده فى قراءة عبد الله (فنظرة إلى ميسوره) بإضافة المصدر (ميسور) على وزن مفعول إلى الضمير العائد على الغريم [6] (أى المدين) .

وهكذا نجد أن الهذليين قد يؤثرون أحياناً صياغة مصدر الثلاثى (فَعَل) لازماً ومتعدياً على (فُعول) .

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٧٣ .
(٢) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٢٥٤ . القاموس وتاج العروس « جلد » .
(٣) القاموس وتاج العروس « اليسر » . المصباح « يسر » .
(٤) المصباح « يسر » .
(٥) سورة البقرة ٢ الآية ٢٨٠ .
(٦) البحر المحيط ٢ / ٣٤٠ .

وهم فى بعض هذا يوافقون الاتجاه العام للغة ويخالفونه فى أكثره ، حتى إنك لتجد أن مصدراً كمصدر الفعل (نبح) يذكر فيه اللغويون (نبحاً ونبيحاً ونباحاً) [١] ، ولما اعترضهم لفظ (نبوح) فى شعر هذيل فسروه بأنه ضجة القوم وأصوات كلابهم [٢] ، فكأنهم قد لحوا فيه معنى (النباح) ، ولكنهم فروا من اعتباره مصدر (نبح) ؛ لأنه لا يتفق والمقاييس النحوية (الصرفية) ، مع أنه يحتمل أن يكون مصدراً لهذا الفعل ، وأن يلتقى مع النسق الذى نلمسه عند هذيل أحياناً فى نظائره من المصادر .

ولعل من مظاهر ميل هذيل إلى هذه الصيغة من صيغ المصدر أن الآية الكريمة : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) [٣] قرأها ابن مسعود الهذلى ، والأعمش الكوفى من تلاميذه (الرفوث) [٤] مكان الرفث عند جمهور القراء .

هذا ونجد عندهم (فعيلا) فى موضع (فَعَل) أو (فَعْل) ، فمصدر الفعل (وهَج) نجده فى اللغة (وهْجاً) و (وهجانا) وفى (وهْج) نجد (وهَجاً) [٥] . وإذا وجدنا إلى جانب هذا (وهيجا) ألفينا الشاهد عليه من الشعر الهذلى [٦] .

ومثل هذا نجده فى (أرج) و (أريج) ، فالأخيرة منها نراها فى شعر أبى ذؤيب [٧] .

وإذا وقفنا فى معاجم اللغة على أن مصدر الفعل (هبر) (بمعنى قطع هبرة من اللحم) إنما هو (هبْر ، وهبير) رأينا أن ثانيها يسجله الشعر الهذلى ، وأن علماء اللغة يفزعون إلى هذا الشعر فيستمدون منه الشاهد المطلوب [٨] .

---

(١) القاموس « نبح » .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٧٠ . الصحاح ، وتاج العروس « نبح » . اللسان « قطع » .

(٣) سورة البقرة ٢ الآية ١٨٧ .

(٤) الكشاف ١ / ١٥٦ . البحر المحيط ٢ / ٤٨ ، ٨٨ .

(٥) القاموس ، الأساس « وهج » .

(٦) اللسان « قطع » تاج العروس « وهج » .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ٥٩ . الصحاح ، اللسان « بول » المصباح « أرج » . الجواليقى : المعرب ص ٥١ .

(٨) تاج العروس « هبر » . اللسان « سقط ، هبر » . مقاييس اللغة والصحاح « سرط » .

وإذا كان مشى المقيد هو فى اللغة (رسْف) ، و (رسيف) ، فإن الأخير منهما ماثل فى شعر صخر الغى[١] .

وكذلك الشأن فى (نهت ، ونهيت) (وهو صوت شبيه بالزجر) فالأخير منهما أيضاً نجده فى شعر الراعش الهذلى [٢] .

ولهذا فنحن حين نقرر أن بعض المصادر التى جاءت على (فعيل) فى الشعر الهذلى ، وقراءة ابن مسعود وبعض تلاميذه تتفق مع الاتجاه العام ، وما وضعه له النحاة من مقاييس مثل (قب الأسد قبيبا) (سمع صوت أنيابه) فى شعر أبى ذؤيب[٣] ، وغير ذلك من مصادر مألوفة فى الشعر الهذلى — فإنا مع هذا لا نستطيع أن نوائم بين كل ما جاء عند الهذليين من ذلك ، وبين القالب اللغوى المألوف .

* * *

وقد تتأثر هذيل فى صياغة بعض المصادر بالاتجاه الذى سبق أن لمسناه من الملاءمة بين الحركات الثلاث ، وبين الألف والواو والياء أى بين أصوات اللين قصيرها وطويلها ، أو ما عبر عنه (برجشتراس) بالحركات المقصورة والممدودة [٤] .

فقد نجد عندهم (القال) فى مكان (القول) ، و (الحاب) فى مكان (الحوب) .

ولهذا فإن قول الله تعالى : (ذلك عيسى بن مريم قول الحق) [٥] نجد فيه قراءة ابن مسعود (قال الحق) [٦] ومثلها (قال الله) [٧] أى قول الله . وقد قرأ الحسن

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٧٠ . الجمهرة « رسف » . معجم البلدان « عر » ٦ / ٢٢٠ .

(٢) الجمهرة « ت ن ه » .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٩٧ . تاج العروس « قبب » .

(٤) مذكرات لطلبة كلية الآداب بجامعة القاهرة بعنوان « تطور النحو » ص ٣٤ ، ٣٨ .

(٥) سورة مريم ١٩ الآية ٣٤ .

(٦) البحر المحيط ٦ / ١٨٩ . اللسان « قول » . مختصر شواذ القراءات ص ٨٤ .

(٧) المرجع الأخير « الصفحة نفسها » . تاج العروس « قول » .

قوله سبحانه (إنه كان حوبا كبيراً)[1] : (حابا كبيراً)[2] ، وقراءة الحسن أشبه ما تكون بقراءة ابن مسعود .

ونجد عندهم (الغار) أيضاً في موضع الغيرة ، وذلك في قول أبي ذؤيب :

لهن نشيج بالنشيل كأنها ضرائر حرمى تفاحش غارها[3]

ويقول اللغويون إن الغار لغة في الغيرة[4] ، وها نحن نرى أن الأولى تجد مكانها في الشعر الهذلي .

وإذا كان بعض اللغويين قد فسر الغار بالصخب[5] ، فهذا التفسير إنما هو — فيما أحسب — من قبيل التفسير باللازم ، إذ يلزم من غيرة الضرائر هذا الصخب المشار إليه . ولكن الأصل هو أن الغار والغيرة شيء واحد ، أو هما لغتان مختلفتان في لفظ واحد ، وهكذا قال اللغويون أنفسهم .

★ ★ ★

هذا ما نجده في الشعر الهذلي ، وفي بعض آثار الهذليين الأخرى أحياناً كقراءة ابن مسعود بشأن هذه الصيغة من صيغ المصدر .

ومع هذا نرى أن أبا حيان حينما يريد أن ينسب هذه اللغة إلى أصحابها يقول إن هذه لغة تميم وغيرهم ، ولعله يعني بذلك من يشابهونهم ويجاورونهم في وسط الجزيرة العربية ، وها نحن قد رأينا أثارة من هذا عند هذيل في الشعر وفي غير الشعر . ولعل قراءة الحسن البصري التي سبقت الإشارة إليها تزكي هذه النسبة ، فهناك من الروايات

---

(١) سورة النساء ٤ الآية ٢ .

(٢) البحر المحيط ٣ / ١٦١ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٢٧ . الأساس « فحش » . الاقتضاب ٤٦١ . الصحاح « غور » . تاج العروس « ضر ، غور » . اللسان « غور ، حرم ، ضرر » .

(٤) اللسان « غور » . الاقتضاب ص ٤٦١ .

(٥) المرجع السابق والمادة السابقة .

ما يفيد أن الحسن مكث حيناً في هذيل ، وقد انعكس على نطقه بعض ألفاظهم[1] .

وإذا صح هذا ، فإنا نرجح أن « حابا » تلك التي نسبت إلى الحسن قد حلت محل المصدر « حَوْبا » ، فذلك يؤيده الاتجاه الذي أشرنا إليه في أصوات اللين من الارتباط بين الفتحة والألف . أما « حـوبا » بالضم والواو وهي الاسم المرادف للإثم والذنب فلا يمكن أن تصير « حابا » ؛ لأنها ليست مصدراً من جهة حتى يحل محلها مصدر ، ولأن الملاءمة بين أصوات اللين متـــوافرة بين الضمة والواو فيها ، ولهذا نجدها هي الأخرى في الشعر الهذلي[2] .

وهكذا تكون قراءة الجمهور « حُوبا » بالاسم ، وقراءة الحسن « حابا » بالمصدر .

وقد تجنح هذيل في تـكوين بعض المصادر إلى « فِعال » ، مثل « طِلاب » في معنى طلب الشيء ، أو المطالبة به ، وذلك في قول أبي ذؤيب :

« نهيتك عن طِلابك أم عمرو »[3]

وقـــوله :

« فمـا أدري أرشد طِلابها ؟ »[4]

وإذا كان هذا المصدر – بصيغته هذه – غالباً ما يكون في مقاييس النحاة مصدراً للفعل الذي يكون على وزن « فاعَلَ » وفيه معنى المشاركة « كقاتل قتالا » ، أو على « فعَل » اللازم الذي دل على امتناع « كأبى إباء ، ونفر نفاراً »[5] – فإنه عند الهذليين – كما نرى – ليس مقصوراً على ذلك .

---

(١) تاج العروس « وضأ » .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٩٨ . المفضليات ص ٦٢١ . تاج العروس « فجر » .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٦٨ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٧١ . الصحاح « إذ » . تاج العروس ، واللسان « شلل » شرح المفصل ٣ / ٢٩ ، ١ / ٣١ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٧١ . المرزباني : الموشح ص ٨٨ . المغني ١ / ١٠ ، ٣٩ .

(٥) حاشية الخضري على ابن عقيل ٢ / ٢٩ ، ٣٠ .

فإذا كان الأمر الظاهر القريب المأخذ هو أن « طلابا » مصدر للفعل « طالَب » ، فإنه من الراجح أن يكون هنا مصدراً للفعل « طلب » وليس هذا غريباً عليهم ؛ فإنا نجد فى شعرهم أيضاً (السباء) فى معنى (السبى) أى أن المصدر (سبى سباء) بدلا من (سبى سبياً) ومن ذلك قول أبي ذؤيب فى الخمر :

فلا تُشترى إلا بربح سباؤها بنات المخاض شومها وحضارها[1]

وكذلك نجد (المِراح) فى موضع (المرَح) كما فى قوله :

(ويجدّ حيناً فى المراح ويشمس)[2]

و (الحباب) فى موضع (الحب) كما فى قوله أيضا :

فقلت لقلبى يا لك الخير إنما يدلّيك للموت الجديد حبابها[3]

وقول صخر الغى :

(عاودنى من حبابها زؤد)[4]

فالحباب هو الحب كما نرى ، وكما هو فى شرح السكرى لأشعار الهذليين[5] ، وهذا ما ينقله ابن سيده أيضاً من قول السكرى نفسه تعقيباً على هذا البيت[6] .

ولست أريد القول بأن لفظ (الحباب) هو وحده السائد فى شعر هذيل ، فإن

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٢٥ . الجمهرة « ش م و » . اللسان والصحاح « شيم » .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٥ . اللسان « شمع » .

(٣) ديوان أبى ذؤيب ورقة ٤٢ . شرح أشعار الهذليين «فراج» ١ /٤٤ . ديوان الهذليين ١ /٧٢ . تاج العروس « جد . حب » .

(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٥٤ . ديوان الهذليين ٢ / ٥٧ . الشعراء ص ١٠٨ . تاج العروس « حب » والرواية فيه « الزؤد » .

(٥) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٥٤ .

(٦) المخصص ١٢ / ٢٤٣ .

لفظ (الحب) هو الآخر فى أشعارهم[١] . ولعل هذا ما حمل بعض اللغويين على الرجوع بهذه الصيغة من صيغ المصدر فى الشعر الهذلى إلى وضعها المألوف فى اللغة ، وانضوائها تحت المقاييس التى وضعوها ، فإنهم على الرغم من تصريحهم بأن هذه لغة هذيل ، فإنهم مع هذا قالوا بأنه مصدر فاعل (فاعلّ فعالا) أى (طالبت طلابا ، وحاببت حبابا)[١] .

ففيم القول إذن بأن هذه لغة لهذيل ما داموا يردون أخيراً هذه الصيغة من صيغ المصدر إلى هذا القياس العام ؟

لعل ما دفعهم إلى هذا إنما هو ميلهم إلى القياس ، وإلفهم لذلك المصدر على هذا الوضع الذى ذكروه .

ولكنى أرجح أن ذلك المصدر فى لفظه هـــذا كثيراً ما يخرج عند الهذليين على المقاييس المرسومة ، غير أنه ربما أفاد أحياناً معنى المتابعة والاستمرار ، فالطلاب قد يكون معناه الطلب المستمر الحثيث ، والحباب معناه الحب الملحّ .

وليس هذا المصدر مقصــوراً عندهم على فعــل خاص من وزن خاص ، فقد نجد (كفاتا) مصدراً للفعل الثلاثى المتعدى (كفت يكفت) كما فى قول أبى ذؤيب :

وموقعها ضخم إذا هى أرسلت ولو كفتت كانت يسيرا كفاتها (٢)

والفعل الثلاثى المتعدى أيضاً (صقل يصقل صقلا) نجده يختلف بعض الاختلاف عن سابقه ، فباب الأول (ضرب) وباب هذا (نصر) ، ومع ذلك نجد مصدره (صقالا) كقول عمرو بن الداخل .

تمنــانى وأبيـــض مشرفيــا أشاح الصدر أخلص بالصقال (٣)

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٠٤ . ديوان الهذليين ١ / ٥٨ . الخصائص ٢ / ٤١٦ . اللسان وتاج العروس « وسل » .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٦٣ — شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٢٤ .

(٣) ديوان الهذليين ٣ / ١١٦ .

وقد نرى هذا المصدر فى هذه الصيغة مصدراً للفعل اللازم (جرى يجرى جريا) إذ نجده « جراء » فى مثل قول أبى ذؤيب :

يقــربه للمستضيــف إذا دعا جــراء وشد كالحريق ضريح (١)

ويجعل الزبيدى الجراء خاصاً بالفرس ، وينقل ذلك فى معجمه منسوباً إلى الليث من قدامى اللغويين (٢) ولا أدرى سر هذا التخصيص ، ولا أعلم له وجها ، إلا أن يكونوا قد لحوا ما أشرنا إليه من احتمال وجود معنى المتابعة والاستمرار والجد المتصل فى هذه الصيغة من صيغ المصدر فخصوا الفرس بذلك لأنه أشبه به . وإن كان هذا لا يمنع من أن يكون ذلك الشد والجرى للرجل على قدميه ، كما هو دأب كثير من الهذليين الذين اشتهروا بذلك . وهذا ما جعل ابن منظور يقول فى تعقيب له على هذا البيت : « أراد جرى هذا الرجل إلى الحرب ، ولا يعنى فرساً ؛ لأن هذيلا إنما هم عراجلة رجالة » (٣) .

هذا وقد نجد ذلك المصدر فى صيغته هذه مصدراً للفعــل الثلاثى المتعدى « غاره يغوره » أى نفعه وأفاده ، وذلك فى قول أبى ذؤيب :

« ما حُمّل البختى عام غياره » (٤)

ومصدر الفعل الثلاثى اللازم « غار يغور » أى ذهب وغاب ، وهذا فى قوله :

هل الدهر إلا ليلة ونهارها وإلا طلوع الشمس ثم غيارها ؟ (٥)

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٦٢ . تاج العروس « جرى » .

(٢) المرجع السابق « المادة نفسها » .

(٣) اللسان « جرا » .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٥٤ . شرح ديوان أبى ذؤيب « مخطــوط الشنقيطى » ورقة ١٣٠ ، « تيمور » ١٩٠ . الصحاح « غير » . اللسان « وثق ، حمل » . تاج العروس « وثق » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٢١ . الصحاح ، اللسان ، مقاييس اللغة « غور » . الاقتضاب ص ١٧٨ . الالفاظ الكتابية ص ٢٨٦ — الشواهد الكبرى « هامش الخزانة » ٣ / ١١٥ . الجرجاوى . شرح شواهد ابن عقيل ص ٢٢١ .

ويكون كذلك في الفعل الثلاثي المتعدي « عاد المريض يعوده » ، فيقولون « عياداً » كما في قول أبي ذؤيب نفسه :

ألا ليت شعري هل تنظّر خالد عيادي على الهجران أم هو يائس ؟ (١)

وقول المعطل :

« وما لمت نفسي في عياد خويلد » (٢)

وقد روي : في « دواء خويلد » (أي في علاجه) (٣) . وهذا هو الآخر مصدر من هذا الطراز ، فهو يؤيد ما نحن بصدده .

والمشهور في مصدر الفعل « عاد » إنما هو « عيادة » ، وهذا ما حمل بعض اللغويين على القول بأن حذف التاء ضرورة ألجىء إليها (٤) . ولكن بعضهم قد ذكر « عياداً وعيادة » جنباً إلى جنب مصدرين لهذا الفعل (٥) .

ومثل ذلك عندهم « حياط » أي « حياطة » في قول المتنخل :

وأحفظ منصبي وأصون عرضي وبعض القوم ليس بذي حياط (٦)

وخياط أي « خياطة » في قوله :

كأن على صحاصحة ملاء منشّرة نزعن من الخياط (٧)

والذي دفعهم إلى القول بأن حذف التاء ضرورة إنما هو ما رأوه من وجود هذا

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٦٠ . المحكم ورقة ٧٠ — شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢١٧ - اللسان « بشر . بصر . روض . شنع . بسل » .

(٢) المحكم « عود » . المخصص ٥ / ٨٦ .

(٣) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٤٠٣ .

(٤) المحكم ١ / ١٣١ ، « مخطوط » ورقة ٧٠ — المخصص ٥ / ٨٦ . اللسان « بصر ، روض » .

(٥) المخصص ٥ / ٨٦ .

(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢ .

(٧) المرجع السابق ٢ / ٢٨ — تاج العروس « ريط » .

المصدر منتهياً بالتاء فى أكثر ما جمعه الرواة من مفردات اللغة وألفاظها ، فهم لم يألفوه مجرداً منها . ولو قد نظروا فى تراث الهـــذليين نظرة شاملة فاحصة ، قائمة على جمع الأشباه والنظائر لوصلوا إلى الحكم الصحيح فى الموضوع .

ومع هذا فإنا نجد من علماء اللغة من أدرك هذه الحقيقة ، فضمه إلى المصادر المتعددة التى كثيراً ما ذكروها للفعل الواحد نظراً لاختلاف لهجات العرب ، وإن كان الرواة وأئمة اللغة الأولون لم يسندوا هذه اللهجات إلى أصحابها كما سبق أن أشرنا .

وكذلك نجد أن الفعل الثلاثى المتعدى : « شاب الشىء يشوبه » مصدره عندهم « شياب » [1] . و « صاب يصوب » مصدره « صياب » [2] وقد جاء ضبط أول هذا المصدر الأخير بالضم فى بعض معاجم اللغة [3] ، والحق أن الكسر أشبه به ، شأنه فى ذلك شأن نظائره مما ذكرنا . هذا إلى أن الكسر هو السائد في سائر ما ذكر فيه هذا اللفظ من مراجع .

ومن أمثلة ما نجده عنـــدهم من هذا النمط — إلى جانب ما ذكرنا — مصدر الفعل « زاط » (أى أحدث صياحاً وجلبة) إذ هو عندهم «زياط» [4] ، وفى رواية الديوان، وبعض معاجم اللغة « هياط » [5] ، وفي اللسان « لغاط » [6] .

والمصدر فيها جميعاً واحد في وزنه ومعناه ، ولكن تعدده هكذا على وزنه وصورته يزيدنا اطمئناناً إلى ما انتهجناه في هذا الشأن .

ومن قبيل هذا المصدر أيضاً مصدر الفعل « فلط » إذ هو عندهم «فلاط» (والفلاط المفاجأة) [7] .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٨٠ — تاج العروس « شوب » .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٧٦ — تاج العروس « نفر ، قتر » ، اللسان « ذور ، قتر » .

(٣) تاج العروس « نفر » .

(٤) مجالس ثعلب : القسم الاول ص ١٢١ . اللسان « وعى » . مقاييس اللغة « خش » .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠ . الاساس « هيط » . المحكم « وعى » .

(٦) اللسان « لغط » .

(٧) ابن الاثير : النهاية ٣ / ٢١٤ . اللسان « فجأ » .

وربما كان أكثر بعداً عن المألوف أن نجد الفعل « خضخض » مصاحباً فى شعر الهذليين للمصدر « خياض »[1] الذي اعتبره الزبيدى مصدراً لهذا الفعل فى أشعارهم[2] على الرغم من أن مصدره المألوف هو « خضخضة » وشتان ما بينهما ، فهو موغل فى الشذوذ إلى حد كبير .

ومع هذا فلا يبعد أن يكون مصدراً لهذا الفعـــل جاء فى شعر هذيل مسايراً لانطلاقهم فى أمثال هذه الصيغ التى لا ضابط لها إلا السماع ، وقد رأينا عندهم من ذلك الشيء الكثير فى هذا النوع من المصادر ، وإن كان الشذوذ هنا أكثر شدة وانطلاقاً .

وعلى هذا نجد أن ما سماه النحاة بعدُ بالمصدر كان يأخذ عند هذيل معنى عاما يشمل – فيما يبدو – كل ما كان مصدراً أو أصلا لا يختص باشتقاق معين ، بل هو أصل لمجموعة من الأفعال والمشتقات تتفق مادتها ويختلف بناؤها .

وإذا كان لقائل أن يقول إن جميع المصادر التى سبقت الإشارة إليها فى الشعر الهذلى هى من قبيل ما سماه النحاة « اسم المصدر » ، أو المصدر الجارى على غير فعله ، فالجواب على هذا هو أن « اسم المصدر » شيء ابتكره النحاة فى الواقع من الأمر تخلصاً من مثل هذا الخلاف فى المصادر حتى يستطيعوا أن يضعوا لها ضوابط يمكن أن تكسبها شيئاً من الثبات والاطراد .

فليس هناك ما يحملنا على أن ندخل فى هذا المصطلح كل ما رأيناه من مصادر غير قياسية عند هذيل ، ولا سيما أن علمـــاء اللغة هم أنفسهم يعترفون بكثير من المصادر المذكورة مهما يكن شذوذها كما رأينا ، ولم يحاولوا أن يخرجوا بها عن مصدريتها الأصيلة إلى غيرها .

ثم إن ما ذكره اللغويون خاصاً باسم المصدر يدل على أنه ضيق الدائرة ، فلا يحتمل

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٧٥ . اللسان « خوض . خضض ، عطف ، جم ، وبر ، صفن » الصحاح « صفن » ، تاج العروس « خاض ، صفن ، جم » .

(٢) تاج العروس « خضض » .

التوسع الكثير الذى يكاد يكون فى ذاته قاعدة لا مجرد استثناء .

* * *

وهكذا يمكن القول – كما سبق أن ذكرنا – بأن هذيلا تلتزم أحيانا مجموعات خاصة من المصادر ينضوى تحتها أخلاط من الأفعال ، يلتقى بعضها مع الاتجاه العام فى اللغة ، ويختلف بعضها الآخر عن هذا النهج .

* * *

المشتقــات

صــــيغة فعيــــل

قد لا تختلف اللهجة الهذلية اختلافاً كبيراً فى مشتقـاتها عن نظائرها من اللهجات العربية ، أو عن اللغة الفصحى ذاتها ، ولكننا مع ذلك نجد ظواهر من الخلاف ينبغي أن ينظر إليها فى شيء من التحفظ والاحتراس مما عساه أن يخالطها أو يُغَشيها من آثار الضرورة الشعرية التى يرتـكبها الشعراء لتستقيم لهم موسيقا الشعر وقوافيه ، وبعد هذا الاحتياط قد نجد من هذه الظواهر ما هو جدير بالدراسة .

فعيل وصفاً :

لعل من هذه الظواهر إيثارهم لصيغة « فعيل » حين تقع وصفا ، كما لمسنا إيثارهم إياها بعض الأحيان فى المصدر .

فنحن إذا ألفينا أن المشهور فى بعض الأوصاف صيغة «فَعْل» مثل « نذل ، وسمح ، وسمج » فإننا كثيراً ما نجدها عند هذيل « نذيل ، وسميح ، وسميج »[1] كما تنبئنا بذلك المراجع اللغوية .

ونحن إذا نظرنا فى الشعر الهذلى وجدنا مصداق هذا فى قول أبى ذؤيب :

فإن تصرمى حبلى وإن تتبدلى خليلا فمنهم صالح وسميج [2]

وقول أبى خراش :

منيبا وقد أمسى تقــدم وردَها أقيــدرُ محموز القطاع نذيل [3]

---

(١) اللسان « سمج ، ليث » . تاج العروس « سمج » . المخصص ٣ / ٩٤ . الكتاب ٢ / ٢٢٤ .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٦٠ . المقتضــب ص ٤٦٤ . تاج العروس « سمج » . الصحاح والأساس « سمج » . الجمهرة « ج س م » المخصص ٣ / ٩٤ . أدب الكاتب ص ٥٧٤ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٢٠ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١١٩٢/٣ . تاج العروس « حمز » . الجمهرة « ن ز ل ، ق ط ع » .

ومثل هذا « نحيس » بدلا من « نحس » فى قول ساعدة بن جؤية :

« والشيب داء نحيس لا دواء له » [1]

و « جديب » بدلا من « جدب » فى قول معقل بن خويلد :

« ولا ينبو بىَ الكلأ الجديب » [2]

و « لهيد » فى موضع « لهد » (وهو الجهد والصدمة تصيب الصدر من ثقل الحمل) [3] ، وذلك فى قول قيس بن عيزارة :

« كمد كأنى فى الفؤاد لهيد » [4]

وقول ساعدة بن العجلان :

« كظيا مثلما زفر اللهيد » [5]

ومن ذلك أيضاً « بريح » مكان « برح » فى قول أبى ذؤيب :

« يدافع عنىَ قولا بريحا » [6]

وتعقيب السكرى على هذا : « يقال بريح وبرح مثل سميح وسمح » [7] . فشأنها شأن ما سبقها من إيثار « فعيل » فى موضع « فعل » .

* * *

---

(١) اللسان « قم » .

(٢) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١٢٠ .

(٣) القاموس « لهد » .

(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٩٧ . ديوان الهذليين ٣ / ٧٢ .

(٥) المرجع السابق ٣ / ١٠٨ .

(٦) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٠١ . ديوان الهذليين ١ / ١٣٤ . اللسان « ترن » . مقاييس اللغة « بنو » .

(٧) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٠١ .

وليس الأمر مقصوراً على هذا ، بل قد تحل « فعيل » عندهم محل بعض الصيغ الثلاثية الأخرى مثل « فعل » فإنا نجد لفظ وهيج فى موضع « وهج » كما فى قول عمرو ابن الداخل الهذلى :

كأن عدادها إرنان ثكلى خلال ضلوعها وجد وهيج [1]

و « لهيف » فى موضع « لهف » كما فى قول أبى ذؤيب :

« شفيت النفس لو يشفى اللهيف » [2]

وقول ساعدة بن جؤية :

« صب اللهيف لها السبوب بطغية » [3]

و « بهيج » بدلا من « بهج » فى قول أبى ذؤيب :

فذلك سقيا أم عمرو وإننى بما بذلت من سيبها لبهيج [4]

و « لقيف » مكان « لقف » (وهو الحوض الذى تخر من أسفله) فى قول أبى ذؤيب نفسه :

« كما يتهدم الحوض اللقيف » [5]

ونجد مثل هذا فى شعر صخر الغى [6] . ومن يقرأ دواوين شعر هذيل يجد من أمثال ذلك الشىء الكثير .

* * *

(١) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٦١٧ . ديوان الهذليين ٣ / ١٠٢ .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ١/١٨١ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣/١١١١ . سمط اللآلى ٢/٨٩٥. اللسان « طغى ، لهف ، لطط » . تاج العروس « لط ، جنب » . الصحاح « لطط . سيب . جنب » .

(٤) ديوان أبى ذؤيب ورقة ١٢٥ . ديوان الهذليين ١ / ٥٦ . تاج العروس « بهج » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٠٢ . الصحاح « لزم » . اللسان « لقف . لزم » .

(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٧٢ .

وأكثر من هذا أن صيغة « فعيل » هذه قد تجاوزت الأوصاف الثلاثية إلى بعض الأسماء الثلاثية مثل الأذن (عضو السمع) ، فهي عند الهذليين « أذين » ، وذلك في مثل قول أبي العيال الهذلي :

أو كالنعامة إذ غدت من بيتها ليصاغ قرناها بغير أذين [1]

وكذلك نجد عندهم الشعر المجتمع ، والليف « فليل » [2] ، والكلام الخفي « نسيف » [3] ، والعروس « هديّ » [4] ، والحلو « طليل » [5] ، والثوب الخلق البالي « حشيف » [6] ، والحوض « نضيح » [7] ، والخمار « نصيف » [8] .

فعيل في معنى اسم الفاعل :

إذا كنا نجد صيغة «فعيل» في معنى يقارب اسم الفاعل موجودة كثيراً في الفصحى ، ونراها ماثلة في كتب النحو العربي تحت عنوان « الصفة المشبهة باسم الفاعل » ، وذلك في ألفاظ مألوف فيها هذه الصيغة — فإنا نجد إلى جانب هذا عند الهذليين ألفاظاً أخرى غير مألوف في صياغتها « فعيل » ، ولكن سجلتها أشعارهم ، ومن ذلك قولهم : داء نجيس بمعنى ناجس (أي داء عياء) . وهذا في قول ساعدة بن جؤية :

« والشيب داء نجيس لا دواء له » [9]

---

(١) المرجع السابق ٢ / ٢٦٨ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢٥٨ . اللسان وتاج العروس « فلل » . الروض الانف ٢ / ١١٧ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٠٢ . اللسان « نسف . خمم » . الصحاح « نسف » .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٦٥ . تاج العروس « هدى » . الاقتضاب ص ٩٣ .

(٥) تاج العروس « طلل » .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ١٠٣ ، ٢ / ٦٣ ، ٣ / ٣٠ — اللسان « حشف . سوم » . تاج العروس « حشف ، سوم » . الفائق ١ / ٢٦٢ . الامالي ١ / ٣٧ . سمط اللآلى ١ / ١٥٦ .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ١٢٠ .

(٨) المرجع السابق ١ / ١٠٣ .

(٩) المرجع السابق ١ / ١٩١ . تاج العروس ، أساس البلاغة « نجس » .

ففى شرح ديوان هذيل [1] ، وفى معاجم اللغة [2] أن النجيس والناجس واحد .

ولكنا نجد لفظ « ناجس » فى قول أبى ذؤيب :

« وداء قد اعيا بالأطبــاء ناجس » [3]

فاللفظان ماثلان جنباً إلى جنب فى الشعر الهذلى ، فهل يمكن اعتبارهما كلاهما من لهجات هذيل تبعاً لاختلاف بطونها ، وتنوع المؤثرات الواقعة عليها ؟ أوأن للوزن والقافية دخلا فى وجود « نجيس » هنا و « ناجس » هناك ؟ والحق أنه لا ينبغى لنا أن نساير اللغويين فى قولهم بأن النجيس والنــاجس واحد ، فإن هذا كلام فيه تجوّز وتسمّح فيما أظن ، فلفظ نجيس قد يكون صيغة مبالغة جاءت على وزن « فعيل » ، وليس مساوياً لناجس تمام المساواة .

ومن قبيل « فعيل » هذه التى فى معنى « فاعل » : « صويب » بمعنى صائب ، وذلك فى قول ساعدة أيضاً :

« وقد خله سهم صويب معــرّد » [4]

وقد فسر الزبيدى لفظ صويب بأنه صائب قاصد [5] .

وفى شرح أشعار الهذليين أن صويباً وصائباً واحد ، وقويماً وقائماً واحد [6] .

ومثل هذا نجده فى « سنيح » بمعنى « سانح » فى قول أبى ذؤيب :

« زجرت لها طير السنيح . . . » [7]

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٩١ .

(٢) القاموس ، الأساس « نجس » .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٦١ . الجمهرة « ج س ن » .

(٤) شرح أشعار الهذليين « فــراج » ٣ / ١١٧٠ . ديوان الهذليين ١ / ٢٤١ . تاج العروس « عرد » . القاموس « صوب » .

(٥) تاج العروس « عرد » .

(٦) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣ / ١١٧٠ .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ٧٠ ــ اللسان « هوى » .

وقـــوله :

« أزجى لحـب الإياب السنيحـا »[1]

ومثله أيضاً « لبيـــج » (أى نازل أو بارك حـــول البيـــوت)[2] وذلك فى قول أبى ذؤيب :

كأن ثقال المزن بين تضـارع وشامة برك من جذام لبيج[3]

وقد يكون « لبيج » بمعنى « ملبوج » أى مضروب بالأرض حينما يبرك فيكون « فعيل » هنا فى معنى « مفعول » بدلا من « فاعل » .

ولعل من قبيل ما جاء على فعيل ، وفيه معنى فاعل ما ذكره اللغويون فى قول أبى ذؤيب :

فإن بنى لحيـان إما ذكرتهم تنـاءم إذا أخنى اللئام ظهير[4]

من أن لفظ ظهير فى هذا البيت بمعنى « ظـــاهر » . وقد فسر هكذا فى ديوان الهذليين[5] ، وفى معاجم اللغة[6] خلافاً لظهير فى معنى معين ، فإن هذه الصيغة مألوفة فيه ، وهو موجود فى شعر الهذليين[7] وفى مألوف اللغة .

وإذا كانت في البيت السابق رواية أخرى هى « طهير » بالطاء بدلا من « ظهير » ، فإن هذا لا يخرج بنا عن الموضوع ؛ لأن معنى « طهير » في هذه الرواية هو « طاهر » أى أن اللفظ فى الحالين « فعيل » فى موضع « فاعل » .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٣٦ .
(٢) كتاب الجيم والقاموس « لبج » .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ٥٥ . تاج العروس « برك . لبيج » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٣٩ . تاج العروس « ظهر » .
(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٣٩ .
(٦) تاج العروس « ظهر » .
(٧) البقية ص ٦٨ .

ولكن معنى البيت لا يمنع من أن تكون هذه الصيغة قد قصد بها إلى المبالغة ، فيكون لفظ « ظهير » معناه شديد الظهور ، و « طهير » معناه « طهور » لا مجرد طاهر .

والمهم هو أن وجود هذه الصيغة فى مثل هذه الألفاظ غير مألوف ، حتى لقد دفع ذلك ابن جنى إلى القول بأن العرب قد استغنوا فى بعض أفعال بوزن « فاعل » عن « فعيل » ، وذكر الفعل « طهر » بين هذه الأفعال ، أى أن فيه لفظ « طاهر » ، وليس فيه « طهير » ، فتصدى له من يرد عليه من اللغويين أنفسهم بأن لفظ « طهير » جاء فى شعر أبى ذؤيب ، واستشهد بالبيت الذى سقناه [1] .

وقد وقع بهذا البيت فى بعض المعاجم تصحيف فى كلمة « ثنام » إذ قدمت النون على الثاء فصارت « نثام » [2] ، ولكن هذا التصحيف فى البيت لا يؤثر على موطن الشاهد فيه .

ومن أمثلة « فعيل » فى معنى اسم الفاعل أيضاً « عقيد » فى معنى « معاقد » [3] ، وذلك فى قول أبى خراش :

« كم من عقيد وجارحل عندهم » [4]

و « قمير » بدلا من « مقامر » كما فى قول أبى المثلم :

« خاض القداح قمير طامع خَصِيل » [5]

و « مكيث » فى موضع متمكث (أى ذو تمكث وبطء) ، وذلك فى قول صخر الغى :

« أجيب فلا ألف ولا مكيث » [6]

---

(١) تاج العروس « طهر » .
(٢) اللسان وتاج العروس « طهر » .
(٣) تاج العروس « عقد » .
(٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٨ . تاج العروس « عقد ، سلف » . اللسان « خلف » .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٢٣٣ .
(٦) المرجع السابق ٢ / ٢٢٤ .

وقول أبي المثلم :

« فإني عن تفقركم مكيث » [1]

ومن ذلك أيضاً « صريخ » (مكان صارخ ، أو في معنى مغيث) [2] وهذا في قول أبي ذؤيب :

وقال تعلموا ألا صريخ فأسمعه ولا منجى قريب [3]

وصمم قد تكون في معنى « مصمم » في قول الهذلي [4] (ساعدة بن جؤية) [5] :

فورك لينا لا يتمثم نصله إذا صاب أوساط العظام صميم

و « خليف » في معنى « مخالف » [6] ، أو متخلف [7] . كقول أبي ذؤيب :

تُواعدُنا عكاظ لَننزلَه ولم تعلم إذن أني خليف [8]

وقوله :

« وأمسلة مدامعها خليف » [9]

وقول صخر الغي :

« تيممت أطرقة أو خليفا » [10]

---

(1) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١٩ . ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٤ . الاقتضاب ص ٤٥٢ . مقاييس اللغة واللسان « قفز » .

(٢) القاموس صرخ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٩٦ .

(٤) الاقتضاب ص ٤٧٥ .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٠ .

(٦) المرجع السابق ١ / ٩٩ .

(٧) اللسان « خلف » .

(٨) ديوان الهذليين ١ / ٩٩ . ديوان أبي ذؤيب « تيمور » ١٦٨ . « الشنقيطي » ورقة ١١٥ والرواية : « تواعدنا الربيق » وكذلك تاج العروس (خلف) .

(٩) ديوان الهذليين ١ / ١٠١ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ١٩٦ .

(١٠) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ٣٠٠ . ديوان الهذليين ٢ / ٧٦ . اللسان وتاج العروس (خلف) . معجم ما استعجم (أطرقا) ١ / ١٦٧ .

وقد فسر الخليف فى قول صخر الغى بأنه الطريق وراء الجبل ، أو خلف واد ، ففيه هو الآخر معنى التخلف .

ومن هذا أيضاً « حليف » فى معنى محالف[1] كقول أبى ذؤيب :

« أخان العهد أم أثم الحليف »[2]

ولفظ حليف هذا مألوف سائد فى اللغة ، ولكن فسره بعضهم بمعنى « الحالف » لا « المحالف »[3] . وفى كلا المعنيين نجد صيغة « فعيل » بمعنى اسم الفاعل ، وكلاهما معنى معقول ، والصلة بينهما معقودة غير أن معنى « المحالف » يُدخل لفظ « حليف » فى مألوف اللغة ، ومعنى « الحالف » يخرجه عن المألوف ، ويدخله فى إطار الشعر الهذلى شأنه شأن غيره مما سبقت الإشارة إليه ، وإلى ما فيه من غرابة وشذوذ .

وإذا فهمنا لفظ الحليف بمعنى الحالف ربما استقام فى أفهامنا أن « الحليف » على هذا الأساس صيغة للمبالغة (أى الكثير الحلف) ، أى أنه يحلف كثيراً ثم يحنث ويأثم ، فهى إذن فى معنى « حلاف » لا بمعنى « حالف » وصيغة فعيل — كما نعلم — من صيغ المبالغة المشهورة .

فعيل صيغة للمبالغة :

إذا كنا نجد فى شعر هذيل من صيغ المبالغة المعروفة فعّالا ، وفعولا وفِعِّيلا مثل خراج ، وولوج[4] ، وطلوب[5] ، وسبوح[6] ، وخِرِّيق[7] ، فإنا نجدهم مع هذا

---

(١) اللسان وتاج العروس (حلف) .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٩٩ — تاج العروس واللسان (حلف) .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٩٩ . اللسان (حلف) .

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٩٢ . اللسان (لحص . حيص) . تاج العروس (لحص) . الكتاب ٢ / ٤٩ . إصلاح المنطق ص ٣٦ . شرح المفصل ٤ / ١١٥ .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٩٥ .

(٦) الخصائص ٣ / ١٨٤ . شرح المفصل ٥ / ٣٠ . شرح التصريح ٢ / ٢٩٣ .

(٧) اللسان (خشف) . الصحاح (خرق) .

يتوسعون فى تطبيق «فعيل» صيغة للمبالغة كما توسعوا فيها فيما عدا ذلك ، فنلمسها عندهم فى ألفاظ لم نألفها كثيراً فى الفصحى ، أو فيما ألفناه من استعمال لغوى .

ومن ذلك استعمالهم لفظ « طليب » المبالغة فى معنى « طلوب » أى كثير الطلب كقول مليح الهذلى :

« ولم ينقلب منكم طليب بطائل » [1]

ومع هذا نجد لفظ « طلوب » فى بيت أبى ذؤيب :

فألقى غمده وهوى إليهم كما تنقض خائتة طلوب [2]

فلعلهم استعملوا مع المؤنث « طلوب » ، ومع المذكر « طليب » إذا لم يكن هذا من صنع القافية ، وحكمها على الشعراء .

ومن صيغة « فعيل » هذه « عَرِيف » أى كثير المعرفة فى قول أبى ذؤيب :

فلما خر عند الحوض طافوا به وأبانه منهم عريف [3]

وثبيت (أى ثابت جداً) فى قول عمرو بن هُميل اللحيانى :

ألا من مبلغ الكعبى عنى رسولا أصلها عندى ثبيت [4]

ونهيك (أى كثير النهك) فى قول أبى ذؤيب :

فلو نُبزوا بأبى ماعز نهيك السلاح حديد البصر [5]

---

(١) تاج العروس (طلب) .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٩٥ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٠٣ .

(٤) اللسان (رضض) .

(٥) المرجع السابق (نهك) .

ونجيح (أى عظيم النجح) فى قول أبى خراش :

« يقربه النهض النجيـــح لمـا يرى » [١]

وقول أبى ذؤيب :

« ينهض فى الغـــزو نهضـا نجيحـا » [٢]

وقول أبى المثلم :

يا صخر ثم سعى لإخوانهم بهم   سعياً نجيحاً فما طُلّوا ولا خَمَلوا [٣]

وقد سبق لنا القول بأنه يحتمل أن يكون من هذا القبيل « حليف » (أى كثير الحلف أو « حلاف ») ، و « ظهير » (أى شديد الظهور) « وطهير » (أى طهور)[٤] .

فعيل فى معنى مفعول :

هذه الصيغة مألوفة ، كثيرة الدوران فى اللغة ، ومن أمثلتها المألوفة التى سجلها الشعر الهذلى (وغيره) : فطيم[٥] ، وجريح[٦] ، وقريح[٧] . . . وغيرها .

ومن غير المألوف فى هذه الصيغة ، وسجلته أشعار الهذليين ، ثم تناقلته معاجم اللغة :

« كشيف » بمعنى « مكشوف » فى قول صخر الغى :

يكشّف للخـــال ريطا كشيفـا[٨]

(١) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٣ / ١١٩٤ . ديوان الهذليين ٢ / ١٢٣ . الأمالى ١ / ٥٧ ، ٥٨ . الجمهرة (ثم) . اللسان (مثل) . تاج العروس (نجح . مثل) . الأصمعى : الأضداد ص ٣١ ـــ ابن السكيت : الأضداد ص ١٨١ .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٣٤ .

(٣) المرجع السابق ٢ / ٢٣١ .

(٤) انظر ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ فى هذا الفصل .

(٥) اللسان (ستر) .

(٦) تاج العروس (جمل) .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ٦٨ ، ١٢٩ ، ٢١٢ ـــ شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ١٩٦ .

(٨) ديوان الهذليين ٢ / ٦٨ . اللسان (كشف) والرواية فيه « يرفع » بدلا من يكشف .

و « بعيج » (أي مبعوج ، وهو مبقور البطن) في قول أبي ذؤيب :

« وبطني بالكرام بعيج » [1]

وقول عمرو بن الداخل :

« كأن ظباتها عُقْر بعيج » [2]

وقوله :

« وحُق له سحير أو بعيج » [3]

ومن هذا أيضاً « فليج » أي « مفلوج » في قول سلمى بن المقعد القُرمي :

لظلت عليه أم شبل كأنها إذا شبعت منه فليج مهدد [4]

و « لحيم » أي قتيل [5] في قول ساعدة بن جؤية :

فقالوا عهدنا القوم قد حَصِروا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم [6]

وهذه رواية البيت في الديوان ، وقد سجلته كتب اللغة ، وانفرد بعضها بتصرف قليل في شطره الأول لا يؤثر على موضع الشاهد منه [7] .

ومن ذلك أيضاً « رديد » (أي مكتنز ، بعضه مردود على بعض) . كقول أبي خراش :

---

(١) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢٦٣ . الصحاح والجمهرة (بعج) . سمط اللآلي ٢/٦٤٩ . الاقتضاب ص ٤٦٤ . المحكم ، وتاج العروس (عنبل) ، والرواية فيهما : « وبطني للكرام . . . » .

(٢) ديوان الهذليين ٣ / ١٠٣ . الصحاح (عقر) . التنبيه ٣ / ١٢٩ .

(٣) ديوان الهذليين ٣ / ١٠٠ .

(٤) الأصمعي : ما تفرد به بعض أئمة اللغة .

(٥) اللسان (لحم ، حصر) . تاج العروس (حصر) . مقاييس اللغة (لحم) . سيرة ابن هشام ١ / ١٨٩ .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٢ .

(٧) اللسان (حدق ، لحم) . تاج العروس (عضب) . مقاييس اللغة (لحم) .

« كِـناز اللحـم فائله رديد » [1]

وحجيج بمعنى محجوج (أى سبر الطبيب شجة فى رأسه) .

كما فى قول أبى ذؤيب :

وصب عليها الطيب حتى كأنها أسِىّ على أم الدماغ حجيج [2]

وضريح (أى بعيد كطريح) فهو الآخر — كما صرح الزبيدى — فعيل فى معنى مفعول [3] .

وهذا فى قول أبى ذؤيب :

عصـانى الفـؤاد فأسلمتـه ولم أك مما عناه ضريحـا [4]

وقـوله :

سأبعث نَوحا بالرجيـع حواسرا وهل أنا مما مسهن ضريح ؟ [5]

وقـوله :

يقر به المستضيف إذا دعـا جـراء وشد كالحريق ضريح [6]

وإليك من هذا أيضـاً لفظ (فريج) بمعنى مكشوف ظـاهر كقول أبى ذؤيب يصف درة :

بكَفّى رَقاحى يريد نمـاءها ليـبرزها للبيـع فهى فريج [7]

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٢ . تاج العروس (ردد) .

(٢) الشيبانى : الجيم ص ٦٥ . اللسان (أسا) . مقاييس اللغة (حج) المخصص ١٣ / ١٨٦ .

(٣) تاج العروس (ضرح ، حج) .

(٤) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ١٩٦ . ديوان الهذليين ١ / ٢٩ .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٦٥ .

(٦) تاج العروس ، اللسان (جرى) .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ٥٦ . تاج العروس (فرج) . المخصص ١٢ / ٢٧٠ .

وسحاب « جنيب » (أى مجنوب) أصابته الجنوب[1] وهذا فى قول أبى خراش :

« غداة تخالنا نجواً جنيبا »[2]

وسيف خشيب (أى مخشوب) أحكم صنعه[3] كما فى قول أبى خراش نفسه :

« حسام الحد مذروبا خشيباً »[4]

ونقيب أى منقوب فى قول أبى ذؤيب :

أرقت لذكره من غير نَوب كما يهتاج مَوشِىٌّ نقيب[5]

ورواية الديوان « ثقيب »[6] ، وهما — وزناً ومعنى — فى كلتا الروايتين لا يختلفان .

وإذا قلنا سحج الشىء بالشىء ، فهو « مسحوج وسحيج » فما أسرع ما يستشهد اللغويون « لسحيج » من الشعر الهذلى[7] .

وكذلك الشأن فى ثوب هريد أى مشقوق[8] ، وفرس مشيق (أى ممشوق ضامر)[9] .

---

(١) القاموس (جنب) .

(٢) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٣ / ١٢٠٧ . ديوان الهذليين ٢ / ١٣٤ .

(٣) الأساس (خشب) .

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٣٥ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ٣ / ١٢٠٧ . تاج اللغة (حسم) . الصحاح (رهق) . اللسان (حسم ، رهق) .

(٥) تاج العروس (نقب) .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٩٢ .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ٥٧ . تاج العروس (سحج) .

(٨) ديوان الهذليين ٣ / ١٠٩ . تاج العروس (عبق ، شحط) .

(٩) ديوان الهذليين ١ / ٨٧ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١٨٠/١ . تاج العروس (طفف) ، (مشق) . اللسان (طفف) .

وفى « قطيل » (أى مقطول مقطوع) (١) ، ورديع (أى أصابه رداع) (٢) .

وليس الأمر وقفاً على ما ذكرنا ، بل إن الباحث فى الشعر الهذلى ليجد فيه من أمثال ذلك الشىء الكثير .

وهذا يجعلنا نميل إلى القول باتجاه هذيل – بصورة واضحة – إلى صيغة فعيل هذه فى كثير من كلامها .

فعيل وفُعال وفِعال :

قد نجد فى اللفظ الواحد من ألفاظ اللغة أحياناً صيغة « فعيل » و « فعال » معاً كطويل وطوال ، وكبير وكبار (٣) .

وفى هذا ما يدل على أن بعض العرب كان يستعمل قديماً إحدى الصيغتين ، وبعضهم كان يستعمل الصيغة الأخرى .

وقد رأينا موقف الهذليين من « فعيل » بمعنى « فاعل » ، أو بالأحرى بمعنى اسم الفاعل ، و « فعيل » صيغة للمبالغة . فما موقفهم من « فعيل وفُعال » ؟

الواقع أننا نجد فى شعر الهذليين أحياناً وزن « فعال » فى معنى « فعيل » كحُبَاب مكان حبيب فى قول معقل بن خويلد الهذلى :

« لأقطع دابر العيش الحباب » (٤)

وقول المتنخل :

« إنى من العيش الحباب ليائس » (٥)

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٢١٥ . العباب الزاخر (جنأ) .

(٢) تاج العروس (ردع . أسى) .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٢٢٨ ، ٢ / ٨٤ ، ١٧٥ . اللسان (شرى) . تاج العروس (رقد) . حماسة البحترى ص ٦٠ . شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ص ٢٨١ .

(٤) اللسان (دبر ، سيف) . تاج العروس (حبر) .

(٥) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٣ / ١١٦٨ ، (مخطوط) ٢٨١ .

وخفاف مكان خفيف فى قول مالك بن خالد الخناعى :

فضاربهم قوم كرام أعزة بكل خفاف النصل ذى ربد عضب(١)

* * *

وقد تأتى « فَعال » بفتح الفاء أيضاً بمعنى « فعيل » (أو فعيلة) مثل « ثَقال » أى « ثقيل » (أو ثقيلة) كما فى شعر أبى قلابة (٢) .

ولكن هذا قليل فى شعرهم ، فهم لا يزالون يؤثرون « فعيلا » حتى فى هذا المجال أى مكان « فُعال وفَعال » فى بعض ألفاظهم . ومن ذلك « جزيف » بمعنى « جزاف » فى قول صخر الغى :

فأقبل منه طوال الذرا كأن عليهن بيعاً جزيفاً (٣)

وقد يمكن اعتبار « فعيل » هنا مكان « فعال » بكسر الفاء ، أو «فعال» بفتحها ؛ فإن لفظ « جزاف » روى فيه اللغويون هذه الأوزان الثلاث .

وتقع « فعيل » عندهم أحياناً محل « فعال » أيضاً فى « قريح » مكان « قَراح » ، فالقريح هو الخالص من الشوائب كالقَراح (٤) فى شعر أبى ذؤيب (٥) .

هذا مع أن لفظ « قريح » لا يستعمل فى اللغة المألوفة بهذا المعنى ، فنحن نقول « ماء قراح » ، ولا نقول قريح ، وإنما يستعمل اللفظ الأخير مرادفا للفظ « جريح » خلافاً لما نراه فى الشعر الهذلى ، فقد استعمل فيه هذا اللفظ بهذين المعنيين جميعاً .

* * *

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ١٦ .
(٢) ديوان الهذليين ٣ / ٣٢ .
(٣) المرجع السابق ٢ / ٦٩ . اللسان (جزف ، بيع) . تاج العروس (جزف) .
(٤) القاموس (قرح) .
(٥) تاج العروس (وقح ، قرح) .

الفعـــل

إذا كنا قد وجدنا شيئاً من الغرابة فى استعمال المصدر ، وبعض المشتقات أحياناً فى شعر هذيل ، فإنا نجد مثل هذا فى الفعل ، فقد نرى بعض أفعال تختلف فى صياغتها واستعمالها عنها فى مألوف اللغة .

وقد نجد أفعالا أخرى تتفق وزناً وصياغة مع نظائرها فى اللغة المألوفة ، ولكنها تغايرها من حيث معناها قليلا أو كثيراً .

وهكذا يمكن القول بأن حلول بعض الأفعال محل بعضها الآخر أمر مألوف عندهم.

ونستبين ذلك فى وضوح إذا تناولنا بعض الصيغ بالبحث فى ضوء من الشعر الهذلى ، وما عساه أن يكون هنالك مما يلقى الضوء أيضاً على الموضوع غير هذا الشعر كالقراءات، وما يرويه اللغويون فى هذا من لغات .

صيغ الثلاثى :

تأتى هذه الصيغ وغيرها – فى أغلب الأمر – طبيعية على نحو ما هى فى الفصحى . ولكنا نجدها أحياناً تحل محل أوزان أخرى لكى تؤدى معناها ، وتستعمل استعمالها .

فقد تحل « فَعَل » محل « فَعَّل » مثل « بَشر » فى موضع « بشر » وقد قرأ به عبد الله بن مسعود وطلحة وابن وثاب : « وتَبْشُر المؤمنين»(١) فالفعل هنا مضارع بشر المخفف (٢) .

وقد تحل « فَعِل » محل « تفعل » مثل « رَدِى » مكان « تردى » كما فى قول ابن مسعود : « من نصر قومه على غير الحق ، فهو كالبعير الذى ردى » يعنى أنه وقع فى الإثم

---

(١) سورة الإسراء ١٧ الآية ٩ .

(٢) البحر المحيط ٦ / ١٣ .

كالبعير إذا تردى فى البئر[١] .

وقد تأتى « فَعِل » هذه فى موضع « أفعل » مثل « شبّ » وهو لازم مكان «أشب» وهو متعد ، فيأخذ معناه ، ووضعه فى اللغة . وذلك فى قول جنوب أخت عمرو ذ السكلب ترثيه :

شبث هذيل وفهم بيننا إرة   ما إن تبوخ وما يرتد صاليها[٢]

كما نجد هذا عند بعض الشعراء الآخرين من هذيل[٣] .

ومثل ذلك « جلا » بمعنى « أجلى » إذا صح ما أوردته المعاجم من قول أبى ذؤيب يصف النحل والعاسل (أو مشتار العسل) :

« فلما جلاها بالأيام تحيزت »[٤]

والرواية فى دواوين شعر الهذليين « اجتـلاها »[٥] ، وهى تخرج بنا عما نحن بصدده .

وكذلك نجد « لحد » مكان « ألحد » كما فى قراءة ابن مسعود : « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى »[٦] بفتح ياء المضارعة من الفعل « يلحد » مضارع « لحد »[٧] .

و « حدق » بدلا من « أحدق » كما فى قول ساعدة بن جؤية :

وأنبئت أن القوم قد حدقوا به   فلا ريب أن قد كان ثم لحيم[٨]

---

(١) ابن الأثير : النهاية ٢ / ٧٦ . اللسان (ردى) .
(٢) شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٢١٣ . ديوان الهذليين ٣ / ١٢٦ .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١١٥ .
(٤) اللسان (جلا ، أوم) . مقاييس اللغة والصحاح (أيم) . الاقتضاب ص ٤٠٣ ; شرح المفصل ٥ / ٤ . المنصف ١ / ٢٦٢ .
(٥) ديوان الهذليين ١ / ٧٩ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ٥٣ .
(٦) سورة النحل ١٦ الآية ١٠٣ .
(٧) البحر المحيط ٦ / ١٥٢ .
(٨) اللسان (حدق) .

ورواية هذا البيت فى الديوان قد « حصروا به » بفتح الصاد وكسرها [1] بدلا من « حد قوابه » ، وفى اللسان « قد عصبوا به » [2] وهو فى جميع هذه الروايات ثلاثى فى معنى (أحاط وأحدق) .

وقد نجد « فَعِل » بمعنى « افتعل » مثل « تخذ » مكان « اتخذ » و « تقى » مكان « اتقى » . . .

ونلمس هذا فى قراءة ابن مسعود « لتخذت عليه أجرا » [3] بدلا من « لاتخذت » [4] كما مر بنا .

وقول أبى جندب :

« تخـذت غُرَان إثرهم دليـلا » [5]

وقول ساعدة بن جؤية :

« يتَقى به نقيـان كل عشية » [6]

وقـــوله :

« ولو أن الذى يتُـقى عليه » [7]

وقـــوله :

« يتقى كما يتقى الطلى الأجرب » [8]

---

(١) الجمهرة (حلم) .
(٢) اللسان (لحم) .
(٣) البحر المحيط ٦ / ١٥٢ .
(٤) سورة الكهف ١٨ الآية ٧٧ .
(٥) ديوان الهذليين ٣ / ٩٠ . معجم ما استعجم (غران) ٢ / ٩٩٢ . التصريح ١ / ٢٥٢ ، شرح أشعار الهذليين (مخطوط) ٨٦ ، (تحقيق فراج) ١ / ٣٥٤ .
(٦) ديوان الهذليين ١ / ١٦٩ ، نوادر أبى زيد ص ٤ .
(٧) ديوان الهذليين ١ / ٢١٨ .
(٨) المرجع السابق ١ / ١٨٤ . تاج العروس (بذخ) .

وقـــوله :

« ومن العوادى أن تقتك ببغضة » [1]

وقد نجد « فَعَلَ » فى موضع « تفاعل » كقول صخر الغى :

« تجهنـــا غاديين وسايلـتنى » [2]

أى تواجهنا وتقابلنا ، وهذا تفسير اللغويين تعقيباً على البيت ، وإن كان قد سبق لى عند الحديث عن التخفيف بالحذف أن جعلتها بمعنى « اتجـه » شأنها شأن تخذ وتقى ، وما جاء على شاكلتها من الأفعال[3] وعلى هذا تكون فى مكان « افتعل » لا « تفاعل » .

وسواء كان هذا أم ذاك ، فقد نص اللغويون على أن ذلك لهجة لهذيل [4] .

وزن أفعلَ :

كثيراً ما تأتى هذه الصيغة فى ألفاظ تتفق فيها مع اللغة المألوفة مثل أنبح الكلاب أى جعلها تنبح [5] . وغير هذا الفعل مما عرفنا وألفنا .

ولكن مما نجد فيه شيئاً من الإغراب أن هذه الصيغة « أفعلَ » قد تحل محل «فعّل» مضعف العين مثل أصات فهى تأتى عندهم مكان «صوت» كما فى قول أبى ذؤيب فى القوس :

وبكر كلما مسـت أصـاتت [6]

ومثلها « أخرب » بمعنى « خرب » كما فى قول ساعدة بن جؤية :

« . . . كالريط لامِهٌّ ولا هو مخرب » [7]

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٦٨ .
(٢) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢٩٣/١ . ديوان الهذليين ٦٧/٢ « والرواية فيه فساء لتنى » . معجم البلدان « سبلل » .
(٣) انظر ص ٣٠٥ من الكتاب .
(٤) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٨٦ . « تحقيق فراج » ٣٠٤/١ . إبراز المعانى ص٣٨٦ .
(٥) تاج العروس « نبح .
(٦) ديوان الهذليين ١ / ٩٠ . تاج العروس « بكر » .
(٧) المرجع السابق ١ / ١٧٨ .

و « أزاد » فى مكان (زود) وذلك فى قول أبى خراش :

وقد يأتيك بالأخبـــار من لا   تجهـــز بالحـــذاء ولا تُزيد [1]

فتزيد هذه هى « تزوّد » الواردة فى المثل المناظر لهذا البيت :

ويأتيـــك بالأخبـــار من لم تزود

وكذلك « آرق » فى موضع « أرّق » كقول ساعدة بن العجلان :

تغدو فتطعم ناهضاً فى عشهـا   صبحاً ويؤْرقها إذا لم يشبع [2]

و « أعشاه » إذا أطعمه طعام العَشاء ، بدلا من «عشّاه» وذلك فى قول أبى ذؤيب :

فأعشيته من بعد ماراث عشيه   بسهم كسير السابرية لهوق [3]

و « أغشاها » مكان غشّاها فى قول أبى ذؤيب :

ويُغْشيهـــا الأمـــان ربابهـــا [4]

و « أضاف » مكان « ضيّف » (أى لجأ إلى الشىء ورجع إليه) [5] . وهذا فى قول المعطل الهذلى :

« تضِيــف إلى صوته الغيــلم » [6]

ونجد هذا الفعل نفسه فى شعر أبى ذؤيب [7] ، وشعر ساعدة بن جؤية [8] .

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣ / ١٢٣٩ .

(٢) ديوان الهذليين ٣ / ١٠٧ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٩١ . اللسان « ثبر . عشا . لهق » .

(٤) اللسان « وصل . ألف » .

(٥) انظر القاموس « الضيف » . اللسان « ضيف » .

(٦) ديوان الهذليين ٣ / ٥٦ .

(٧) المرجع السابق ١ / ٩٩ .

(٨) المرجع السابق ٢ / ٢١٠ . اللسان « ضيف » .

ومثل ذلك أيضاً « أدنس » أي « دنّس » وهذا في قول أبي خراش :

وإني لأثوى الجوع حتى يملني فيذهب لم يدْنس ثيابي ولا جرمي [1]

وكذلك « أبدّ » أي « بدّد » وقسّم وفرّق ، كما في قول أبي ذؤيب :

فأبدّهن حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجعجع [2]

و « أجمع » أي « جمع » في قول أبي ذؤيب :

فكأنما بالجزع جزع ينابع وأولات ذي العرجاء نهب مجمع [3]

وإذا كنا نقرأ في كتب اللغة ومعاجمها أن « أنام ونوّم » بمعنى ، فإنا نجد الأول منهما في قول أبي جندب الهذلي :

« لعلك لست بالثأر المُنيم » [4]

وقول الأبحّ بن مرة الهذلي :

« لأنت بعوعر الثأر المنيم » [5]

ومثل هذا كتاب « مُنْمَل ومُنمَّل » (أي متقارب الخط . والأول منهما في قول أبي العيال الهذلي :

والمرء عمراً فاتته بنصيحة منى يلوح بها الكتاب المنمل [6]

* * *

---

(1) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣ / ١١٩٩ .

(٢) ديوان الهذليين ١/٩ . المفضليات ص ٢٤ ، ٧١٨ . اللسان « جمع » . مقاييس اللغة « ح » . أبو هلال العسكري : المعجم في بقية الأشياء « باب الذال » .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٦ . تاج العروس ، اللسان « ببع » . مقاييس اللغة « عرج » . المخصص ١٦ / ٤٥ .

(٤) تاج العروس « ثأر » .

(٥) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ورقة ٢٩٢ . معجم البلدان ٨ / ١٣ .

(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٢ . اللسان ، تاج العروس « نمل » .

قد تأتى أفعل » فى معنى « فَعَل » مثل « أسعى » فى مكان « سعى » كقول أبى خراش :

أبلغ عليا أطال الله ذلهم   أن البكير الذى أسعوا به همل [١]

وهذه الصيغة غريبة ما دامت الهمزة هنا ليست للتعدية ، فهى من النوادر ، وقد سر بعض اللغويين « أسعوا به » بمعنى طلبوه [٢] . ولكن الطلب لا يخرج فى معناه ن السعى ، ولهذا فإن « أسعوا » لا تعدو أن تكون « سعوا » ، وهذا يوائم ما ذكر ن ديوان الهذليين تعقيباً على البيت من أن « سعيت وأسعيت سواء » (٣) . وقد فسر بن جنى « أسعوا » بمعنى اهتموا ، والاهتمام فيه معنى السعى أيضاً ، ولكنه سعى حثيث ، فلعل زيادة البناء فى « أسعوا » لا تخلو من زيادة فى المعنى تجعله غير مقصور على معنى السعى المجرد .

ومن قبيل «أفعل» فى معنى «فعل» : «أطاف فى معنى طاف» كقول أبى خراش :

« تُطيف عليه الطير وهو مُلحَّب » [٤]

و « أجاز » مكان جاز الطريق وقطعه . وهذا فى قول أمية بن أبى عائذ :

أجاز إلينا على بعده   مهاوِىَ خَرق مَهاب مَهال [٥]

وقول المتنخل :

« أجزتُ بفتية بيض كرام » [٦]

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٧ . شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ٣ / ١٢٣٩ . اللسان « سعى » . المخصص ٦ / ١٦١ .

(٢) القاموس « سعى » .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٧ .

(٤) اللسان « طوف » .

(٥) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٢٩٣ . ديوان الهذليين ٢ / ١٧٢ . مقاييس اللغة ، اللسان ، تاج اللغة « هول » . الصحاح ، تاج العروس « هوب » .

(٦) اللسان « سبط » .

وقول أبي ذؤيب :

« أجاز إلينـا لجة بعـد لجة » (١)

وقول ساعدة بن جؤية :

« أجزت بخشوب صقيل وضالة » (٢)

ومن ذلك « ألظ » بالشيء مثل « لظ » به أي لزمه ، ومنه حديث ابن مسعود : « ألظوا بياذا الجلال والإكرام » أي الزموا ذلك (٣) .

و « أنال » في معنى « حلف » كقول ساعدة بن جؤية :

« ينيلان بالله المجيد لقد ثوى » (٤)

وقول غاسل بن غُزية الجُربي الهذلي :

« وقد أنال أمير القوم وسْطهم » (٥)

و « أفرم » بمعنى « ملأ » كما في قول البريق :

وقوم حـلول لهم سـامر شهـدت وشعبهمُ مفـرم (٦)

فقد ورد تفسير هذا اللفظ في الديوان بمعنى « مملوء » ، وقد صرح اللغويون بأن هذه لهجة لهذيل (٧) .

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٣٤ . ديوان الهذليين ١ / ٥٦ . المفضليات ص ٤٩ . حياة الحيوان ٢ / ٢٠٦ .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢٢٥ .

(٣) تاج العروس ، الصحاح ، الأساس « لظ » .

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٧ . اللسان « نيل » . تاج العروس « نول » .

(٥) معجم البلدان « الليث » ٧ / ٢٤٦ .

(٦) ديوان الهذليين ٣ / ٥٥ . تاج العروس ، اللسان « فرم » . البقية ص ٤٣ . والرواية فيها « أولى بهجة » بدلا من « لهم سامر » .

(٧) تاج العروس ، اللسان ، الصحاح « فرم » المخصص ١٠ / ١٢ .

وكذلك « أرعى » فى معنى « رعى » فى قول مليح بن الحكم :

« أرعيت فيهم وما أرعوا ولا قصدوا »[1]

و « أرزمت » الناقة أى « حنت » ، وذلك فى شعر أبى ذؤيب[2] ، و « ألاح » بمعنى لاح فى شعره أيضاً[3] .

و « أنشأت » الناقة أى لَقِحت ، إذ تحدثنا المعاجم أن هذه لهجة هذلية[4] .

وإذا كنا نجد فى قراءة جمهور القراء : « أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده »[5] « قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد »[6] ، « إنه هو يبدئ ويعيد »[7] ...

فإنا نجد فى قراءتهم أيضاً : « الله يبدأ الخلق ثم يعيده »[8] .

وهنا نجد ابن مسعود يحرص على أن تكون قراءة هذه الآية أيضاً « يبدئ »[9] من « أبدأ » على عكس قراءة الجمهور فيها .

ولعل فى هذا دليلا آخر على إيثار هذيل لاستعمال « أفعل » فى بعض المواطن مكان الوزن الثلاثى « فَعَل » .

وزن فَعَّل :

مر بنا أن بعض الأفعال التى على وزن « أفعلَ » تأتى مكان « فَعَّل » ، والآن نجد نقيض هذا ، أى أن بعض ما هو مألوف على وزن «أفعل» نجده عند الهذليين « فَعَّل » .

---

(١) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٣ / ١٠١٦ .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٤٥ . الأمالى ١ / ١٢ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٢٩ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ١٩٧ .

(٤) الشيبانى : الجيم ٣ / ٢٧٤ . تاج العروس ، اللسان ، العباب الزاخر « نشأ » .

(٥) سورة العنكبوت ٢٩ الآية ١٩ .

(٦) سورة سبأ ٣٤ الآية ٤٩ .

(٧) سورة البروج ٨٥ الآية ١٣ .

(٨) سورة الروم ٣٠ الآية ١١ .

(٩) البحر المحيط ٧ / ١٦٥ .

ومن أمثلة هذا « فسّد » مكان « أفسد » وذلك فى قول أبى جُندَب الهذلى :

وقلت لهم قد أدركتكم كتيبة مفسِّدة الأدبار ما لم تُخَفَّر [1]

و « رَكَّس » مكان « أركس » كما فى قوله تعالى : « كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها » [2] إذ قرأها ابن مسعود « رُكِّسوا » [3] .

وكذلك « غزّاه » مكان « أغزاه » أى جعله يغزو فالغالب فيه الهمز [4] ، ولكننا نجده مضعفاً فى مثل قول المعطل :

لعمرك ما غزَّوت ديش بن غالب لوِتر ولكن إنما كنت موزعاً [5]

وصيغة التضعيف هذه فى اللفظ المذكور نجد صداها فى بعض المعاجم اللغوية [6] شأنها شأن غيرها من الصيغ الغريبة الأخرى ؛ لأن المعاجم مرآة تعكس أغلب الألفاظ فى اللهجات العربية المختلفة ؛

* * *

وقد تأتى « فعّل » مكان « فَعَل » مثل « نكّل » فى معنى « نكَل » كما فى قول أبى ذؤيب :

« إذا ما الخلاجيم العلاجيم نكَّلوا » [7]

إلا إذا اعتبروا « نكلوا » بمعنى « نكلوا نكلا شديداً » كما قيل فى « رفّعوا » أى رفعوا رفعاً شديداً ، وعلى هذا قراءة ابن مسعود [8] « يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٩٤ . تاج العروس « فسد » .
(٢) سورة النساء ٤ الآية ٩١ .
(٣) المحتسب ص ٢١٣ .
(٤) الأساس « غ زو » . المصباح « غزا » .
(٥) ديوان الهذليين ٣ / ٤٢ .
(٦) القاموس ، تاج العروس « غزو » .
(٧) ديوان الهذليين ١ / ٣٢ . كتاب الصناعتين ص ٢٦٠ .
(٨) الكشاف ٣ / ١١٨ .

أصواتكم فوق صوت النبى »[1] ، ومن ذلك قول الأعلم الهذلى :

رفّعت عينى بالحجاز إلى أناس بالمناقب[2]

وقول صخر الغى :

« يرفع للخال ريطاً كشيفاً »[3]

ومع هذا فإن من اللغويين من يجعل « رفع ورفّع » سواء[4] ، ومهما يكن الأمر ، فإنه يبدو من قراءة ابن مسعود ، ومن الشعر الهذلى أن صيغة التضعيف فى هذا الفعل لغة هذلية .

وقد نجد أيضاً « أوّب » مكان « آب » ، وهزز » فى موضع « هز » ، وذلك فى قول المتنخل :

قد حال دون دَريسَيه مؤوّبة   نِسع لها بعضاه الأرض تهزيز[5]

و « فتّر » من الأمر بمعنى « فتر » فيه ، كقول ساعدة بن جؤية :

أخيل برقامتى حاب له زجل   متى يفتّر من تَوماضه حلجا[6]

وقد نجد أحياناً « مشّى » بدلا من « مشى » كقول المتنخل :

« يمشّى بيننا حانوت خمر »[7]

* * *

---

(١) سورة الحجرات ٤٩ الآية ٢ .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٨١ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٨٥ . الكشاف ٣ / ١١٨ .
(٣) القاموس « رفع » .
(٤) اللسان « كشف » . ديوان الهذليين ١٠ / ٦٨ « يكشف بدلا من يرفع » .
(٥) ديوان الهذليين ٢/١٦ . اللسان «هزز» . تاج العروس ، الصحاح «مسح» . السمط ٢/٧٢٤ . الامالى ١ / ٣٨ ، ٢ / ٨٧ .
(٦) ديوان الهذليين ٢/ ٢٠٩ . اللسان « ومض » . المخصص ٩ / ١٠٩ .
(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٢١ . المخصص ١١ / ٩٠ .

وقد يأتى « فعّل » مكان « تفعل » مثل « قنب وتقنب » فحين يسوق اللغويون أن « قنبوا وتقنبوا » كلاهما بمعنى اجتمعوا على العدو – نجد شاهدهم على وجود « قنب » مستمداً من الشعر الهذلى كقول حذيفة بن أنس « وينسبه الزمخشرى لساعدة بن جؤية »[1] :

ألا هل لقيس والحوادث تعجب وأصحاب قيس يوم ساروا وقنبوا[2]

وزن فاعَلَ :

كثيراً ما يرد هذا الوزن من أوزان الفعل فى الشعر الهذلى مطابقاً لما هو عليه فى مألوف اللغة مثل : « عاود ، واثب ، سابق ، وافى . . . »[3] .

لكنه قد ينحرف أحياناً عن الوضع المألوف ، فقد يأتى فى موضع « أفعل » مثل « ناصف » فى مكان « أنصف » ، وذلك فى قول الشاعر الهذلى :

« لم يعطنى الحق ولم يناصفِ »[4]

هذا إذا لم يكن الفعل هنا من « ناصفه » بمعنى قاسمه المال مناصفة بينهما ، ولكن روح المعنى يوحى بأنه من الإنصاف .

وقد يأتى فى مكان « فعَل » مثل « ناصحَ » بمعنى « نصح » فى قول عمرو بن معمر الهذلى يرثى عبد الله بن الزبير وأخاه مصعب بن الزبير :

« ولكننى ناصحت فى الله مصعباً »[5]

وقد يأتى بمعنى فِعْلٍ مرادف على وزن « تفعّل » ومنه « عاررت أو عاريت » فى

---

(١) الأساس « قنب » .
(٢) ديوان الهذليين ٣ / ٢٣ .
(٣) المرجع السابق ٣ / ٥ ، ٢٢ . اللسان « صرف » .
(٤) البكرى : معجم ما استعجم « قتان » ٣ / ١٠٩٧ .
(٥) المؤتلف والمختلف ص ٢٢٦ .

معنى تمكثت أو تلبثت قليلا ، فقد روى بعض علماء اللغة ذلك ، ونسبه إلى الشعر الهذلي في قول أبي خراش :

فعاريت شيئاً والرداء كأنما يزعزعه ورد من الموم ماهن [1]

وإذا كانت الرواية في ديوان الهذليين (فعديت شيئاً) [2] ، فلعله وقع تحريف من نساخ الديوان في اللفظ (عاريت) فجعلوه (عديت) ، فالمعنى يستقيم مع التمكث الذي يعبر عنه اللفظ في رواية اللغويين ، فربما كان المقصود من البيت — كما نفهمه في ضوء ما سبق — أن أعداءه هدءوا من روعه حتى يسكن إليهم تمهيداً للإيقاع به ، فتريث في مشيه حتى يوهمهم بأنه قد اطمأن إليهم ، وخدعه صنيعهم . أما لفظ (عديت) فلا معنى له في هذا المقام .

وزن تفاعل :

قد نجده في الشعر الهذلي في معنى المشاركة مثل (تواعد) في قول أبي ذؤيب :

(تواعدنا الربيق لننزلنّه) [3]

أو في معنى (التزايد) مثل (تفاحش) (أي تزايد في القبح والفحش) كقول أبي ذؤيب أيضاً :

(ضرائر حِرْمي تفاحش غارها) [4]

وكثيراً ما يأتي هذا في أفعال مألوفة في اللغة ، ولكن من الأفعال ما يكون عند الهذليين على هذا الوزن وفيه بعد عن المألوف مثل (تشانّ) أي بلى ففي حديث عبدالله ابن مسعود في صفة القرآن (لا يتفه ولا يتشانّ) أي لا يبلى [5] .

---

(١) تاج العروس « عر » .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٤٤ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط الشنقيطي » ٧١ .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٥٣ .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ٢٧ . الصحاح « غور » . اللسان « غور ، حرم ، ضرر » . تاج العروس « ضر ، غور » . الأساس « فحش » . الاقتضاب ص ١٧٨ .
(٥) اللسان « تفه » .

ومما هو غير مألوف فى هذا الوزن من أسماء الفاعلين (متماحل) وقد فسره اللغويون بالطويل المضطرب الخلق[1] ، أو الفاحش الطول[2] ، ونجده فى مثل قول أبى ذؤيب :

وأشعث بَوشِيّ شفينـا أُحاحـه   غداتئذ ذى جردة متماحل[3]

و (متمائن) بمعنى قديم ، كقول مالك بن خالد[4] (أو المعطل الهذلى)[5] .

رويد عليـا جُدّ ما ثدى أمهم   إلينـا ولـكن بغضهم متمائن

ويروى (متماين)[6] بالياء فى موضع الهمز أى مغشوش (من المين والغش) وأصله تماينوا أى تـكاذبوا (كذب بعضهم بعضاً) ، وإذا كان هذا اللفظ فى كلتا الروايتين غير مألوف لدينا ، فإنا نجد لهذا أثره فى ميل بعض القائمين بالدراسات اللغوية والأدبية إلى ما جاء فى اللسان من رواية ابن كيسان :

(ولـكن بعضهم متيـامن)[7]

أى ذاهب إلى اليمين . والحق أنه ينبغى ألا نحكم الذوق فيما ثبت من مرويات اللغة ، وإن كان غير مألوف لدينا .

ومما جاء من هذا الوزن فى معنى المشاركة أيضاً (تهـارج) فى قول ابن مسعود (يتهارجون تهارج البهائم)[8] أى يتسافدون ، فـكأنه من الهرج فى معنى الخلط أو التخليط .

وقد جاء من ذلك شيء يشبه معنى الادعاء والتـكلف ، لكنه غريب فى استعماله

---

(١) اللسان القاموس « محل » .
(٢) الأساس « محل » .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ٨٣ . الصحاح « جرد . محل » . اللسان ، تاج العروس « بوش » .
(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٤٤٤ .
(٥) اللسان « مأن » والرواية فيه « ودم » بدلا من « بغضهم » .
(٦) ديوان الهذليين ٣/٤٦ . الكتاب ١/١٢٣ . المخصص ٨٩/١٤ . معجم ما استعجم ٧٣٨/٣ .
(٧) ديوان الهذليين ٣ / ٤٦ « حاشية ٣ » .
(٨) الفائق ٣ / ٢٠٢ .

مثل (تماجم) إذ أن معنـاه عند اللغويين تـكنى وتُوَرِّى كما فى حديث ابن مسعود : (ما كنا نتماجم أن ملـكا ينطق على لسان عمر) [١] .

ومما هو شبيه بذلك فى استعمالهم « تحالت » المرأة أظهرت حلاوة وعجباً ، وذلك فى قول أبى ذؤيب :

إذا ما تحالى مثلها لا أطورها [٢]

وقد يأتى (تفاعل) مكان (تفعّل) مثل (تزايل ، تزيل) وكلاهما فى معنى تباين[٣] ونجد الأخيرة منها فى قول أبى ذؤيب :

إلى ظعُـن كالدوم فيها تزايـل [٤]

وزن تفعّل :

تأتى أفعال هذا الوزن عند الهذليين أحيـاناً فى معنى أفعال تـكون فى الغالب من أوزان أخرى ، ومن هذه الأفعال ما هو غريب فى وضعه ، ومنها ما هو مألوف ، ومنها ما هو موجود الآن فى اللهجات الحديثة .

ومن ذلك ما جاء عندهم على (تفعـــل) مكان (افتعل) مثل (تعـــذّر) بمعنى (اعتذر) ، ومنه التعذر أى الاعتذار فى قول أبى ذؤيب :

فإنك منها والتعذر بعدما   لججت وشطت من فطيمة دارها [٥]

وهذا الفعل من نطق العامة الآن فى بعض بلادنا إذ يقـولون (فلان تعذر لفلان عما فعله) أى اعتذر له .

---

(١) المرجع السابق ٢ / ١١٩ . اللسان « عجم » .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٥٥ . اللسان والصحاح « حلا » .

(٣) اللسان ، الأساس « زيل » .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٥١ . اللسان ، تاج العروس « زيل » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٢٦ . تاج العروس « عذر » .

ومن هذا الوزن أيضاً (تنظر) بمعنى (انتظر) ، وذلك في قول أبي ذؤيب :

ألا ليت شعري هل تنظر خالد　　عيادي على الهجران أم هو يائس[1]

و (تنقص) بمعنى (انتقص) في قول أبي صخر الهذلي :

قالت أثيلة قد تنقصك البلى　　ونكست في أطهار أشعث ناحل[2]

و (تشكى) بمعنى (اشتكى) في قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب :

بوجناء حرف تشكى الكلالا[3]

و (تخير) أي (اختار) كقول أبي ذؤيب :

(تخير من لبن الآركات)[4]

و (تلهب) أي (التهب) كقول ساعدة بن جؤية :

خرق من الخطي أغمد حده　　مثل الشهاب رفعته يتلهب[5]

و « تبغي » في معنى « ابتغى » (أو في معنى الثلاثي بغى) وذلك في قول ساعدة ابن جؤية :

ولكنما أهلي بواد أنيسه　　سباع تبغى الناس مثنى وموحد[6]

ومما هو من هذا الوزن في معنى الثلاثي (توثب) أي (وثب) ، ومن ذلك مايسوقه

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٦٠ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢١٣ . المخصص ٥ / ٨٦ اللسان « بسل . بشر . بصر . روض » . المحكم « شنع . عود » .

(٢) البحتري : ديوان الحماسة ص ٣٠٧ .

(٣) ديوان الهذليين ٣ / ١٢٣ . كتاب الصناعتين ص ١٠٦ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٤٦ . مقاييس اللغة « أرك » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٨٩ .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٧ . المخصص ١٧ / ١٢٤ . اللسان والصحاح وتاج العروس « بغى » . المغني ٢ / ١٦٢ . شرح المفصل (والرواية فيه « ذئاب » مكان « سباع ») ٨ / ٥٧ .

اللغويون من حديث هذيل : « أيتوثب أبو بكر على وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] .

و (تلبث) بمعنى (لبث) كقول معقل بن خويلد :

(دعـوت بنى سهم فلم يتلبثوا)[2]

ولعل في بعض هذه الأفعال معنى يزيد قوة وتأكيداً على معنى الفعل المناظر له ، فربما كان (التلهب) أقوى من (الالتهاب) ، والتبغى أشد من الابتغاء (إلى جانب ما يلمح فيه من معنى البغى) ، والتوثب أقوى من الوثب ، وأشد إيغالا في التعبير عن الظلم .

ولـكن الذى يهمنا هو أن فى بعض هذه الأفعال – كما ذكرنا – شيئاً من الغرابة فى الاستعمال .

وهناك غير هذا أفعال كثيرة خرجت عن أوزان نظائرها المشابهة لها أو التى تقاربها فى معناها . وقد كتب لبعضها البقاء فى مجال الاستعمال ، وبعضها اكتفى بأن يظل قابعاً فى بطون المراجع ، أو أن يتطور فى استعماله بعض التطور . فإذا كنا قد ألفنا فى الفصحى وجود (تغنى) من الفعل (غنى) ، فإنا لم نألف (تغرد) من (غرد) ، ولكنا نجده ماثلا فى الشعر الهذلى .

ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية :

بأوب يدى صناجة عند مدمن   غوىّ إذا ما ينتشى يتغرد[3]

ونجد – إلى جانب ما ذكرنا – أفعالا أخرى مثل : (تنقّذ) مكان (أنقذ) أو

---

(١) تاج العروس ، اللسان « وثب » .

(٢) ديوان الهذليين ٣ / ٧١ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٦ .

(استنقذ) [1] ، وتجرم بمعنى (مضى وانصرم) [2] ، و (تقضى) بمعنى (ان
و (تبدل) فى معنى (استبدل) [4] ، و (تروح) مكان (روح) ، والأ
السكرى [5] ، وهذا يؤكد وجود التناظر بينهما .

وزن استفعل :

تأتى أفعال كثيرة على هذا الوزن عند الهذليين متفقة من حيث صيغتها و وضعها فى مألوف اللغة مثل : استبدل [6] واستمات [7] ، و « استحكم » محكما) [8] ، واستحر (أى اشتد) [9] ، واستدار (أى دار) [10] ، و (أى أكره) [11] ، واستفاق بمعنى أفاق [12] ، و « استبل » بمعنى « أبل » وغير هذا كثير .

ومن ذلك أيضاً « المستأخِذ » الذى به أُخُذ من الرمْد (أو به رمد شديا فى قول أبى ذؤيب :

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٥٧ . ديوان أبى ذؤيب « مخطوط الشنقيطى » ورقة ١٣٣ تيمور » ١٩٥ . اللسان « غمم » .

(٢) اللسان « جرم . حير . عيق » . تاج العروس « بضع . حار » .

(٣) اللسان « حير » .

(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢١٢ . تاج العروس « بدل » . اللسان « خور فحول الشعراء ص ٩٦ . ديوان الهذليين ٣ / ٦٤ .

(٥) المرجع السابق ٣ / ٩٣ .

(٦) المرجع السابق ٢ / ١١ .

(٧) المرجع السابق ٢ / ٨٣ .

(٨) اللسان « زمع » . ديوان الهذليين ١ / ١٤٨ .

(٩) ديوان الهذليين ٣ / ٢٧ .

(١٠) المرجع السابق ٣ / ٦٣ .

(١١) الرجع نفسه ١ / ١٧ .

(١٢) المرجع نفسه ١ / ٢٣٤ .

(١٣) المرجع نفسه ١ / ١٢٩ .

يرمى الغيوب بعينيه ومطرفه مغض كما كسف المستأخذ الرمد [1]

و « المستوبد » فى قول ساعدة بن جؤية :

هو الطرف لم تحشش مطى بمثله ولا أنس مستوبد الدار خائف[2]

وقد فسره صاحب القاموس[3] بالجاهل بالمكان أو السيء الحال . ولعل المعنى الأول أشبه بالبيت وأنسب ، وإن كان اللفظ فى نفسه غير مألوف .

ومثل ذلك « المسترعف » ، وهو الفرس السابق[4] كقول أبى كبير :

ولقد أجزت الخرق يركد علجه فوق الإكام إدامة المسترعف[5]

و « المستخلف » فى قول أبى كبير نفسه :

عجلت يداك لخيرهم برشة كالمعط وسط مزادة المستخلف (٦)

وقد فسر فى الديوان بأنه المستقى لأصحابه(٧) ، ولكن المعاجم تجعل المستخلِف والخالِف السقاء(٨) ، والمعنيان يدوران فى فلك واحد ، وسواء صح هذا أو ذاك ، فإن لفظ المستخلف هنا فى غير وضعه المألوف الذى يتبادر إلى الذهن حين نسمع هذا اللفظ .

وقد نجد الفعل من هذه الأفعال غريباً فى معناه الخاص ، ولكنه مألوف من حيث المعنى العام لصيغته والقالب الذى صب فيه ، ومن ذلك « استبات الشيء يستبيثه »

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٢٥ . اللسان « كسف . أخذ » . تاج العروس « أخذ . غيب » .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢٢٣ .

(٣) القاموس « وبد » .

(٤) القاموس « رعف » .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٦ .

(٦) المرجع السابق ٢ / ١٠٩ .

(٧) المرجع نفسه ٢ / ١١٠ .

(٨) القاموس ، تاج العروس « خلف » .

(أى استخرجه) (١) فعلى الرغم مما فى معناه من غرابة نجد أن صيغته تفيد الطلب كما هو شأنها فى مألوف اللغة .

ولكن قد نجد فى بعض الأفعال التى على هذا الوزن شيئاً من الغرابة فى قالبها واستعمالها ، ومن هذا القبيل ما نجده من أن الفعل « استبشر » معناه « بشر » كما فى قول ساعدة بن جؤية :

فبينا تنوح استبشرها بحبها   على حين أنْ كل المرام تروم (٢)

وقد استشهد صاحب اللسان بهذا البيت على أن «استبشر» تكون فى معنى «بشر» .

وفى موضع آخر من ديوان الهذليين نجد بيتاً آخر لساعدة هو قوله :

فبينا تنوح استبشروها بحبها   صحيحاً وقدفت العظام فتورها (٣)

والرواية الأخرى للبيت :

« فبينا تنوح أبشروها بحبها » (٤)

وعلى هذه الرواية تكون « أبشر » هى التى أخذت معنى « بشر » والفعل فى الحالين بعيد عن المألوف .

ومن ذلك « المستبدر » (أى المسرع الماضى) (٥) كقول المتنخل :

مستبدرا يزعب قدامه   يرمى بعم السمر الأطول (٦)

---

(١) تاج العروس « باث » .
(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٣ .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٨ . اللسان « بشر » .
(٤) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٨ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣ / ١١٨١ .
(٥) تاج العروس « بحر » .
(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٨ . تاج العروس « بذر » .

وقد جاء فى القاموس « مستبذراً » بالذال ، وذكر أن معناه « المسرع الماضى » .

وقد روي البيت نفسه فى شرح القاموس هكذا بالذال المعجمة ، لا بالدال المهملة[1] على سبيل الاستشهاد ، وهو أقرب إلى أن يكون من قبيل التصحيف ؛ لأن «مستبدراً» بالدال معناه — فى أغلب الظن — مبادر ، وعلى هذا يكون مشتقاً من المبادرة ، وهذا يتفق والمعنى الذى ذكرته المعاجم من أنه المسرع الماضى ، أما « مستبذر » فهو أقرب إلى أن يكون من معنى التبذير كما فى اللسان .

ومن المعنى الأول (أي معنى المبادرة) نجد الفعل « يستبدر » بمعنى « يبدر » فى قول المتنخل :

« كأن الدمع يبدر من منخل »[2]

ومن الأفعال الأخرى التى جاءت على هذا الوزن : « استراب به » إذا رأى منه ما يريبه ، فينسب بعض اللغويين هذا إلى هذيل[3] .

و « استجمع » بمعنى « اجتمع » فى قول أبى ذؤيب :

« واستجمع الطفل منه رشوحاً »[4]

و « استوقد » بمعنى « توقد » كقول أبى قلابة :

إذ لا يقارع أطراف الظباة إذا استوقدن إلا كماة غير أجبان[5]

« واستحار » الشىء بالشىء « أى حار أو تحير » (إذا تردد وامتلأ) كما فى قول أبى ذؤيب :

---

(١) تاج العروس « بحر » .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢ .
(٣) تاج العروس « راب » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٣٢ .
(٥) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٧١٢ . ديوان الهذليين ٣ / ٣٩ .

« . . . واستحـار شبـابها »[1]

وقول ساعدة بن جؤية :

« إلى فضلات مستحـير جومها »[2]

وكذلك « استحار » الشيء طلب رجوعه من « حار يحور » (أى رجع يرجع) ومن ذلك قول خالد بن زهير يخاطب أبا ذؤيب :

لعلك إما أم عمرو تبـدلت سواك خليلا شاتمى تستحيرها[3]

أى تسترجعها ، وتطلب رجوعها . وتفسيره فى ديوان الهذليين تستعطفها ، وليس هذا بالتفسير اللغوى الدقيق ، وإنما الاستعطاف هو السبيل إلى استرجاعها .

ومن يرى الأخذ بالرواية الأخرى لهذا اللفظ « تستخيرها »[4] بالخاء لا بالحاء تحيد به هذه الرواية طبعاً عن المعنى الذى نحن بصدده .

ومن الأفعال الغريبة فى استعمالها على هذا الوزن ما نراه من قول أبى ذؤيب :

« رآها الفؤاد فاستُضِل ضلاله »[5]

أى فضل ضلالا بعيداً ، ويفسر ذلك صاحب الصحاح بقوله « يعنى طُلب منه أن يضل فضل »[6] أى استضله الهوى إلى حد كبير ، فكأن الذى وقع تحت تأثير الإضلال أو الاستضلال ليس هو الشخص المدَلَّه نفسه بل الضلال المنسوب إليه ، كما يقال (جُن

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٧١ . الصحاح ، أساس البلاغة « حير » .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٩ . اللسان « جمم . شور » .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٤٩ .

(٤) شرح ديوان أبى ذؤيب « مخطوط الشنقيطى » ورقة ١٣٣ . « مخطوط تيمور » ص ١٩٤ . اللسان « خور » .

(٥) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٤١ . اللسان « ضلل ، نوف » . الصحاح « ضلل » . معجم ما استعجم ص ١١٠١ .

(٦) الصحاح « ضلل » .

جنونه) ، وهذه مبالغة وتفخيم للضلال الذى وقع فيه . ولـكن التعبير — كما نري — غير مألوف .

وزن افتعل :

كثيراً ما تأتى الأفعال فى هذا الوزن على مثل حالها فى الفصحى ، أو فيما ألفناه من ألفاظ اللغة وذلك مثل (ازدار من زار)[1] ، و (اصطان من صان)[2] ، واحتام (أى اشتد)[3] ، والتمس الشيء (أى طلبه)[4] ، واعتسر الصعاب أى ركبها[5] .

وقد نجد أفعالا غريبة ، ولـكن ربما كانت غرابتها راجعة إلى قلة دورانها على الأقلام والألسنة .

وذلك مثل (اشتجر) إذا وضع يده تحت (شَجْره) كقول أبى ذؤيب :

تام الخلى وبت الليـل مشتجراً   كأن عينى فيها الصاب مذبوح[6]

و (اضطمر) بمعنى (ضمر) فى قوله أيضاً :

تريع الغزاة وما أن يريع مضطمرا طرتاه طليحاً[7]



ولـكنا نجد أفعالا لا تأتى غرابتها من ألفاظها ، بل يرجع ذلك إلى صياغتها ،

---

(١) تاج العروس « زور » . اللسان « زور . عدل » .
(٢) اللسان « صون » . تاج العروس « صان » .
(٣) اللسان « حتق » .
(٤) تاج العروس « صاب . مرح » .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٣ .
(٦) ديوان الهذليين ١/١٠٤ . الصحاح « صوت » . تاج العروس ، اللسان ، مقاييس اللغة «شجر» . شرح المفصل ١٠ / ١٢٤ . شرح الشافية ١ / ٢٠٩ .
(٧) ديوان الهذليين ١ / ١٣٤ . الكتاب ١ / ٢٣٨ . الخصائص ٢ / ٤١٣ . اللسان « ضمر » والرواية فيه « بعيد الغزاة فما إن يزال » .

ومجيئها فى هذا الوزن على غير معناها المعروف ، كقولهم (اعترف) مكان (عرف)[1] فى قول أبى ذؤيب :

مرته النعامى فلم يعترف خلاف النعامى من الشام ريحاً [2]

ونجد هذا الفعل فى حديث لابن مسعود : (فيقال لهم هل تعرفون ربكم ، فيقولون إذا اعترف لنا عرفناه) [3] .

ويفسر ابن الأثير ذلك بقوله (إذا وصف نفسه بصفة نحققه بها عرفناه) ، وهذا نفسه تفسير ابن منظور لهذا الفعل [4] .

ومن هذه الأفعال (اقترى) أى تتبع واستقرأ [5] كما فى قول أبى ذؤيب :

تأبط خافة فيها مساب فأضحى يقترى مسداً بشيق [6]

ومنها أيضاً (اختلّ) إليه أى احتاج (وهو من الخلة أى الحاجة) ، ومنه قول ابن مسعود : (عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدرى متى يختلّ إليه) [7] أي متى يحتاج الناس إلى ما عنده .

ومن هذه الأفعال (اجتلى) بمعنى (أجلى) ، وقد رويت هكذا فى بيت أبى ذؤيب :

---

(١) اللسان والصحاح « عرف » .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ١٣٢ . شرح ديوان أبي ذؤيب « شنقيطى » ورقة ١٢٦ . « تيمور » ١٨٣ . الصحاح « عرف » . المحكم « عذر » . اللسان « عرف . نعم » . الجمهرة « ع م ن » . الكامل ٣ / ٢٦ . ذيل الأمالى ص ٦ .

(٣) النهاية ٣ / ٨٦ .

(٤) اللسان « عرف » .

(٥) القاموس « القرية » تاج العروس « الشيق » .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٨٨ . اللسان « جوف . زهق » . تاج العروس « سأب » ، « سد » الصحاح « سأب ، خوف » . المخصص ٥ / ١٩ . والرواية فى اللسان والصحاح والمخصص « فأضحى » ، وفي تاج العروس « فأصبح » .

(٧) اللسان ، تاج العروس « خلل » . الفائق ١ / ٣٦٧ . البيان والتبيين ٢ / ٣١٧ . المخصص ١٢ / ٣٢٣ . النهاية ١ / ٣٥٣ .

فلما اجتلاها بالإيام تحيزت ثبات عليها ذلها واكتئابها [1]

وكذلك « التمع » الشيء بمعنى اختلسه واختطفه ، ويوجد في معاجم اللغة لازماً « التمع به وعليه » ومتعدياً كما مر [2] ، وهو هكذا في حديث ابن مسعود حين رأى رجلا شاخصاً ببصره إلى السماء في الصلاة ، فقال : « ما يدري هذا لعل بصره سيلتمع قبل أن يرجع إليه » [3] .

وإذا كنا قد ألفنا الفعل « افتتن » بمعنى صار « مفتتنا » ، فإنا لم نألفه في معنى آخر ، ولكنا نجد هذا الفعل على غير معناه المألوف في الشعر الهذلي (في قول أبي ذؤيب) :

فافتن بعد تمام الظمء ناجية مثل الهراوة ثنيا بكرها أبد [4]

وقــوله :

فافتنهن من الســـواء وماؤه بثر وعارضه طريق مهيع [5]

فقد فسره الضبي بقوله « افتنهن:فرقهن يطردهن فنوناً من الطرد » [6] وفي رواية « فاحتطهن » من الحط ، وفي رواية أخرى « فاحتثهن » من الحث ، وكلها صيغ ليست من الإلف بمكان .

وإذا كنا نجد أن الفعل « اختفى » معناه المألوف ضد ظهر ، فإنا قد نجده عند اللغويين بمعنى استخرج وأظهر [7] ونجد مصداق هذا في قول أبي ذؤيب :

---

(١) تاج العروس « أيم » . شرح المفصل ٥ / ٨ .

(٢) تاج العروس « لمع » .

(٣) اللسان « لمع » . الفائق ٢ / ٤٧٦ . النهاية ٤ / ٦٧ .

(٤) المفضليات ص ٨٦١ . اللسان « فتن » . الصحاح « أبد » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٥ . مقاييس اللغة « بثر » . معجم البلدان « البثر » . معجم ما استعجم ص ٧٦٣ .

(٦) المفضليات ص ٨٦١ .

(٧) الأساس والقاموس « خفى » . الأمالي ١ / ٢٠٨ .

ومُدَّعَس فيه الأنيض اختفيته   بجرداء ينتاب الثميلَ حمارها [1]

ومن قبيل ذلك (اطّعم) أي صار ذا طعم في حديث ابن مسعود (... كرِجرِجة الماء لا تطعم) [2] ، وقد روى لا تطعم من (أطعم) أي أعطى طعماً [3] .

والفعل في كلا الأمرين غريب في معناه واستعماله .

ومن هذا القبيل أيضاً (اختلى يختلي) بمعنى جز أو قطع [4] كقول المتنخل :

أبيض كالرجع رسـوب إذا   ما ثاخ في محتفل يختـلي [5]

و (اقتار) بمعنى (سمن) في قول أبي ذؤيب :

به أبلت شهري ربيع كليهما   فقد مار فيها نسؤها واقترارها [6]

وقد نجد من ذلك (اعتنق) كما في قول أبي ذؤيب :

سبقتهمُ ثم اعتنقت أمامهم   وشايحت قبل اليوم إنك شيح [7]

ولعله مأخوذ من العَنَق (وهو نوع من السير) ، ويفسره اللغويون بمعنى (بدَر وسبق) .

ومع هذا فالرواية المذكورة في البيت هي رواية اللغويين ، أما ديوان الهذليين فرواية الشطر الأول فيه :

---

(1) ديوان الهذليين ١ / ٣١ . تاج العروس « ثمل . دعس » . اللسان « ثمل ، وكف » . الأصمعي . الأضداد ص ٢٨ .

(٢) ، (٣) اللسان « طعم » .

(٤) القاموس « الخلى » .

(٥) ديوان الهذليين ١٢/٢ . تاج العروس «حفل» . الصحاح «رجع . ثوخ» . الحيوان ٥ / ٢٩٥ . الجمهرة « ج ر ع » .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٢٣ . تاج العروس « رجع » . اللسان « أبل . قرر » .

(٧) ابن السكيت : الأضداد ص ٩٣ . السجستاني : الأضداد ص ١٢٥ . الأساس « شيح » مع خلاف طفيف في الرواية (« تبعتهم » بدلا من « سبقتهم ») .

(بدرت إلى أولاهم فسبقتهم) [1]

★ ★ ★

ولكثرة ما جاء في الشعر الهذلي من أفعال غريبة في استعمالها نجد اللغويين أنفسهم قد اختلفوا في تفسيرها ، ومنها ما لا يفسرونه تفسيراً لغوياً دقيقاً بل يستوحون معناه من معنى البيت الذي يحتويه .

ومن ذلك (التحص) في قول أمية بن أبي عائذ :

قد كنت خراجا ولوجا صيرفا   لم تلتحصني حيص بيص لحاص [2]

فمنهم من يحمل معنى (التحصه) ألجأه إلى الأمر ، والالتحاص: الالتحاج والاضطرار [3] . ومنهم من يفسر الفعل في البيت بقوله : لم تلتحصني: (لم أنشب فيها) [4] ، وفي شرح البيت في ديوان الهذليين (لم تنشب فيّ) [5] ، وفي حاشيته (لم تلبطني) [6] ، وفي شرح أشعار الهذليين (لم تضطرني) . وما ذاك إلا لعدم وضوح هذه الألفاظ أمامهم وضوحاً كافياً .

ومن الأفعال الغريبة في هذا الوزن عند الهذليين (انتجى) مكان (تناجى) في قراءة ابن مسعود وتلاميذه ، فقد قرأ جمهور القراء (يتناجون بالإثم والعدوان) [7] وقرأ حمزة وطلحة والأعمش ويحي بن وثاب (ويَنْتَجون) [8] .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١١٦ . وانظر التبيان ٢ / ٦٥ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٩٢ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢/٤٩١ . مقاييس اللغة «بيص» . اللسان « حيص . صرف . لحص » . الصحاح « حيص » . إصلاح المنطق ص ٣٦ . الكتاب ٢ / ٥١ .

(٣) القاموس « لحص » .

(٤) إصلاح المنطق ص ٣٦ .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٩٢ .

(٦) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٤٩١ .

(٧) سورة المجادلة ٥٨ الآية ٨ .

(٨) البحر المحيط ٨ / ٢٣٦ .

وقرأ جمهور القراء أيضاً (يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان) (١) وقرأ عبد الله بن مسعود : (إذا انتجيتم فلا تنتجوا) (٢) .

ومما يؤكد أن هذه لغة عبد الله — إلى جانب قراءته وقراءة تلاميذه — أنه عند قول الله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة . . .) (٣) نجد ابن مسعود يضيف إلى ذلك قوله (إذا انتجوا) ، وهى هكذا فى مصحفه (٤) .

وزن انفعل :

أغلب ما يكون هذا الوزن فى المطاوع مثل انكسر ، وانفتح . . . ولكن هذه المطاوعة قد نجدها عند الهذليين فى أفعال مألوف فيها هذه الصيغة مثل (اندمل) فى قول أمية بن أبى عائذ :

خيال لزينب قد هاج لى ... نكاساً من الحب بعد اندمال (٥)

وقد تكون غير مألوفة فى مثل (انضاع) ، فنحن نجد فى اللغة (ضاع الشىء) بمعنى تحرك وبدا وظهر(٦) ، و (ضاعه) أى حركه(٧) ، والمطاوع المشهور فيه (تضوع) فيقال (تضوع المسك) أى تحرك فانتشرت رائحته(٨) ، و (تضوع الصبى أو الفرخ) أى تحرك وتلوى ، أو بسط جناحيه إلى أمه لتزقه (٩) .

ولكنا نجد (انضاع) فى هذا المعنى مناظراً للفعل (ضاع يضوع) إذا تحرك(١٠) ،

---

(١) سورة المجادلة الآية ٩ .

(٢) البحر المحيط ٨ / ٢١٢ . الكشاف ٣ / ١٦٩ .

(٣) سورة المجادلة الآية ١٧ .

(٤) الكشاف ٣ / ١٦٩ .

(٥) اللسان « نكس » .

(٦) السجستانى : الأضداد ص ٢٣٨ .

(٧) القاموس « ضاع » .

(٨) المرجع السابق « المادة السابقة » .

(٩) المرجع نفسه « المادة نفسها » .

(١٠) مقاييس اللغة « ضوع » .

أو للفعل (تضوع يتضوع) في المعنى نفسه [١] ، وإذا ذكر الفعلان جنباً إلى جنب في كتب اللغة نجد الشاهد الذي يسوقه اللغويون على وجود (انضاع) هو قول الشاعر الهذلي :

فريخان ينضاعان في الفجر كلما أحسا دوى الريح أو صوت ناعب

وهذا البيت ينسبه اللغويون إلى أبي ذؤيب [٢] ، وهو في ديوان الهذليين منسوب لصخر الغي [٣] .

ومما هو غريب في ذلك (انشام) الشيء أي دخل فيه [٤] كما في قول أبي خراش :

فهيجها وانشام نقعا كأنه إذا لفها ثم استمر سحيل [٥]

وكذلك انباع من البيع ، وذلك في قول صخر الغي :

لفاتح البيع يوم رؤيتها وكان قبل انبياعه لكد [٦]

فإذا كان السكري قد فسر البيع والانبياع هنا بالانبساط ، فإن من اللغويين من جعل الانبياع المسامحة في البيع ، فيقال (انباع لي) إذا سامح في البيع [٧] أي انباع الشيء على يده أو برضاه ومسامحته ، والانبياع هكذا في كلا المعنيين غريب على اللغة المألوفة .

والمعروف في صيغة المطاوعة هذه أن تأتي غالباً على البناء للمعلوم ، (أو البناء

---

(١) المحكم ، اللسان « ضوع » . تاج العروس « ضيع » .
(٢) مقاييس اللغة ، اللسان ، المحكم « ضوع » . تاج العروس « ضيع » . الأمالي ٢ / ٣٢٢ . السجستاني : الأضداد « ضاع » .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٥٦ ، وانظر السمط ٢ / ٩٦٥ .
(٤) القاموس « الشيمة » . ديوان الهذليين ٢ / ١١٩ .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١١٩ .
(٦) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ص ١٣ . اللسان « بوع » . تاج العروس « لكد » .
(٧) المرجع السابق والمادة السابقة .

للفاعل) ، دون البناء للمجهول (أو البناء للمفعول) ؛ لأن معناها فى الواقع الإسناد إلى المفعول حقيقة ، وإن كان فاعلا شكلا ؛ ولهذا لا تكاد نجد البناء للمجهول — بمعناه المعروف — فى صيغة المطاوعة ، فلا يقال (انكُسر) ولا (انفُتح) ، وذلك فيما ألفنا غالباً من سمت اللغة .

ومع هذا نجد (انخُسف) فى لفظ ابن مسعود ، فالآية الكريمة (لولا أن من الله علينا لخسف بنا) [1] هى فى قراءة ابن مسعود وطلحة والأعمش (لا نخُسف بنا) [2] على البناء للمفعول فى المطاوع لا بالفعل الثلاثى المجرد كما هو فى قراءة جمهور القراء .

★ ★ ★

هذه أهم الاتجاهات التى ألفيناها فى آثار الهذليين من شعر ونثر وقراءات بشأن الأفعال وأوزانها ، وما فيها أحياناً من غرابة أو خروج على المألوف .

وقد نشير إشارات عابرة إلى بعض أفعال أخرى فى صيغ غير الصيغ التى مرت بنا . ومن ذلك (افرنقع) بمعنى تفرق ، ذلك الفعل الغريب نجده عند ابن مسعود ، ففى الآية الكريمة (حتى إذا فزع عن قلوبهم . . .) [3] نجد قراءته (افرنقع عن قلوبهم) [4] .

ومما نلحظه أن صيغة (افعال) التى كثيراً ما تدل على التدرج شيئاً فشيئاً مثل (اخضارّ واحمارّ) نجدها فى كلام ابن مسعود تدل — هى وما اشتق منها — على المبالغة ، ففى حديث ابن مسعود رضى الله عنه (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم فى ظل الكعبة ، فاستيقظ محمارّاً وجهه ، وروى فاحمار وجهه حتى كأنه الصِّرف) [5] .

---

(١) سورة القصص ٢٨ الآية ٨٢ .

(٢) البحر المحيط ٧/ ١٢٤ . مختصر شواذ القراءات ص ١١٤ . تاج العروس ، الصحاح «خسف» .

(٣) سورة سبأ ٢٤ الآية ٢٣ .

(٤) البحر المحيط ٧ / ١٧٨ . مختصر شواذ القراءات ص ١٢١ .

(٥) الفائق ص ٢٠ ، اللسان « صرف » .

ثم إن قول الله تعالى : « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه » [1] نجد فيه قراءة ابن مسعود « ينقاض » أي يسقط بسرعة [2] فالصيغة بوضعها هذا تدل على المبالغة في الانقضاض .

وهكذا نجد أن لبعض الأفعال وضعاً خاصاً من حيث معناها وصياغتها بالقياس إلى نظائرها في اللغة .

---

١ سورة الكهف ١٨ الآية ٧٧ .

٢ مختصر شواذ القراءات ص ٨١ .

الباب الثالث

بعض الظواهر النحوية والتركيبية

الفصل الأول
التعدّي واللّزوم

الفصل الأول

التعـــدى واللـــزوم

من مظاهر اختلاف اللهجات بعضها عن بعض أن من هذه اللهجات ما يستعمل أفعالا خاصة استعمال اللازم ، ومنها ما يجعل هذه الأفعال نفسها متعدية . وقد يعمد بعضها إلى صيغ وأوزان خاصة ألفناها فى اللغة لازمة ، فنراها عندهم متعدية ، ونقيض هذا هو الآخر يمكن أن يكون .

وقد نجد هذا اللازم ثلاثياً فى لهجة ، ثم نراه رباعياً من مادته فى لهجة أخرى .

وقد تختلف أيضاً فى طريقة تعدية الفعل إلى مفعوله ، فقد يتعدى مجرداً عند قوم ، ويتعدي بالهمز أو التضعيف عند آخرين .

وقد يغلب استعمال الهمز حينا ، والتضعيف حينا آخر ، فتتسم بهذا أو ذاك هذه القبيلة أو تلك ، فيصير من خصـــائصها التى تميزها عن سواها . . . إلى غير ذلك من الظواهر التى لمسنا بعضها خاصاً بهذيل .

وسنتناول ذلك بالدراسة فى هذا الفصل .

أفعال لازمة ثلاثية عند هذيل ، ونظائرها عند غيرها رباعية بالهمز :

من هذه الأفعال « جد يجد » بمعنى اجتهد ، و « أجد يجد » فى هذا المعنى أيضاً ، فقد وردا معا فى اللغة ، وإن كان المشهور أولهما ، ومن المسلم به طبعاً أن يكون أحدهما قد سمع فى قبيلة أو مجموعة من القبائل ، والآخر قد سمع فى قبيلة أو مجموعة أخرى من هذه القبائل .

وفى هذا يروى الأصمعى أن « جد يجد » لغة هذيل[1] والأصمعى فوق أنه من كبار أئمة اللغة ورواتها ، هو أيضاً من أهم رواة الشعر الهذلى ، والمتصلين بالهذليين فى باديتهم، وينقل القالى فى أماليه — وهو الآخر من المهتمين بالتراث الهذلى — رواية الأصمعى من أن هذيلا تقول « جددت فى الأمر »[2] ، وهذا الفعل « جد » مجرداً من الهمز هو المألوف فى الاستعمال الآن ، وقد جاء به الشعر الهذلى فى مثل قول أبى ذؤيب :

فلبثن حينا يعتلجن بروضـة فيجد حينا فى العلاج ويشمع[3]

وأما الفعل « أجد » فربما أخذ عندهم معنى آخر هو « أحدث ، وأوجد » ، وذلك فى قول أبى ذؤيب نفسه :

أجد بهـا أمراً وأيقن أنه لها أو لأخرى كالطحين ترابها[4]

وأما قول أبى المورق :

تركت المـاذ مقليـا ذميا إلى سرف وأجددت الذهابا[5]

فقد يكون من قبيل سابقه ، وقد يفهم منه معنى الجد فى الذهاب والاجتهاد فيه ، فيكون فى هذا اللفظ — والحال هكذا — ضرورة شعرية ، أو يكون قد علقه ومعه بعض قومه من جيران لهم تكون هذه لهجتهم ، وليس هذا — فى كل حال — هو سمت هذيل فى هذا الفعل كما سبقت الإشارة .

ومن قبيل هذا الفعل « لحد وألحد » وثانيها هو المألوف فى الفصحى وعليه قوله تعالى : « لسان الذى يُلحدون إليه أعجمى »[6] وقراءة ابن مسعود وابن وثاب

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٤ . ديوان أبى ذؤيب « تيمور » ص ١٢ .
(٢) الأمالى ١ / ٢٠٥ .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ٥ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٧٧٨ . المحكم « علج » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ٧٨ .
(٥) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٧٧٨ . البقية ص ٢٩ .
(٦) سورة النحل ١٦ الآية ١٠٣ .

والأعمش وطلحة وآخرين من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة : «يَلحدون» من «لحد»[1] ، فيبدو أن هذا أيضاً من كلام هذيل .

افعال متعدية ثلاثية عند هذيل وغير ثلاثية فيا ألفنا :

من هذه الأفعال « حذاه » نعلا و « أحذاه » . والهذليون يستخدمونه فى أشعارهم مجرداً من الهمز ، وذلك فى مثل قول أبى خراش :

حذانى بعد ما خَذِمت نعالى ... دُبيّة إنه نعم الخليل[2]

وقول المتنخل :

حاو ومر كعطف القدح مِرّته ... بكل إِنْىٍ حذاه الليل ينتعل[3]

وقول بدر بن عامر يرد على أبى العيال :

وتأمل السِّبت الذى أحذوكم ... فانظر بمثل إمامه فاحذونى[4]

ومن ذلك أيضاً « ركس » و « أركس » ، وقد قرأه ابن مسعود مجرداً من الهمزة فى بعض الروايات ، فقرأ « رُكِسوا » [5] مكان « أركسوا » فى قوله تعالى : « كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها » (٦) ، و « ركسهم » بدل « أركسهم » (٧) فى قوله تعالى : « والله أركسهم بما كسبوا » (٨) .

وإذا كان فى مألوف اللغة « أسر » الشىء بمعنى أخفاه ، فإنا نجد فى قراءة ابن مسعود

---

(١) البحر المحيط ٤ / ٤٢٠ ، ٥ / ٥٣٦ .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٤٠ . اللسان « حذا » .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٣٥ .
(٤) المرجع السابق ٢ / ٢٦٢ .
(٥) البحر المحيط ٣ / ٣١٩ .
(٦) سورة النساء ٤ الآية ٩١ .
(٧) البحر المحيط ٣ / ١١٣ .
(٨) سورة النساء ٤ / ٨٨ .

« سر » من غير همز ، وذلك فى قوله تعالى : « ليُعلم ما يخفين من زينتهن » (١) فقراءة ابن مسعود : « ليعلم ما سُرَّ من زينتهن » (٢) .

وإذا كان جمهور القراء قد قرأ قوله تعالى : « وما ألتناهم من عملهم من شىء » بالفعل « ألات »(٣) ، كما قرأ بعضهم « آلتناهم » من « آلت » فإن ابن‌مسعود وطلحة والأعمش من الكوفيين قد قرءوا « لِتناهم » من « لات » (٤) . وهذا يحمل على الظن بأن الأخيرة هذلية . هذا ويسوق صاحب الكشاف أنها لغة أسد وأهل الحجاز (٥) ، ولعل المعنيّ بهذا من أهل الحجاز من كانوا أقرب إلى البداوة منهم ، وهذيل حجازية فيها بداوة كما هو معلوم .

وكذلك نجد فى اللغة « صاب وأصاب » وكلاهما يستعمل متعديا ، ولكن أكثر ما يستعمل « صاب » فى اللغة المألوفة ، فإنما هو فى الغيث والمطر ، فيقال : صابه المطر أى « مُطِر » ، وفيما عدا ذلك فالمشهور أصاب .

ولكنا مع هذا نجد أن « صاب » مجرداً من الهمز يستعمل عند الهذليين في كثير من الأحيان متعدياً بمعنى « أصاب » ، وهذا ما نجده الآن فى بعض اللهجات العربية الحديثة فيقال « صابه برصاصة » مثلا أى أصابه . ومنه فى شعر الهذليين قول ساعدة ابن جؤية :

فورّك ليّنا لا يُثمِّم نصله   إذا صاب أوساط العظام صميم (٦)

وقول البريق الهذلى :

إذا الرجل الشيمان صابت قذاله   أذاع به عجلوزها والمقلَّل (٧)

---

(١) سورة النور ٢٤ الآية ٣١ .
(٢) مختصر شواذ القراءات ص ١٠١ .
(٣) سورة الطور ٥٢ الآية ٢١ .
(٤) البحر المحيط ٨ / ١٢٩ .
(٥) الكشاف ٣ / ١٢٨ .
(٦) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٠ . اللسان « ثمم » . تاج العروس « ورك » . الاقتضاب ص ٣١٥ .
(٧) ديوان الهذليين ٣ / ٦٤ .

ومن أمثلة ذلك « تخِذ واتخذ » ، و « تقِى واتقى » ، و « تجه واتجه » ، والثلاثى منها لهذيل [1] ، والأمثلة على تعديته كثيرة فى الشعر الهذلى [2] ، وفيما نسبه اللغويون والرواة إلى هذيل من لهجات [3] ، وما أسندوه إلى ابن مسعود من قراءات [4] .

أفعال ثلاثية اشتهرت هذيل بتعديتها وهى فى الفصحى لازمة :

إذا كنا نرى عند الهذليين – وغيرهم – كثيراً من الأفعال الثلاثية المألوف تعديتها ، فإنا نجد عند هؤلاء الهذليين من هذه الأفعال أفعالا متعدية لم يألفها النحاة .

فمن المعروف المألوف أن الفعل « سَعِد » لازم ، والمتعدى منه « أسعد » بالهمز ، فيقال مثلا « أسعده الله » ولكن هذيلا تقول « سعده » دون همز [5] . وهذا الاستعمال مألوف فى بعض اللهجات العربية الحديثة ، ولا سيما عند غير المثقفين فى بلادنا ، ولكنه غريب على الفصحى – فيما يروى الرواة – بيد أن غرابته عندهم لا تسلبه – فيما نرى – فصاحته ؛ فقد جاء به قول الله تعالى : « وأما الذين سُعدوا ففى الجنة خالدين فيها » [6] فهو من « سعد » ولو كان من أسعد » لكان « أسعدوا » كما هو معلوم . وكذلك قرىء « شقو » بالبناء للمفعول ، وهذا يدل على أن هذين الفعلين يتعديان ، ومن ذلك قولهم « مسعود » من سعد الثلاثى المتعدى ، وبه سمى بعض الهذليين أنفسهم ، كما سمى به غيرهم من العرب ، ولا سيما من جاورهم كثقيف ، ومنهم عروة بن مسعود الثقفى .

هذا ، وقد نقل أبو حيان عن بعض علماء اللغة كالجوهرى قوله : « سُعِد فهو سعيد ، وسُعِد فهو مسعود » ، كما نقل عن القشيرى أنه جاء فى اللغة سعده الله فهو مسعود ،

---

(١) انظر « الترخيم والحذف » ص ١٥٣ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٢) شرح أشعار الهذليين «مخطوط» ٨٦ ، « تحقيق فراج » ١ / ٣٥٤ . ديوان الهذليين ٣ / ٩٠ . اللسان « ضحا » . مقاييس اللغة « بغض » . السمط ٢ / ٨٥١ . التصريح ١ / ٢٥٢ .

(٣) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٨٦ . « فراج » ١ / ٣٥٤ .

(٤) إبراز المعانى ص ٣٨٦ .

(٥) البحر المحيط ٥ / ١٥١ .

(٦) سورة هود ١١ الآية ١٠٨ .

وأسعده فهو مسعد » [1] ، ولكن صاحبا الصحاح والقاموس يقران لفظ « مسعود » دون « مسعد » [2] .

ولم يكن ذلك الفعل خافياً على بيئة النحو واللغة بالكوفة ، فهى أكثر البيئات العربية تأسياً بقراءة ابن مسعود ، أو أشدها تأثراً بالهذليين عن طريق ابن مسعود ، فلفظ « سعدوا » بالبناء للمفعول هو قراءته ، وقراءة طلحة بن مصرف ، وابن وثاب ، والأعمش ، وكثيرين من تلاميذه الآخرين بالكوفة ، ومن أخذوا عنهم ، ومن بينهم حفص بن سليمان [3] القارىء المعروف صاحب القراءة المشهورة فى مصر .

فلا غرو إذن أن نجد الفراء الكوفى يحكى أن هذيلا تقول « سعده الله بمعنى أسعده » .

ثم إن الكسائى ، وهو أحد القراء السبعة ، ورأس المدرسة الكوفية فى النحو كان يقرأ هذه القراءة . وكان على بن سليمان الأخفش يتعجب من قراءة الكسائى « سُعِدوا » مع علمه بالعربية ، وينكر أبو حيان على الأخفش هذا التعجب الذى لا مبرر له مادامت هذه القراءة راجعة إلى ابن مسعود وتلاميذه من الكوفيين [4] .

وعلى مثال الفعل « سَعَد » بمعنى « أسعد » نجد فعلا آخر هو «جبر» بمعنى «أجبر» ، ويذكر الزبيدى أنهما لغتان جيدتان « جبرته وأجبرته » بيد أن اللغويين والنحاة استحبوا أن يجعلوا «جبَرت» لجبر العظم بعد كسره ، وجبر الفقير بعد فاقته ، وأن يكون الإجبار مقصوراً على الإكراه [5] . ثم ينقل عن اللحيانى أن « جبره » لغة تميم وحدها ، وأن عامة العرب يقولون « أجبره » .

وأغلب الظن أنها — هى الأخرى — لهجة هذلية مثل « سعد » ولا سيما أن الزبيدى ينقل عن الأزهرى أن الشافعى كان يقول « جبره السلطان » [6] ، ويبدو أن هذه

(١) البحر المحيط ٥ / ٢٥١ .

(٢) الصحاح والقاموس « سعد » .

(٣) البحر المحيط ٥ / ٢٦٤ .

(٤) المرجع السابق والصفحة السابقة .

(٥) تاج العروس « جبر » .

(٦) تاج العروس « جبر » .

ليست من لهجة قريش رهط الشافعى ، فلعلها من آثار هذيل ، وقد كان للشافعى بهم من الصلة ما أسلفنا .

وإذا كان المشهور فى الفعل «نأى» هو أنه يتعدى بحرف الجر ، ولا يتعدى بنفسه ، وإنما بزيادة الهمز فى أوله ، فإنا مع ذلك نجد هذا الفعل (نأى) يتعدى بنفسه فى الشعر الهذلى ، ومن ذلك قول الداخل بن حرام أحد بنى سهم بن معاوية[1] ، (أو هو عمرو ابن الداخل كما فى ديوان الهذليين) [2] :

تذكر أم عبد الله لما نأته والنوى منها لجوج

وقد يقال إن المقصود « نأت عنه » ، ولكن الفعل موجود بالمعاجم اللغوية لازماً ومتعدياً [3] ، ومع هذا ما دام متسلطاً على المفعول بغير واسطة ، فينبغى ألا نفر من الظاهر إلى التأويل ما دام المعنى مستقراً مع هذا الظاهر القريب .

وهنالك بعض أفعال أخرى من هذا القبيل مثل « جار » الذي يتعدي بحرف الجر فى اللغة الفصحى ، ولكنه يتعدي بنفسه فى قول خالد بن زهير يرد على أبى ذؤيب (وقد نسبه صاحب اللسان خطأ لأبى ذؤيب) :

فإن التى فينا زعمت ومثلها لفيك ولكنى أراك تجورها [4]

ومن تعقيب صاحب اللسان على هذا البيت قوله : « إنما أراد تجور عنها فحذف وعدّى » . ولعل هذا راجع إلى تأثر اللغويين بما ألفوا ، ونظرتهم إلى كل ظاهرة مخالفة نظرة فردية فى ضوء المعايير اللغوية العامة التى ارتضوها ، ولم يحاولوا معها أن يتلمسوا أثر اللهجات المختلفة فى هذا الشأن .

ومن هذا أيضاً الفعل « غار » ، ومعناه فى الفصحى ذهب وغاب ، مثل غار الماء سفل فى الأرض ، وغارت عينه دخلت فى رأسه ، وغارت الشمس أي غابت ، فهو بهذا

---

(١) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٢٦٣ ، « فراج » ٢ / ٦١١ .
(٢) ديوان الهذليين ٣ / ٩٨ .
(٣) القاموس « نأى » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٥٧ . اللسان « جور » .

المعنى فعل لازم فى الفصحى ، ولكننا نجد له فى الشعر الهذلى معنى طريفاً ، فهو يستعمل متعدياً فى معنى « نفع وأفاد » ، فيقال « غار الرجل يغوره ويَغيره » نفعه [1] .

وقد جاء هذا الفعل « يَغير » فى شعر عبد مناف بن ربع الهذلى :

ماذا يغير ابنتى ربع عويلهما ... لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا [2]

ومثل « غار » نجد الفعل «سار» وأكثر ما يستعمل فى اللغة نجده لازماً ، والمتعدى منه « أسار » ، «سيّر » . ولـكنه هو نفسه يتعدى أيضاً إلى المفعول فى الشعر الهذلى كقول ساعدة بن جؤية :

مُيمَّمة نجد الشرى لا تَريمـه ... وكان طريقاً لا تزال تسيرها [3]

وقول خالد بن زهير :

فلا تجزعنْ من سنة أنت سرتها ... وأول راض سنة من يسيرها [4]

وبهذا البيت يستدل اللغويون على وجود هذا الفعل متعدياً فى اللغة [5] . بل إن من اللغويين من ذهب إلى ما هو أبعد من هذا ، فلم يكتف بأن جعل الفعل «سار» متعدياً إلى المفعول مثل « سيّر » ، وإنما قال بأن صيغة الفعل الأخير فى مثل قوله تعالى : « هو الذى يسيركم فى البر والبحر » [6] إنما هى للمبالغة لا للتعدية [7] .

ومن هذا القبيل من الأفعال أننا نجد فى معاجم اللغة «عَشِى يعشَى» ، و «عشا يعشو» وهو فعل لازم ، والمتعدى منه « أعشى » .

---

(١) مقاييس اللغة ، واللسان ، وتاج العروس « غير » .
(٢) المراجع السابقة « المادة نفسها » . ديوان الهذليين ٢ / ٣٨ . الأمالى ١ / ٥٨ .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٢ . معجم البلدان « نجد الشرى » ٨ / ٥٧ .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٥٧ . الصحاح « سير ، سنن » . الجمهرة « ر س ى » .
(٥) الصحاح « سير » .
(٦) سورة يونس ١٠ الآية ٢٢ .
(٧) انظر ابن هشام : المغنى ٢ / ١٠٧ وما بعدها .

ولكن الفعل « عشا » ثقفناه متعدياً فى شعر هذيل (فى قول ساعدة بن جؤية) :

« شهابى الذى أعشو الطريق بضوئه » [1]

وإن كان يحتمل أن يكون « الطريق » هنا ظرفاً لحصول الفعل ، ولا ينصب عليه الحدث ، ولكن المعنى يكون أكثر استقامة واتساقاً مع تسلط الفعل عليه ، فهو حينما قال : « أعشو الطريق » كأنه قال : « أبصر الطريق » ، ولكنه نوع معين من الإبصار .

وقد أدرك اللغويون هذا ، ولكنهم لم يألفوا تعدية مثل هذا الفعل ؛ ولهذا فسر صاحب اللسان « أعشو الطريق » بمعنى أقصد إليه ، واستشهد ببيت ساعدة هذا [2] ، وهو يرجو من وراء ذلك التفسير أن يعود بالأمر إلى وضعه الطبيعى المألوف فى اللغة دون نظر إلى الخصائص اللهجية التى ما كان ينبغى إهمالها .

وسواء كان هذا الفعل معبراً عن المعنى العام فى هذه المادة ، أم عن معنى خاص متصل بهذا المعنى العام ، فهو فى الحالين متعدّ كما نرى .

وإذا كنا نجد الفعل « سرح » لازماً فيما ألفنا ، متعدياً فيما روته كتب اللغة ، وإن كان بمنأى عن الاستعمال السائد — فإننا نلمس جانب التعدية متحققاً عند الهذليين فى قول أبى ذؤيب :

وكان مِثلين ألا يسرحوا نعما حيث استرادت مواشيهم وتسريح [3]

وهذه رواية البيت فى ديوان الهذليين ، ورواية صاحب اللسان لا تختلف عنها اختلافاً ذا بال . وثم رواية أخرى للبيت :

وكان سيان ألا يسرحوا نعما أو يسرحوه بها واغبرت السوح [4]

---

(1) ديوان الهذليين ١ / ٢٣٨ .

(٢) اللسان « عشا » .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٠٨ . تاج العروس « سرح » .

(٤) أساس البلاغة « سوح » .

والتعدى واضح فى هذه الرواية فى شطرى البيت جميعاً .

وفى هذا الإطار يدخل الفعل « شب » فى مثل « شبت النار » فقد ورد فى المعاجم لازماً ومتعدياً ؛ والمشهور فيه اللزوم ، ولكننا نصادفه متعدياً عند هذيل فى مثل قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترثيه :

شبت هذيل وفهم بيننا إرةً ما إن تبوخ وما يرتد صاليها [1]

وقول ساعدة بن جؤية :

عِناش عدو لا يزال مشمراً برجل إذا ما الحرب شُب سعيرها [2]

ويمكن أن يكون من قبيل ما ذكرنا من أفعال الفعل « جن » ، فهو يأتى لازماً ومتعدياً ، والمشهور فيه اللزوم ، وقد نزل به القرآن الكريم فى قوله تعالى : « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً » [3] .

ومنه قول الهذلى[4] (حبيب الأعلم) [5] :

دلجي إذا ما الليـل جن على المقرنة الحباحب

ولكنه كثيراً ما يأتى عند الهذليين متعدياً مثل « أجن » ونجد ذلك فى هذا البيت من شعر هذيل :

من المربَعـين ومن آزل إذا جنـه الليـل كالناحط [6]

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ١٢٦ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٢١٥ . تاج العروس « عنس » .

(٣) سورة الأنعام ١٦ الآية ٧٦ .

(٤) الصحاح « حبب » ، اللسان « قرن » . الفائق ٢ / ٢٢٦ .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٨٢ .

(٦) مقاييس اللغة « أزل » . اللسان « ربع ، نحط ، همع » . الصحاح « ربع ، نحط » تاج العروس « نحط ، أزل ، ربع » . إصلاح المنطق ص ٢٩١ . الأمالى ١ / ١٤٣ . السمط ١ / ٢٩٢ .

ذلك البيت الذى نسبه الزبيدى لأبي سهم الهذلى [1] ، والصحيح نسبته لأسامة بن الحارث الهذلى كما فى ديوان الهذليين [2] .

وفى قول مالك بن خالد الخناعى :

فزال بذى دَوْران منكم جماجم ... وهامٌ إذا ما جنه الليل صاخب [3]

وفى قول البريق :

« وقد جنه السدف الأدهم » [4]

وقد يكون من هذا القبيل من الأفعال الثلاثية التى عرفت هذيل بتعديتها ، وربما كانت فى الفصحى لازمة — الفعل « نفذ » ، فالمعروف أنه فعل لازم ، ولكننا — مع هذا — نجد فى اللغة « نفذهم وأنفذهم » وكلاهما بمعنى واحد [5] ، فهو متعد فى صيغتيه هاتين ، وبالأولى جاءنا حديث ابن مسعود : « إنكم مجموعون فى صعيد واحد ينفذكم البصر » [6] .

وقد رواه بعض اللغويين بالدال «ينفدكم» أى يستوعبكم من نفد الشىء وأنفدته [7] ، وعلى أساس من هذه الرواية يكون الفعل المتعدى هنا « نفِد ينفَد » ، هذا الفعل الذى كثيراً ما نراه لازماً فى مألوف اللغة .

وقد يزكى هذه الرواية أن الفعل « نفذ » بالذال المعجمة جاء متعدياً بالهمز فى شعر أبي ذؤيب [8] .

---

(١) تاج العروس « نحط ، أزل ، ربح » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٩٦ .

(٣) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ٤٦٩ .

(٤) ديوان الهذليين ٣ / ٥٦ . شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ٢ / ٧٥٢ . ابن الانبارى : الأضداد ص ٩٨٠ . السجستانى : الأضداد ص ٨٦ .

(٥) ، (٦) ، (٧) تاج العروس « نفذ » .

(٨) ديوان الهذليين ١ / ٨ . الجمهرة (ص ع م) .

فإذا كان المعروف عند النحاة هو عدم التعدى فى كثير من الأفعال التى جاءت على صيغة « فعِل » كحصِر وفرح . . . وفى صيغة « فعُل » كظرُف وكرم . . . فإنا نجد هذا كثيراً عند هذيل ، ومنه : أمِر ويئس فى قول ابن مسعود : « . . . إلا امرأة يئست من البعولة » [1] ، « كنا نقول فى الجاهلية أمِر بنوفلان أي كثروا » [2] .

و « بهج » فى قول الهذلية ترثى أخاها :

« بهجت جيادك واسترحن من الوغى » [3]

و « قدُم وحدُث » فى قول ابن مسعود : « فأخذنى ما قدم وما حدث » [4] .

ومع هذا فقد رأينا تعدية « فَعِل » هذا ماثلا فى الفعل « نفِد » ومن الغريب كذلك تعدية « فعُل » بضم العين أحياناً ، وقد روي من ذلك تعدية الفعل « رحب » فى عبارة نسبت لنصر بن سيار منها قوله : « أرحُبكم الدخول فى طاعة بن الكرمانى » أي وسعكم [5] ويأبى النحاة تعدية هذا الفعل قائلين بشذوذه [6] مستندين إلى عدم حجية نصر هذا [7] ، قائلين بتضمين هذا الفعل معني « وسع » [8] .

ولكن بعض اللغويين يحكى عن هذيل تعديتها [9] غير أنه يجعل ذلك مقصوراً على كونها قابلة للتعدى بمعناها ،كقوله : « ولم تَبصُر العين فيها كلابا » [10] .

---

(١) اللسان « بعل » .

(٢) المرجع السابق « أمر » . النهاية ١ / ٥٠ .

(٣) التبيان ٢ / ٢٧٧ .

(٤) اللسان « قدم » . تاج العروس « حدث » .

(٥) اللسان « رحب ، كرم » . تاج العروس « رحب » . السيوطى : الهمع ٢ / ٨١ .

(٦) القاموس « رحب » .

(٧) الأزهرى : التهذيب « رحب » . شرح الشافية ١ / ٧٥ .

(٨) الهمع ٢ / ٨١ . شرح الشافية ١ / ٧٥ .

(٩) القاموس « رحب » .

(١٠) المخصص ١٥ / ١٩ . تاج العروس « رحب » . شرح الشافية ١ / ٧٥ .

أما « فعِل » فقد سبق أن رأينا فيها تعدية الفعل « نقد » في حديث ابن مسعود . ونجد مثله « سرِف » بمعنى أغفل أو جهِل ، وهذا في قول ساعدة بن جؤية :

« حلف امرىء بَرٍّ سرِفتِ يمينه » [1]

وكذلك الفعل « ألم » نجد الاسم الذى يليه منصوباً فى الشعر الهذلى فى مثل قول صخر الغى :

« يألم قـرنا أرومـه نقـــد » [2]

وقد يقال إن الاسم بعده منصوب على ما يسميه النحاة (نزع الخافض) أي « يألم من قرن » ، ولكن ظاهرة النصب بعد هذا الفعل وغيره من الأفعال التى لم يعرف نصب الاسم بعدها على هذه الصورة — هذه الظاهرة نفسها تلفت النظر .

* * *

وقد يكون الفعل متعدياً في اللغة ثلاثياً وغير ثلاثى مثل « نــكر وأنــكر » وهما موجودان معا عند هذيل ، ولكن يبدو من استقراء شعرهم ، وتفهم ما حوي من معان أنهم يستعملون في الأغلب الأعم « نكر » إذا شاب معناه الخوف والتوجس مثل قول أبى ذؤيب يصف الحمر :

فنكرنه فنفرن وامترست به هوجاء هادية وهاد جرشـع [3]

وهذا هو المعنى الذي تؤديه الآية الكريمة : « فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة » [4] .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ٢ / ٦٢ . اللسان « أرم » . تاج العروس « أرم ، نقد » . الجمهرة « ن ق د » .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٨ . مقاييس اللغة « مرس » . الصحاح « جرشع » . اللسان « جرشع ، مرس » . البحر المحيط ٥ / ٢٤٢ .

(٤) سورة هود ١١ الآية ٧٠ .

أما « أنكر » ، فهو أقرب إلى معنى الإنكار الخالص الذى قد يغلب فيه العجب والدهش على التوجس والخوف ، وذلك فى مثل قول أبى خراش :

رفونى وقالوا يا خويلد لا ترع ... فقلت وأنكرت الوجوه همُ همُ[1]

وقول أبى كبير :

وصحوت عن ذكر الغوانى وانتهى ... عمرى وأنكرت الغداة تقتّلى[2]

افعال غير ثلاثية لازمة فى الفصحى متعدية عند هذيل :

ثمة أفعال تستعمل فى الفصحى لازمة فى معنى من المعانى ، وتستعمل عند الهذليين متعدية فى هذا المعنى نفسه ، أو معنى آخر يقاربه .

ومن ذلك الفعل « غرّد » ، فهو لازم فيما ألفنا فى الفصحى ، ولكنه يتعدى إلى المفعول فى شعر هذيل كقول شاعرهم :

يغرد ركبا فوق خوص سواهمُ ... بها كل منجاب القميص شمردل[3]

وفى تعقيب الزبيدى على هذا البيت أن فيه دلالة على أن « يغرد » يتعدى كتعدي « يغنى » ، ولكنه يعود فيقول «ويجوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل»[4] .

وسواء صح هذا أم ذاك ، فهذا الاستعمال غريب غير مألوف فى اللغة .

والفعل «فرّط» نجده مشهوراً فيه التعدى بحرف الجر ، ولكنا نراه فى الشعر الهذلى منصباً على المفعول بغير واسطة ، مثل قول صخر الغى الهذلى :

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٤٤ . المخصص ١٥ / ٣ ، ١٦ / ٣١ . الخصائص ١ / ٤٢٧ تاج العروس « رفأ ، راع » . اللسان « رفأ ، روع » . البحر المحيط ٣ / ٣٠١ . الدميرى : حياة الحيوان ١ / ٤١٨ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٨٩ .

(٣) تاج العروس « غرد » .

(٤) المرجع نفسه والمادة نفسها .

ذلك بزى فلان أفرطه أخاف أن ينجزوا الذى وعدوا [1]

وإذا ثقفنا فى اللغة « جنأ وأجنأ »[2] فعلين لازمين بمعنى « مال عليه أو عطف » ، فإنا نجد « أجنأ » متعدية فى الشعر الهذلى (بمعنى أمال وحنى) ، ومن ذلك قول ساعدة ابن جؤية (وقد أخطأ صاحب الجمهرة فنسبه لأبى ذؤيب) :

إذا ما زار مجنأة عليها ثقال الصخر والخشب القطيل [3]

وقول أسامة الهذلى :

« فمد ذراعيه وأجنأ صلبه » [4]

وقول عمرو ذى الكلب :

« وأسمر مجنأ من جلد ثور » [5]

وقول صخر الغى :

إنى سينهى عنى وعيدهم بيض رهاب ومجنأ أجد [6]

وكذلك الفعل « انتحى » نجده لازماً فى السائد المألوف ، ولكنه متعد فى بعض أشعار هذيل ، كهذا البيت الذى أنشده السكرى لشاعر هذلى (ولعله لأبى ذؤيب من قصيدة فى الديوان على وزنه وقافيته) [7] :

فهذب عنها ما يلى البطن وانتحى طريدة متن بين عجب وكاهل [8]

---

(١) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ٢٠٩ .

(٢) النهاية ١ / ١١٥ .

(٣) ديوان الهذليين ١/٢١٥ . السمط ١/٣٤ . تاج العروس «جنأ ، قطل» . الجمهرة « ط ق ل » . العباب الزاخر « جنأ » ورقة ٢٠ .

(٤) اللسان « عطف » . تاج العروس « لكد » .

(٥) ديوان الهذليين ٣ / ١١٦ .

(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٥٩ .

(٧) المرجع السابق ١ / ٨٢ .

(٨) تاج العروس « هذب » .

وفى قول أبى قلابة :

يئست من الحذية أم عمرو   غداة إذ انتحونى بالجناب (١)

وفى قول ساعدة بن جؤية :

تحتلن من ذات السُلَيم كأنها   سفائن يم تنتحيها دبورها (٢)

ومثل ذلك أيضاً « اختل » بمعنى قصد أمره ، فهو لازم فى الفصحى ، ولكنه جاء متعدياً فى قول أبى خراش :

فأهوى لها فى الجو فاختل قلبها   صيودٌ لحبات القلوب قتول (٣)

والفعل « ترامى » على الرغم من أنه لازم أيضاً ، جاء متعدياً فى قول أبى ذؤيب :

فلما تراماه الشباب وغيه   وفى النفس منه فتنة وفجورها (٤)

ومن ذلك الفعل « افتنّ » النحو يأتى لازماً ، ولكنه عُدِّى فى الشعر الهذلى (فى قول أبى ذؤيب) :

فافتنهن من السواء وماؤه   بثر وعارضه طريق مهيع (٥)

وقوله أيضاً :

« فافتن بعد تمام الظِمْء ناجية » (٦)

وقول ساعدة بن جؤية :

« فافتنها فى فضاء الأرض يأفرها » (٧)

---

(١) اللسان « حذا » . معجم ما استعجم « الحذية » ١/٤٢٩ . معجم البلدان «الأحث» ١/١٣٣ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢١١ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٢٣ . سمط اللآلى ١ / ٢١٦ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٥٥ .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٥ . مقاييس اللغة « بثر » .

(٦) المفضليات ص ٨٦١ . اللسان « فتن » . الصحاح « أبد » .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ١٩٩ .

ومنه أيضاً « انشام » فى الشىء « وتشيّم » دخل فيه [1] ، وكلاهما متعد ، ينصبّ الحدث فيه على المفعول بغير واسطة فى الشعر الهذلى كقول أبى خراش :

فهيجها وانشام نقعـــاً كأنه إذا لفهـا ثم استمر سحيــل [2]

وقول ساعدة بن جؤية :

أفعنــك لا برق كأن وميضــه غاب تشيّمــه ضرام مثقب [3]

وإذا كان الفعل « استبشر » يأتى فى العادة لازماً ، فإنا نجده فى الشعر الهذلى متعدياً فى معنى « بشّر » كما فى قول ساعدة بن جؤية :

« فبينا تنــوح استبشروها بحبها » [4]

وكذلك نجد الفعل « حاول » يتعدى إلى المفعول بغير واسطة كقول أبى ذؤيب :

رويت ولم يغرم نديمى وحاولت بنى عمها أسماء أن يفعلوا فعلى [5]

وأمثلة هذه الأفعال كثيرة فى تراث هذيل .

أفعال تتعدى بنفسها فى الفصحى وبالهمز فى لغة هذيل :

من المعلوم أن هذيلا وغيرها لا تختلف كثيراً فى طريقة تعدية أكثر الأفعال عن مسلك الفصحى فى ذلك ، فأغلب ما عدى من الأفعال فى الفصحى بنفسه كان عند هذيل هكذا ، وأغلب ما عدى من هذه الأفعال فى الفصحى بالهمز أو التضعيف عدى عند هذيل كذلك .

وليس هذا الاتفاق محل بحثنا الآن ، فهو شىء واضح فى غير ما حاجة إلى بحث أو

---

(١) القاموس « الشيمة » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١١٩ .

(٣) الأساس « شيم » . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣ / ١١٠٣ .

(٤) الصاغانى : ما تفرد به بعض أئمة اللغة « ورقة ١٩ » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٣٩ .

إثبات ، ولكن الجدير بالبحث أن هناك أفعالا تختلف عن نظائرها فى اللغة العامة اختلافاً واضحاً فى نظام تعديتها ، فتتعدى فى هذه ثلاثية مجردة ، على حين نجد نظائرها فى تلك يلازمها الهمز فى أولها باعتباره جزءاً من بنية الفعل فيها . ونجد فى كتب اللغة ومعاجمها من هذا أفعالا كثيرة .

ومن أهم هذه الأفعال « راب » فى الفصحى ، و « أراب » عند هذيل[1] فإذا قالت الفصحى « رابه الأمر » قالت هذيل « أرابه » أى أثار فى نفسه الشك ، أو رأى منه ما يكره .

أما « أراب » فى الفصحى فهو فعل لازم معناه « صار صاحب ريبة » [2] .

وعندما أراد اللغويون أن يسوقوا شاهداً على وجود « أراب » المتعدى لم يسعفهم فى ذلك إلا الشعر الهذلى فى مثل قول خالد بن زهير يتحدث عن أبى ذؤيب :

« كأننى أربته بريب » [3]

ولكن النسخة المطبوعة من ديوان الهذليين ، ومخطوط الشنقيطى الذى هو أصل لهذا الديوان المطبوع نجد الرواية فيها قد جاءت هكذا :

« كأننى قد ربته بريب » [4]

وتردُّنا هذه الرواية إلى المألوف من تعدية « راب » الثلاثى دون « أراب » ، وتُفقد الشاهدَ قيمته فى الاستشهاد الذى اعتمد عليه اللغويون فيما ذهبوا إليه .

---

(١) اللسان « راب » . الصحاح ، المصباح « ريب » .

(٢) الصحاح « ريب » .

(٣) اللسان « راب ، أتى ، برز » . الصحاح « ريب » . تاج العروس « بز ، أتو ، ريب » . الجمهرة « ب ر ى » . المخصص ١٢ / ٣٠٣ ، ١٤ / ٢٨ . اصلاح المنطق ص ١٦٠ . المفضليات ص ٥٠٩ . مجالس ثعلب ١ / ١٦٣ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٦٥ .

ولكنا نجد للشنقيطي تعليقاً على هذه الرواية هو أن المعلوم فى هذا « أربته » ، وهذا يضعف من شأنها .

ومهما يكن من أمر اتجاه اللغويين إلى تطويع الشواهد لما يريدون ، فإن الفعل « أراب » يتسق والنهج الذى نهجته هذيل فى بعض الأفعال الأخرى .

وإذا كان هذا هو شأن اللغويين ، فإنه يمكن أن نقول ما يكاد يماثله فى رواية الشعر ونسخه إذ من الجائز أن يتصرف الراوية أو الناسخ لأغراض قد يكون من بينها العمل على اتساق الرواية مع ما ألفه فى الفصحى ، وهو لا يدرى أن أمانة النقل واجبة ، وأنها قد تكون أساساً فى المستقبل لأحكام علمية يقوم خطؤها أو صحتها على مدى توافر الدقة والأمانة اللازمتين فى الرواية الأدبية وفى غيرها .

فيحتمل أن يكون قد حدث هنا تصرف فى الرواية من هذا القبيل ، ولا سيما أن ابن هشام صاحب السيرة [1] ، والسهيلى صاحب الروض الأنف [2] — وهما لا يهتمان فى هذا المقام بالاستشهاد اللغوى — قد ذكرا هذا البيت بلفظ « أراب » بالهمز ، فاتفقا بهذا عن غير عمد مع اللغويين فى روايتهم .

هذا ويروى ثعلب فى مجالسه « أراب » [3] كما يروى صاحب الأمالى ذلك البيت أيضاً بالرواية نفسها [4] ، وذلك دون قصد منهما إلى الاستشهاد الذى قد يثير الشبهة فى بعض الأحيان .

ثم إن القالى يعد من مشاهير من كتبوا فى الشعر الهذلى وأولوه اهتمامهم [5] ، فهو من أدرى الناس به .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ١٩٠ ، ٢ / ٣٠ .

(٢) الروض الأنف ٢ / ٣٠ .

(٣) مجالس ثعلب : القسم الأول ص ١٦٣ .

(٤) القالى : الأمالى ٢ / ٢٠٤ .

(٥) المرجع السابق ١ / ٢٦٧ .

هذا ويقرر السكري راوية دواوين هذيل ، وشارح أشعارهم أن هذه لغة لهم[١] ، وكلام السكري له وزنه في هذا المجال .

وفوق ذلك نجد في اللسان أن عيسى بن عمر سمع هذيلا تقول « أرابنى أمره »[٢] ، وهذه الرواية التي تعتمد على المشافهة أو السماع تعضد الشاهد الشعري وتزيده قوة وتمكينا .

هذا إلى أن « أراب » هي الرواية الواردة في الأصل في ديوان أبي ذؤيب ، وهذا كله يمحو كل شك ، ويبدد كل ريب .

ومن هذه الأفعال أيضاً قولهم « رُبِع » الرجل فهو « مربوع » ، و « أربع » فهو « مُربِّع »[٣] (إذا تركته الحمى ثلاثة أيام ثم جاءته في اليوم الرابع) ، ويبدو أن الأخيرة منها هذلية ، فالشاهد عليها عند اللغويين لشاعر هذلي هو قوله :

من المربِّعين ومن آزل إذا جنه الليل كالناحط

ومن المراجع ما ينسب هذا البيت لهذلي على التعميم دون تخصيص بشاعر معين من شعرائهم[٤] ، وتلك عادة اللغويين أحياناً حين يُعَمّ عليهم اسم الشاعر ، أو حين لا يتعلق الغرض — في نظرهم — بذكر هذا الشاعر .

وفي بعض المراجع أنه أسامة الهذلي[٥] ، وفي بعضها أسامة بن حبيب الهذلي[٦] ، ومنها ما ينسبه لأبي سهم الهذلي[٧] ، ولكنه في ديوان الهذليين منسوب لأسامة بن الحارث الهذلي[٨] .

---

(١) ديوان أبي ذؤيب « مخطوط تيمور » ٣ . « مخطوط الشنقيطي » ورقة ٢ .
(٢) اللسان « راب » .
(٣) اللسان ، والصحاح ، وتاج العروس « ربع » .
(٤) الأمالي ١ / ١٤٣ . السمط ١ / ٣٩٢ . إصلاح المنطق ص ٢٩١ .
(٥) تاج العروس « أزل ، ربع » . الصحاح « ربع ، نحط » .
(٦) مقاييس اللغة « أزل » .
(٧) تاج العروس « نحط » .
(٨) ديوان الهذليين ٢ / ١٩٦ .

ومع هذا فجميع هذه المراجع يدور فى فلك واحد هو نسبة هذا البيت إلى أحد شعراء هذيل .

ومن هذا القبيل من الأفعال « رجع وأرجع » ، فإن الفعل « رجع » وإن كان يأتى لازماً ، فإنه — مع هذا — يتعدى بنفسه فى الفصحى ، وبها جاء القرآن الكريم فى قوله تعالى : « فإن رجعك الله إلى طائفة منهم . . . » [1] . ولكن هذيلا لا تعديه إلا بالهمزة « أرجع » [2] فتقول أرجعه غيره [3] ، وأرجعته أنا [4] .

وشاهد اللغويين على ذلك قول أبى ذؤيب :

« فعيّث فى الكنانة يُرجع » [5]

هذا وينبه الضبى فى تعليقه على البيت إلى أن هذه لغة هذيل [6] ، وكذلك الشأن فى ديوان أبى ذؤيب [7] ، وفى ديوان الهذليين [8] ، وفى شرح أشعار الهذليين للسكرى ، إذ يقرر هو الآخر أنها لغة هذلية [9] .

ومن ذلك أيضاً « كرَى » الأمر أعاده مراراً (أى أطال فيه) ، وكذلك « أكرى » بالهمز [10] . وقد جاء الأخير على لسان ابن مسعود فى قوله : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرينا الحديث » أى أطلناه وأخرناه [11] .

---

(١) سورة التوبة ٩ الآية ٨٣ .

(٢) اللسان ، المصباح « رجع » . الخضرى على ابن عقيل ١ / ١٤٠ .

(٣) الصحاح « رجع » .

(٤) شرح أشعار الهذليين «فراج» ١/٢٤ . ديوان أبى ذؤيب ص ٢٢ (تيمور) . اللسان «رجع» .

(٥) شرح أشعار الهذليين ١ / ٢٣ . المفضليات ص ٨٦٨ . ديوان أبى ذؤيب (تيمور) ص ٢٢ . الصحاح « رجع » . تاج العروس « عيث » . مقاييس اللغة « رجع ، عيث » .

(٦) المفضليات ص ٨٦٩ .

(٧) ديوان أبى ذؤيب ص ٢٢ .

(٨) ديوان الهذليين ١ / ٩ .

(٩) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٤ .

(١٠) اللسان « كرا » .

(١١) المرجع السابق والمادة السابقة . الفائق ٢ / ٢٠٨ .

وكذلك الفعل « هجر » يذكر اللغويون أن له مقابلا عند هذيل هو « أهجر » وهو متعد للمفعول أيضاً[1] خلافاً لأهجر فى اللغة الفصحى ، فهو لازم ، ومن معانيه : أهجر قال هجراً [2] ، ويدلل اللغويون على وجود أهجر متعدياً فى اللهجة الهذلية ببيت ينسبونه لأسامة الهذلى :

كأنى أصاديها على غُبرٌ مانع مقلّصة قد أهجرتها فحولها [3]

وهذا الفعل ، وإن كان يبدو غريباً ، فإنه لا غرابة فى نسبته إلى هذيل ، وقد رأينا موقفها من غيره ، ولكن نقطة الضعف فيه هى عدم العثور على هذا البيت فى شعر أسامة بن الحارث ، وأسامة بن حبيب ، وغيرهما من الشعراء الذين وردت أشعارهم فى دواوين هذيل . ولو قد وجدنا قصيدة من قصائدهم تتفق مع هذا البيت وزنا وقافية لقلنا باحتمال سقوطه منها . ومع هذا فمن الجائز أن جامعى شعر هذيل — وهم فى أغلب الظن لم يستوعبوا كل أشعارهم — قد سقط منهم هذا البيت فيما فاتهم من ذلك . وهذا يحملنا على أن نأخذ أنفسنا بشىء من الأناة قبل أن نرفض هذا البيت وأمثاله ، أو أن نقول بأنها من المصنوع المنتحل .

ومن هذا النوع من الأفعال « حم » الله له كذا إذا قضاه ، و « أحمه » أيضاً ، وهذا الأخير نجده فى شعر هذيل ، وشاهد اللغويين على وجوده فى اللغة هو قول شاعرها عمرو ذى الكلب الهذلى :

أحم الله ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال [4]

ومن ذلك « لام » ، و « ألام » [5] ، ونجد الثانى عند هذيل فى قول معقل بن خويلد الهذلى :

---

(١) اللسان « هجر » .

(٢) المصباح « هجر » .

(٣) اللسان « منع ، هجر » . المحكم ، وتاج العروس « منع » .

(٤) اللسان « حم » . الجمهرة « أحد ، حدو » . سمط اللآلى ٢ / ٧٤٨ .

(٥) اللسان « لوم » .

حمدت الله أن أمسى ربيع   بدار الذل ملحياً ملاماً [1]

فلفظ « ملام » هو اسم المفعول من « ألام » ، ويقابله « ملوم » اسم المفعول من «لام» في اللغة الفصحى . والأول نجده في بعض اللهجات الحديثة ، ولا سيما عند غير المثقفين في بلادنا .

ومن ذلك أيضاً « دان » و « أدان » ونجد ثانيها في قول أبي ذؤيب :

أدان وأنبأه الأولون   بأن المدان الملي الوفي [2]

ولفظ « المدان » اسم المفعول من « أدان » يقابل « المدين » اسم المفعول من « دان » في اللغة المألوفة ، والأول نجده هو الآخر في بعض اللهجات العربية الحديثة .

ومن هذا كذلك « راث وأراث » ونجد « أراث » في شعر معقل بن خويلد الهذلي :

لعمرك لليأس غير المريث خير من الطمع الكاذب [3]

وإذا وجدنا في اللغة السائدة « مراه حقه » أي جحده ، فإنا نجده في قراءة ابن مسعود « أمرى » ، فقوله تعالى : « أفتمارونه على ما يرى » [4] قراءة عبد الله فيه « أفتمرونه » [5] مضارع « أمرى » .

و « لاق » الدواة ، و « ألاقها » نجد ثاني هذين الفعلين في شعر عبيدالله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود :

إذا نحن جهزنا إليكم صحيفة   ألقنا الدوايا بالدموع السواجم [6]

---

(١) الصحاح ، وتاج العروس ، واللسان « لوم » .
(٢) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٩٩ . ديوان الهذليين ١ / ٦٥ . الاقتضاب ص ٣٧٦ . مقاييس اللغة ، الصحاح « دين » . تاج العروس « أول » . العباب الزاخر ورقة ٢٨٨ .
(٣) تاج العروس « ريث . لذم » .
(٤) سورة النجم ٥٣ الآية ١٢ .
(٥) مختصر شواذ القراءات ص ١٤٦ .
(٦) ابن الأنباري : الأضداد ص ٢٢٨ .

و « فزه وأفزه » (أى أفزعه وأزعجه) نجد الثانى منها فى قول أبى ذؤيب :

والدهر لا يبقى على حدثانه　　شبب أفزته الكلاب مروع [١]

والفعل (جمع) فى معنى ضم أشياء متفرقة بعضها إلى بعض ـ يتعدى بنفسه فى الفصحى، ولا يقال (أجمع) فى هذا المعنى بل يقال (أجمع الأمر) و (أجمع عليه) و (الأمر مجمع أو مجمع عليه) و (جمعوا رأيهم وأجمعوا رأيهم) .

ولكنا نجد عند الهذليين (أجمع) مكان (جمع) فى بعض الأحيان حتى فى جمع المتفرقات من الأشياء ، واسم المفعول منه (مجمع) وذلك فى قول أبى ذؤيب :

فكأنها بالجزع جزع ينابع　　وأولات ذى العرجاء نهب مجمع [٢]

وفى الفصحى (ذراه يذروه) متعدياً بنفسه ، ومنه قوله تعالى : (تذروه الرياح) [٣] . ولكن ابن مسعود يعديه بالهمز فى قراءته لهذه الآية الكريمة (تذريه الرياح) [٤] من أذرى ، لا من (ذرى) كما هو الشأن فى قراءة جمهور القراء .

ويذكر اللغويون أن أماز الشىء لغة فى (مازه) ، ونجد هذا الفعل رباعياً بالهمز فى قراءة ابن مسعود ، فقد قرأ قول الله تعالى : (ليميز الله الخبيث من الطيب) [٥] : (ليميز) بضم أول المضارع ، فماضيه (أماز) [٦] .

وثمة أيضاً (سحته ، وأسحته) ، ويذكر أبو حيان أن الأولى لغة الحجاز ، والثانية لغة تميم [٧] .

---

(١) اللسان ، تاج العروس « فزز » . ديوان الهذليين ١ / ١٠ . الأمالى ٢ / ٣٢٢ .
(٢) ديوان الهذليين ١ / ٦ . اللسان ، وتاج العروس « نبع » الجمهرة « ب ع ن . ج م ع » . مقاييس اللغة « عرج » . الاقتضاب ص ١٨٧ .
(٣) سورة الكهف ١٨ الآية ٤٥ .
(٤) البحر المحيط ٦ / ١٣٣ .
(٥) سورة الأنفال ٨ الآية ٣٧ .
(٦) ما تفرد به بعض أئمة اللغة ورقة ٢ .
(٧) البحر المحيط ٦ / ٢٤٤ . الضباع : إرشاد المريد ص ٢٤٧ .

ولسنا الآن فى مجال التعـــرض لهذا التعميم فى الأحكام ، وإنما يعنينا أن نقول إن هذيلا وإن كانت حجازية تحمل فى سماتها كثيراً من خصائص الحجازيين ، هى — مع ذلك — لبداوتها ، وكونها فى مركز وسط بين القبائل الشرقية والغربية ، تحمل — كما سبق أن أشرنا فى غضون البحث — شيئاً من خصائص بعض القبائل الشرقية ، ولعل من ذلك « أسحت » التى يروى أبو حيان أنها لغة تميم ، والتى قرأ بها كثير من الكوفيين، ومن بينهم طلحة والأعمش والكسائى[1] ، وأثر ابن مسعود فيهم واضح معروف .

ومن ذلك أيضاً « بعثه وأبعثه » بمعنى أحياه ، والرباعى منها أشبه بهذيل ، وإليك قول الله تعالى : « قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا » [2] تجد أن قراءة ابن مسعود « أبعثنا » [3] .

ومثل « أبعثه » نجد « أنشره » فإنه وإن كان كثير الذيوع فى الفصحى بهذا المعنى نفسه ، قد نجد إلى جانبه « نشره » فى هذا المعـــنى أيضاً . غير أننا نـكاد نجزم بأن هذيلا لا تعرف فى معنى البعث والإحياء إلا الرباعى « أنشر » ، وعمدتنا فى ذلك ما وصل إلينا من شعر الهذليين ، وقراءات ابن مسعود وتلاميذه من الكوفيين .

ومما ورد فيه من الشعر قول أبى ذؤيب :

لو كان مدحة حى أنشرت أحدا   أحيا أبوتك الشم الأماديح [4]

ورواية ابن فارس ، وابن دريد والجوهرى لهذا البيت :

« لو كان مدحة حى منشرا أحـدا .» [5]

وهو — كما نرى — فى كلتا الروايتـين من « أنشر » لا من « نشر » وكذلك نجد

---

(١) البحر المحيط ٦ / ٢٥٤ .

(٢) سورة يس ٣٦ الآية ٥٢ .

(٣) مختصر شواذ القراءات ص ١٢٥ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١١٣ . الصحاح « أبا » . اللسان ، وتاج العروس « أبى ، نشر » التبيان ١ / ٢٢٧ .

(٥) الصحاح ومقاييس اللغة « مدح » . الجمهرة « ح د م » .

الرواية منشراً من « أنشر » في شرح أشعار الهذليين (١) وإن كان قد ذكر إلى جانبها أنه يروى « نشرت » بالتضعيف ، وهذه أضعف الروايات لتعارضها مع المعروف في هذا اللفظ ، والمشهور فيه عند الهذليين في أشعارهم ، وفي قراءات القرآن الكريم ، فيسوق أبو حيان حول قوله تعالى : « هو الذي يسيّركم في البر والبحر » (٢) أن قراءة بعض القراء فيه « يَنشركم » من النشر والبعث ، ولكن قرأ الحسن « يُنشِركم » من الإنشار أي الإحياء ، وهي قراءة عبد الله بن مسعود (٣) .

هذا ، وقول الله سبحانه « وانظر إلى العظام كيف ننشزها » (٤) قراءة الكوفيين فيه « ننشرها » من الإنشار (٥) .

وهذا كله يزكي ما نحن بصدده .

وإذا ما نظرنا إلى الفعل « سلك » وجدناه يتعدى لمفعول واحد مثل « سلكت الطريق » ، وقد يتعدى في الفصحى لمفعولين أيضاً مثل « سلكته الطريق » ، أو يتعدى للمفعول الأول بنفسه ، وللثاني بحرف الجر مثل قوله تعالى : « ما سلككم في سقر »(٦) ، « كذلك سلكناه في قلوب المجرمين » (٧) .

ولكنه حينما يتعدى – غالباً – عند هذيل سواء للمفعولين ، أو للمفعول الأول بنفسه ، وللثاني بحرف الجر نجده رباعياً مبدوءاً بالهمز كقول أمية بن أبي عائذ :

فأسلكها مرصداً حافظاً   به ابن الدجى لاصقاً كالطّحال (٨)

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٢٧ .
(٢) سورة يونس ١٠ الآية ٢٢ .
(٣) البحر المحيط ٥ / ١٣٧ .
(٤) سورة البقرة ٢ الآية ٢٥٩ .
(٥) اللسان « نشز » .
(٦) سورة المدثر ٧٤ الآية ٤٢ .
(٧) سورة الشعراء ٢٦ الآية ٢٠٠ .
(٨) ديوان الهذليين ٢ / ١٨٣ . المخصص ١٣ / ٢٥٠ .

وقول ساعدة بن العجلان :

هُمُ تركوا الطريق وأسلكوكم على شمـاء مسلكها بعيد [1]

وقول عبد مناف بن رِبع الهذلي :

هُمُ منعوكم من حنين ومائه وهم أسلكوكم أنف عاذ المطاحل [2]

وقـــوله :

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلّا كما تطرد الجمالة الشردا [3]

وجدير بالنظر ما تراه من وجود « الجارّ » بعد « أسلك » في البيت الأخير ، وعدم وجوده في البيت السابق عليه ؛ وذلك لأن صاحب هذين البيتين شاعر واحد ، ومن الأمور البعيدة أن نجد وضعين مختلفين للفظ واحد في بطن واحد من بطون قبيلة من القبائل ، وأبعد منه أن نجد ذلك على لسان شاعر واحد من الشعراء ؛ ولهذا فإنا نرجح أن الشاعر قد ارتكب الضرورة في أحد البيتين : فإما أنه حذف حرف الجر من البيت الأول ، وأوصل الفعل إلى المفعول الثاني بدونه ، فكأنه يريد أن يقول « أسلكوكم في أنف عاذ » ، وإما أنه أقحم حرف الجر في البيت الثاني ، فكأنه قال « أسلكوكم قتائدة » .

هذا إذا لم يكن للمعـــنى أثر في توجيه الشاعر هذه الوجهة في كل من البيتين ، « فقتائدة » في البيت الثاني ثَنية ضيقة [4] يناسبها التعبير بفي ، فكأنه يريد أن يقول أدخلوكم في قتائدة وأقحموكم فيها . وذلك خلافاً لأنف عاذ (في البيت الأول) فهو واد منبسط ، لا يستقيم معه ما استقام من معنى مع وجود الجار في البيت الثاني .

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ١١٠ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٣٣٦ ، والرواية فيه « وهم منعوا الطريق » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٤٤ . تاج العروس « طحل » . معجم ما استعجم ٣ / ٩١٠ . معجم البلدان ٨ / ٨٣ .

(٣) ديوان الهذليين ٢/٤٢ . اللسان «سلك ، جل ، إذا» . الصحاح «سلك ، عضد ، جل ، شرد» . تاج العروس « إذا . حل . قفد » ، الاقتضاب ص ٤٠٢ . البحر المحيط ٨ / ٣٥٢ . الخزانة ٢ / ١٧٠ . المقاصد النحوية « هامش الخزانة » ٣ / ١٧١ .

(٤) الاقتضاب ص ٤٠٢ .

وهذا الاحتمال يساير وضع اللغة (بمختلف لهجاتها) ، وكونها ذات مضمون ، وليست مجرد كلام يقال .

وهناك احتمال آخر هو أن يكون تعدى هذا الفعل للمفعول الثانى هو بحرف الجر دائماً ، ولكن هذا الجار يذكر أحياناً ، ويحذف أحياناً أخرى حين يكون هنالك داع يقتضى هذا الحذف .

وذلك إلى جانب ما عساه أن يكون لاختلاف البطون من أثر فى الموضوع .

والمهم — فيما نحن الآن بصدده — هو وجود « أسلك » فى الشعر الهذلى مكان « سلك » .

وينقل إلينا ابن دريد احتجاج أبى عبيدة على وجود « أسلك » فى اللغة بذلك البيت السابق والأخير من بيتى عبد مناف بن ربع الهذلى [1] ، كما استشهد صاحب اللسان [2] وغيره من أصحاب المعاجم بذلك البيت لهذا الغرض . وذلك الاحتجاج له قيمته فى نسبة هذا اللفظ إلى هذيل .

ويؤكد هذا أيضاً قراءة مسلم بن جندب الهذلى : « تُسْلِكْه عذاباً صعدا » [3] بدلا من « يَسلكه » [4] ، وعليه قراءة بعض التابعين — ولعلهم من تلاميذ ابن مسعود — « فإنه يُسلِك من بين يديه ومن خلفه رصدا » [5] ، فهو من الفعل « أسلك » ، وقراءة جمهور القراء « سلك » [6] .

* * *

---

(١) الجمهرة « س ك ل » .

(٢) اللسان « سلك » .

(٣) شواذ ابن خالويه ص ١٦١ .

(٤) سورة الجن ٧٢ الآية ١٧ .

(٥) البحر المحيط ٨ / ١٢٥ .

(٦) سورة الجن ٧٢ الآية ٢٧ .

وهكذا نرى أن اللغة الفصحى حين تتجه إلى تعـــدية كثير من الأفعال الثلاثية المجردة ، فإنه قد يقابل بعض هذه الأفعال فى اللهجة الهذلية أفعال رباعية مبدوءة بالهمزة ، وهذه الهمزة — كما رأينا — ليست زائدة لتعدية الفعل في هذه اللهجة ، بل هى أصل فى بنية الفعل عندهم لا ينفصل عنه .

تعدية بعض الأفعال بالهمز (بدلا من التضعيف) عند هذيل :

إذا كنا قد رأينا طرفاً من إيثار هذيل للهمز تبدأ به بعض الأفعال المتعدية فيها ، وذلك نظير أفعال ثلاثية متعدية من مادتها ، لا وجود لهذه الهمزة فيها — فإنا سنرى الآن وجهاً آخر لإيثار الهمز ، يمكن إيجازه فى أنه حين تعمد اللغة الفصحى أحياناً إلى تعدية الفعل بالتضعيف ، نري أن هذيلا قد تجنح إلى الهمز فى هذه الأفعال بدلا من التضعيف المشار إليه ، وإنا لنجد فى الشعر الهذلى ، وفى قراءة ابن مسعود وتلاميذه ، وفى بعض مرويات اللغة مصداق ما نقول .

فحين نرى أن الفعل « زود » بالتضعيف من التزويد (وهو الإمداد بالزاد المادى والمعنوى) هو المألوف فى اللغة ، فإنا نجد عند هذيل « أزاد » متعدياً بالهمز فى قول أبى خراش :

وقد يأتيك بالأخبـــار من لا تجهـــز بالحذاء ولا تُزيد (١)

وحين نجد فى الفصحى « بدد » بمعنى فرق نجد فى المعنى نفسه — أو ما يقاربه — فى الشعر الهذلى « أبدّ » ، وذلك فى مثل قول أبى ذؤيب :

فأبدّهن حتوفهن فهارب بذَمائه أو بارك متجعجع (٢)

وكذلك عندما يعدون الفعل « أرق » نراهم يؤثرون فى تعديته الهمز على التضعيف أحياناً ، فيقولون « آرقه » فى معنى « أرّقه » ، ومثال هذا قول ساعدة بن العجلان :

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٠ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٩ . اللسان «ذمى» . مقاييس اللغة « بد » . تاج العروس « بدد » الصحاح « جعجع » . الفائق ١ / ١٧١ .

تغدو فتطعم ناهضاً فى عشها صبحاً ويؤرقها إذا لم يشبع [١]

وإذا كان فى اللغة (أفرهت الناقة) فهى (مفره) ، ومُفْرِهة فهى (مفرهة) [٢] (أى تنتج الفره) — فإنا نجد اللغويين يستمدون شاهدهم على الهمز من الشعر الهذلى ، ذلك هو قول أبى ذؤيب :

ومفْرهة عنس قدرت لساقها فخرت كما تتابع الريح بالقفل [٣]

وكذلك نجد فى شعر هذيل (أصات) بمعنى (صوت) أى أحدث صوتاً ، وذلك فى قول أبى ذؤيب :

وبكر كلما مُست أصاتت ترنم نغم ذى الشرع العتيق [٤]

وقد نجدها (صات) على ثلاثة أحرف فى قول أبى خراش :

يطيح إذا الشعراء صاتت بجنبه كما طاح قدح المستفيض الموشم [٥]

ولكن قد يكون الدافع إلى هذا هو التخفيف الذى تتسم به هذيل [٦] ، وقد مر بنا حذف الهمز تخفيفاً فى ألفاظ كثيرة من بينها اسم الفاعل لهذا الفعل ، وذلك فى قول صخر الغى :

يكاد يدرج درجا أن يقلبه مس الأنامل صات قدحه زعل [٧]

وإذا وجدنا فى اللغة (غشيه ، وغشاه ، وأغشاه) فإنا نرى الأخيرة فى قول أبى ذؤيب :

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٣٤٢ .
(٢) تاج العروس (فره) .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ٣٨ . إصلاح المنطق ص ٦٠ . تاج العروس (فره . تيع) . اللسان (قفل) .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ٩٠ .
(٥) المرجع السابق ٢ / ١٤٦ .
(٦) انظر حذف الهمزة ص ٩٤ وما بعدها من هذا الكتاب .
(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٢٣٢ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ٢٧٠ .

توصل بالركبان حيناً وتؤلف الجوار ويغْشيها الأمان ربابها [1]

هذا وقد قرأ ابن مسعود قوله تعالى : « نظر المغشِيّ عليه »[2] : « المغشّى عليه »[3] من « أغشى » كما وردت فى أشعارهم .

وقد يؤثر الهذليون الهمز في « أبلغ » مكان التضعيف فى « بلغ » . ومن أمثلة ذلك قول عمرو بن هميل :

ألا من مُبْلغ الكعبى عنى   رسولا أصلها عندى ثبيت (٤)

وقول أبى خراش :

« أبلغ عليا أطال الله ذلهم * . . . » (٥)

وقول أبى جندب :

« ألا أبلغا سعد بن ليث وجندعا »[6]

وقوله :

« فأبلغ معقلا عنى رسولا »[7]

ومن المعلوم أنه لا دخل للوزن فى إيثار « أبلغ » على « بلغ » ، إذ لا يتأثر الوزن بوضع أحد اللفظين موضع الآخر ، وإن كان يختلف ذلك فى مشتقاتها ، أما هما ففى هذا سواء .

---

(١) تاج العروس (وصل . ويب) .

(٢) سورة محمد ٤٧ الآية ٢٠ .

(٣) مختصر شواذ القراءات ص ١٤٠ .

(٤) اللسان (وصل) .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٧ . المخصص ٦ / ١٨٧ .

(٦) ديوان الهذليين ٣ / ٩١ .

(٧) معجم البلدان ٢ / ٦٠ .

وربما آثروا أيضاً الهمز فى « أنجى » على التضعيف فى « نجى » ، ومن ذلك أبى خراش :

ولا والله لا ينجيـــك درع مظاهرة ولا شيـــح وشيد[1]

وبه قرأ حمزة والـكسائى « لمنْجوهم » (٢) مقابلا للتضعيف فى قوله تعالى : لمنجوهم أجمعين »[3] كما قرءا « لننْجينه » ، « إنا مُنْجـوك » خلافاً لبـاقى السبعة[4] .

وقد يؤثرون كذلك الهمز فى «أنبأ» على التضعيف فى «نبأ» ومنه قول أبى ذؤ

لأنبئت أنا نجتدى الفضل إنمـا يكلفه من النفوس خيارها (٥)

وقـــوله :

أدان وأنباء الأولون بأن المدان الملىّ الوفى (٦)

وفى اللغة الفصحى « بشّر يبشر » وعليها نزل قوله تعالى : « فنادته الملائـــكة قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى » (٧) وقوله سبحانه « إذ قالت الملائ يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه »[8] ولكن ابن مسعود يقرؤها « يُبْشرك » فى القرآن من « أبشر »[9] .

---

(١) تاج العروس (شيح) .

(٢) البيضاوى ٣ / ٨٩ .

(٣) سورة الحجر ١٥ الآية ٥٩ .

(٤) البحر المحيط ٧ / ١٥٠ . إرشاد المريد ص ٢٥٣ .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٢٧ . تاج العروس (جدى) .

(٦) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٣ من هذا الـكتاب .

(٧) سورة آل عمران ٣ الآية ٣٩ .

(٨) سورة آل عمران الآية ٤٥ .

(٩) البحر المحيط ٢ / ٤٤٥ .

وكذلك « متع وأمتع » ، وبالتضعيف نزل قوله تعالى : « فأمتّعه قليلا » [1] ، وقد قرأها يحيى بن وثاب « فأمْتعه » [2] بالهمز لا بالتضعيف .

ومن هذا أيضاً ما نراه فى قوله تعالى : (لنبوئنهم من الجنة غرفا) [3] من بوأ مضعفا ، فقد قرأه ابن مسعود (لنثوينهم) من (أثواه) بالهمز بمعنى أنزله وأسكنه ، والفعلان مترادفان أو متقاربان فى معناهما .

وكذلك عندما قرأ جمهور القراء (تبوئ) بالتضعيف من قوله تعالى : (وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين) [4] قرأ عبد الله (تبوئ) من أبوأ ، عداه الجمهور بالتضعيف ، وعداه عبد الله بالهمز [5] .

وكذلك قول الله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) [6] قرأه بعض القراء كابن عباس (وَصّى) ، ولكن ابن مسعود — حفاظاً على مسلكه ومسلك قومه فى إيثار الهمز على التضعيف قرأه (أوصَى) [7] .

ومن ذلك أيضاً (نزل) ، (أنزل) فقول الله سبحانه : (وما نزّل من الحق)[8] عندما قرأه بعض القراء (نزل) بالتضعيف ألفينا قراءة ابن مسعود (أنزل) بالهمز[9] .

وكذلك الشأن فى قوله تعالى : (ونُزل الملائكة تنزيلا) [10] إذ نجد قراءة

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ١٢٦ .
(٢) البحر المحيط ١ / ٣٨٤ .
(٣) سورة العنكبوت ٢٩ الآية ٥٨ .
(٤) سورة آل عمران ٣ الآية ١٢١ .
(٥) البحر المحيط ٣ / ٤٤ .
(٦) سورة الإسراء ١٧ الآية ٢٣ .
(٧) مختصر شواذ القراءات ص ٧٢ .
(٨) سورة الحديد ٥٧ الآية ١٦ .
(٩) مختصر شواذ القراءات ص ١٥٠ .
(١٠) سورة الفرقان ٢٥ الآية ٢٥ .

ابن مسعود « وأُنزل الملائكة » [1] ، ويرى ابن خالويه أن هذا الأمر غريب ، ويعلله بالترادف بين الفعلين [2] شأنه فى تعليله هذا شأن كثيرين من اللغويين والنحاة [3] .

ولا وجه لدهشة ابن خالويه ، ولا لهذا التعليل بالترادف ، فالترادف وحده لا يكفي فى الانتقال من لفظ إلى غيره دون حافز آخر ، ولا سيما أن هذا قرآن ، ولا تجوز فيه القراءة بالمرادف إلا إذا كان مقصوداً بها التفسير كما نرى عند ابن مسعود فى مواطن أخرى [4] . أما هنا فلا حاجة إلى التفسير ؛ فالفعلان متكافئان فى الوضوح والبيان ، فلم يبق إذن إلا القول بأن ابن مسعود آثر الهمز ، كما يؤثره قومه أحياناً على التضعيف .

أفعال غير ثلاثية توحى صيغتها بتعديتها ولكنها عند هذيل لازمة :

سبق أن رأينا بعض الأفعال — ثلاثية كانت أو غير ثلاثية — لازمةً فى الفصحى ، ولها نظائر متعدية عند الهذليين ، والآن — على نقيض هذا — نجد أفعالا تزيد على ثلاثة أحرف رباعية كانت أو خماسية أو سداسية (مضعفة أو مهموزة) توحى صيغها وأوزانها بتعديتها ، ولكنها عندهم لازمة ، وربما وجدنا شيئاً من ذلك فى اللغة المألوفة ، ولكن ما هو موجود منها فى الشعر الهذلى جدير بالنظر ، إذ نجد فى تراثهم كثيراً من الأفعال التى توهم بادئ ذى بدء أنها متعدية ، ولكنها فى الواقع لازمة .

ومن ذلك الفعل « ألوى » فى قول أمية بن أبى عائذ :

وإن غض من غربها رفّدت وسيجا وألوت بجلس طُوال [5]

(١) اللسان (نزل) . الكتاب ٢ / ٢٤٤ . شرح المفصل ١ / ١١١ . المخصص ١٤ / ١٨٦ . مختصر شواذ القراءات ص ١٠٤ .
(٢) مختصر شواذ القراءات ص ١٠٤ .
(٣) الكتاب ٢ / ٢٤٤ .
(٤) البحر المحيط ٥ / ٥٤١ .
(٥) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٤٩٧ . ديوان الهذليين ٢ / ١٧٥ . تاج العروس (رفد) والرواية فيه (وشيجا) .

وقد فسر هذا اللفظ فى شرح أشعار الهذليين للسكرى بمعنى أشرفت بعنق طوال أى طويل .

وكذلك الفعل « أُشب » أى تراءى للناظر عفوا [1] ويسوق الزبيدى شاهداً لهذا الفعل هو قول الشاعر الهذلى :

« حتى أُشب لها رام بمحْدَلة » [2]

ولكننا نجد رواية البيت فى الديوان خالية من هذا اللفظ إذ تستبدل به لفظ « أتيح » . وهذه الرواية تضعف الاستدلال بالبيت على ما نحن بصدده .

ومن ذلك الفعل « أنال » بمعنى حلف كقول غاسل بن غُزيّة الجُرْبى :

وقد أنال أمير القوم وسطهم بالله يعطو به حقاً فيجتهد [3]

وأشاح بمعنى « جد » كما فى قول غاسل نفسه :

« . . . حتى تشيحوا أو يشاح بكم » [4]

ومثل ذلك « ألاح » بمعنى لمع وظهر ، وهذا فى قول أبى ذؤيب :

رأيت وأهلى بوادى الرجيع فى أرض قيلة برقاً مليحاً [5]

ومن ذلك أيضاً : « أنشأت » الناقةُ إذا لَقِحت [6] ، و « أنهج » الطريقُ أى صار مسلوكا [7] ، و « أسعى » فى مكان « سعى » [8] ، و « استحار » بمعنى امتلأ [9]

(١) تاج العروس (شب) .
(٢) المرجع السابق والمادة السابقة .
(٣) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٨٠٦ . صحيح الأخبار ٣ / ٨٥ .
(٤) شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٨٠٧ .
(٥) شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ١٩٧ . ديوان الهذليين ١ / ١٢٩ .
(٦) الجيم ٢ / ٢٧٤ . تاج العروس ، اللسان ، العباب الزاخر (نشأ) .
(٧) الأمالى ٢ / ٧٦ .
(٨) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٧ .
(٩) ديوان الهذليين ١ / ٧١ ، الأساس (حير) . الخصائص ١٠ / ٤٦ .

و « استوقد » [1] فى معنى صار متوقدا [2] ، أو صار جادا مجدا على سبيل المجاز . و « فتّر » فى معنى فتر [3] ، و « مشّى » بمعنى مشى [4] ، و « عيّث » بمعنى (عاث بيده كثيراً فى الشيء) [5] ، و « استدقّ » بمعنى « دقّ » [6] (أى صار دقيقاً) . . .

ومثل هذا كثير فى تراث الهذليين .

* * *

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٢٩ .
(٢) اللسان (عجم) .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠٩ . اللسان (فتر) .
(٤) اللسان (قطط) .
(٥) ديوان الهذليين ١ / ٩ – ٢ / ١٨٦ . اللسان (رجع) . الصحاح (عيث) .
(٦) تاج العروس (دق) .

الفصل الثانى
ظواهر الإعراب

الفصل الثانى

ظـــواهر الإعـــراب

لعل ظواهر الخلاف فى الإعراب من أقل الظواهر وضوحاً بالقياس إلى ما وقع من خلاف بين اللهجات العربية ، فلا نجد فيما ذكره النحاة واللغويون من ذلك إلا القليل ، ومع قلة ما عرضوه من هذا نجد من المحدثين من ينكره عليهم ، ويعده من صناعة هؤلاء النحاة حين اشتد الجدل بينهم وحاول كل فريق منهم — على حد قوله — أن يأتى بجديد فى قواعد الإعراب منسوباً إلى لهجة من اللهجات [1] .

والحق أننا لا يمكن أن نسلم فى سهولة بأن هذا الإعراب كان من الظواهر اللغوية التى عنى بها خاصة العرب وحدهم دون غيرهم ، وأنه مسألة مواضعة بين هؤلاء الخاصة من جهة ، ثم بين النحاة من جهة أخرى ، ذلك أن هذه اللغة الأدبية ليست إلا انعكاساً للهجات العربية المختلفة ، ونتيجـة أو ثمرة للانتقاء والاختيـار من هذه اللهجات كلما سنحت الفرص الأدبية والتجـارية والاجتماعية التى هيأها للقرشية مكانها المرموق فى الجزيرة العربية .

فهل يمكن القول بأن ظاهرة الإعراب كانت الظاهرة التى انفردت بها الفصحى وحدها دون غيرها من اللهجات فى الجزيرة العربية ؟ وما معنى المواضعة التى كانت بين خاصة العرب فى هـذا الشأن ؟ هل اجتمع هؤلاء الخاصة ، واصطلحوا فيما بينهم على حركات الإعراب وظواهره فى ندوات ومجالس انتهوا فيها إلى ما انتهوا إليه ؟ إن هذا الرأى يرجع بنا قليلا أو كثيراً إلى القول بالوضع فى اللغة ، ذلك القول الذى تبين خطؤه ، فاللغة فى جميع مظاهرها — إعرابية وغير إعرابية — إنما هى ظاهرة اجتماعية لا شأن للمواضعة فيها .

---

(١) فى اللهجات العربية ص ٧٤ .

هذا والإعراب من المظاهر اللغوية التى لا تخلو منها اللغات السامية ، فكيف ننكر وجوده إلا فى اللغة الأدبية ؟

ثم إن إنـكار نسبة هذا الخلاف القليل فى الإعراب إلى اللهجات العربية يدحضه وجود آثار له فى قراءات القرآن الكريم ، تلك القراءات التى يعرف الخاصة والعامة أنها من آثار اختلاف اللهجات العربية ، أو أنها تصور هذا الخلاف وتبرزه واضحاً إلى حد لا يصح أن يكون معه محل شك أو مراء .

وإذا تطرق الشك أحياناً إلى النحاة ، وما عساهم أن يصطنعوه دعما لرأى يرونه ، أو حجة يحتجون بها ، فإن القراء لا شك بعيدون عن هذا الميدان ؛ فقراءاتهم حجة فى الموضوع ، وإلى جانبها الشعر العربى الذى رواه الأدباء والرواة فى كتب الأدب ، وذلك بعد دراسته وتمحيصه حتى يمكن الاستدلال به بعد أناة ، وطول نظر .

ولعلنا — فيما يختص ببعض هذه الظواهر عند هذيل — واجدون فى قراءات الهذليين وتلاميذهم ، وفى الشعر العـربى ، وفى مرويات اللغــة ما نستعين به على الحديث فى الموضوع .

ظاهرة الرفع :

يذكر النحاة بشأن هذه الظاهرة بعض ألفاظ آثر بعض القبائل رفعها فى الوقت الذى تحمل فيه عند غيرهم علامة أخرى من علامات الإعراب ، أو علامة من تلك التى سماها النحاة بعدُ بعلامات البناء .

ومن هذه الألفاظ « الذين » الاسم الموصول لجماعة المذكرين ، فقد ورد أن بعض العرب ومنهم هذيل [1] يلزمونه الواو فى حال الرفع ، والياء فى حالى النصب والجر أى يعربونه إعراب جمع المذكر السالم [2] ، ولـكننا نجده فيما ألفناه فى اللغة ملازماً للياء فى الأحوال الثلاث . وقد نسب بعضهم هذه الظاهرة إلى عقيل [3] أو تأرجحوا

---

(١) الخضرى على ابن عقيل ١ / ٧٢ . السجاعى ص ٥٣ .

(٢) مميزات لغات العرب ص ٢٨ .

(٣) نوادر أبى زيد ص ٨٩ . شرح شواهد ابن عقيل ص ٢٠ ، ٢١ .

فيه بين القبيلتين (هذيل وعقيل) [1] .

ومع هذا فالقبيلتان متجاورتان ، وإذا صدق هذا على إحداهما ، فلا يبعد صدقه على الأخرى ، بل إن من النحـاة من يجعلها لغة لطيء وهذيل وعقيل [2] ، ويؤيد النحاة وجود هذه الظاهرة بشاهد شعرى ينسبونه لشاعر من بنى عقيل هو (أبو حرب ابن الأعلم) [3] :

نحن اللذون صبحوا الصبـاحا يوم النُّخيـل غارة ملحاحا [4]

وإذا صح هذا كان دليلا صريحاً على اختلاف علامات الإعراب فى اللهجات العربية حتى فى بعض الأحوال التى يلازم فيها اللفظ وضعاً واحداً فى اللغة الأدبية . ولـكن وجه الضعف فيه هو عدم سيرورته فى المجال اللغوى والأدبى ، والاقتصار عليه بمجرد شاهد نحوى مع إغفال أغلب المراجع لذكر قائله .

ومع هذا ينبغي ألا يحملنا ذلك على رفضه ضربة لازب ؛ فإن فـكرة إعراب الموصول بهذه الصورة ليست مقصورة على هذا الاسم وحده ، بل إنهم ليذكرون أن بعض هذيل يقولون « اللاءون » لجماعة الذكور رفعاً ، واللائين نصباً وجراً ــ مستشهدين ببيت يسندونه إلى شاعر هذلى هو قوله :

هم اللاءون فـكوا الغل عـنى بمرو الشاهجان وهم جناحى [5]

وإذا كان فى هذا شيء من الغرابة ، فإنه يرجع إلى استعمال « اللاء » (أو اللاءون) لجماعة الذكور ، مع أن المألوف فيه استعماله للمؤنث .

---

(١) التصريح على التوضيح ١ / ١٣٣ . مميزات لغات العرب ص ٢٨ .

(٢) همع الهوامع ١ / ٨٣ .

(٣) نوادر أبى زيد ص ٤٧ .

(٤) الهمع ١ / ٨٣ . الخضرى ١ / ٧٢ . المغنى ٢ / ٥٧ . السجاعى ص ٥٣ . شرح شواهد ابن عقيل ص ٢٠ .

(٥) التسهيل ص ١٢ . المغنى ٢ / ٥٧ .

ولكن النحاة – مع هذا – ذكروا « اللاء » أيضاً بمعنى الذى[1] ، ويذكر صاحب المفصل أن اللاء يجمع جمع سلامة ، فيقال اللاءون فى الرفع ، واللائين فى النصب والجر[2] وهذا ماقرره بعض علماء النحو واللغة الآخرين ، منسوبا لبعض هذيل كما سبقت الإشارة .

وقد ذكر بعضهم أن « اللاء » بصورتها هذه – وبدون جمعها جمع سلامة – هي بمعنى الذين[3] ، وعليها قراءة ابن مسعود فى قوله تعالى : «للذين يؤلون من نسائهم»[4] « للاء آلوا من نسائهم»[5] ، وهذا شاهد يستأنس به على وجود هذا الموصول مستعملا للمذكر فى اللهجة الهذلية ، وذلك يقرب فكرة قبول جمعها جمعا مذكرا عند بعض هذيل كما ذكر النحاة .

وإذا صحت نسبتهم لهذا اللفظ مجموعا في الأصل إلى عقيل أمكن تصور أن بعض هذيل هؤلاء هم المجاورون فى منازلهم ومساكنهم لهذه القبيلة من الهذليين .

ومن مظاهر الخلاف بين الرفع وغيره في بعض الألفاظ ما ذكروه من أن لهجة الحجازيين إعمال ما النافية عمل ليس نحو « ماهذا بشرا » ، « ماهن أمهاتهم » ، وأن لغة تميم إهمالها ، ورفع الخبر الذى ينصبه الحجازيون بعدها[6] .

وقد ذكروا بعد هذا أن ابن مسعود قرأ بلهجة التميميين « ما هذا بشر »[7] . وأن عاصما نقل عنه « ماهن أمهاتهم »[8] بالرفع أيضا ، وعلاقة عاصم بابن مسعود لا تنكر .

وإذا كانت هذه قراءة ابن مسعود ، فما صلته بالتميميين ؟ ولماذا يقرأ بلغتهم وهو

---

(١) شرح المفصل ٣ / ١٤٢ . الهمع ١ / ٨٣ .
(٢) شرح المفصل ٢ / ١٤٢ .
(٣) الهمع ١ / ٨٣ .
(٤) سورة البقرة ٢ الآية ٢٢٦ .
(٥) الهمع ١ / ٨٣ .
(٦) الصبان على الأشمونى ١ / ١٧٨ . البحر المحيط ٥ / ٣٠٤ . شرح شواهد ابن عقيل ص ٥٧
(٧) الصبان ١ / ١٧٨ . القراءات واللهجات ص ١٢٠ .
(٨) مختصر شواذ القراءات ص ١١ .

حجازى هذلى ؟ إنه – فى أغلب الظن – لا يفعل هذا إلا لأن هذه لغة قومه ، ولكن اللغويين ، وقد سيطرت عليهم غالبا فكرة المقابلة بين الحجازية والتميمة ، ألهاهم تعميم الأحكام بهذه الصورة عن الدقة فى تتبع لهجات القبائل حتى يخلصوا من هذا التعميم إلى حكم سليم . وكيف يذكرون أن هذه قراءة ابن مسعود ، ثم لا ينبههم هذا إلى أن هذه ربما كانت لهجة قومه ، ويكتفون بالقول بان ابن مسعود قرأ بلغة تميم .

وإذا كان هذا هو شأن ابن مسعود فى رفع الخبر بعد (ما) ، فإنه قد أثر عنه رفع الاسم بعد (لا) فى قوله تعالى : (فلا رفثَ ولا فسوق ولا جدال فى الحج) [1] فقد كانت قراءته : (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ) [2] .

ومن مظاهر الرفع هذه ماقد نراه من إيثار الهذليين للرفع فى بعض مايسميه النحاة فضلة (كالحال وغيرها) إذ يرفعون ذلك فى بعض كلامهم ، كما لو كان أصلا فى الكلام فيأخذ وضعا فى الجملة كالركن منها ، ومن أمثلة هذا فى شعرهم قول أبى ذؤيب :

فلم يبق منها سوى هامـــد ‌ ‌ ‌ وسفعُ الخدود معا والنؤىُّ [3]

وقد كان متوقعا أن يقول :

(وسفعِ الخدود معـــا والنؤىِّ)

وذلك بالجر فيهما على أساس أنهما معطوفان على مجرور ، ولكنا ألفيناهما بالرفع هكذا فى النسختين الأوروبية والمخطوطة ، ومطبوع ديوان الهذليين [4] .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول المتنخل :

لا دردرىَ إن أطعمت نازلـكم ‌ ‌ ‌ قرف الحتىِّ وعندى البر مكنوز [5]

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ١٩٧ .

(٢) مختصر شواذ القراءات ص ١١ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٦٦ .

(٤) المرجع السابق (الصفحة نفسها) .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٥ . اللسان « حتا » . الكتاب ١ / ١٦١ .

فرفع لفظ « مكنوز » ويمكن توجيهه — كما فى اصطلاح النحاة بعد — بأنه خبر ، وإن كان الأولى نصبه على الحال ، كما فى اصطلاح النحاة أنفسهم ، وهذا أول ما يتجه إليه النظر (١) .

وكذلك قول حذيفة بن أنس :

بنو الحرب أرضعنا بها مقمطرة ... فمن يلق منا يلق سيدٌ مدرب(٢)

فإن المألوف أن تكون عبارته :

« فمن يلق منا يلق سيداً مدربا »

وقد يتجه النظر للوهلة الأولى إلى أن القافية هى التى اضطرت هؤلاء الشعراء إلى أن يسلكوا هذا المسلك حتى لا يقعوا فى « الإقواء » ، ولكنا نجد مثل هذا فى حال الاختيار ، فى قراءة ابن مسعود ، فقول الله تعالى حكاية عن زوج إبراهيم عليه السلام : « وهذا بعلى شيخا » (٣) قرأه عبد الله « وهذا بعلى شيخ » بالرفع (٤) .

وقوله تعالى : « فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها » (٥) قراءة ابن مسعود فيه : « . . أنهما فى النار خالدان فيها » (٦) .

وقول الله سبحانه : « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم » (٧) قرأه ابن مسعود « عجب » بالرفع (٨) .

---

(١) انظر شرح شواهد الكتاب « الكتاب ١ / ٢٦١ » .
(٢) ديوان الهذليين ٣ / ٢٥ .
(٣) سورة هود ١١ الآية ٧٢ .
(٤) البحر المحيط ٥ / ٢٤٤ . الكتاب ١ / ٢٥٨ . مختصر شواذ القراءات ص ٦٠ . المغنى ٢ / ١٢٩ .
(٥) سورة الحشر ٥٩ الآية ١٧ .
(٦) الكشاف « بيروت » ٤ / ٥٠٧ .
(٧) سورة يونس ١٠ الآية ٢ .
(٨) البحر المحيط ٥ / ١٢١ .

وفى قوله عز شأنه « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدوداتٍ »[1] نجد قراءة ابن مسعود « أيامٌ معدوداتٌ » بالرفع[2] .

ويعلل أبو حيان ذلك بأن الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى المكتوب صومه أيام معدودات ، وهذا يفيد أنه يعامل من حيث معناه ولفظه معاملة الركن فى الجملة كما سبق أن أشرنا .

هذا ونجد الآية الكريمة « وأتموا الحج والعمرة لله . . »[3] بنصب العمرة لأنها معطوف على المفعول ، ولكن ابن مسعود يقرؤها (فيمن قرأ) « والعمرةُ لله » بالرفع[4] على الاستئناف ، وبعض العلماء يوجه هذه القراءة توجيها دينياً تشريعياً ، هو بيان وجوب الحج دون العمرة ، وهذا رأى له وجاهته .

وقول الله تعالى : (وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا)[5] قرأه ابن مسعود (مودة بينكم) برفع مودة ، وهذه قراءة الأعمش عن أبى بكر عن عاصم[6] ، وهذا الطريق هو طريق الرواية عن ابن مسعود .

* * *

وقد أدى هذا الاتجاه فى مجموعه إلى أننا حينما نجد أن اللغويين يذكرون أن أهل الحجاز يقولون فى دعائهم : (مبرورا مأجورا) وتميم تقول (مبرور مأجور) تميل النفس إلى أن ما نسب إلى تميم من ذلك هو أيضاً لهجة لهذيل .

ويصدق هذا أيضاً على المستثنى بإلا فى هذا النوع من الاستثناء الذى يسميه النحاة

---

(١) سورة البقرة ٢ الآيتان ١٨٣ ، ١٨٤ .
(٢) مختصر شواذ القراءات ص ١١ . البحر المحيط ٢ / ١٦ .
(٣) سورة البقرة ٢ الآية ١٩٦ .
(٤) الكشاف ١ / ٩٠ . مختصر شواذ القراءات ص ١١ .
(٥) سورة العنكبوت ٢٩ الآية ٢٥ .
(٦) مختصر شواذ القراءات ص ١١٥ .

(الاستثناء المنقطع) ، والذى يكون فيه المستثنى من جنس غير جنس المستثنى منه مثل قوله تعالى : (ما لهم به من علم إلا اتباعَ الظن)[1] ، وقوله سبحانه : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاءَ وجه ربه الأعلى)[2] ، فقد ذكر النحاة أن بنى تميم يرفعونه ، والحجازيين ينصبونه[3] .

ونحن إذا ما رجعنا إلى الشعر الهذلى وجدنا فيه رواية الرفع بارزة فى هذا النوع من الاستثناء فى قول أبى خراش :

أمسى سَقام خلاء لا أنيس به إلا السباعُ ومر الريح بالغرف[4]

برفع المستثنى (السباع) ، ويروى إلا (الثام) بالرفع أيضاً[5] وكان يرفعه لغوى معروف ، وهذلى فى الوقت نفسه هو أبو عمرو الهذلى فيما يرويه الجوهرى نقلا عن أبى عبيدة[6] .

هذا والاستثناء الذى يسميه النحاة بالناقص ، أى الذى يكون فيه المستثنى منه موجوداً والكلام منفياً ، ذكروا فيه جواز النصب والرفع ، ونجد الرفع فى قوله تعالى: (ما فعلوه إلا قليل منهم)[7] ، وهذه القراءة يقرأ بها عدد من القراء منهم عبد الله ابن مسعود ، ونسبت أيضاً إلى بعض تلاميذه كالأعمش[8] .

فعندما وجد الجواز بين الرفع والنصب ، أو عندما وجد لغتان هما الرفع والنصب، وجدنا ابن مسعود فى جانب الرفع .

ولكن هناك ما هو أكثر من هذا ، هو أن الاستثناء التام الذى يجب فيه النصب

---

(١) سورة النساء ٤ الآية ١٥٧ .
(٢) سورة الليل ٩٢ الآية ٢ .
(٣) شرح المفصل ٢ /٧٩-٨٠ . الخزانة « السلفية » ٤ / ٩٠ .
(٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٦ . الصحاح « سقم » . معجم ما استعجم « سقام » ٣ / ٧٤١ .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٦ . الصحاح « سقم » .
(٦) المرجع السابق « المادة نفسها » .
(٧) سورة النساء ٤ الآية ٦٦ .
(٨) البحر المحيط ٢ / ٢٦٦ .

عند النحاة وجوبا قاطعاً فى مثل قوله تعـالى : « ثم توليتم إلا قليلا منـكم »[1] يقرؤه ابن مسعود « إلا قليل منـكم » بالرفع[2] ، وقوله سبحانه : « فشربوا منه إلا قليلا منهم »[3] نصادف فيه قراءة الأعمش « إلا قليل منهم » بالرفع[4] .

ومثل هذا نجده فى قول أبى ذؤيب :

على أطرقا باليات الخيـام إلا الثمامُ وإلا العصى[5]

فالاستثناء هنـا تام متصـل ؛ لأن المستثنى وهو « الثمام ثم العصى » هو بعض المستثنى منه ، ومع هذا جاء مرفوعاً خلافاً لما ذكر النحاة .

ويقول بعض النحاة واللغويين كالجرمى بأن لغة تميم تجعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ عندهم ، ويرفعون ما بعده على الخبر[6] ، ونجد بعض قراء الكوفة من تلاميذ ابن مسعود كالأعمش يلتزم الرفع بعد هذا الضمير كما فى قوله تعالى : « وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك »[7] إذ يقرؤه « هو الحق » بالرفع[8] على أن « هو » مبتدأ وليس بفصل ، وذلك بدلا من النصب عند جمهور القراء .

ومن مظاهر الاتجاه إلى الرفع فى قـراءة ابن مسعود حين ينصب غيره من القراء ما نراه فى قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله »[9] إذ يقرأ هو « إن تأويلُه إلا عند الله »[10] وقوله سبحانه : « وإنَّ كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم »[11] فقراءته « وإنْ

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ٨٣ .
(٢) مختصر شواذ القراءات ص ٧ .
(٣) سورة البقرة ٢ الآية ٢٤٩ .
(٤) الكشاف ١ / ٢٨٩ .
(٥) ديوان الهذليين ١ / ٦٥ . معجم البلدان « أطرقا » ١ / ٢٨٦ .
(٦) البحر المحيط ٨ / ٢٧ .
(٧) سورة الأنفال ٨ الآية ٣٢ .
(٨) البحر المحيط ١ / ٣٧٤ .
(٩) سورة آل عمران ٣ الآية ٧ .
(١٠) الكشاف ١ / ٣١١ . الإتقان ٢ / ٣ .
(١١) سورة هود ١١ الآية ١١١ .

كل » (١) بالرفع بعد إن النافية أو المخففة .

ومن ذلك أن إعمال ما عند الحجازيين في مثل قوله تعالى : (ما هذا بشراً) (٢) وإهمالها عند تميم ، ورفع الخبر بعدها ، هذا الاتجاه نجده عند ابن مسعود في قراءته(٣).

ومن الاتجاه إلى الرفع في الفعل في قراءات ابن مسعود وتلاميذه مع ثبوت غير الرفع عند سواهم ما نجده في قوله تعالى : (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق(٤). فالقراءة السائدة في (تكتموا) هي الجزم على أنه معطوف داخل تحت حكم النهي ، ولكن قراءة ابن مسعود (وتكتمون الحق) (٥) ، وهي هكذا في مصحفه (٦) . وقد خرجها النحاة على أنها جملة في موضع الحال[٧] .

والقراءة المشهورة في قوله تعالى : (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات)[٨] هي نصب الفعل (يتوب) معطوفا على سابقه ، ولكن الأعمش قرأها بالرفع لا بالنصب [٩] .

وكذلك قوله تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) [١٠] قراءة الجمهور فيه (ويكون) بالنصب على العطف ، وقراءة الأعمش (ويكون) بالرفع في مكان النصب[١١] .

* * *

---

(١) البحر المحيط ٥ / ٢٦٦ . مختصر شواذ القراءات ص ٦١ . الخزانة ٤ / ٩٧ . المحتسب ص ٣٨٤ .

(٢) سورة يوسف ١٢ الآية ٣١ .

(٣) حاشية الخضرى ١ / ١١٩ .

(٤) سورة البقرة ٢ الآية ٤٢ .

(٥) البحر المحيط ١ / ١٨٠ .

(٦) البيضاوى ١ / ١٤٩ .

(٧) المرجع السابق ١ / ١٤٩ . البحر المحيط ١ / ١٨٠ .

(٨) سورة الأحزاب ٣٣ الآية ٧٣ .

(٩) البحر المحيط ٧ / ٢٥٤ . مختصر شواذ القراءات ص ١٢٠ .

(١٠) سورة الأنفال ٨ الآية ٣٩ .

(١١) البحر المحيط ٤ / ٤٩٥ .

ومن قبيل ذلك أيضاً ما ذكره النحويون من رفع جواب الشرط بدلا من جزمه [١] وقد ساقوا شاهداً لذلك هو قول أبي ذؤيب :

ثقلت تحمل فوق طوقك إنها ... مطبعة من يأتها لا يضيرها [٢]

وقد ذكر سيبويه أن هذا على نية التقديم ، فكأنه قال : (لا يضيرها من يأتها) [٣] وتقدير المبرد أن هذا على إرادة الفاء ؛ لأن (يضير) إذا تقدم على (من) ارتفعت به ، وبطل فيه الجزاء [٤] .

وهكذا أخذوا فى التقدير والتبرير لهذه الظاهرة على أساس أن (من) شرطية ، وقد جزمت فعل الشرط كما هو ظاهر أمامهم .

وأغلب الظن أن (من) هنا ليست إلا اسماً موصولا ، فلا جزم هنا لأنها غير شرط ، فكأنه قال إذن : (الذى يأتيها لا يضيرها) برفع الفعلين معا ، ولكن الفعل الأول وهو (المعتل) يجىء محذوف الياء عندهم دائماً حتى فى حال رفعه كدأب الهذليين فيه ، وفى أمثاله من الأفعال المعتلة بالواو أو بالياء كما سبق فى موضعه من البحث [٥] .

وبهذا نستطيع أن نوائم بين الظواهر المختلفة فى اللهجة الواحدة ، ونفيد منها في أحكامنا ، أما النظرة الفردية فى كل مسألة مستقلة عن سواها فإنها لا تعطينا الأحكام التى ننشد فيها الدقة الكاملة .

ظاهرة النصب :

إذا كنا قد رأينا عند الهذليين ميلا إلى الرفع فى أحوال خاصة بخالفين فى ذلك ما هو مألوف فى اللغة ، فإنا نلاحظ أيضاً أن لهم شيئاً من الميل إلى النصب فى أحوال تلفت النظر أحياناً لمخالفتها – هى الأخرى – للسائد المعروف .

---

(١) الكتاب ١ / ٤٣٨ . شرح المفصل ٨ / ١٥٨ . شرح التصريح ٢ / ٢٥٠ .

(٢) المراجع السابقة في المواضع نفسها . ديوان الهذليين ١ / ١٥٤ . المحكم ١ / ٣٤٩ .

(٣) الكتاب ١ / ٤٣٨ .

(٤) الكتاب ١ / ٤٣٨ .

(٥) انظر ص ٦٥ من هذا الكتاب .

ومن ذلك ميلهم إلى نصب بعض الظروف والأسماء بدلا من تسلط حرف الجر عليها حتى فى المواطن التى ألف فيها وجود الجار .

ومن أمثلة ذلك قول أبي ذؤيب :

« جوارسها تأري الشعوف دوائبا » (١)

أى تأري فى الشعوف ، وهى النحل تعمل فى أعالى الجبال نشيطة دائبة .

وقوله :

ثم انتهى بصرى عنهم وقد بلغوا   بطن المخيم فقالوا الجو أوراحوا (٢)

فالمراد قالوا فى « الجو » وهو أرض اليمامة بالجزيرة العربية .

وقول ساعدة بن جؤية :

لدن بهز الكف يعسل متنه   فيه كما عسل الطريقَ الثعلب (٣)

أى كما عسل الثعلب فى الطريق .

وقوله :

وحوافرٌ تقع البراحَ كأنما   ألف الزماع بها سلام صلب (٤)

وقد يحذفون الجار وينصبون ما بعده حتى فى غير الظرف ، ومن ذلك قول صخر الغى :

« وما تغنى التميمات الحماما » (٥)

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٧٥ .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٤٦ . اللسان « نهى . خبر » . تاج العروس « نهى » معجم البلدان « المخيم » ٧ / ٤١٢ .

(٣) الكتاب ١ / ١٦ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٢٨٥ .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٦٢ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٣٦ .

أى عن « الحمام » .

كما أنهم كثيراً ما ينزعون الخافض ، وينصبون ما بعده فى أحوال أخرى ، فهم حينما يريدون تشبيه شىء بشىء لا يستعملون الكاف الجارة أداة للتشبيه غالباً ، ولا سيما إذا كان المشبه به مصدراً ، وإنما يأتون بالمشبه به منصوباً ، ومن أمثلة هذا قول عبدمناف ابن ربع الهذلى (أو المتنخل الهذلى كما فى ديوان الهذليين) :

وللقِسىّ أزاميلٌ وغمغمة　　　حِسَّ الجنوب تسوق الماء والبردا (١)

فكأنه يريد أن يقول « غمغمة كحس الجنوب » فحذف الكاف ، أو تشبه حس الجنوب ، فحذف الفعل .

ومثل هذا تماما قول أبى كبير :

ولقد أجزت الخرق يركد علجه　　　فوق الإكام إدامة المسترعف (٢)

بنصب « إدامة » .

وقوله :

تعوى الذئاب من المجاعة حوله　　　إهلال ركب اليامن المتطوف (٣)

بنصب « إهلال » .

وقوله :

وإذا رميت به الفجاج رأيته　　　ينضو مخارمها هُوِىَّ الأجدل (٤)

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٤١ . اللسان « حسس » .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٦ .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٦ .
(٤) المرجع السابق ٢ / ٩٤ .

بنصب « هوىً » .

وقول أبي ذؤيب :

وبكر كلما مست أصاتت ترنم نغم ذى الشرع العتيق [1]

بنصب لفظ « ترنم » .

وقول ساعدة بن جؤية :

واستدبروهم يكفئون عروجهم مور الجهام إذا زفته الأزيب [2]

بنصب لفظ « مور » .

وأمثلة هذا كثيرة فى شعرهم بصورة تبعد به عن مجال الضرورة الملجئة إلى مجال الطابع الذى يتسمون به .

ومما هو جدير بالملاحظة فى مجال حذف الجار ، ونصب ما بعده فى شعر هذيل أن هذا كثيراً ما يحدث مع المصدر المحذوف فعله ، كقول عبد مناف بن ربع الهذلى (أو المتنخل الهذلى كما فى ديوان الهذليين) :

إذا تجاوب نَوح قامتا معه ضربا أليما بسِبت يلعج الجلدا [3]

أو ما أضيف إلى هذا المصدر ، كقول مالك بن خالد الخناعى :

فبعضَ الوعيد إنها قد تكشفت لأشياعها عن فرج صماء مُذكِر [4]

---

(١) المرجع نفسه ١ / ٩٠ .

(٢) المرجع نفسه ١ / ١٩٠ .

(٣) الصحاح « لعج ، جلد » ، مقاييس اللغة « لعج » . تاج العروس « جلد » . الجمهرة « جمل » . سمط اللآلى ١ / ٢٢١ . الاقتضاب ص ٢٧٣ . المنصف ٢ / ٢٠١ . التبيان ١ / ٢٦٨ . ديوان الهذليين ٢ / ٣٩ .

(٤) ديوان الهذليين ٣ / ٧ .

وأمثلة هذا كثيرة فى أشعارهم [1] .

ومن مظاهر النصب أو الفتح بعض ألفاظ تدور فى الشعر الهذلى ، كقول ساعدة ابن جؤية :

جمالَكِ إنما يحديك عـــيش   أميم وقد خلا عمرى قليـل [2]

وقول أبى ذؤيب :

جمالَك أيها القـلب القـــريح   ستـلقى من تحب فتستريح [3]

فلفظ « جمالك » يمكن اعتباره مما نصب بعد الحذف (اسماً كان أو مصدراً) أى الزم جمالك ، وقد يمكن اعتباره مما سماه النحاة بأسماء الأفعال ، فيكون اسم فعل بمعنى « تجمل » .

ومن أحوال النصب الغريبة فى هذا المجال ، إلى جانب الأحوال السابقة قراءة ابن مسعود : « وحوراً عيناً » بالنصب[4] فى قوله تعالى : « وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين » [5] بدلا من الرفع كما نرى ، وهو قراءة جمهور القراء .

ويعلل ابن جنى ذلك بأنه نصبه على فعل مضمر أى يؤتَون أو يُزَوجون [6] .

ومن ذلك أيضاً قراءة ابن مسعود نفسه : « سلاماً على نوح فى العالمين[7] ، بدلا من « سلام » بالرفع فى قراءة جمهور القراء [8] .

---

(1) المرجع السابق ٣ / ٤٥ ، ٦٧ .
(2) المرجع السابق ١ / ٢١١ .
(3) المرجع نفسه ١ / ٦٨ . الجمهرة « حلم » .
(4) المحتسب ص ٧٨٧ .
(5) سورة الواقعة ٥٦ الآية ٢٢ .
(6) المحتسب ص ٧٨٧ .
(7) البحر المحيط ١ / ٣٦٥ .
(8) سورة الصافات ٣٧ الآية ٧٩ .

ومن الاتجاه فى بعض الأحوال إلى النصب أيضاً — فوق ما سبق — ما نراه فى قوله تعالى : « وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى »[١] ، فإنا نجد قراءة ابن مسعود « صماً بكماً عمياً »[٢] على النصب خلافاً لجمهور القراء .

وقوله تعالى : « هذا ما لدى عتيد »[٣] إذ يقرؤه « هذا مالدى عتيداً »[٤] بالنصب .

وقوله سبحانه : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم »[٥] ، فقراءته : « مصدقاً لما معهم »[٦] بالنصب أيضاً .

وقوله عز شأنه : « ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم »[٧] — قراءته : « رسول مصدقاً لما معكم » بالنصب كذلك[٨] .

وقد جاء النصب فى قراءة هذه الآيات على ما سماه النحاة «حالا» فى مصطلحاتهم .

وقد كان ممكنا أن يقال إنه إلى جانب هذا الخلاف بين ابن مسعود وغيره من القراء ، قد وقع خلاف آخر فى قراءته للآية الأخيرة ، خرج به على ما جاء النحاة واشترطوه فى الحال من أن يكون صاحبها معرفة إلا إذ اوجد مسوغ لتنكيره كأن تتقدم الحال على صاحبها النكرة ، أو أن تخصص هذه النكرة بوصف أو بإضافة ، أو أن تقع بعد نفى أو نهى أو استفهام[٩] ولا يتحقق شىء من هذه المسوغات فى هذا المقام .

ولكن إذا عرفنا أن اللغة ذات مضمون ، وأن كلمة رسول هنا إذا كانت نكرة

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ١٧ .
(٢) البحر المحيط ١ / ٨٢ .
(٣) سورة ق ٥٠ الآية ٢٣ .
(٤) مختصر شواذ القراءات ص ١٤٤ .
(٥) سورة البقرة ٢ الآية ٨٩ .
(٦) مختصر شواذ القراءات ص ٨ .
(٧) سورة آل عمران ٣ الآية ٨١ .
(٨) البحر المحيط ٢ / ٥١٣ .
(٩) الخضرى على ابن عقيل ١ / ١١٥ .

شكلا فى عرف النحاة ، فلا شك أن مدلولها معرفة ، فلا يجهل أحد أن المراد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى هذا الأساس يمكن تسويغ هذه القراءة .

وإذا كانت الحال تأتى غالباً مشتقة ، وتأتى قليلا جامدة ، فيؤولها النحاة بمشتق ، فإنا نجد عند الهذليين من هذه الحال الجامدة أمثلة كثيرة ، منها ما جاء فى حديث ابن مسعود « أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاه إلى فى » أى مشافها إياى . ويقول ابن الأثير فى ذلك « هو نصب على الحال بتقدير المشتق » [1] .

وقد اتخذ النحاة من هذا الحديث شاهداً من شواهدهم على أن الحال قد تأتى جامدة وتؤول بمشتق .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول حذيفة بن أنس الهذلى :

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفنَ سيف ومئزرا [2]

ويقول صاحب اللسان إنه « نصب جفن سيف على الاستثناء المنقطع كأنه قال نجا ولم ينج » [3] . وهذا كلام يجافى الصواب فى سياقه ومعناه ، بل فى موافقته للمعنى المراد ، ثم إنا قد رأينا هذا الاستثناء المنقطع مرفوعاً عند الهذليين فى أمثلة كثيرة سبق أن عرضنا شيئاً منها فى هذا الفصل [4] .

هذا وينقل صاحب اللسان نفسه قول ابن سيده : « وعندى أنه أراد ولم ينج إلا بجفن سيف ثم حذف وأوصل » [5] .

وهذا كلام يساير ما ذكرنا من حذف الجار ونصب ما بعده [6] ، ولكن الحق أنه

---

(١) النهاية ٣ / ٢١٩ .
(٢) اللسان « جفن » . ديوان الهذليين ٣ / ٢٢ .
(٣) اللسان « جفن » .
(٤) انظر ص ٣٤٦ من هذا الفصل .
(٥) اللسان « جفن » .
(٦) انظر ص ٣٥٠ وما بعدها من هذا الفصل .

حال جامدة ، فكأنه يقول : « نجا والحال أنه لم ينج منه إلا رمق ، فلم يظهر من جسمه شيء غير سيفه ومئزره » .

ولعل من هذا النوع من الحال قراءة ابن مسعود قوله تعالى : « حتى تأتيهم البينة رسول من الله »[1] ، فقد قرأها « رسولاً » بالنصب لا بالرفع [2] .

ومما يلفت النظر في مجال النصب وظواهره ما روى في كثير من كتب اللغة من نصب لفظ « ثبات » بالفتحة بدلا من الكسرة ، مع أنه من قبيل الجمع بالألف والتاء ، وقد جاء نصبه في الفصحى وفي القرآن الكريم بالكسرة ، وإليك قول الله تعالى : « فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً » [3] أما نصبه بالفتحة فقد ورد في شعر أبي ذؤيب ومنه قوله :

فلما جلاها بالإيام تحيزت ثباتا عليها ذلها واكتئابها

فاذا كان قد جاء لفظ « ثبات » بالكسرة في بعض المراجع [4] ، فإنه قد روى هكذا منصوباً بالفتحة في أغلب هذه المراجع [5] ، فإذا صحت هذه الرواية كانت تلك ظاهرة غريبة في نصب هذا الجمع أحياناً بالفتحة ، وهذا يخالف المألوف .

ولعل الفراء حينما نقل عنه أبو حيان ما قاله من أنه سمع عن العرب نصب هذا الجمع بالكسرة والفتحة — قد اعتمد في قوله هذا على مثل هذا البيت من الشعر الهذلي[6] .

ومما هو جدير بالذكر نصب الظرف « إذا » ، فقد قال بعض اللغويين بنصبه حين يوجد هكذا منفرداً « أي بدون إضافة الحين إليه » ، وذكروا أن نصبه هكذا لغة

---

(١) سورة البينة ٩٨ الآية ١ .

(٢) الكشاف ٣ / ٢٨٠ .

(٣) سورة النساء ٤ الآية ٧١ .

(٤) شرح المفصل ٥ / ٤ . ديوان الهذليين ١ / ٧٩ ، والرواية فيه «اجتلاها» بدلا من « جلاها » .

(٥) التصريح ١/٨٠ . البحر المحيط ٣/٢٩٠ . شرح المفصل « الحاشية » ٥/٤ . الصحاح « أيم » .

(٦) البحر المحيط ٣ / ٢٩٠ .

هذيل ، أما غيرهم فيقول « إذ » بالجر [1] ويسوقون لذلك شاهداً من شعر الهذليين هو قول أبي ذؤيب :

تواعدنا الرُّبيق لننزلنه ولم تشعر إذاً أني خليف [2]

ومن ظواهر النصب التي تلفت النظر أيضاً عند الهذليين أن النحاة قد ذكروا أن من حق المنصوب على المدح أن يكون معرفة ، ولكنه جاء نكرة في الشعر الهذلي ، ويتخذ أبو حيان منه شاهده في الرد عليهم ، وذلك هو قول الشاعر الهذلي :

يأوى إلى نسوة عُطّل وشعثا مراضيع مثل السعالى [3]

ومن إيثار النصب في الفعل أحياناً نصبه بإذن الناصبة في بعض حالاتها التي لا تنصب فيها عند جمهور النحاة ، ومثال ذلك قول الله سبحانه : « فإذن لا يؤتون الناس نقيرا » [4] ، فإنها في حرف ابن مسعود « لا يؤتوا » على إعمال « إذن » [5] ، وقوله تعالى : « وإذن لا يلبثون خلافك إلا قليلا » [6] قراءة ابن مسعود فيه أيضاً « وإذن لا يلبثوا » [7] وهكذا هي في مصحفه محذوفة النون [8] .

وربما كان أكثر بعداً عن المألوف ما روى بالنصب عن ابن مسعود في قوله تعالى :

---

(١) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ١٨٣ . ديوان أبي ذؤيب « مخطوط تيمور » ص ١٦٨ ، « مخطوط الشنقيطي » ورقة ١١٥ .

(٢) اللسان « أذن . خلف » . ديوان الهذليين ١ / ٩٩ . والرواية فيه « عكاظ » بدل « الربيق » ، « تعلم » بدل « تشعر » . ديوان أبي ذؤيب «مخطوط تيمور» ص ١٦٨ ، «مخطوط الشنقيطي» ورقة ١١٥ .

(٣) البحر المحيط ٢ / ٤٠٤ .

(٤) سورة النساء ٤ الآيتان ٥٢ ، ٥٣ .

(٥) مختصر شواذ القراءات ص ٢٧ . البحر المحيط ٣ / ٢٧٣ . التصريح ٢ / ٢٣٥ . الكشاف ١ / ٤٠٢ .

(٦) سورة الإسراء ١٧ الآية ٧٦ .

(٧) مختصر شواذ القراءات ص ٢٧ . البحر المحيط ٦ / ٦٦ . شرح المفصل ٧ / ١٦ .

(٨) البحر المحيط ٦ / ٦٦ .

« وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله »[1] ، فإنه يقرؤها «لا تعبدوا»[2] .

وقد استدل الكوفيون بهذا على جواز إعمال « أن » فى الفعل وهى محذوفة ، مع أنه يمكن القول بأن « لا » هنا ليست نافية ، وإنما هى لا الناهية التى يجزم الفعل بعدها ، فيكون الفعل هنا مجزوماً لا منصوباً ، وتكون العبارة تفسيراً للميثاق ، أى أن هذا الميثاق الذى أخذه الله عليهم إنما هو نهيهم عن عبادة غير الله ، وعلى هذا يكون الكلام طبيعياً ، ولا نصب ولا حذف .

هذا وقد رويت قراءة عبد الله « ألا تعبدوا » [3] وعلى هذه الرواية يكون النصب مألوفاً لا غرابة فيه .

ظاهرة الجر :

إذا كنا قد لاحظنا بعض ملاحظات فيما يختص بالرفع والنصب ، فإن هناك بعض ملاحظات أخرى فيما يختص بالجر .

ولعل من أبرز هذه الملاحظات ما ذكره اللغويون والنحاة من أن « متى » تكون فى معنى مِن فى لغة هذيل ، وأنهم يستعملونها فى الجر مثلها سواء بسواء [4] . ويسوقون لذلك شاهداً من الشعر الهذلى ، هو قول أبى ذؤيب :

شربن بماء البحر ثم ترفّعت   متى لجج خضر لهن نئيج [5]

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ٨٣ .

(٢) الأنبارى : الإنصاف المسألة ١٧ .

(٣) الكشاف ١ / ٢٢٤ .

(٤) اللسان والصحاح « متى » . تاج العروس « متى ، ومض » . الهمع ٢ / ٣٤ . ديوان أبى ذؤيب « مخطوط تيمور » ص ١٢١ ، « مخطوط الشنقيطى » ورقة ٨٠ . التصريح ٢ / ٢ . الاقتضاب ص ٢٥٥ .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٥٢ . سر صناعة الإعراب ١ / ١٥٢ . الخزانة ٣ / ١٩٣ . المخصص ١٠ / ١٧٢ . أدب الكاتب ص ٥١١ . شرح الكافية ٢ / ٨٢ . التصريح ٢/٢ . الصحاح ، مقاييس اللغة ، اللسان « متى » . الاقتضاب ص ٢٤٧ ، ٢٥١ .

وقول ساعدة بن جؤية :

« أخيل برقا متى حاب له زجل »[1]

وإن كان قد ثار خلاف حول « متى » فى قول ساعدة ، فقال ابن سيده هى بمعنى « فى » ، وقال غيره هى بمعنى « وسط » ، كما اختلفوا أيضاً فى بيت أبى ذؤيب ، فقيل إنها فيه بمعنى « من » ، وقيل بمعنى « وسط » ، وقيل بمعنى « فى »[2] .

والحق أن هذا الخلاف أو هذا الاضطراب ليس مرده إلى تحقيق هذا اللفظ ، ومحاولة الوصول إلى معناه الحقيقى فى بيئته ومَعطِنه قدر ما هو راجع – فى تقديرى – إلى الحدس والظن ، والاختلاف فى فهم ما يرمى إليه هذا البيت أو ذاك ، ومع هذا فإن هناك تضافراً بين كثير من المراجع على أن « متى » بمعنى « من » فى لغة هذيل .

وإذا كان قد روى بيت أبى ذؤيب فى ديوانه :

تروّت بماء البحر ثم تنصّبت   على حبشيات لهن نئيج

فإنا مع هذا نجد فى الديوان نفسه رواية الأصمعى :

« متى لجج خضر لهن نئيج »[3]

ويساند ذلك أن هذه الرواية الأخيرة نجد نظيراً لها فى ديوان الهذليين عن كتاب العين[4] . هذا والنفس ترتاح إلى رواية الأصمعى لأنه شافه الهذليين فى باديتهم ، وكتب عنهم كثيراً من ألفاظهم وأشعارهم ، وقرأ شعرهم هذا على الشافعى الذى قضى بواكير الشباب فى باديتهم .

ثم إن وجود هذا اللفظ فى الشعر الهذلى ليس مقصـــوراً على رواية الأصمعى لهذا

---

(١) المغنى ٢ / ٢٠ .

(٢) المغنى ٢ / ٢٠ . ديوان أبى ذؤيب « مخطـــوط تيمور » ص ١٢١ . المخصص ١٤ / ٦٩ . الصاحبى « متى » . الخزانة ٣ / ١٩٣ . ديوان الهذليين ١ / ٥٢ .

(٣) ديوان أبى ذؤيب « مخطوط تيمور » ص ١٢١ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٥٢ .

البيت ، وإنما قد احتوته أبيات أخرى من هذا الشعر ذكرنا بعضها ، ونضيف إليها ما روى من قول صخر الغى :

« متى أقطـارِها علق نفيث »[1]

والقول باستعمال « متى » أداة للجر عند الهذليين ليس معناه أنها لا تأتى فى اللهجة الهذلية فى معانيها المعروفة فى اللغة كالاستفهام وغيره . بل إن هذا – لا شك – هو الأصل عندهم كما يبدو واضحاً من استقراء أشعارهم وغيرها من تراثهم ، ولكن اللغويين فجأهم أن يجدوها فى الشعر الهذلى مجروراً ما بعدها خلافاً للمألوف عندهم ، ولهذا اختلفوا فى معناها هذا الاختلاف الذى لمسناه ، كما دفعهم هذا إلى اعتبار الجر بها شاذاً فى هذه اللهجة الهذلية . وهم على حق فى هذا فاستعمال « متى » أداة للجر عند الهذليين لم يكن إلا فى أحوال قليلة ، أو فى أمثلة معدودة لا يتعداها .

أما « من » فإنها مستعملة أداة للجر عندهم فى أغلب كلامهم ، وإن كنا نجد ابن مسعود يتنكبها أحياناً فى قراءته ، كما فى قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[2] فإن قراءته « حتى تنفقوا بعض ما تحبون »[3] . فهل يعتبر هذا صورة من صور تخلص الهذليين أحياناً من استعمال « من » أداة للجر فى بعض أحوالها ، أو أنها قراءة قصد ابن مسعود من ورائها مجرد التفسير بالمرادف ، دون أن يكون فى هذا أثر للهجة قومه من هذيل ؟

هذه أهم ظاهرة من ظواهر الجر عند الهذليين ، ولكن هناك بعض ملاحظات أخرى نلاحظها على قراءة ابن مسعود ، لعل بعضها مرده إلى لهجة قومه ، وبعضها الآخر راجع إلى ظروف أخرى اكتنفت ابن مسعود فى حياته الجديدة فى المجتمع الإسلامى .

ولعل من هذه الملاحظات ما نراه من إيثار ابن مسعود للجر بالحرف أحياناً حين يؤثر غيره الجر بالإضافة أو عدم الجر أصلا ، ومن ذلك قوله تعالى : « لا يسأم الإنسان

---

(١) التصريح ٢ / ٢ . تاج العروس « متى » . الخزانة « بولاق » ٣ / ١٩٣ .
(٢) سورة آل عمران ٣ الآية ٩٢ .
(٣) الهمع ٢ / ٣٤ . الإتقان ١ / ١٧٦ . التصريح ٢ / ٨ . حاشية الخضرى ١ / ٢٢٩ .

من دعاء الخير » [١] فقد قرأه ابن مسعود : « لا يسأم الإنسان من دعاء بالخير » [٢] ، وقوله تعالى : « إنِ الحكم إلا لله يَقُص الحق » [٣] لما قرأه بعض القراء « يقضى الحق » ألفينا قراءة ابن مسعود وكثير من تلاميذه كابن وثاب وطلحة والأعمش : « يقضى بالحق » [٤] وقوله سبحانه : « فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » [٥] يقرؤه « وادخلى فى جنتى » [٦] .

والأمثلة التى تدخل في هذا الإطار كثيرة في قراءته [٧] ومن هذا القبيل ما نراه من تكرار حرف الجر بصورة واضحة قبل الأسماء المعطوفة على أسماء مجرورة سابقة لها ، وذلك مثل قوله تعالى : « وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار »[٨] ، فقراءة ابن مسعود « وفي اختلاف الليل والنهار »[٩] . وقوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » [١٠] فحرف ابن مسعود : « حافظوا على الصوات وعلى الصلاة الوسطى » [١١] .

ولكن لعل الذى حدا بابن مسعود إلى هذا إنما هو التنبيه على أهمية الصلاة الوسطى بتكرار حرف الجر وتسلطه عليها ، وهذا ما يشير إليه أبو حيان حين يقرر أن إعادة الجار مقصود بها التوكيد [١٢] .

ومع هذا نصادف في قراءة ابن مسعود عدم إعادة الجار في العطف على الضمير

---

(١) سورة فصلت ٤١ الآية ٤٩ .

(٢) الكشاف ٢ / ٣٣٣ .

(٣) سورة الأنعام ٦ الآية ٥٧ .

(٤) البحر المحيط ٤ / ١٤٣ .

(٥) سورة الفجر ٨٩ الآية ٣٠ .

(٦) مختصر شواذ القراءات ص ١٧٢ .

(٧) مختصر شواذ القراءات ص ١٠٩ ، وانظر الكشاف ١ / ٣٨٥ .

(٨) سورة الجاثية ٤٥ الآيتان ٤ ، ٥ .

(٩) الكشاف ٢ / ٣٦٤ .

(١٠) سورة البقرة ٢ الآية ١٣٨ .

(١١) الكشاف ١ / ٢٨٥ ، البحر المحيط ٢ / ٢٤٢ .

(١٢) البحر المحيط ٢ / ٢٤٢ .

المجرور في قوله تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »[1] فقد قرأها « والأرحام » بالجر دون إعادة الجار جماعة منهم عبدالله بن مسعود وحمزة والأعمش[2] من قراء الكوفة ، وعلى هذا ذهب نحاة الكوفة إلى جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار في حال السعة والاختيار[3] . وقد سبق القول بأن الكوفيين يتأثرون في مذهبهم النحوى بقراءات ابن مسعود وتلاميذه . وهذا أثر واضح من هذه الآثار .

ظاهرة الصرف (أى التنوين) :

لم نعثر فيما روى من لغة هذيل ، ولا فيما طالعتنا به أشعارهم من ذلك على شىء ذى بال ، وإن كانت تصادفنا من هذا شذرات قليلة نرى من حق البحث أن نشير إليها .

فمن ذلك لفظ « عواقد » في شعر أبي كبير الهذلى :

« ممن حملن به وهن عواقدٌ »[4]

وقد صرفها الشاعر هكذا ، وهى في اللغة ممنوعة من هذا الصرف . ولأنه ليست هنالك ضرورة تلجئ الشاعر هنا إلى هذا التنوين ؛ فإن النحاة قد اتجهوا وجهة أخرى في تعليل ذلك ، تلك هى أن الأصل في الأسماء كلها الصرف ، وإنما يمنع بعضها من الصرف لأسباب عارضة تأتى على خلاف الأصل ، فأبو كبير صرف «عواقد» ، وهى لا تنصرف ؛ لأنه ردها إلى الأصل[5] .

ولكن لماذا ردها إلى الأصل ؟ ألأن هذا لهجة قومه ؟ أم لماذا فعل ذلك ؟ لم يتعرض اللغويون لهذا ، وهو ما كنا نود أن يشيروا إليه !

ومثل ذلك « حوافر » في قول ساعدة بن جؤية :

وحوافرٌ تقع البراح كأنما ألف الزماع بها سلام صلب[6]

---

(١) سورة النساء ٤ الآية ١ .

(٢) البيضاوى ٢/٦٤ . شرح الكافية ١/٣٢٠ . حاشية الكازرونى على البيضاوى ١/١٩٢،٢٢٨ .

(٣) الكازرونى ١ / ١٩٢ ، ٣٢٠ .

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ٩٢ والرواية فيه « مما حملن » . الإنصاف ٢ / ٢٠٩ .

(٥) الإنصاف ٢ / ٢٠٩ .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ١٨٦ .

ومطاعيم في قول ساعدة بن العجلان :

مطاعيم إذا قحطت جمادى ومساحو المفـائظ بالجنوب [1]

* * *

هذا ونجد آثاراً أخرى قليلة تخالف فيها قراءة ابن مسعود ، وبعض تلاميذه ما درج عليه كثير من القراء في كلمات خاصة قرءوها مصروفة ، وقرأها ابن مسعود وتلاميذه غير مصروفة ، أو انعكس الأمر ، وإن كان كلا الأمرين جائزاً في اللغة ، ولكن ابن مسعود اتجه فيها إلى المنع كما في قوله تعالى : « اهبطوا مصرا » [2] فقد قرأها « اهبطوا مصر » بدون تنوين ، وهي قراءة طلحة والحسن والأعمش [3] ، وكذلك هي في مصحف عبد الله [4] .

ولكن ذلك ليس مقصوراً على ابن مسعود وتلاميذه ، إذ هو ثابت في مصحف أبي ابن كعب ، وفي بعض مصاحف عثمان [5] وعكس ذلك لفظ « ثمود » في قوله تعالى : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » [6] ، فقد قرأه بعض تلاميذ ابن مسعود — كابن وثاب الكوفي — مصروفاً [7] ، وجمهور القراء بمنع الصرف .

وكذلك نجد ظاهرة الصرف ومنعه بادية في هذا اللفظ ، في قوله تعالى : « ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ... » [8] فقد قرأها « وثمود » مصروفة [9] .

---

(١) المرجع السابق ٣ / ١١١ .
(٢) سورة البقرة ٢ الآية ٦١ .
(٣) البحر المحيط ١ / ٢٣٤ .
(٤) الكشاف ١ / ٢١٨ . البحر المحيط ١ / ٢٣٤ . البيضاوي ١ / ١٥٧ .
(٥) البحر المحيط ١ / ٢٣٤ .
(٦) سورة الفجر ٨٩ الآية ٩ .
(٧) البحر المحيط ٨ / ٤٥٦ .
(٨) سورة إبراهيم ١٤ الآية ٩ .
(٩) البحر المحيط ٧ / ١٥٢ .

وهذا اللفظ نفسه فى قوله تعالى : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى »[1] . قرأه جمهور القراء ممنوعا من الصرف ، وقرأه ابن وثاب والأعمش من الكوفيين مصروفا ، وهذه قراءتها فى « ثمود » بالتنوين فى جميع القرآن الكريم .

* * *

تلك إشارات سريعة أردت تسجيلها فى هذا الجانب الذى يتصل بصرف بعض ألفاظ اللغة أو منعها من الصرف ، ولا أبالغ فأجعلها أصلا يعتمد عليه فى نسبة شىء من ذلك إلى هذيل أو نفيه عنها ، ولكنى أسجلها استكمالا للمنهج الذى راعيت فيه ألا أهمل هذا النوع من القراءات المتصلة بموضوعنا والتى كثيراً ما وضعت أيدينا على نتائج باهرة كما لمسنا فى غضون البحث . وإذا لم تبلغ أن تكون كذلك فى بعض الأحيان ، فإنها - على الأقل - قرائن يستأنس بها ، إلى جانب أنها مادة علمية نشير إليها ، علها تهدى الدارسين بعدُ سواء السبيل .

---

(١) سورة فصلت ٤١ الآية ١٧ .

الفصل الثالث

« التراكيب »

الفصل الثالث

التراكيب

المقصود بهذا الاصطلاح بيان ما هنالك من ملاحظات جزئية نلمسها في تركيب بعض ألفاظ الجملة ، أو فى تركيب الجملة برمتها بصورة يكون معها الأسلوب فى وضع يلفت النظر ، ويسترعى الانتباه ؛ لأنه يخالف مألوف اللغة ، وما ارتضاه النحاة واللغويون من ألفاظها ، ومنهج التعبير فيها .

ومن ذلك قول علماء العربية فى لفظ « اللهم » من أنه منادى ، والنون فيه عوض من حرف النداء [1] ، فهما لا يجتمعان معاً فى اللغة السائدة المألوفة ، ولكنهما حين يجتمعان قليلا نجد ذلك — غالباً — فى الشعر الهذلى فى مثل قول أبى خراش :

إنى إذا ما حدث ألما   أقول يا اللهم يا اللهما [2]

وقد تلقف الكوفيون هذا الشاهد ، واعتدوا به شأنهم فى الاعتداد بالشاهد الواحد ، وأخذ الفراء من الكوفيين فى تبريره ، فذهب إلى أن أصله « يا الله أمنا بخير » [3] .

ولكن من النحاة من يقول بضعفه ، ويجهل قائله ، ويعتبره من قبيل الضرورات [4] ، بيد أن الضرورة المشار إليها يمكن القول بعدم وجودها فى هذا المقام ، فقد كان الشاعر يستطيع أن يجد مندوحة عن ذكر أداة النداء بقطع الهمزة ، وليس ذلك بغريب لو فعله ، فهو الأمر المألوف عنده ، وعند سائر الشعراء ، وقطع الهمزة ليس عندهم من

---

(١) المفصل ٢ / ١٦ .
(٢) نوادر أبي زيد ص ١٦٥ . شرح شواهد ابن عقيل ص ٢١٧ .
(٣) المفصل ٢ / ١٦ .
(٤) التصريح ٢ / ١٧٢ . المفصل ٢ / ١٦ .

قبيل الضرورة المنكرة . فما كان له أن يعدل عنه إلى شيء غير مألوف في اللغة لو لم يكن ذلك من لهجته .

هذا والبيت ليس مجهول القائل كما قيل ، وإن كان غير مألوف في المحيط اللغوي كما ذكرنا غير أن هذا وحده غير كاف في تطرق الوهن إليه .

ولعل من هذا أيضاً ما نراه من استعمال : ما برح ، ومازال ، وما انفك (في مضارعها وماضيها) مجردة من النفي السابق عليها ، فقد عد اللغويون ذلك لهجة لهذيل [1] ، وذلك مثل قول الشاعر القُرمي (من بني قريم بن صاهلة من هذيل) :

فزلتم تهربون ولو كرهتم تسوقون الخزائم بالنقاب [2]

وقول أبي خراش :

وأبرح ما أُمّرتمُ وملكتمُ يد الدهر ما لم تُقتلوا بغليل [3]

وقول معقل بن خويلد :

إذا أقسموا أقسمت أنفك منهمُ ولا منهما حتى تفك السلاسلا [4]

فهذه ظاهرة ماثلة في الشعر الهذلي ، وإن كانت غير مقصورة على شعراء هذيل ، فهي في شعرهم وشعر من عداهم كامرىء القيس وغيره .

ولكن يبدو أنها بارزة عند الهذليين ، فدفع اللغويين ذلك إلى القول بأنها لغة لهذيل ، ولعل الرواة — حين قالوا ذلك — كانوا قد رأوها واضحة في البيئة الهذلية وضوحها في الشعر الهذلي نفسه .

ومن ذلك أيضاً أن اللام المؤكدة التي تدخل على خبر إن قد ذكر النحاة أنها تدخل

---

(١) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ٢ / ٨٤٨ .
(٢) التمام ص ١٣٧ .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٧ .
(٤) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١٠١ .

لزوماً في خبرها إذا خففت ، وذلك للفصل بينها ، وبين إن النافية التي لا تدخل هذه اللام في خبرها إلا في النادر ، ونسوق من هذا النادر المخالف للمألوف قراءة ابن مسعود لقول الله تعالى : « إن لبثتم إلا قليلا » [1] « إن لبثتم لقليلا » [2] .

وقد تأثر الكوفيون بهذا ، فقالوا بأن « إن » المشددة لا تخفف أصلا ، أما المخففة فهي حرف ثنائي الوضع ، وهي النافية فلا عمل لها ألبتة ، ولا توكيد فيها ، واللام بعدها للإيجاب بمعنى إلا . وكأنما قد حملهم على هذا رغبتهم في التوفيق بين قراءة ابن مسعود ، وقراءة الجمهور .

ومهما يكن من شيء فإن وجود اللام في خبر « إن » النافية أمر غير مألوف .

ولعل من هذا القبيل إلحاق ضمير جماعة الذكور الغائبين ، وجماعة الإناث الغائبات بالفعل « عسى » في مثل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن » [3] فقراءة ابن مسعود : « عسوا أن يكونوا خيراً منهم » ، « عسين أن يكن خيرا منهن » [4] .

وهذا يخالف المألوف من لزوم هذا الفعل حالة الإفراد مع جميع الفاعلين .

ومن هذه الجوانب الجزئية الخاصة بالتراكيب أن النحاة حين وصفوا تجرد جواب القسم من التأكيد بأنه أمر نادر — نجد من هذا النادر ذلك المثال الذي ساقوه من قول ابن مسعود : « والله الذي لا إله إلا هو هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة » [5] .

هذه أهم الملاحظات الجزئية على بعض ألفاظ الجملة عند الهذليين ، وهناك ملاحظات أخرى قد تتناول هيكل الجملة كلها أو جلها . ومن ذلك إدماج كثير من ألفاظ الجملة أحياناً في لفظ واحد منحوت مثل « أجنى » أي « من أجل أني » . ولعل هذا يحدث

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣ الآية ١١٤ .

(٢) الهمع ١ / ١٢٥ .

(٣) سورة الحجرات ٤٩ الآية ١١ .

(٤) الكشاف ٣ / ٢١٥ . مختصر شواذ القراءات ص ١٤٣ .

(٥) المغنى ٢ / ١٣٧ . الصبان على الأشمونى ٤ / ١٧ .

– كما سبقت الإشارة – أكثر ما يحدث فى البيئات البدوية كقول الشاعر الهذلى :

أجِنِّى كلما ذُكرت كليب أبيت كأننى أكوى بجمر [1]

وقول امرأة عبدالله بن مسعود « أجنك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » (أى من أجل أنك) [2] .

ومن ذلك أيضاً دخول عبارات غريبة فى الأسلوب « كالموت الجديد » التى يستخدمها الهذليون كثيراً فى أشعارهم بصورة واضحة ، وقد فسرها صاحب اللسان وغيره بأنه ما لا عهد لك به ، ثم ذكروا أنها هذلية [3] .

ومما جاء من ذلك فى شعر هذيل قول أبى ذؤيب :

فقلت لقلبى يا لك الخير إنما يدلّيك للموت الجديد حِبابها [4]

وكما نراهم يقولون « الموت الجديد » نلمس عندهم أيضاً بعض ما يشابه ذلك « كالدهر الجديد » فى قول صخر الغى :

وقالت لن ترى أبدا تليدا بعينك آخر الدهر الجديد [5]

ويروى : آخر العمر الجديد .

ومن عباراتهم التى ينسبها اللغويون إليهم قولهم فى موطن المهانة والتحقير : « إن لم أفعل كذا فإنى فرخ » [6] ، وسمع منهم من يقول لراعيتين من الرعاة : « يا فرختان يا مملوكتان » [7] .

---

(١) اللسان « جنن » .
(٢) المرجع السابق والمادة السابقة .
(٣) تاج العروس ، اللسان « جد » .
(٤) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ٤٤ . ديوان الهذليين ١ / ٧٢ .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٦٧ . شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ٢٩٣ .
(٦) أساس البلاغة « فرخ » .
(٧) المرجع السابق « المادة نفسها » .

واستعمال لفظ « فرخ » هذا فى مثل ذلك المقام نجده فى بعض اللهجات العربية الحديثة ، وبخاصة فى اللهجة الليبية .

ومما يدور كثيراً فى أشعارهم « استُضل ضلاله » [1] أى ضَل ضلالا بعيداً .

ومن هذا أيضاً تقديم اللقب على الاسم ، فقد قرر النحاة — بعد استقراء نصوص اللغة — أنه لا يجوز تقديم اللقب على الاسم ، وأن وجود ذلك فى اللغة نادر [2] وشاهدهم على وجوده مع ندرته هو قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترثيه :

بأن ذا الكَلب عمرا خيرهم حسبا   ببطن شِريان يعوى حوله الذيب[3]

وقد تكون الحاجة إلى استقامة الوزن هى التى ألجأت الشاعرة إلى ذلك ، ولكن النحويين يعترفون بالبيت شاهداً على ما ذكروا ، فيمكن اعتباره دليلا على وجود هذه الظاهرة أحياناً عند هذيل ، فنحن لم نعثر فى شعر الهذليين على ما يناقضه أو يضعف الاحتجاج به ، ولا سيما أن هذا الشاعر قد ورد أحياناً بين شعراء هذيل على هذه الصورة من تقديم اللقب على الاسم ، وإن كان جائزاً أن اللغويين والأدباء قد أخذوه على علاته من هذا البيت ، ولكن وجوده هكذا فى حال الاختيار خارج البيت بهذه الصورة أمر يستأنس به على صحته ، وإلا فقد كان يسيراً على هؤلاء فى حال السعة والاختيار أن يردوه إلى السمت المعروف .

وإذا كان المشهور فى اللغة هو عود الضمير على اسم ظاهر سابق عليه ، فإن هذا حمل علماء النحو والبلاغة على ألا يسيغوا الإضمار قبل الإظهار ، وبخاصة إذا كان الاسم الظاهر ليس من شأنه التقديم أى هو متأخر لفظاً ورتبة كما يقولون .

---

(1) ديوان الهذليين ١ / ١٤١ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٤١ . الصحاح « ضلل » . اللسان « ثوب ، ضلل » .

(2) شرح ابن عقيل « هامش الخضرى » ١ / ٦٣ .

(3) المرجع السابق والصفحة السابقة . شرح أشعار الهذليين «مخطوط» ١ : ٢ . معجم ما استعجم ٣ / ٧٣٨ . شرح شواهد ابن عقيل ص ١٧ . السجاعى ص ٤٥ .

ولـكننا قد نجد فى الشعر العربى بعامة ، وفى الشعر الهذلى بخاصة ما يخالف هذا المألوف ، كقول أبى جندب الهذلى :

جزيتهمُ بما أخذوا تــلادى ... بــنى لحيان كيلا يحرُبونى [1]

ومثل قول أبى جندب نفسه :

ألا ليت شعرى هل يلومن قومه ... زهيرا على ما جر من كل جانب [2]

وهذا البيت من أهم الشواهد التى تواردت كتب اللغة على ذكرها فى هذا المضمار .

وإذا كان هذان الشاهدان يعود فيهما الضمير على متــأخر لفظا ورتبة ، ويعتبر اللغويون والبلاغيون ذلك ضعف تأليف ، ولا يرضونه بحال — فإن من الشعر الهذلى ما يعود فيه الضمير على متأخر فى اللفظ ولكن من حقه التقديم ، كقول أبى ذؤيب :

روِيت ولم يغرم نديمى وحاولت ... بنى عمها أسماء أن يفعلوا فعلى [3]

وقد سوغ علماء اللغة عود الضمير فى مثل هذا ، على أساس أن الضمير وإن كان عائداً على متأخر ، فإن هذا المتأخر من حقه أن يتقدم ، فكأنه متقدم حكماً وإن كان متأخراً فعلا .

بقيت ظاهرة أخيرة من هذه الظواهر التركيبية فى الجملة ، أقف معها وقفة أناقش موقف علماء العربية منها قبل أن أشير إلى موقف هذيل بشأنها ، وما لها من صلة بها .

المألوف عند اللغويين والنحاة هو عدم إلحاق علامة التثنية والجمع بالفعل حين يتصدر الجملة ويكون فاعله مثنى أو مجموعا ، وهذا عندهم هو مذهب جمهور العرب ، وهو يخالف المذهب الذى عليه بعض القبائل العربية التى تلحق هذه العلامات (الألف

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ٣ / ٨٧ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ورقة ٨٤ ، « فراج » ١/٣٥٤ . والرواية فيه « كلا فاحربونى » . خزانة الأدب « بولاق » ١/١٤١ ، « السلفية » ١/٢٦٥ .

(٣) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ٩٣ . ديوان الهذليين ١ / ٣٩ .

والواو والنون) بالفعل ولو تأخر فاعله ما دام هذا الفاعل مثنى أو مجموعاً . وقد أطلقوا على هذه اللهجة اسماً مستهجناً هو « لغة أكلوني البراغيث » رمزاً لهذا المظهر من مظاهر النطق فيها ، وكأنهم يشيرون بذلك إلى استهجانها ، وضعف شأنها . وقد فاتهم أنه ليس الخطب كامناً في إلحاق هذه الواو أو غيرها (علامة كانت أو ضميراً) بالفعل السابق على فاعله حال تثنيته أو جمعه ، وإنما هو كامن في وجـــودها مع غير العاقل (وهو البراغيث) مع أنها من اختصاص العاقل ، فالسائغ هنا « أكلتني » لا « أكلوني » التي سكتوا عنها من هذا الجانب ، ولم يشيروا إليها مجرد إشارة ، واستفرغوا جهدهم في جواز إلحاق هذه الواو وغيرها بالفعل المتقدم على فاعله أو عدم جواز ذلك ، مع أن الأمر فيه جد يسير كما سنرى .

وقد اتجه بعض النحاة كابن مالك إلى الأخذ بتسمية أخرى لهذه اللهجة فسماها لغة « يتعاقبون فيكم ملائكة » ، وهذه العبارة قد أخذت أخذاً غير موفق من حديث شريف هو قول الرسول الكريم « إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار . . » [1] . فالواو في « يتعاقبون » لا تتجه إلى لاحق لها بل تعود على سابق عليها . وهكذا نرى أن الحديث ليس موطن استشهاد لهذه اللغة ، ولا موضع تمثيل لها فضلا عن أن يكون عنـــواناً عليهـــا ، فابن مالك على غير حق فيما ذهب إليه .

والغريب أن النحاة يجيزون مثل هذا الأسلوب من وجه ، ويمنعونه من وجه آخر ، مع أن الخلاف يكاد يكون لفظياً ـ على حد تعبيرهم ـ ، ولا فائدة له إلا في تحامي بعض المشكلات التي تعارض منهجهم ، أو تقف حائلا دون اتساق قوانينهم ، واطراد قواعدهم .

فهم يجيزون أن يكون المتصل بالفعل ضميراً هو الفاعل ، وأن يكون الاسم الذي بعده مبتدأ مؤخراً ، والجملة في موضع رفع خبرا عن هذا الاسم المتأخر . أو أن يكون الاسم المتأخر بدلا من هذا الضمير المتصل بالفعل . وهم يتحدثون هذه اللغة على هذا الأساس ، ويردون إليها كل ما يعترضهم من أساليب مشابهة وردت في الحديث الشريف أو في القرآن الكريم .

---

(١) حاشية الخضرى ١ / ١٦٢ . وانظر الموطأ ١ / ١٧٠ .

ولكنهم لا يجيزون أن تكون الألف والواو والنون علامات للتثنية والجمع ملحقة بالفعل ، ويهجّنون لغة بعض القبائل الناطقة بها على هذا الوضع الأخير .

والحق أن هذا التوجيه مرة بالضمائر ، ومرة بالعلامات لا أساس له فلم تكن القبائل العربية فى نطقها تعرف هذه الضمائر أو تلك العلامات ، فكيف ننسب إليها ما لم تكن تعرف ، ونؤسس على هذا جوازاً ومنعاً ، أو قوة وضعفا ؟

ومن القبائل التى نسبوا إليها هذه اللغة الضعيفة طيء ، وأزد شنوءة أو بالحارث[1] .

والواقع أن آثار الهذليين لا تخلو من هذه الظاهرة التى نجد تقارباً بينها وبين الظاهرة السابقة ، وهى عود الضمير على متأخر ، وإن كانت حالة خاصة من حالات هذا الضمير هى كونه مثنى أو مجموعاً .

ونجد من ذلك قراءة ابن مسعود وأصحابه فى قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون »[2] ، فقد قرءوها « قد أفلحوا المؤمنون » .

حتى لقد روى أن طلحة بن مصرّف حينما اعترض عليه عيسى بن عمر بشأن قراءته هذه قائلا له : أتلحن ؟ أجابه فى ثقة واعتداد : نعم كما لحن أصحابى[3] .

وهذا معناه أن المرجع فى القراءة إلى الرواية ، وأن قراءته هذه قد رواها عن أصحابه ، ورأس أصحابه هؤلاء هو عبد الله بن مسعود .

ولا أدرى لماذا يرفض النحاة ذلك ويَسِمونه بالضعف ، مع أن منهم من قال بوجوده فى الحديث — وقد ناقشنا هذا الرأى — ثم هو موجود فعلا فى القرآن الكريم كما فى قوله تعالى « وأسروا النجوى الذين ظلموا »[4] وقد حملهم ذلك على تأويل ما ورد فيه من كتاب الله حتى تتسق لهم القاعدة التى وقفوا أنفسهم عليها .

* * *

---

(١) القاموس « باب الألف اللينة » ٤ / ١١٣ . المغنى ٢ / ٣٤ .

(٢) سورة المؤمنون ٢٣ الآية ١ .

(٣) البحر المحيط ٦ / ٤٠٨ .

(٤) سورة الأنبياء ٢٣ الآية ٨ .

الباب الرابع

الدلالة

الباب الرابع

الدلالة

إن الاختلاف بين لهجات اللغة الواحدة يظهر أكثر ما يظهر فى بعض الجوانب الصوتية ، وطريقة نطق الألفاظ فيما يتصل بأصوات اللين حذفاً ، وإثباتاً ، وإبدالا ، واختلاساً ، وإشباعاً . وبالهمز تحقيقاً ، وتسهيلاً ، وحذفاً ، وإبدالا ، وما يتصل بالحروف الساكنة من حيث الفك والإدغام والإبدال ... وغير ذلك من ظواهر صوتية مختلفة . هذا إلى جانب شيء من الخلاف فى البنية ، والتصريف ، والزيادة والتجريد ، والتعدى ، واللزوم ، وبعض مظاهر الإعراب . . .

أى أن هذا الخلاف يرجع — فى أغلب الأمر — إلى النطق ، وصورة الأداء .

أما الاختلاف فى دلالة الألفاظ ، فإنه لا يضارع فى ظهوره ووضوحه هذا الخلاف المشار إليه ؛ فإنه كلما كثر اختلاف الألفاظ من حيث دلالتها فى لهجة من اللهجات كان معنى هذا اقتراب هذه اللهجة من أن تنفصل عن أصلها ، وعن نظائرها من اللهجات ، وتستقل شيئاً فشيئاً حتى تصير لغة قائمة بذاتها ، لا يربطها بهذا الأصل إلا ما يبقى عالقاً بها ، أو راسباً فيها من خصائص مشتركة ، وسمات متشابهة كما نرى فى مجموعة اللغات السامية التى انفصلت عن السامية الأم ، واستقلت كل منها بخصائص وسمات ، وإن كانت تشترك جميعها فى ميزات مشتركة لا تطغى على الخصائص والسمات التى تتسم بها كل لغة من هذه اللغات ؛ ولهذا لا ينتظر أن نجد فى اللهجة الهذلية كثيرا من الألفاظ التى تختلف فى دلالتها اختلافاً كبيراً عن نظائرها من اللهجات العربية .

ولكنا — مع هذا — واجدون فى ثناياها ألفاظاً من هذا النوع بعضها يختلف اختلافا حقيقياً فى دلالته ، وبعضها أو كثير منها نسبه إليها اللغويون فيما نسبوا من لغات إلى قبائل العرب .

ومن هذه الألفاظ المنسوبة إلى هذيل – أو التى يمكن أن تنسب إليها – ما كانت دلالته دلالة مادية ، ومنها ما كانت دلالته دلالة معنوية ، أى أن منها ما كان منصبا على مادة محسّة ، ومنها ما عبر عن معنى من المعانى .

وقد أفردت لكل من هذين فصلا خاصاً به فى هذا الباب من أبواب الكتاب .

الفصل الأول

الألفاظ ذات الدلالة المادية

الفصل الأول

الألفاظ ذات الدلالة المادّية

هذه الألفاظ أقدم فى نشأتها من الألفاظ ذات الدلالة المعنوية ، وربما كانت أصلا تطورت عنه فى كثير من الأحيان هذه الدلالات الأخيرة كما سنرى فى غضون هذا الباب ، فالأولى أسبق من الثانية اتصالا بالبيئة ، وارتباطاً بها منذ نشأتها .

وأظهر هذه الألفاظ وأبرزها ما يتصل بالبيئة الصحراوية التى عاشت فيها هذيل ، واصطبغت بها حياتها التى فيها كثير من مظاهر البداوة ، وإن كانت لا تخلو فى بعض الأحيان من بعض مظاهر الحضر .

ألفاظ تتصل بالبيئة الطبيعية وحياة البداوة التى يحيونها :

لعل أهم هذه الألفاظ ما كان أمَسّ اتصالا بالبدوى فى حياته ، وفى خبائه الذى يؤويه ، كالطنب الذى يشد به خيمته ، والوتِد الذى يشد إليه هذا الطنب ، وبهذين معا يستطيع أن يذهب فى بعض الهضاب مصعداً ، أو يتزلق عنها منحدرا .

ويروى اللغويون أن الهذليين يسمون هذا الطنب أو الحبل « السِّب »[1] ، ويتخذون شاهدهم على هذا قول أبى ذؤيب :

« تدلى عليها بين سِب وخَيطة »[2]

---

(١) الصحاح « سبب ، وكف » . تاج العروس « سبب » . مقاييس اللغة « خيط » . البلغة ص ٤٤ . المزهر ١ / ١٤٩ .

(٢) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١٥ ، « تحقيق فراج » ١ / ٥٣ . شرح ديوان أبى ذؤيب « مخطوط تيمور » ص ٢٥ الصغانى : العباب ص ١٦٠ . الصحاح « خيط ، وكف » . اللسان ، وتاج العروس « وكف » . الجمهرة « خيط . نبل . بسس » . القالى : الأمالى ٢ / ٢٥٨ . شرح الشافية ٢ / ٩٠ . المزهر ١ / ١٤٩ .

ويجمعون السب على « سبوب » أى حبال ، ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية

« صب اللهيف لها السبوب بطغمة »[1]

ولعل إطلاق لفظ « السب » على الحبل يوائم ما سبق أن أشرنا إليه من أن البدو يميلون غالبا إلى الإدغام ، وأن هذيلا لها من ذلك نصيب ، فليس « السب » فى حقيقته إلا « السبب » أى الحبل ، ولكنه أدغم فيه الحرفان المتماثلان كما مر بنا ، ويبقى فرق آخر هو الفتح فى « السبب » والكسر فى « السب » ، وقد سبق أن رأينا أنه عند وجود الفتح والكسر يكون الفتح بالحضر أشبه ، والكسر - غالباً - للبدو أنسب .

وبينما نلمس هذا التقارب بين « السب ، والسبب » نجد أن بعض اللغويين ، ومنهم الأصمعى وابن سيده،يذكرون أن الخيطة هى الوتد [2] ، وقد أورد الجوهرى بيت أبى ذؤيب الذى سبقت الإشارة إليه مستشهداً به على تأكيد هذا المعنى [3] .

ولكن ليس بين الخيطة والوتد رابطة يمكن فى ضوئها تفسير اختيار هذيل لهذا اللفظ فى دلالته تلك - إن صح عنها هذا الاختيار .

وقد حمل ذلك بعض اللغويين أنفسهم كأبى عمرو على تفسير الخيطة بالخيط أو الحبل الدقيق [4] ، وعلى هذا الأساس كان تفسيره لبيت أبى ذؤيب ، ولكن ابن فارس يورد هذين المعنيين جميعاً [5] .

وهذا يدلنا على أن اختلافهم فى معنى الخيطة بين الوتد والخيط ، إنما هو خاضع لمدى فهمهم للشعر الهذلى ، واختلافهم فى هذا الفهم ، وليس قائماً دائماً - سواء فيما يختص

---

(١) اللسان « ندا ، لطظ » . الصحاح « سب ، لطط » . تاج العروس « سب ، لهف » الأمالى ٢ / ٢٥٨ .

(٢) اللسان « خيط » .

(٣) الصحاح « خيط » .

(٤) الصحاح ، واللسان « حيد » . شرح أشعار الهذليين « مراج » ١ / ٥٣

(٥) مقاييس اللغة « خيط » .

بهذا اللفظ أو غيره - على المشافهة والاتصال بهؤلاء الهذليين فى باديتهم ؛ ولهذا على الرغم مما فى تسمية الوتد بالخيطة من غرابة ، فإنى أرجحها ؛ لأنها من قول الأصمعى الذى ثبت اتصاله بهذيل فى باديتها ، ثم هو من أروى الناس لأشعارها ، فهو من أشد اللغويين اتصالا بها وبشعرها ولغتها .

هذا ، ولعل وجود هذه الملابسة بين الوتد والحبل أوحت إلى هذيل بهذه التسمية .

ومما يتصل بذلك لفظ « الشُّجوب » الذى ذكر اللغويون أنه أعمدة من عمد البيت فى مثل قول الشاعر :

« وهن معا قيام كالشجوب » [1]

وينسبون ذلك إلى أبى رَغّاس ، أو أسامة بن الحارث ، وكلاهما هذلى [2] . وإذا كانت « الشجوب » من أعمدة البيت فإن « السَّقْب » هو الطويل من هذه الأعمدة [3] .

ويذكر اللغويون أيضا أن الهذليين يسمون الخلل فى البيت « الخُلّاص » [4] .

أما عن بعض ما يتطلبه البيت من أثاث ، فمما ذكره اللغويون فى هذا الشأن « الزرابى » التى قالوا إنها الطنافس بلغة هذيل [5] . أما البيت نفسه فإنه إذا كان من أَدَم يسمى « الطِّرَاف » [6] .

ومن مطالب حياتهم اليومية « النار » ، وينقل إلينا الزَّبيدى قول ابن عباد بأن الهذليين يسمونها « الجمسة » بفتح فسكون [7] .

---

(١) مقاييس اللغة « شجب » .

(٢) اللسان « شجب »

(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٢٤ .

(٤) تاج العروس « خلص »

(٥) اللغات فى القرآن ص ٥٤ .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ١٢٤ .

(٧) تاج العروس « جمس » .

أما لفظ « إرَة » فمعناه في الشعر الهذلي غالباً موقد النار ، أو الحفيرة التي تتقد فيها النار ، وبهذا فسروا قول جنوب ترثى أخاها عمراً :

شبت هذيل وفهم بيننا إرة   ما إن تبوخ وما يرتد صاليها [1]

فقد استعارت هذا اللفظ للحرب ، ولكنه في حقيقة معناه « المؤقد » . وقد اختلف بعض اللغويين في مدلوله ، فهو النار نفسها ، أو موضعها ، أو استعارها .

وهذا الخلاف منشؤه الاختلاف في فهم النص .

أما دخان النار فكثيراً ما رأيناه بلفظ « الإيام » في الشعر الهذلي [2] .

ومما يتصل بحياة البادية الماء ، والأحواض التي تردها الإبل والشاء ، وهذيل في هذا تقول « أفرم » الحوض أي ملأه [3] والمفرم المملوء [4] ، وهذا المعنى ينقله ابن سيده وغيره عن أبي عبيد اللغوي المعروف [5] .

وقد تدرجوا في ذلك ، فأطلقوا هذا على غير الحوض والماء في مثل قول البُرَيق الخُناعي الهذلي :

وحيٍّ حلول لهم سامر   شهدت وشعبهمُ مفرم [6]

فهو هنا لم يستعمل لفظ « مفرم » للحوض والماء ، بل قصد به الحي من أحياء القبيلة يكثر أهله كثرة بالغة . فلعل هذا المعنى صورة من صور التطور في الدلالات ، إذ هو معتمد على المعنى السابق ، ومأخوذ منه .

---

(١) ديوان الهذليين ٣ / ١٢٦ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٥٨٢ .

(٢) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ص ١٥ . ديوان الهذليين ١ / ٧٩ . مقاييس اللغة « أيم » . اللسان « أوم » . المفصل ٥ / ٨٠٤ .

(٣) تاج العروس « فرم » .

(٤) اللسان « فرم » .

(٥) المخصص ١٠ / ١٢ .

(٦) ديوان الهذليين ٣ / ٥٥ .

ومن ذلك ما روى من قولهم « كأس دهاق » أى مملوءة وبه فسر قوله تعالى : « وكأسا دهاقا » [1] أى مملوءة بلغة هذيل [2] .

ومما نجده فى شعرهم أيضاً متصلا بحياتهم : «الوَليّة» ، ويفسرها اللغويون «بالبرذعة» ، أو بما يكسى به ظهر الجمل ، والجمع « ولايا » ، و « الوليحة » وهى الغرارة ، وجمعها « وليح » ، وذلك فى قول أبى ذؤيب :

رأيت وأهلى بوادى الرجيع فى أرض قَيلة برقاً مُليحا
يضىء ربابا كدهم المخاض جُللن فوق الولايا الوليحا [3]

وقد يطلقون على الغرارة أيضاً لفظ « قعيدة » ، والجمع « قعائد » ، ولعله صفة لها حين تكون ممتلئة ، فتقعد بنفسها لامتلائها من غير حاجة إلى ما يسندها ، ونجد هذا فى قول أبى ذؤيب :

له من كسبهن معذلجات قعائد قد ملئن من الوشيق [4]

فهذه الغرائر معذلجات أى ممتلئات باللحم المجفف . ويطلق لفظ قعيدة عند العوام فى بعض البلاد العربية على وعاء كبير من الفخار يقعد بنفسه ويتخذه الريفيون فى العجن. والصلة بين المعنيين ليست بعيدة .

ومن الألفاظ التى من هذا القبيل قولهم « الشيزَى » أى الجفنة [5] ، و « المِلّاح » بمعنى « المخلاة » [6] ، و « القُمْعل » ويقصدون به القدح الضخم [7] ، ويذكر ابن منظور

---

(١) سورة النبأ ٧٨ الآية ٣٤ .
(٢) اللغات فى القرآن ص ٥٣ .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٢٩ ، ١٣٠ .
(٤) المرجع السابق ١ / ٨٩ .
(٥) الجمهرة « زشى » .
(٦) اللسان « ملح » . الفائق ٣ / ٢٢ . النهاية ٤ / ٦ .
(٧) تاج العروس « قمل » .

هذا اللفظ « قمل » ، ومقلوبه « قلمم » ،وينسبها جميعاً إلى هذيل [1]. وفى النفس من هذا شىء إلا أن يكونا لبطنين متباعدين من بطون هذه القبيلة المترامية الأطراف .

وكان ينبغى – والحال هكذا – أن تكون هنالك دقة فى الرواية ؛ حتى لا يكون هذا التعميم الذى قد نجد ما هو أكثر تعميما منه فى مثل قولهم هذه لغة الحجاز ، وتلك لغة تميم ، فإننا فى بعض الأحوال نتقف كلامهم هذا غير جامع ولا مانع كما يقول المناطقة .

ومن هذه الألفاظ أيضاً ما ينقـــله إلينا علماء اللغة من أن هذيلا تسمى الباب « الواسط » [2] ، وأن « الشبج » محركاً هى عنـــدهم الباب العالى البناء [3] ويسوق اللغويون لذلك شاهداً من شعرهم هو قول أبى خراش :

ولا والله لا ينجيـــك درع مظـــاهرة ولا شبج وشيد [4]

ولـــكن رواية هذا اللفظ فى الديوان « شبح » بسكون الباء ، ثم بالحاء فى موضع الجيم [5] ، ويفسر بالباب فى عموم معناه دون تخصيص بباب معين .

فلعل هذين اللفظين « شَبَج » ، « شَبْح » قد صحف أحدهما إلى الآخر ، ويمكن أن يكون هذا التصحيف قد وقع فى البيت ، والوزن الشعرى هنا لا يحول دون ذلك ، فيمكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون إخلال بموسيقاه ، وربما كان هذا التصحيف من اللغويين أنفسهم – عن قصد أو غير قصد – كما يحدث أحياناً فى بعض الشواهد اللغوية .

ومن الألفاظ التى تنسب إلى هذيل « الدسر » بمعـــنى المسامير ، ومفردها عندهم « داسر » [6] ، و « القِطاع » فى معنى الدراهم [7] ، و « الوذيلة » فى معنى المرآة ، وإن

---

(١) اللسان « قمل » .
(٢) اللسان وتاج العروس « وسط » .
(٣) المرجعان السابقان « شبج » .
(٤) تاج العروس « شبج » .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٢ .
(٦) رسالة لغات القبائل ص ٢٢٤ . اللغات فى القرآن ص ٤٧ .
(٧) تاج العروس « قطع » .

كانت تنسب أحياناً إلى طيء [1] ، ولكن أبا عمرو الشيباني يروى عن بعض الهذليين نسبة ذلك إلى لغتهم ، ثم استفاض هذا في كتب اللغة ومعاجمها [2] ، ونجده ماثلا فيما رووا من شعر هؤلاء الهذليين كقول أبي كبير :

ويياضِ وجه لم تحل أسراره مثلُ الوذيلة أو كسيف الأنصر [3]

هذا وقد فسر بعضهم الوذيلة بأنها سبيكة الفضة [4] ، ويبدو أن هذا الاختلاف مرده إلى اختلافهم في فهمهم للشعر الهذلي ، كما سبق أن ذكرنا . فقد رأى بعضهم من سياق المعنى في هذا البيت أن هذه الوذيلة في بياضها ولألائها إنما هي المرآة ، وبعضهم رآها سبيكة من فضة على هدى الذهب أو الأنضر الذي ختم به البيت . ومنهم من ذهب بعيداً ، فلم يقتصر على هذا الخلاف في المدلول ، بل أضاف إلى الموضوع خلافاً آخر في اللفظ نفسه ، فرواه في البيت « المذية » في موضع « الوذيلة » ، وإن كان قد ذهب في تفسيرها مذهب القائلين بأنها المرآة ، فجعلها المرآة المجلوة [5] . فالمسألة إذن مسألة اجتهاد محض .

ولكني أرجح القول السائد بأن الوذيلة هي المرآة ؛ لأن فيه رواية صريحة أشرنا إليها عن أبي عمرو عن بعض الهذليين أنفسهم ، ولأنه مستفيض عند جمهور اللغويين والرواة ، وما عداه من خلاف هو خلاف يسير ليس في الحق ذا بال في هذا الشأن .

الملابس :

ومما يتصل بحياتهم ثيابهم وما يلحق بها ، فهم يسمون الثوب « الفرض » [6] وقد ورد هذا في قول صخر الغي :

---

(١) اللسان « وذل » المخصص ٤ / ٥٩ .

(٢) كتاب الجيم ١ / ٢٨١ . إصلاح المنطق ص ٣٨٥ . الصحاح ، اللسان ، تاج العروس « وذل » الزمخشري : الفائق ٢ / ٢٣٩ . ابن الأثير : النهاية ٤ / ٢٠٣ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٢ . اللسان « نضر » والرواية فيه « وبياض وجهك . . . أو كشنف » والجمهرة « ذ ل و » والرواية فيها « كشنف » بدل سيف .

(٤) الجمهرة « ذ ل و » . وانظر ديوان الهذليين ٢ / ١٠٢ في شرح البيت والتعقيب عليه .

(٥) اللسان « مذء » .

(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٦٩ « حاشية ٣ » . شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ٢٩٥ .

أرقت له مثل لمع البشير ... يُقلب بالكف فرضاً خفيفاً [1]

وإذا كان اللغويون قد اختلفوا — كدأبهم — في معنى الفرض بين الترس والعود والقِدح والخرقة [2]، فإن الأصمعي — مع هذا — قد فسره بالثوب، ويروى ذلك عن بعض أعراب هذيل[3].

وإذا كان هذا ما قيل في الثوب على حاله المعتادة، فإن الحشيف عندهم هو الثوب الخَلَق [4].

ويروى الزبيدي قول ابن عباد إن الطليل هو الخَلَق[5]، ولكن يبدو أن في الكلام تحريفا أدى إلى الخطأ في مدلول هذا اللفظ الذي يذكر ابن عباد أنه « الحلو » في كلام هذيل، ويسوق المادة كلها في معنى الحسن والطلاوة والعذوبة والجمال[6]. وهذا هو المدلول الصحيح لذلك اللفظ، ومنه الطلاوة المعروفة في اللغة بمعنى الحسن والرواء.

وربما كان من ألفاظهم في هذا المجال لفظ « الخَيْعل » ويذكر اللغويون أنه درع يخاط أحد شقية ويترك الآخر[7].

ولعل من ذلك أيضاً « السحْـل » وجمعه سُحُل، وهو نوع من الثياب موصوف في شعرهم بالبياض [8] ومفردها سحيـل، و « الرّهاط » وهي أزر تشقق تجعل للصبيان، واحدها رهْط، ويقال الرهط تتخذه المرأة إذا حاضت [9]، فهي هي في الحالين شيء واحد. أما النصيف فهو الخمـار[10]، والسبت النعل المدبوغ أو

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٦٩ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٤٣ ، « تحقيق فراج » ١/٢٩٥ .
(٢) المرجع الأخير « الموضع نفسه » .
(٣) المرجع السابق « الصفحة نفسها » . ديوان الهذليين ٢ / ٦٩ « حاشية ٣ » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٠٣ ، ٢ / ٦٣ . شرح ديوان أبي ذؤيب « الشنقيطي » ورقة ١١٧ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٨٧ .
(٥) تاج العروس « طلل » .
(٦) المحيط « طل » .
(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٣٤ .
(٨) ديوان الهذليين ٢ / ١٠ .
(٩) المرجع نفسه ٢ / ٢٤ .
(١٠) ديوان أبي ذؤيب « الشنقيطي » ١٠٤ . ديوان الهذليين ١ / ١٠٣ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٨٧ .

هو النعل من جلود البقر ، وكثيراً ما جاءت به أشعارهم [1] .

المهن والحرف :

ومن قبيل المهن أو الحرف التي ترتبط مسمياتها ، وأسماؤها بحياتهم ما تسبه اللغويون إليهم من قولهم : « جرن الحب جرنا » أى طحنه طحنـا شديداً ، والحب المطحون نفسه « جرين » ، ويسوقون لذلك شاهداً ينسبونه إلى أحد شعراء هذيل يقول :

ولسوطه زجل إذا آنسـتـه　　جرى الرحى بطحينها المجرون [2]

وكذلك قولهم « شتّن » الثوب إذا نسجه ، والناسج « شاتن » [3] .

ومن الألفاظ التي ينسبها اللغويون إليهم أيضاً قولهم : «الفعفعاني» هو القصاب في لغة هذيل(٤) . وقد أورد ابن فارس هذا اللفظ غير منسوب إلى قبيلة بعينها ، ولكنه ورد عنده بالغين المعجمة « فغفغاني » ، وقد فسره بالقصاب أو الراعي(٥) . ومن المراجع ما يذكر لفظ « فعفعى » إلى جانب «فعفعاني» ويطلقها معا على القصاب عندهذيل[6] .

والحق أن لفظ فعفعى هو الذي ترتاح النفس إليه ، فهو الذي وافانا به شعر الهذليين كما في قول صخر الغي :

فنادى أخاه ثم قام بشفرة　　إليه اجتزار الفعفعى المناهب [7]

ولا أدرى كيف يذكر اللغويون هذا البيت مستدلين به على وجود « الفعفعاني » بمعنى القصاب مع أنه لا أثر لهذا اللفظ فيه .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٢٢ ، ٢٣٣ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٩٢ .
(٢) تاج العروس « جرن » .
(٣) اللسان « شتن » .
(٤) اللسان « فعفع » . الجمهرة « عفعف » .
(٥) مقاييس اللغة « فغ » .
(٦) المحكم « فعع » .
(٧) تاج العروس « فعفع » .

ومع هذا قد فسر بعض هؤلاء اللغويين «القمقمي» بالخفيف، وبعضهم بالراعي[1]، وكل هذه المعاني مأخوذة من سياق البيت، ومضمون عبارته، ولكن الرأي الغالب السائد هو أنه القصاب لوضوحه وظهوره بالقياس إلى المعنيين الآخرين؛ فقد رشح له بعض ألفاظ البيت كوجود الاجتزار والشفرة فيه.

ومما يتصل بالقصاب تحديد الشفرة، وقد ذكر اللغويون في هذا أن الحز هو التحديد في لغة هذيل، يقال حز حديدته إذا حدها (٢)، ومنه قول أبي خراش:

منيبا وقد أمسى تقدم وردها   أقيدر محموز القطاع نذيل (٣)

فالقطاع المحموزة هي النصال والسهام الصلبة المحددة (٤). وكذلك جاء في شعرهم السكين «الحاذق» أي القاطع الحاد، وذلك في قول أبي ذؤيب:

يرى ناصحا فيما بدا وإذا خلا   فذلك سكين على الحلق حاذق [5]

ورواية أبي عمرو «حالق» أي يحلق كل شيء (٦).

ومن الحرف التي تتصل ببيئتهم الرعي، وقد سبق أن رأينا اختلاف اللغويين في معنى «القمقمي» عندهم هل هو القصاب أو الراعي. أما أدوات هذا الراعي، فمن أهمها «الظبية» وهي خريطة فيها أداته (٧). ويستقي اللغويون شاهدهم على وجود هذا اللفظ في اللغة من الشعر الهذلي (٨).

---

(١) تاج العروس «قمقم». المحكم «قمع». العين «قم» والرواية فيه «إليه قعال القمقمي». ديوان الهذليين ٢ / ٥٥. تاج العروس «قمقم».

(٢) تاج العروس، اللسان «حز».

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٢٠.

(٤) المرجع السابق «الموضع نفسه»، تاج العروس «حز».

(٥) ديوان الهذليين ١ / ١٥١. شرح ديوان أبي ذؤيب «مخطوط الشنقيطي» ورقة ١٢٠ «تيمور» ص ١٤٥.

(٦) المرجع الأخير «الموضع نفسه».

(٧) الجمهرة «نطى».

(٨) المرجع السابق «المادة نفسها».

ولعل هذه الخريطة كانت تصنع ، ولو فى بادىء الأمر ، من جلد الظبى فاكتسبت هذه التسمية .

ومن الحرف فى هذه البيئة التى يكثر فيها النحل البرى اشتيار العسل وجمعه ، ومشتار العسل يصطحب خريطة من أَدَم يشتار فيها ، يسميها الهذليون « الخافَة » ، وفى هذا يقول أبو ذؤيب :

« تأبط خافة فيها مساب »[1]

والمساب هو السقاء ، وخصه السكرى ، وبعض اللغويين الآخرين بأنه سقاء العسل[2] . أما سقاء الماء المسمى « بالراوية » فهو عند الهذليين « مزادة » ، والرجل المستقى لأصحابه « مستخلِف » ، ونجد هذا وذاك فى قول أبى كبير :

عجلت يداك لخيرهم برشة كالعط وسط مزادة المستخلف[3]

أى بطعنة نجلاء هى كالشق فى هذه المزادة .

مظاهر الطبيعة :

لعل من ألصق الأشياء اتصالا بالبدو مظاهر الطبيعة المختلفة من بر وبحر ، وسهل وجبل وصخر ، وريح وسحاب ومطـــر . . . ومن ذلك قولهم للأرض المستوية الحصيد[4] ، وللفناء أو الساحة العَيقة[5] ، وهذا اللفظ كثير الدوران فى الشعر الهذلى ، ومنه قول المتنخل :

هل هاجك الليـــل كليل على أسمـــاء من ذى صُبُر مخيل

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٨٧ . شرح ديوان أبى ذؤيب « مخطـــوط الشنقيطى » ورقة ١١٣ . « مخطوط تيمور » ص ١٦٥ . الصحاح « خوف » .

(٢) القاموس ، تاج العروس « سأب » .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٩ .

(٤) رسالة لغات القبائل ص ٢١٠ .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٦ . اللسان « عيق » . معجم البلدان ٦ / ٣٨١ .

أنشأ في العيقـة يرمي له   جـوف رَباب وره مثقل (١)

ولعل الصبُر والرباب في هذين البيتين – وكلاهما من أنواع السحاب – لغة لهذيل ، وإن لم تكن قد استقلت بها عن غيرها من العرب .

ومما ورد فيه لفظ العيقة من شعر هذيل أيضاً قول ساعدة بن جؤية :

ومشربٍ ثغر للرجال كأنهم   بعيقاته هدءا سباع خواشف (٢)

وقول ساعدة نفسه :

سادٍ تجرم في البضيع ثمانيا   يُلوِى بعيقات البحار ويُجنب (٣)

أما البضيع فهو الجزيرة في البحر (٤) كما يروى اللغويون مستدلين بهذا البيت من شعر ساعدة .

ومن قبيل هذا ما يذكره اللغويون من أن قوله تعالى : « وترى الأرض هامدة » (٥) معناه مغبرّة بلغة هذيل (٦) ، وأن هذيلا تقول للأرض الموافقة لكل من نزل بها « مَفناة » بالفاء ، ولكنهم يقولون هذا تعقيباً على بيت من شعر هذيل هو لقيس بن العيزارة يقول :

بما هي مقنـاة أنيق نبـاتها   مرب فتهواها المخاض النوازع (٧)

ومن الغريب أنهم قد اتفقوا تقريباً على رواية هذا اللفظ في البيت « مقناة » بالقاف

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٦ .

(٢) المرجع السابق ١ / ٢٢٤ .

(٣) المرجع السابق ١ / ١٧٢ . اللسان « جرم ، سدا ، عيق » ، مقاييس اللغة ، تاج العروس « عيق » .

(٤) تاج العروس « بضع » .

(٥) سورة الحج ٢٢ الآية ٥ .

(٦) اللغات في القرآن ص ٣٧ . رسالة لغات القبائل ص ٤٢ .

(٧) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٢٩٤ ، « تحقيق فراج » ٢/٥٩٣ . ديوان الهذليين ٧٩/٣ . التمام ص ١٧ والرواية فيها « فترعاها » مكان « تهواها » . تاج العروس «قنى» . اللسان «فنى» .

دون الفاء ، ثم هو من الشعر الهذلي باتفاقهم لغويين وأدباء ، حتى السكري نفسه شارح أشعار الهذليين وراويها وجامعها يروى البيت بهذه الرواية ، فكيف يقرنون بين ماورووا من شعر هذلي ، وما قرروا من حكم مخالف على لغة هذيل ؟ وهل معنى هذا أنهم أقروا رواية البيت الهذلي على ما ألفوا وألف الناس من لغة عامة على الرغم من أنها تخالف لغة هذيل ، ثم أبقوا على هذا الحكم تنبيها على هذه اللغة الهذلية الخاصة ؟ أو أنهم قد أخطأهم التوفيق حين جاء حكمهم فى واد ، وروايتهم للبيت فى واد آخر ؟

ومن الألفاظ التى نسبها اللغويون إلى الهذليين إطـــلاقهم على النواحى لفظ « الأرجاء » [1] ، وعلى الأقاليم « الأعراض » [2] ، ونجد هذا اللفظ فى قول البريق الخناعي :

« لنا الغور والأعراض فى كل صيفة » [3]

وفى هذا يقول السكرى : الأعراض فى لغة هذيل الرساتيق [4] ، ولكن أبا ذؤيب نطقها « عراض » فى قوله :

أمنك برق أبيت الليل أرقبه كأنه فى عراض الشام مصباح[5]

ويعتبرها اللغويون جمعاً للكثرة [6] .

وإذا كان علماء اللغة قد اختلفوا فى معنى «الملطاط» فذكروا من معانيه أنه « حرف من أعلى الجبل وجانبه [7] ، وأنه « ساحل البحر » ، و « حافة الوادي وشفيره » [8] ، فإنهم — مع ذلك — يسوقونه بالمعنى الأخير فى قول ابن مسعود :

---

(١) رسالة لغات القبائل ص ٢٦٢ . اللغات فى القرآن ص ٥٠ .

(٢) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٧٥٠ .

(٣) المرجع السابق « الموضع نفسه » . ديوان الهذليين ٣ / ٦٠ .

(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٧٥٠ .

(٥) ديوان الهذليين ١/ ٤٧ شرح ديوان أبى ذؤيب «تيمور» ص ١٠٥ ، «الشنقيطى» ورقة ١٠٨ .

(٦) اللسان « عرض » .

(٧) القاموس وتاج العروس « لطط » .

(٨) اللسان والقاموس وتاج العروس « لطط » .

« هذا الملطاط طريق بقية المؤمنين هروباً من الدجال »[1] . . ويذكرون أنه يعني بهذا شاطىء الفرات ، فلعل الملطاط هو عند هذيل بالمعـــنى الأخير أي الوادي أو جانب منه .

وهم ينقلون إلينا كذلك أن الهذليين يقولون « المشـكل » للصخر [2] ، والتيهور لما بين أعلى الجبل وأسفله [3] أي سفحه ، والحجر « الصـــلد » في لغتهم هو الحجر الأجرد [4] أو النقي [5] .

وهم يسمون الطريق في وسط الصخور والجبال « سنيعه » وجمعها « سنائع » [6] .

كما يسوق هؤلاء اللغويون في تفسيرهم للشعر الهذلي أن الطريق السهل بين جبلين ، أو الطريق وراء جبل أو خلف واد « خليف » [7] ، وكذلك يقولون « مخلفة » في معنى الطريق ، فيقال : « الزم المخلفة الوسطى » أي الطريق الأوسط[8] .

وقد يقال إن المخلفة هي الأخرى طريق وراء جبل[9] أو طريق في سهل أو جبل[10] ولكن الذي ورد في شرح السكري منسوباً إلى الأصمعي هو أن كل طريق مخلفة [11] ولعل هذا هو القول الصحيح .

ومما جاء فيه لفظ « خليف » من الشعر الهذلي قول صخر الغي :

---

(١) اللسان « لطط » .

(٢) التمام ص ١٦٧ . مقاييس اللغة واللسان « شكل » .

(٣) المخصص ١٠ / ٧٥ . تاج العروس « تيهور » . اللسان « تهر » .

(٤) اللغات في القرآن ص ٢٢ .

(٥) رسالة لغات القبائل ص ٤٧ .

(٦) اللسان « سنع » .

(٧) ديوان أبي ذؤيب « الشنقيطي » ورقة ١١٦ ، « تيمور » ص ١٧٠ . ديوان الهذليين ٢/ ٧٦ .

(٨) الجمهرة « خلف » .

(٩) ديوان الهذليين ١ / ٩٨ .

(١٠) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٨٤ .

(١١) المرجع السابق « الموضع نفسه » .

« تيممت أطرقة أو خليفاً » [1]

وقول أبى ذؤيب :

« وأمسلة مدافعهـا خليـف » [2]

ومما ورد فيه « مخلفة » قول أبى ذؤيب أيضاً :

تؤمل أن تلاقى أم وهـب   بمخلفـة إذا اجتمعت ثقيف [3]

وليس هذا كل ما روى لهم من ألفاظ فى شأن المسالك والطرق على اختلافها ، فهم يصفون الطريق المذلل الواضح بقولهم : طريق « دُعبـوب » ، ونجد ذلك فى قول أبى خراش :

« طريقها سرِب بالنـاس دعبوب » [4]

ثم إن اللغويين يذكرون أيضاً أن هذيلا تطلق لفظ « الأُنبوب » على نوع خاص من الطرق داخل الجبال [5] ، ونجد هذا اللفظ فى قول مالك بن خالد الخناعى :

فى رأس شاهقة أنبوبها خصِر   دون السماء له فى الجو قُرناس [6]

وإذا كان هذا هو شأن « الأنبوب » وتفسيرهم إياه ، فإنا نجدهم يفسرون القرناس بأنه رأس الجبل (أى قمته) .

ومما ذكر فى هذا المجال قولهم إن « الشِّيق » جزء من سفح الجبل شديد الانحدار ،

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٣٠١ . ديوان الهذليين ٢ / ٧٦ . اللسان وتاج العروس « خلف » . معجم ما استعجم « أطرقا » .

(٢) شرح ديوان أبى ذؤيب «الشنقيطى» ورقة ١١٦ «تيمور» ص ١٧٠ . ديوان الهذليين ١/ ١٠١ .

(٣) ديوان الهذليين ١/ ٩٨ . شرح ديوان أبى ذؤيب «الشنقيطى» ورقة ١١٥ «تيمور» ص ١٦٧ . الجمهرة « خفل » .

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٥٩ . تاج العروس « دعب » .

(٥) ديوان الهذليين ٣ / ٢ . تاج العروس « الأنبوب » . اللسان « نبب » .

(٦) ديوان الهذليين ٣ / ٢ .

صعب المرتقى ، ويسوق الجوهرى فى هذا قول أبى ذؤيب[1] :

تأبط خافة فيها مساب فأضحى يقترى مسدا بشيق

وكذلك نجد هذا البيت فى دواوين شعر هذيل[2] .

ولكنهم — مع ذلك — يذكرون لهذا اللفظ معانى كثيرة فى كتبهم ومعاجمهم ، ومن معانيه عندهم أنه : الضيق فى الجبل أو فى رأسه ، أو الشق بين صخرتين ، أو الجبل الطويل(٣) أو أعلى الجبل[4] وبكل هذا فسروا قول أبى ذؤيب السابق ذكره .

وهذا يؤكد ما نبهنا إليه من أن الأمر كثيراً ما يكون أمر اجتهاد قائم على الفهم — فى تفاوت أو تقارب — للفظ الواحد فى البيت الواحد من شعر هؤلاء الهذليين .

* * *

وإذا كان هذا هو شأنهم مع السهول والوديان ، والصخور والجبال وما يخترقها من مسالك وشعاب ، فماذا كان شأنهم مع النجوم والرياح ، وما يلابسها من سحب وأمطار ؟

يذكر اللغويون أن ما وصفت به النجوم والشهب فى القرآن الكريم بلفظ « ثاقب » كما فى قوله تعالى : « النجم الثاقب »[5] ، « شهاب ثاقب » (٦) . . فهو بمعنى مضىء فى لغة هذيل(٧) ، أو فى لغة هذيل وكنانة (٨) . وكذلك « كوكب منحرد » أى منفرد فى لغة هذيل ، ومنجرد أى منقض[9] .

---

(١) الصحاح « خوف » .

(٢) ديوان الهذليين ١/٨٧ . شرح ديوان أبى ذؤيب «الشنقيطى» ورقة ١١٣ «تيمور» ص ١٦٥ .

(٣) تاج العروس « الشيق » .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٨٨ .

(٥) سورة الطارق ٨٦ الآية ٣ .

(٦) سورة الصافات ٣٧ الآية ١٠ .

(٧) اللغات فى القرآن ص ٤٢ . الإتقان ١ / ١٣٤ .

(٨) رسالة لغات القبائل ٢ / ١٤٤ ، ٢٩٢ .

(٩) العباب الزاخر ورقة ١٤٦ .

ثم إنهم يقولون للريح الباردة أو ريح الشمال « أم مِرزم » ، وقد نجد هذا اللفظ عندهم فى مثل قول صخر الغى :

إذا هو أمسى بالجِلاءة شاتيا ... تُقشر أعلى أنفه أم مرزم [1]

فيذكر ياقوت فى معجمه أن « أم مرزم » هى الريح الباردة بلغة هذيل ، ثم يسوق هذا البيت من شعر صخر [2] .

وإذا كانت « أم مرزم » هى عندهم « ريح الشمال » ، فإن « الأزْيَب » هى الجنوب [3] ، وإلى جانب ما أوردته بشأنها معاجم اللغة ، نتقفها كذلك فى الشعر الهذلى [4] ، ويقال إنهم يسموتها « النُعامى » أيضاً [5] . وقد ورد هذا اللفظ فى شعر ساعدة بن جؤية [6] ، وشعر أبى ذؤيب [7] ويفسره شراح شعر هذيل هذا التفسير .

ويضيف بعض اللغويين إلى هذا أن هذه الريح تسمى عند هذيل « مِسْع » وعند بعض الحجازيين « يُسع » ، وعند غيرهم « نِسع » [8] .

ومع هذا نجد لفظ « نسع » ماثلا فى الشعر الهذلى فى مثل قول المتنخل :

قد حال دون دريسيه مؤوبة ... نِسع لها بعضاه الأرض تهزيز [9]

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٦ . مقاييس اللغة ١ / ٢٣ . معجم ما استعجم « الجلاءة » ، والرواية فيه : كأنى أراه بالجلاءة .

(٢) معجم البلدان « الجلاءة » .

(٣) تاج العروس « زيب » . اللسان « يسع » . المخصص ١٧ / ٩ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٩٠ .

(٥) اللسان « نسع » .

(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٢ . اللسان « صبر » .

(٧) شرح ديوان أبى ذؤيب « الشنقيطى » ورقة ١٢٥ . ديوان الهذليين ١ / ١٣٢ . تاج العروس « عرف » .

(٨) الصحاح «مسع» . اللسان «يسع» . تاج العروس « يسع ، نسع » . واستدراك فى مادة «يفع» .

(٩) ديوان الهذليين ٢ / ١٦ . المحكم ١ / ٣٣١ . المنصف ٢ / ٦٠ . سمط اللآلى ٢ / ٧٢٤ . الصحاح « مسع » .

وقول قيس بن خويلد :

ويلمها لِقحــــة إما تأوَّبهــم   نسع شـآمية فيها الأعاصير [1]

وهذا يدلنا على أن نسبة هــــذه الألفاظ فى دلالاتها إلى هذيل وغيرها تعوزها الدقة المطلوبة .

ومن هذا القبيل من الخلاف أن لفظة « الأَير » التى عبرت عنها المعاجم بأنها « ريح الصبا » قد اختلف بعض اللغويين فى مدلولها ، فقال قوم « هى ريح حارة ذات أوار ، وقال آخرون هي الشمال الباردة بلغة هذيل » [2] معتمدين فى ذلك على قول حذيفة بن أنس الهذلى :

وإنا مسامِيحٌ إذا هبت الصبـا   وإنا مراجيح إذا الأير هبت [3]

وينبئنا اللغويون والرواة أن الهذليين يطلقون لفظ « الخَلوج » ويريدون به السحاب المتفرق ، كأنه قد خلج من معظم السحاب [4] .

* * *

أما المطر فنجدهم يقولون إنه الرجع عند هذيل [5] ويشير ابن سيده إلى أنه يسمى عندهم بالخَرْج مستشهداً بقول أبى ذؤيب :

وهى خرجه واستجيــل الربا   ب عنه وغرم ماء صريحاً [6]

ونجد هذا البيت فى شعر أبى ذؤيب من الديوان [7] .

---

(١) الصحاح وتاج العروس « نسع » ، شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٦٠٧ . وفيه « مسع » بالميم ، وينسب البيت لقيس بن عيزارة .

(٢) مقاييس اللغة « أير » .

(٣) مقاييس اللغة « أير » . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ص ٢٢٣ .

(٤) اللسان وتاج العروس « خلج » .

(٥) المخصص ؟ / ١٢٠ .

(٦) المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ١٣١ .

وهم كذلك ينطقون « القَسْم » مقصوداً به الغيث ، إذ يقولون فى استمطارهم : « اللهم اجعلها عشية قسم من عندك ، فقد تلوحت الأرض » [1] .

فهم يريدون بالقسم الغيث ، ولكن تسمية الغيث هكذا بالقسم إنما هى — فيما أحسب — تسمية مجازية يجعلون فيها الغيث نصيباً ، ورزقاً مقسوماً ؛ لما بين اللفظين من رباط قوى ، ولعله كان هكذا فى بداية أمره ، ثم تحول بمرور الوقت ، وكثرة الاستعمال إلى حقيقة .

الحيوان والوحش والطير والزواحف والحشرات :

ومن الظواهر الأخرى فى بيئتهم ما يوجد فيها ، أو يحيط بها من حيوان ووحش وطير ، ولهم فى بعض ذلك أسماء خاصة يطلقونها على مسميات تخالف فى بعض الأحيان نظائرها فى مألوف اللغة .

ومن ذلك ما يذكره ابن سيده وغيره من أن « السِّيد » هو الأسد فى لغة هذيل[2] ، وما يقوله الجوهرى والزبيدى ومن وافقهما من أن الأسد يسمونه « السِّرحان » فى هذه اللغة أيضا [3] مع أن كلا اللفظين إنما يطلق على الذئب فيما هو مألوف .

وليت شعرى كيف يسمى الأسد « سِيداً » ، وسِرحاناً » فى وقت واحد عند قبيلة واحدة كهذيل ؟ فهل يؤدى اختلاف البطون الهذلية إلى مثل هذا الخلاف ؟ أوأنه يجوز أن يكون أحد هذين اللفظين قد استعمل فى فترة سابقة ، ثم حل محله الآخر فى فترة لاحقة من فترات التطور ؟ وهل يمكن — والحال هكذا — أن يسجل الشعر الهذلى اللفظين معا كما هو كائن فعلا ، مع أن الشعر المروى قصير الأمد ، فهو لا يمد أطنابه إلى عصور الجاهلية الأولى ، ولا يمثل فيها آمادا متطاولة ، ولا أحقاباً بعيدة يمكن أن يقال إنه قد تم فيها تطور لغوى محسوس يمثله الشعر ؟ وهل يمكن أن يكونا قد وجدا معاً

---

(1) تاج العروس والأساس « قسم » .

(2) ديوان الهذليين ٣/٢٥ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط الشنقيطى » ص ١٧٣ ، «تحقيق فراج» ٢ / ٥٦١ . تاج العروس « سود » . المخصص ٨ / ٦١ .

(3) الصحاح ، وتاج العروس « سرح » . الجمهرة « سرس » . الأمالى ١ / ١٠٦ . ديوان الهذليين ٢ / ٢٤٠ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ص ٣٥ ، « تحقيق فراج » ١ / ٢٨٥ .

فى فترة معينة ، ولـكن أحدهما ناشىء فى طريقه إلى الذيوع ، والآخر غارب فى طريقه إلى الفناء ؟

إنى أرجح أن مصدر هذه التسمية عند اللغويين فى الحالين هو أن كلا من هذين اللفظين قد جاء فى الشعر الهذلى فى موطن الشجاعة والمواثبة كما فى قول أبى المثلم يرثى صخر الغى :

هبّاط أودية حمّال ألوية   شهّاد أندية سرحان فتيان [1]

وقول حذيفة بن أنس :

بنو الحرب أرضعنا بها مقمطِرّة   فمن يُلق منا يلق سيد مدرب [2]

فاستنتج اللغويون أن المقصود بالسيد فى هذين البيتين وأمثالها إنما هو الأسد ؛ لأنه المثل الأعلى فى الشجاعة والجرأة النادرة ، ولـكن ليس هذا دليلا قاطعاً يعتمد عليه فى إثبات ذلك لهذيل ؛ فإن هؤلاء اللغويين أنفسهم يفسرون « السيد » ، « والسرحان » بالذئب حينما يقتضى المقام ذلك التفسير ، فالسرحان عندهم هو الذئب ، والسراح الذئاب فى قول مالك بن الحارث :

ويوماً نقتل الأثآر شفعاً   فنتركهم تنـوبهم السراح

وهكذا نجد تفسيره فى دواوين شعر هذيل تعقيباً على هذا البيت[3] ولا يمكن — فيما أحسب — أن تكون السراح هنا هى الأسود ؛ لأن الأسود لا تأكل الجيف ، ولعلهم أدركوا هذا ، فاضطروا إلى أن يجعلوا السرحان فى هذا المقام ذئباً ، وإن كانوا قد جعلوه فى موطن آخر أسداً كما رأينا .

ومع ذلك فإن بعض اللغويين يلجأ إلى التعميم فى إطلاق لفظ السرحان على الأسد إذ ينسب ذلك إلى الحجازيين ، ولا يخص به هذيلا أو غير هذيل من قبائلهم ، فيقول « إن أهل الحجاز يسمون الأسد سرحانا » ، وشاهده على ذلك بيت من شعر عمرو بن

---

(١) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ص ٣٤ ، « تحقيق فراج » ١ / ٢٨٠ . ديوان الهذليين ٢ / ٢٣٩ . تاج العروس « سرح » . حياة الحيوان ٢ / ٢٦ .

(٢) ديوان الهذليين ٣ / ٢٥ .

(٣) ديوان الهذليين ٣ / ٨١ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢٣٨ .

معد يكرب الزبيدى[1] وهذا يدل على أن فى الأمر اضطراباً يغض منه ، ولا سيما إذا ما عرفنا أنهم حين يجعلون ذلك لغة الحجاز لا يلبثون أن يجعلوه لغة نجد[2] .

هذا ولفظ « السيد » هو الآخر نراهم يفسرونه أحياناً فى الشعر الهذلى بمعنى الذئب، وذلك فى قول أبى ذؤيب :

قد ابقي لك الأين من جسمه   نواشر سيد ووجهاً صبيحاً [3]

فالنواشر هى العصب فى باطن الذراع ، وهم يرونها فى الذئب أكثر امتداداً ووضوحاً منها فى الأسد ؛ لهذا فسروا السيد فى هذا الموضع بالذئب[4] . ويقول السكرى فى ذلك « يريد أنه قوى اليد كيد الذئب ، ولم يقل الأسد ؛ لأن الذئب نواشره ممتدة ، وساعد الأسد كأنه كسر ثم جبر ، فليست نواشره ممتدة »[5] .

وهكذا يفسرون السيد بالذئب فى هذا الموطن ، وقد فسروه بالأسد فى غيره .

ولكنا إذا كنا قد استبعدنا تسمية الأسد سرحاناً عند هذيل ، فلا يبعد - مع هذا - أن يكونوا قد سموه ، أو سماه بعضهم « بالسيد » ، ولعل مما يقوى هذا الظن قول أمية ابن أبى عائذ :

تكنفنى السّيدان : سِيد مواثب   وسيد يوالى زأره بالتبلل[6]

فالزأر أو الزئير حينما يراد به حقيقته ، فإنه - لا شك - يكون من خصائص الأسد .

---

(١) الجمهرة « حرس » .

(٢) المرجع السابق « ر ص ع » .

(٣) ديوان أبى ذؤيب « مخطوط الشنقيطى » ورقة ١٢٧ « مخطوط تيمور » ص ١٨٦ . ديوان الهذليين ١ / ١٣٥ . شرح أشعار الهذليين (فراج) وفيه (الغزو) بدل (الأين) ١/٢٠٣ .

(٤) المرجعان السابقان « الصفحات نفسها » .

(٥) ديوان أبى ذؤيب « الشنقيطى » ورقة ١٢٧ . « تيمور » ص ١٨٦ .

(٦) تاج العروس « بلل » . شرح أشعار الهذليين (فراج) وفيه (يتالى) بدلا من (يوالى) .

وكذلك قول مالك بن خالد الخناعي :

أتى مالك يمشى إليه كما مشى إلى خيسه سيد بخفان قاطب[1]

فالسيد هنا الأسد ، وخيسته غابته أو أجمته .

وإذا كنا نرى هذيلا تطلق بعض هذه الأسماء على الأسد ، وهى فى المألوف ليست له ، فإنا نجد — مع هذا — أن بعض أسماء الأسد المشهور إطلاقها عليه « كالليث » يطلقه هؤلاء الهذليين — فيما يروى — على الرجل اللسن الجدل[2] ، وإذا صح هذا عن هذيل ، فإن هناك صلة بين المدلول الأصلى للكلمة ، وهو « الأسد » وبين الفصيح اللسن ، فكلاهما يصول ويجول ، وإن كان لكلٍّ ميدانُه واتجاهه .

ومما يروونه من أسماء الحيوان أيضاً ما جاء من تسمية النمر « السَبَنْتَى » [3] وقد ورد هذا اللفظ فى شعر هذيل كقول صخر الغي :

ومـاء وردت على زورة كمشى السبنتى يراح الشفيفا[4]

وكذلك تسمية الذئب « أويساً » مصغر « أوس » ، وقد ورد هذا فى شعر الهذليين على لسان رجل من هذيل (هو أبو خراش فى رواية أبى عمرو ، وعمرو ذو الكلب فى رواية الأصمعى)[5] .

يا ليت شعرى عنك والأمر عمم هل جاء كعبا عنـك من بين النسم

ما فعل اليـوم أويس بالغـنم قاح لها فى الريح مِرّيح أشم[6]

ومن عجب أنه بينا نجد رواية الديوان للفظ « مِريح » فى الشطر الأخير بالحاء فى

(١) شرح أشعار الهذليين « الشنقيطى » ورقة ١٧٣ .
(٢) شرح أشعار الهذليين « مخطوط الشنقيطى » ٧٤ . اللسان ، تاج العروس « ليث » .
(٣) اللسان « زور » .
(٤) ديوان الهذليين ٢ / ٧٤ .
(٥) تاج العروس « أوس » . شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٥٧٥ .
(٦) ديوان الهذليين ٣ / ٩٦ .

معنى مرِح أو شديد المرح ، وينتهىَ الأمر عند هذا – نجد على النقيض من ذلك أن بعض اللغويين يرويها بالخاء « مريخ » ، وينسب الأبيات – بعد تقديم وتأخير ، وخلاف كبير – لعمرو ذى الـكلب الهذلى ، ثم يخرج من هذه الرواية بأن المريخ هو الذئب ، وتلك لعمرى تسمية غريبة لعلها جاءت نتيجة التحريف فى رواية هذا اللفظ فى الشعر الهذلى [1] .

ومن أسماء الحيوان التى نحن بصددها « الجحش » ، وأكثر ما يطلق هذا اللفظ فعلى ولد الأتان فيما هو مألوف ، ولـكن من اللغويين من جعله ولد الظبية فى لغة هذيل [2] معتمداً على قول أبى ذؤيب :

بأسفل ذات الدبر أُفرد جحشها فقد ولهت يومين فهى خلوج [3]

ورواية البيت بهذا اللفظ هى رواية الأصمعى ، ورواية السكرى « خِشفها » [4] ، وهى تتفق ومألوف اللغة ، بيد أنا لا نستبعد رواية الأصمعى الذى أخذ نفسه بمشافهة الهذليين فى باديتهم ، فلعله سمعها فى كلامهم ، أو تلقى رواية هذا البيت عنهم ، أو قرأه على الشافعى فيما قرأ عليه من شعر هذيل ، فجائز أن تجتمع هذه الأمور كلها أو بعضها لديه ، وهى داعية إلى حد كبير للاطمئنان إلى ما يقول .

ونحن إذا ما وطنا أنفسنا على تقبل هذا اللفظ فى دلالته تلك ، فإنا نجد ما هو أشد غرابة من ذلك ، إذ نرى من اللغويين من يطلق لنفسه العنان ، فيجعل « الجحش » فى معنى الصبى عند هذيل [5] .

والحق أنه إذا كان هذا اللفظ قريب الاحتمال فى مدلوله الأول وهو « الخِشف » ، فإنه بعيد عن جادة الصواب فى مدلوله الثانى وهو الصبى . ولعله قد التبس الأمر على

---

(١) تاج العروس « مرخ ، أوس » .

(٢) اللسان ، تاج العروس « جحش » . المخصص ٨ / ٢١ ، ٤٤ . التصحيف والتحريف ص ٥٨ ، ٩٦ . شرح ديوان أبى ذؤيب « تيمور » ص ١٢٨ .

(٣) المخصص ٨ / ٢١ . اللسان ، تاج العروس « جحش » . ديوان الهذليين ١ / ٦٠ .

(٤) شرح ديوان أبى ذؤيب « مخطوط الشنقيطى » ورقة ٩١ .

(٥) اللسان « جحش » .

بعض اللغويين فخلطوا بين الجحش و « الجحْوَش » الذى هو فى معنى الصبى ، أو الغلام السمين ، أو الصبى قبل أن يشتد كما يفسرونه ، وذلك فيما نسبه بعض اللغويين إلى المعترض فى قوله :

قتلنا مَخْلداً وابنى حُراق ... وآخر جحوشاً فوق الفطيم [1]

ومع هذا فالبيت ليس لهذلى من شعراء هذيل بحق ، إذ لا نجد بين الهذليين الشعراء من يحمل هذا الاسم — فيما نعلم — بل هو للمعترض بن حبواء الظفرى [2] من بنى ظفر جيران هذيل فى مواطنهم ، وممن جاء ذكرهم فى دواوين الشعر الهذلى ، وقد تساهل اللغويون — فى أغلب الظن — فدأبوا على تسمية الشعراء الذين احتوتهم دواوين شعر هذيل شعراء هذليين ، ومن ثم كانت نسبة المعترض إلى هذيل . وهذا كله خلط تضيع الحقائق فى متاهاته ومساربه .

* * *

وإذا كنا نجد لفظ « البقر » فى الشعر الهذلى ، فإنا — مع ذلك — نجد اللغويين يتوارد الكثيرون منهم على أن « الخَزومة » هى البقرة عند هذيل [3] .

ومنهم من خص بهذا اللفظ البقرة المسنة القصيرة [4] ، وهم جميعاً : من لجأ منهم إلى التعميم ، ومن آثر التخصيص فى مدلول هذا اللفظ — يسوقون لذلك شاهداً من الشعر الهذلى هو قول أبى ذرة :

إن ينتسب ينسب إلى عرق وربٍ ... أهلِ خَزومات وشحّاج صخِب [5]

وكذلك نجد هذا البيت — إلى جانب كتب اللغة — فى دواوين شعر هذيل للشاعر

---

(١) الصحاح « جحش » . شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٦٧٨ .

(٢) البقية ص ٣ .

(٣) مقاييس اللغة ، تاج العروس ، اللسان ، الجمهرة « خزم » . المخصص ٨ / ٣٦ . البحر المحيط ٥ / ٣٠٧ .

(٤) مقاييس اللغة ، تاج العروس ، اللسان ، الجمهرة « خزم » . المخصص ٨ / ٣٦ .

(٥) تاج العروس ، واللسان « خزم » . شرح أشعار الهذليين (فراج) ٢ / ٦٢٤ .

المذكور[1] ، وفوق هذا نجد اللفظ نفسه عند غيره من شعراء هذيل ، وقد فسره شراح شعرهم هذا التفسير [2] .

ومن هذا القبيل لفظ « طغيا » فاللغويون ينقلون إلينا أن الهذليين يطلقونه على الصغير من بقر الوحش ، ويفسر هؤلاء اللغويون هذا اللفظ ذلك التفسير في أغلب ما ورد فيه من شعر هذلي [3] ، وإن كان قد روى عن أبي زيد أنه جعل الطَّغية النُّبذة من الشيء وجمعها « طغيا » أي النبذ منه [4] وعلى هذا الأساس نجد تفسيره في ديوان الهذليين في قول أسامة بن الحارث :

وإلا النعـــام وحَفـــانه وطغيـــا من اللهَق الناشط [5]

فقد فسر بأنه نُبذ من البقر ، ويرشح لهذا المعنى وجـــود حرف التبعيض « من » ولكن هناك رواية بالمعية لا بالتبعيض (مع اللهق الناشط) ، وهذه تزكى المعنى الأول ، وهي رواية الأصمعي التي أرتاح إليها كثيراً في شعر هذيل .

وفي مجال الحمر الوحشية يروون أن « الجَدود » هي التي قل لبنها ، وجمعها « جدائد » ونجد هذا في الشعر الهذلي ، ومنه قول أبي ذؤيب :

والدهر لا يبقَى على حدثانه جَون السراة له جدائد أربع [6]

كما يروون أن « النَجـــود » هي الأتان الطويلة ، وقد ورد هذا أيضاً في قول أبي ذؤيب :

فرمى فأنفذ من نجـود عائط سهما فخر وريشه متصمع [7]

---

(١) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ص ٢٧٣ . ديوان الهذليين ٢ / ١٩٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥ ، ٢٧٣ .
(٣) الصحاح « حفف » . اللسان « طغى » .
(٤) اللسان « طغي » .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٩٦ . اللسان « طغى » ونسبة البيت فيه إلى أمية بن أبي عائذ .
(٦) ديوان الهذليين ١/٤ . السجستاني : الأضداد ص ٩١ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١/١١ .
(٧) المرجع الأخير ١ / ٢٢ . ديوان الهذليين ١ / ٨ .

فلفظ « نجود » فسروه التفسير المشار إليه ، أما لفظ « عائط » فهو وصف لهذه الأتان الطويلة ، وقد فُسر بأنها التى اعتاطت (أى اعتاطت رحمها) ؛ فلم تحمل [1] .

* * *

وأهم الحيوانات الأليفة التى تشارك البدوى حياته ، وتخفف عنه عبء ، العيش ، ومشقة الحياة إنما هو الجمل ، وقد أحاط به عند الهذليين ألفاظ خاصة لها دلالات معينة سجلتها أشعارهم ، أو نسبها اللغويون إليهم .

ومن ذلك قولهم بأن « النواعج » ، و « النعَّج » هى الإبل السراع ، وهم حين يقولون هذا يستدلون بقول مُليح الهذلى :

فلما رأيت القوم قد ألحقتهمُ بهن نواج فى الأزمة نعج [2]

ومما يذكرون من ذلك أن « العَوّاء » الناب من الإبل ، أو هى الناب الكبيرة التى لا سنام لها — فى لغة هذيل [3] ، وأن الإبل التى تأكل العضاه هى عند هذيل « إبل عوّاد » ، و « القوم معدون » ، وغيرهم يقول « إبل عضهة » ، و « القوم معضهون » [4] .

ويروون أيضاً أن « الكِشاف » فى لغة كنانة ، وهذيل ، وخزاعة هى الإبل التى لم تحمل عامين . أما تميم ، وقيس ، وأسد ، وربيعة فيقولون : « الكِشاف » للنوق التى إذا نُتِجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت » [5] ، وهذا المعنى الأخير يوائم ما جاء من قول زهير فى وصف الحرب :

« وتَلقح كشافاً ثم تُنتَج فتتئم » [6]

(١) ديوان الهذليين ١ / ٨ .
(٢) الشيباني : الجيم ص ٢٧٤ .
(٣) اللسان « عوى » .
(٤) الجيم ص ١٦٨ .
(٥) شرح ديوان زهير ص ٢٠ . الخزانة ٣ / ١٠ .
(٦) شرح ديوان زهير ص ١٩ . النصاني : نهاية الأرب ص ٦٥ .

ويروى الرواة وأئمة اللغة أن الهذليين يقولون للناقة التى لَقِحت « أنشأت »[1] ، وكأنهم أطلقوا هذا اللفظ عليها إذ كونت جَنيناً وأنشأته ، فهناك صلة بين هذا المعنى الخاص عندهم ، وبين المعنى العام للفظ الإنشاء فى اللغة . ويمكن أن يكون هذا اللفظ فى معناه هذا إنما هو عندهم من قبيل المجاز .

وإذا كنا نجد لِلفظ « حائل » معانى كثيرة فى المعاجم تدور حول الإبل ولقاحها ، فإنهم يذكرون أيضاً أنها الأنثى من أولاد الإبل(٢) ساعة تولد[3] ، ويتخذون شاهدهم على هذا قولَ أبى ذؤيب :

فتلك التى لا يبرح القلب حبها ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل[4]

ومما نجده عندهم « البَو » ، وهو جلد يحشى للفاقد ولدها : يذبح أو يموت ، فترأمه وتدر عليه (٥) .

هذا شأنهم مع الحيوان ، أما مع الطير ، فمن ذلك ما يذكره بعض اللغويين من أن « العَجَد » بمعنى الغربان لغة هذلية (٦) ، ويقول الصغانى إن الأصمعى هو الذى جعل « العجد » بالتحريك الغربان ، وقد دعم ذلك بشاهد من شعر صخر الغى(٧) .

وكذلك يذكرون أن « الحفان » فراخ النعام ، الواحدة منها « حفانة » ، وقد أنشد الأصمعى فى ذلك بيتاً مر بنا فى هذا المبحث هو قول أسامة بن الحارث الهذلى :

وإلا النعـــام وحفـــانه وطغيا مع اللهق النـــاشط[8]

* * *

(١) الجيم ٣ / ٢٧٤ . العباب الزاخر « نشأ » .
(٢) الأمالى ١ / ٢٣٠ .
(٣) القاموس « حول » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٤٥ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ١٤٧ . الأمالى ١ / ٢٣٠ .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٢٠١ .
(٦) المخصص ٨ / ١٥٢ .
(٧) العباب الزاخر ورقة ٢٤٤ .
(٨) الصحاح « حفف » . اللسان « طغى » .

هذا أهم ما نضع عليه أيدينا بشأن الحيوان والوحش والطير ، أما ضئيل الحيوان كالقنفذ ، وكذلك الحشرات والزواحف ـ سواء ما رواه الرواة واللغويون عنهم بشأنها ، أو ما جاء منها على لسان هذلى فيما وصلنا من تراث الهذليين شعره ونثره — فإنا نجد من ذلك أن أبا ذؤيب قد استعمل « الشَّيهم » فى معنى القنفذ ، و « الصِّل » فى معنى الحية ، وذلك فى غضون ما ذكره من أمر وفوده إلى المدينة يوم وفاة النبى إذ يقول : « . . . فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجر به ، فعنّ لى شيهم ، وقد قبض على صل ، فهى تتلوى ، والشيهم يعضها حتى أكلها . . . »[1] .

ومنه ما يقولون من أن « أهل الحجاز يسمون الجان من الحيات « الأيْم » ، وبنو تميم يقولون « الأيْن » ، وهذيل يقولون « الأيم » مشدداً ، وهو أصله ، ولكن خففوه » (٢) .

ولا ندرى ماذا يعنى اللغويون بقولهم « خففوه » ؟ هل الضمير هنا عائد على غير هذيل من العرب ، أو الحجازيين الذين سبق أن أشار إلى أنهم ينطقونه « أيم » مخففاً ؟ فيكون والحال هكذا متفقاً وما يتجهون إليه فى مثل هذا من إشارة وإيجاز ؟ أو أنه عائد على هذيل وهو أقرب مذكور إلى الضمير ؟ وإذا كان هذا ، فهل المراد أن الهذليين قد تطور هذا اللفظ فى لغتهم من التشديد إلى التخفيف ؟ أو المقصود أنهم خففوه ضرورة فى الشعر ، وإن كان لم يتضح ذلك تصريحاً ؟

إننا حين نتتبع ذلك فى الشعر الهذلى نجد هذا اللفظ مشدداً فى قول أبى كبير :

ولقد وردت الماء لم يشرب به   بين الربيع إلى شهور الصَّيِّف
إلا عواسل كالمراط معيدة   بالليل مورد أيم متغضف[3]

ثم وجدناه مخففاً فى قول أبى ذؤيب :

وقلت لعبد الله أيم مسيب   بنخلة يسقى صاديا ويعيج[4]

---

(١) شرح المفصل ٤ / ٦ .
(٢) المخصص ٨ / ١٠٩ .
(٣) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٥ . اللسان « أيم ، غضف ، مرط » . مقاييس اللغة « أيم » .
(٤) شرح ديوان أبى ذؤيب « مخطوط الشنقيطى » ورقة ٩١ ، « تيمور » ص ١٢٩ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ١٣٧ .

فمسألة التطور من التشديد إلى التخفيف فيهذا اللفظ بعيدة الاحتمال ؛ لأنالشاعرين متعاصران ، وكلاهما من المخضرمين الذين عاصروا أخريات العصر الجاهلى ، وأدركوا صدر الإسلام . وهذا يضع أيدينا على أن الاختـلاف هنا (بين التشديد والتخفيف) مرده – غالباً – إلى الضرورة الشعرية ، وليس ناشئاً عن التطور من حال إلى حال .

ومن الحشرات التى نجد لها تسمية خاصة عندهم « الخوش » (١) وهذا اللفظ كثير الدوران فى أشعارهم [٢] ، ويصرح اللغويون كثيراً بأنه لغة هذيل [٣] . ونجد الآن ما يقاربه لفظاً ومعنى فى بعضاللهجات العربية الحديثة وهو « الهموش » . فالهاء والخاء من حروف الحلق التى يتقارب مخرجها جداً داخل مخرج عام واحد هو الحلق ؛ ولهذا يحل بعضها أحياناً محل بعض فى اللهجات من قديم وحديث .

ومن اللغويين من يجعل البعوض «الطيثار» وذلك تعقيباً على أبيات ينسبونها لشاعر هذلى يقال إنه (ابن وداعة الهذلى) ومن هذه الأبيات قوله :

فأصبحت النمـل فيها اثنتـين من يغشها يلق طيثارها

فقد قيل إن الطيثار هنا البعـوض ، وهذا قول ينسبه ابن سيده إلى أبى على الفارسى[٤] .

وإذا كنا لا ينبغى لنا أن نرفض هذا القول ضربة لازب ، فإنا – مع ذلك – نستريب به ، ونشك فيه ؛ لأن الشاعر غريب فى اسمه ونسبه ، ولم يسبق أن مر بنا اسم كهذا بين شعراء هذيل . هذا إلى أن البيـت تبدو عليه مسحـة الشواهد اللغوية المصنوعة .

وينبئنا اللغويون أن « الجـابى » هو الجراد ، ويعللون ذلك بأنه يجى كل شيء

---

(١) المخصص ٨ / ١٨٥ . الصحاح ، وتاج العروس « خمش » . المزهر ٢ / ١٣٠ .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢٥ . المحكم « وعى » . مقاييس اللغة ، الصحاح ، تاج العروس « خمش » اللسان « زيط ، خمش » . مجالس ثعلب ١ / ١٢١ . المخصص ٨ / ١٨٥ .

(٣) الصحاح ، تاج العروس « خمش » . المخصص ٨ / ١٨٥ .

(٤) المخصص ٨ / ٦٠ .

ويأكله (١) ، ويسوقون لذلك شاهداً من الشعر الهذلى هو قول عبد مناف بن ربع :

صابوا بستة أبيـات وأربعة حتى كأن عليهم جابيـاً لِبَداً (٢)

ومن العجيب أن بعض اللغويين ينقل إلينا هذا اللفظ بالدال لا بالباء (الجادى) ، ويعلل ذلك أيضاً بأنه يجدى كل شيء ويأكله (٣) ، ثم يسوق البيت نفسه محرفاً هذا التحريف شاهداً على ما يقول .

الشجر والنبات :

أما فيما يختص ببعض مظاهر الخصب والنبات قد التى قد تتراءى فى بعض جوانب بيئتهم ، فإن لديهم فى ذلك أيضاً ألفاظاً من أهمها : قولهم « أعثقت الأرض » أى أخصبت (٤) .

وقولهم « الأبّ » فى معنى الكلأ ، وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » (٥) ، وفسره كثير من المفسرين واللغويين هذا التفسير ، وقد نسبه اللغويون إلى هذيل (٦) .

وإذا « اغلولى » النبات — أى ارتفع وبلغ أشده واستوى — تقول هذيل فيه « غطا »(٧) أى بلغ مبلغه من النمو .

ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية :

كذوائب الحفأ الرطيب غطا به غيـل ومد بجانبيه الطحلب (٨)

---

(١) اللسان « جبى » .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٤٠ .
(٣) اللسان « جدا » .
(٤) الصحاح « عثق » .
(٥) سورة عبس ٨٠ الآية ٣٠ .
(٦) انظر تاج العروس « آب » . العباب الزاخر ورقة ٢٤٤ .
(٧) المخصص ١٠ / ١٧٣ .
(٨) ديوان الهذليين ١ / ١٧٥ .

وقد فسر الأصمعي « غطا به » بمعنى ارتفع به [١] .

ومن النبات ما ذكر اللغويون أنه يسمى عند غير الحجازيين « الجليل » ، وعند أهل الحجاز « الثام » [٢] ، والهذليون – وهم حجازيون – شعرهم يبدو فيه هذا واضحاً كما في قول أبي خراش :

أمسى سقام خلاء لا أنيس به   إلا الثام ومر الريح بالغرف [٣]

وقول أبي ذؤيب :

على أطرقا باليات الخيـام إلا الثام وإلا العـصى [٤]

وقد جاء لفظ « الثام » في قول لبيد بن ربيعة العامري من معلقته :

عريت وكان بها الجميع فأبكروا   منها وغودر نؤيها وثمامها [٥]

ولبيد من بني عامر بن صعصعة من بطون معاوية بن بكر ، وهى من قبائل هوازن أى إحدى قبائل قيس [٦] ، وبعض هذه القبائل ، ولا سيما عامر بن صعصعة يجاورون الهذليين في بعض معالمهم ومنازلهم ، فلعله قد علقها بعضهم من بعض ، أو لعل بنى عامر قد علقوها من هذيل .

وقد يقال لهذا إن اللغويين حين ينسبون « الثام » إلى أهل الحجاز ، و « الجليل » إلى غيرهم إنما هم على غير حق فى هذا التعميم ؛ فهو أمر تعوزه الدقة المطلوبة ، ولكنهم

(١) الأصمعي « النبات ورقة ١٦٢ .
(٢) المخصص ١٠١ / ١٤٢ .
(٣) الصحاح « ثقم » .
(٤) ديوان الهذليين ١ / ٦٥ . شرح ديوان أبي ذؤيب « تيمور » ص ٩٤ . « الشنقيطي » ورقة ٦٧ . تاج العروس ، الصحاح ، اللسان «طرق» . المخصص ٣/١٦ . شرح المفصل ٣١/١ . معجم البلدان « أطرقا » ١ / ٢٨٦ .
(٥) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ١٣٠ . نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ص ١٠٣ . ديوان لبيد ورقة ٨٣ .
(٦) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ١٢٤ .

– فيما يبدو – قد قصدوا من وراء هذا إلى التغليب كدأبهم فى ذلك . والحق أن اللغات واللهجات لا يمكن أن يوضع لها دائماً حد فاصل دقيق .

وإذا كان لبيد قد ذكر « الثمام » فى شعره ، فإنا نجد من ذكر « الجليل » فى معنى الثمام كالنابغة الذبيانى فى قوله من معلقته :

كأنى ورحلى وقد زال النهار بنا   بذى الجليل على مستأنس وحد [1]

والنابغة من شعراء غطفان إحدى القبائل القيسية أيضاً ، ولكن فرصة اتصالها بهذيل ، أو اتصال هذيل بها فرصة ضعيفة ، فليس بينهما من الجوار ما بين هذيل وبين بنى سعد بن بكر ومعاوية بن بكر بعامة ، وبنى عامر رهط لبيد بخاصة .

ولعل ذلك مما يزكى نسبة « الثمام » أصلا إلى هذيل ، وبعض من جاورها من أخواتها الحجازيات .

ويؤكد هذا أيضاً ما جاء فى كتاب النبات للأصمعى من أن أهل نجد يسمون الثمام بالجليل [2] ، وما ورد فى اللسان من أن « ذا الجليل » واد لبنى تميم بنبت الجليل وهو الثمام [3] . فقول اللغويين فى هذا قريب من الصواب ، ولا يشوبه إلا ما يشوب أحكامهم غالباً من تعميم .

* * *

ومما يتصل بالنبات الشجر – وقد جاء فى هذا المجال – لفظ « الغَرِيف » بمعنى الشجر أو الأجمة فى مثل قول أبى كبير :

يأوى إلى عُظم الغريف ونَبْـله   كسوام دَبر الخشرم المتثور [4]

---

(١) شرح القصائد العشر ص ٢٩٣ .
(٢) النبات ورقة ١٦١ .
(٣) اللسان « جلل » .
(٤) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٣ .

وقوله :

« إن الغريف تجن ذات القنطر »[1]

ومن ذلك شجر « الصوم » الذي يرده بعضهم إلى لغة هذيل[2] ، ولا معنى — فيما أرى — لنسبته إلى اللهجة الهذلية إلا إذا كان يحمل هذا الاسم عند هذيل على حين يطلق عليه اسم آخر عند غيرهم من العرب ، وذلك ما لم ينص عليه اللغويون أنفسهم . وقد يركنون أحياناً إلى التحفظ والقصد ، فيقتنعون بالقول بأن « الصوم شجر فى هذيل »[3] وبهذا يتجنبون الشطط .

ولعل السر فى نسبة من نسبه إلى لغة هذيل وجوده في الشعر الهذلى كقول ساعدة ابن جؤية :

« موكل بشدوف الصوم ينظرها »[4]

ومن الشجر أيضاً « النخل » ، ويذكر صاحب القاموس أنه يسمى « الجماميس » فى لغة هذيل[5] ، وينسب شارح القاموس ذلك القول إلى ابن عباد ، ثم يستدرك على القاموس فى الموضع نفسه بأن « الجمسوس » بالضم النخل فى لغـــة هذيل ، والجمع الجماسيس[6] وكلا اللفظين غريب فى إطلاقه على النخل ، ولم نألف استعماله فى اللغة والأدب ، ولا فى الشعر الهذلى نفسه ، وإنما نجده قابعاً فى بطون المعاجم أو بعضها .

وقد اعتاد اللغويون فى معالجة ألفاظ اللغة أن يسوقوا الشواهد الكثيرة من الشعر العربى يؤكدون بها صحة ما يذهبون إليه ، ولكنهم هنا قد خالفوا مألوف عادتهم ، فلم يذكروا — فيما نعلم — مع كل من هذين اللفظين شاهداً يؤكده ويدعمه ، لا من الشعر العربى بعامة ، ولا من شعر هذيل بخاصة .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٤ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣/١٠٨٤ . الاشتقاق ص ١٠٤ .

(٢) الصحاح « صوم » .

(٣) الصحاح ، اللسان « صوم » .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ١٩٤ . اللسان « صوم » .

(٥) القاموس « الجمس » .

(٦) تاج العروس « جمس » .

ومما يتصل بالنخل ما يذكرون من أن الهذليين يسمون الليف « الفليـــل »[1] ، ولهذه التسمية صلة بما يذكره بعض اللغويين من أن الفليل هو الشعر المجتمع[2] أو ما يقارب ذلك من معان ؛ ولهذا فسروا الفليل فى الشعر الهذلى أحياناً بالشعر المجتمع فى أعلى الرأس أى ما يشبه العرف[3] ، كما ذكروا أن معاوية صعد المنبر يوماً ، وفى يده « فليلة »[4] ، فلعلهم يعنون بها مذبة من ليف .

فإذا صحت نسبة الفليل إلى هذيل كانت على ضوء هذا فى معنى اللـيف أو الشعر مجتمعاً بعضه إلى بعض .

الجماعات المختلفة من الناس :

أما ما يدور حول أناس الحى ، والجماعات المختلفة من أبناء القبيلة ، فإنا نجد لفظ « أنَس » الذى ألفيناه كثير الدوران فى الشعر الهذلى ، والذى نراه أحياناً فى معنى « إنسان » كما ورد فى قول ساعدة بن جؤية :

هو الطّرف لم تحشش مطىّ بمثله ... ولا أنس مستوبد الدار خائف[5]

وقد نراه فى معنى « الأناسى » ، أو الحى من أحيائهم ، أو أهل المحل الواحد من محالهم[6] ، وذلك فى قول أبى ذؤيب :

منايا يقربن الحتوف لأهلها ... جهاراً ويستمتعن بالأنس الجبل[7]

وقول صخر الغى يخاطب شاعراً هذلياً آخر هو أبو المثلم :

وخفض عليك القول واعلم بأننى ... من الأنس الطاحى الجميع العرمرم[8]

---

(١) اللسان ، تاج العروس « فلل » .

(٢) اللسان « فلل » .

(٣) السهيلى : الروض الأنف ٢ / ١٧ .

(٤) اللسان « فلل » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٢٢٣ .

(٦) اللسان « أنس ، جبل » .

(٧) المرجع السابق « أنس ، جبل ، لفف » . الجمهرة « بجل » . ديوان الهذليين ١ / ٣٨ . شرح أشعار الهذليين (فراج) والرواية فيه (قديماً) بدلا من (جهاراً) ١ / ٩٢ .

(٨) المرجع الأخير وفيه (الحلول) بدل (الجميع) ١ / ٢٦٦ . ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٥ . اللسان « طحا » ، والرواية فيه « الطاحى عليك العرمرم » .

وقول أبي المثلم رداً على صخر الغي :

فإن تنفني نحو الخِلاءة تنفني إلى أنَس طاحيِ الحلول عرمرم[1]

وقول ساعدة بن جؤية :

فالدهر لا يبقى على حَدَثانه أنس لفيف ذو طوائف حوشب[2]

وقـــوله :

هل اقتنى حدثان الدهر من أَنَس كانوا بعَيْط لا وخش ولا قَزَم[3]

وقد نراه مجموعاً عندهم على « آناس » فى قول عمرو ذى الـكلب :

فأبرح غازياً أهـدى رعيـــلا أؤم سواد طـــود ذى نجـال
بفتيـــان عمارط من هـــذيل هم ينفـــون آناس الحـلال[4]

واستعمال لفظ أنس مثل هذا الاستعمال ليس مقصوراً على شعراء هذيل وحدهم ، فإنا نجده عند شعراء آخرين مجاورين لهم كأمية بن أبي الصلت الثقفى فى قوله يرثى حرب ابن أمية :

فلو قتـــلوا بحرب ألف ألف من الجنّـــان والأنس الـكرام
رأينــاهم له ذحــلا وقلنـــا أرونا مثل حرب فى الأنام[5]

ومن البادين مثلهم (أى مثل هذيل) ممن يجاورونهم أيضاً كقول شَمِر بن الحارث الضبى :

أتوا نارى فقلت منون أنــتم فقــالوا الجن قلت عمـوا ظلاما

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٧ .
(٢) المرجع السابق ١ / ١٨٣ . تاج العروس (حوشب . نصف) .
(٣) ديوان الهذليين ١ / ٢٠٠ .
(٤) المرجع السابق ٣ / ١١٤ ، ١١٥ . تاج العروس (أنس) .
(٥) معجم ما استعجم ٣ / ١٠٧١ .

فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الأنس الطعاما [1]

فلعل هذا اللفظ — فى توالى الحركات فيه — قد تأثر بالانسجام الذى سبق أن رأينا آثاره عند هذيل وغيرها من البدو فى شبه الجزيرة .

وإذا كان أصحاب المعاجم يذكرون أن « العُبْر » بضم العين الكثير من كل شيء وقد غلب على الجماعة من الناس ، فإنهم ينسبون ذلك أصلا إلى هذيل ، فيقولون « العبر جماعة القوم هذلية » [2] .

ولعل الفرق بينها وبين «العدىّ» التى أطلقوها أيضاً على جماعة القوم بلغة هذيل [3] ، والتى كثيراً ما تضمنها الشعر الهذلى [4] هو أن المعنى الأخير يطلق على جماعة المقاتلين الذين يعدون على غيرهم ، أو أن العدى — كما ذكر صاحب اللسان — « جماعة القوم يعدون لقتال ونحوه » [5] ، فهذا هو المقصود بها إذن لا مطلق معنى الجماعة .

وقد كثرت عندهم نسبة الألفاظ المعبرة عن هذه الجماعات إلى هذيل كثرة ظاهرة ، فمن ذلك أيضاً « المطى » الذى يفسرونه بالرجالة [6] أو الرجال (٧) أو الرفاق فى السفر (٨) ، وقد جاء هذا اللفظ فى قول أبى ذؤيب :

لقد لاقى المطى بنجد عُفْر حديث إن عجبت له عجيب (٩)

---

(١) العكبرى : التبيان ٢ / ١٨٥ . تاج العروس (أنس) .

(٢) اللسان ، تاج العروس (عبر) .

(٣) المخصص ٣ / ١٣١ . اللسان (عدا) . معجم البلدان (العدوية) ٦ / ١٢٨ .

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٧ ، ٣ / ١٢ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ٤٦٠ .

(٥) اللسان (عدا) . الجمهرة (دعى) .

(٦) تاج العروس (وعع) .

(٧) شرح ديوان أبى ذؤيب (تيمور) ص ٩٧ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ١٠٤ .

(٨) ديوان الهذليين ١ / ٩٢ .

(٩) شرح ديوان أبى ذؤيب (تيمور) ص ٩٧ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ١٠٤ . ديوان الهذليين ١ / ٩٢ . والرواية فيه (لو عجبت) بدلا من (إن عجبت) .

وقول ساعدة بن العجلان :

ستنصرنى أفناء عمرو وكاهل إذا ما غزا منهم مطى وعاوع [1]

ويروى الزبيدى هذا اللفظ فى بيت لشاعر بدوى آخر هو أبو زبيد الطائى [2] ، ولكن الأزهرى ينسب هذا البيت إلى أبى ذؤيب الهذلى [3] .

وأغلب الظن أن استعمال المطى فى هذا المعنى إنما هو تعبير مجازى مرده إلى هذه المطى أو المطايا التى يمتطيها هؤلاء المسافرون أو أولئك المقاتلون ، والأصل السائد فى اللغة هو استعمال هذا اللفظ فى حقيقته ، وهكذا نراه عند الشعراء الآخرين كقول امرىء القيس من معلقته :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل [4]

وقول طرفة بن العبد فى معلقته أيضاً :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد [5]

بل إنا لنجد ذلك فى الشعر الهذلى (فى قول أبى ذؤيب نفسه) :

وكنت كرقراق السحاب إذا جرى لقوم وقد بات المطى بهم تخدِى [6]

ومن هذه الألفاظ التى تعبر عن الجماعة فى صورة من صورها قولهم : الوعواع جماعة الناس ، والجمع الوعاوع ، واستدلالهم لذلك بما سبق من شعر أبى ذؤيب [7] ، وساعدة بن العجلان [8] وكلاهما هذلى ، وبشاهد آخر من شعر أبى كبير [9] ، وهو الآخر هذلى كما عرفنا.

---

(١) تاج العروس (وعع) .

(٢) المرجع السابق (وعع) .

(٣) التهذيب (وعع) .

(٤) نهاية الأرب من شرح معلقات العرب ص ٦ .

(٥) التبريزى شرح القصائد العشر ص ٥٧ . بلوغ الأرب من شرح معلقات العرب ص ٤٣ .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ١٥٩ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٢١٩ والرواية فيه « يخدى » مكان « تخدى » .

(٧) التهذيب (وعع) .

(٨) تاج العروس (وعع) .

(٩) الجمهرة (وعع) .

ومن ذلك « الضَّبر » ، ويقول اللغويون إنه الجماعة يغزون ، أو الجماعة يغزون على أرجلهم [1] ، ومنه قول ساعدة بن جؤية :

بينامَ يوماً كذلك راعهم ضبر لباسهم القتير مؤلب [2]

وكذلك « الحضيرة » ، وقد فسرت بأنها الخمسة والأربعة [3] ، أو بين الأربعة والعشرة يغزون [4] ، وسيق لذلك قول الهذلى أبى شهاب المازنى :

رجال حروب يسعرون وحلقة من الدار لا تأتى عليها الحضائر [5]

ومن ذلك أيضاً « شرطة الحرب » ، وهى الكتيبة الأولى للجيش [6] وقد ورد هذا اللفظ فى شعر أبى العيال الهذلى [7] ، وفسروه بالشرط والعهد [8] ، وهذا هو التفسير القريب الذى يوحى به ظاهر اللفظ ، ولكن المعنى الأول أقرب إلى الجادة ، وهو الذى نجده فى حديث ابن مسعود : « وتشرط شرطة للموت لا يرجعون إلا غالبين » ، وقد فسر صاحب النهاية هذا اللفظ بقوله : « الشرطة أول طائفة من الجيش تشهد الموقعة » [9] ، ونلمح من حديث ابن مسعود أنها لا تبعد كثيراً عما نسميه الآن بفرقة « الصاعقة » .

وهذه الجماعات المحاربة إذا اجتمع منها جماعة للقتال قيل فى اللغة « تجمعوا » ،

---

(١) اللسان (ضبر) .
(٢) الصحاح (ألب) . مقاييس اللغة (ضبر) . اللسان (ضبر . ألب . قتر) ديوان الهذليين ١ / ١٨٥ ، والرواية فيه (الحديد مؤلب) .
(٣) إصلاح المنطق ص ٣٩٢ .
(٤) تاج العروس (حضر) .
(٥) إصلاح المنطق ص٣٩٢ . تاج العروس (حضر) ، شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٦٩٧ . والرواية فيها (لا تفى عليها الحضائر) .
(٦) الأساس (شرط) ، النهاية ٢ / ٢١٣ .
(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٥ : ٢ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٤٢٦ .
(٨) المرجعان السابقان (الموضع نفسه) .
(٩) النهاية ٢ / ٢١٣ . تاج العروس (شرط) .

ولكنا نجد ذلك في الشعر الهذلي « قنّبـوا » ، وذلك في قول حذيفة بن أنس [1] ، (ونسبه صاحب الأساس خطأً لساعدة بن جؤية) [2] .

ألا هل لقيس والحوادث تعجب وأصحاب قيس حيث ساروا وقنبوا

أي تجمعوا ، وصاروا مِقنباً [3] ، والمِقنب عندهم هو الجماعة من الثلاثين إلى الأربعين [4] .

هذه هي الجماعات التي تجتمع للغارة والغزو ، أما إذا انفرد فرد بالسطو والسلب ، ولم يندمج في جماعة محاربة ، فإنه في لغة هذيل « سنّار » أي لص . وإطلاق السنار في هذا المعنى عند هذيل هو — فيما يبدو — تعبير مجازي ، إذ السنار في الأصل هو الرجل الذي لا ينام بالليل ، فسمى اللص هذه التسمية لسهره وقلة نومه (٥) .

ويتصل بذكر هذه الجماعات المحاربة بعض ألفاظ الحرب أو الغزو ، ومنها مايذكره اللغويون من أن لفظ « انفروا » الذي ورد كثيراً في القرآن الكريم معناه « اغزوا » بلغة هذيل(٦) . والمماصعة : المماشقة بالسيف ، ويرد هذا اللفظ كثيراً في الشعر الهذلي(٧) .

ومن ذلك أيضاً ما كانوا يستخدمونه من آلات هذه الحرب وأدواتها ، ومن ألفاظهم في ذلك « البَزّ » بمعنى السلاح يلبسه المحارب ، وهذه الكلمة كثيرة الدوران في الشعر الهذلي [8] بصورة تلفت النظر ، وتسترعى الانتباه ، ولعل لها صلة بلفظ (البِزة) في معنى الهيئة واللباس بوجه عام .

---

(١) الأساس (قنب) . ديوان الهذليين ٣ / ٢٣ ، شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٥٥٩ . والرواية فيها (عجبت لقيس) .

(٢) الأساس (قنب) .

(٣) ديوان الهذليين ٣ / ٢٣ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٥٥٩ .

(٤) المرجعان السابقان (في الموضع نفسه) تاج العروس (قنر) .

(٥) تاج العروس (سنار) . اللسان (سنمر) .

(٦) رسالة لغات القبائل ص ١٧٨ .

(٧) ديوان الهذليين ١ / ٩٣ ، ٣ / ١٦ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٠٦ والرواية فيه « قسائل » مكان « قساهم » . وانظر المرجع نفسه ١/٤٦٥ .

(٨) المرجع السابق ١/٢٦ ، ٢/٦١ ، ٢٣٠ ، ٣/٧٧ ، ٧٨ . معجم البلدان (حليت) ٣/٣٢٩ . تاج العروس ، اللسان (فرط) . المخصص ١٧ / ٢٢ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ٧٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ . ٢/٥٩١ .

ويدخل فى هذا الإطار ما يقال من أن « الحزب » هو السلاح ، وقد نسبه الصغانى إلى هذيل ، وقال : سموه تشبيهاً وسعة (١) ، أى أن تسميته تلك إنما هى تسمية مجازية مردها إلى ما فى الحزب والسلاح جميعاً من معنى الاجتماع ، فالسلاح هنا طائفة مجتمعة ما بين سيف وقوس وسهم ورمح . . .

ومن هذا أيضاً ما يقال من أن هذيلا تسمى السيف «اللج» (٢) وإذا صحت نسبة هذا إلى هذيل ، فهذه التسمية إنما هى فى الغالب تسمية مجازية ، وقد أشار إلى ذلك بعض اللغويين ممن تناولوا الحقيقة والمجاز فى ألفاظ اللغة (٣) .

ولعل من ذلك قولهم إن « النجيف » هو السهم العريض النصل ، وجمعه « نُجُف » ، ونجد هذا اللفظ فى شعر أبى كبير (٤) .

وقولهم كذلك إن « الحليف » هو بمعنى النصل أو السهم الحاد مستدلين لذلك بشعر ساعدة بن العجلان الهذلى (٥) . (وقد نسبه كل من صاحبى اللسان ، والقاموس خطأ لساعدة بن جؤية) (٦) . ولعل هـــذا وصف للسهم لا اسم له ، إذ اللغويون كثيراً ما يطلقون لفظ الحليف على الحاد سهما كان أو غيره (٧) .

ومن هذا القبيل من الألفاظ ما يقرره اللغويون بشأن لفظ « بدن » فى قوله تعالى : « فاليوم ننجيك ببدنك » إذ يقولون إن البدن هو الدرع بلغة هذيل (٨) ، وقد لا ترتاح النفس إلى هذا التكلف فى التأويل . ولكن لو صحت نسبة هذا إلى هذيل كان إطلاق لفظ البدن على الدرع هو غالباً من قبيل التوسع فى التعبير .

---

(١) تاج العروس (حزب) .

(٢) فى اللهجات العربية ص ١٤٥ .

(٣) الزمخشرى : الأساس (لجج) .

(٤) ديوان الهذليين ٢ / ٩٩ . الصحاح (نجف) .

(٥) ديوان الهذليين ٣/١٠٦ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣٤١/١ . تاج العروس (حلف) .

(٦) اللسان ، القاموس (حلف) .

(٧) الأساس ، القاموس (حلف) .

(٨) رسالة لغات القبائل ص ١٩٩ .

ومن ذلك ما يقال من أن « القِتر » فى لغتهم سهم صغير (١) أو نصل سهم (٢) ، والجمع أقتار . أو هو جمع ومفرده « قترة » (٣) ، ومما تضمن هذا اللفظ من شعر هذيل قول أبى ذؤيب يصف النحل :

إذا نهضت فيه تصعّد نفرها   كقتر الغِـلاء مستدراً صيابها (٤)

وكذلك يسمون زنمق السهم (وهما حرفاه) فُوقتين (٥) .

ويقول اللغويون إن « رُبَد السيف » — وهى لمع مخالفة لسائر لونه تميل إلى السواد — هذلية (٦) ، ويقابلها الفرند عند غيرهم ، وقد جاء هذا اللفظ فى مثل قول صخر الغى الهذلى :

وصارم أخلصت خشيبتـه   أبيـض مَهْوٌ فى متنـه ربد (٧)

و « القتير » مسامير الدروع ، أو هى الدروع نفسها عندهم ، وذلك على سبيل السعة فى التعبير . ونجد هذا فى شعر ساعدة بن جؤية (٨) .

* * *

تلك هى الجماعات المختلفة داخل القبيلة بعامة ، والجماعات المحاربة منها بخاصة ، وما يلابسها من ألفاظ الحرب وأدواتها مما نسب إلى هذيل فى هذا الشأن .

---

(١) تاج العروس ، واللسان (قتر) .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٧٦ .

(٣) ديوان الهذليين ١ / ٧٦ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ٥٠ .

(٤) المرجعان السابقان . تاج العروس (قتر) .

(٥) اللسان (فوق) .

(٦) مقاييس اللغة (ربد) .

(٧) المرجع السابق (الموضع نفسه) . اللسان (مها . ربد) . ديوان الهذليين ٢ / ٦٠ . شرح أشعار الهذليين (فراج) ١ / ٢٥٧ .

(٨) تاج العروس (قتر) . ديوان الهذليين ١ / ١٨٥ . وانظر ص ٤١٨ من هذا الفصل .

بعض الألفاظ التي تعبر عن روابط الأخوة وأواصر القربى :

من هذه الألفاظ ما يكون في محيط الصداقة والأخوة ، كقول هذيل « وليجة الرجل » تعنى بذلك حاشيته وبطانته [١] .

وما ينسب إليهم في محيط الأسرة من قولهم « حال الرجل » يقصدون «امرأته» ، وهذا ما يرويه ابن الأعرابي كما يقول الزَّبيدى في معجمه [٢] . ويذكر الجمحى – وهو أحد رواة الشعر الهذلى – أنه سمعها كذلك من أعراب هذيل[٣] ، وقد ورد هذا اللفظ في الشعر الهذلى في مثل قول الأعلم :

إذا لذكرت حالكَ غير عصر   وأفسد صنعها فيك الوجيف

ويفسره السكرى هذا التفسير ، ثم يصرح بأن هذيلا تسمى المرأة « الحال » [٤] .

ولكنا نجد كلمة « زوجة » عند الهذليين في شكوى رجل من هذيل إلى عمر أمير المؤمنين :

لزوجة سوء فشاشرها   علىّ جهاراً فهى تضرب [٥]

فإذا صحت قصة الهذلى كان ممكناً أن نقول بأن هذا اللفظ قد تطور عندهم أو تسرب إلى لغتهم من بعض قبائل وسط الجزيرة العربية التي كانت – فيما يقول اللغويون – تنطق هذا اللفظ هكذا « زوجـــة » بالتاء خلافاً للنطق الشائع عند الحجازيين من حذفها [٦] .

ومن هذه الألفاظ ما يذكره بعض اللغويين من أن «الوزر» بالتحريك هو ولد الولد

---

(١) رسالة لغات القبائل ص ١٧٦ .

(٢) تاج العروس « حول » .

(٣) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ص ٦٩ . تحقيق « فراج » ١ / ٣٢٩ .

(٤) المرجع السابق « المخطوط » ٦٨ . و « فراج » ١ / ٣٢٩ .

(٥) المرجع السابق « فراج » ٢ / ٨٩٣ .

(٦) المصباح (زوج) .

(أي الحفيد) بلغة هذيل [١] ، وينسبون رواية ذلك أصلا إلى ابن عباس [٢] .

والواقع أنهم ينسبون إلى ابن عباس كثيراً من هذه الألفاظ التي لا ندري وجه الحق فيها ، وفي نسبتها إليه ، فهم إذا كانوا قد رووا عنـــه أن « الوزر » عند هذيل هو الحفيد ، فإنهم — مع هذا — يروون أن رجلا من هذيل جاءه ، فقال له ابن عباس : « ما فعل فلان » ؟ فقال الهذلي : « مات وترك كذا و كذا من الولد ، وثلاثة من الوراء . يريد ولد الولد » [٣] .

فها قد رأيناهم يروون للحفيد اسمين مختلفين عند الهذليين ناسبين رواية ذلك إلى ابن عباس نسبة ضمنية حينا ، صريحة حينا آخر .

ونجد كثيراً من هذه الألفاظ تنسب روايتها إلى هذا العالم الثبت الثقة ، ونظن أنهم فعلوا ذلك كي يوثقوا ما رووا من ألفاظ كثيرة نسبوها إلى اللهجات العربية المختلفة .

هذا ، ومن الجائز أن لفظ الوراء هنا وصف جاء على لسان هذا الهذلي لهؤلاء الأحفاد ؛ لأنهم يأتون وراء الأبناء أي بعدهم .

بعض أوصاف الإنسان :

يروى بعض اللغويين أن الهذليين يطلقون على الرجل الطـويل « السَّبَنْدَى » [٤] وبعضهم يحكيه « السرندى » [٥] ، ولعله تحريف وقع في هذا اللفـظ . وقيل إن الهذليين يطلقون لفظ « السبندى » على الجرىء [٦] .

وإذا وجدنا أن أصحاب المعاجم يحقّون أن « السبندى » ، و « السبنتى » في اللغة

---

(١) الإتقان ١ / ١٣٤ . رسالة لغات القبائل ٢ / ٢٧٥ .

(٢) الإتقان ١ / ١٣٤ .

(٣) ابن الأنباري : الأضداد ص ٥٦ .

(٤) اللسان « سند » . تاج العروس ، العباب الزاخر « سبد » . المخصص ١٦ / ٨ .

(٥) تاج العروس « سندر » . المخصص ١٦ / ٨ .

(٦) اللسان « سبند » . تاج العروس « سبد » .

هو النمر [1] ، ويفسر شراح شعر هذيل « السبنتى » هذا التفسير [2] — استطعنا أن نرجح أن مدلول هذا اللفظ أصلا هو النمر ، وأن نلمح أن إطلاق هذه التسمية بعد هذا على الرجل الجرىء ربما كانت من قبيل المجاز لما بين المدلولين من تشابه .

ولو صح أن معنى هذا اللفظ عندهم هو الطويل كما يقول بذلك بعض اللغويين فلعل هذا الطول يقترن فى أذهانهم بشىء من القوة والهيبة فيتصل معناه بمعنى الجرأة السابق ذكره ، خلافاً لما نسب إلى الهذليين من ألفاظ أخرى فى هذا المعنى — أى معنى الطول — أو ما يقاربه من معان كقولهم « هِجَفّ » للرجل الطويل الضخم ، وذلك فى مقام الذم والاستهجان كما فى قول عمرو الهذلى :

فلا تتمنى وتمن جلفـــا　　　جـــراهمة هجفا كالجبال [3]

ومن ألوان الوصف بالطول أيضـاً قولهم « رجل مشبوح الذراعين » أى ذراعاه طويلتان ممتدان [4] ، و « خلجم » أى رجل طويل ، والجمع « خلاجيم » ونجد ذلك فى قول أبى ذؤيب :

« وذلك مشبوح الذراعين خلجم » [5]

وقـــوله :

إذا ما الخلاجيم العلاجيم نــكّلوا　　　وطال عليهم حميها وسعارها [6]

ولكننا نحس هنا ما سبق أن أشرنا إليه من أن اللغويين يطلقون أفـكارهم فى الشعر فيخرجون منه بألفاظ تختلف دلالتها عندهم باختلاف فهمهم وإدراكهم ، حسبما يحيط

---

(١) الصحاح « سبت » . العباب الزاخر « سبد » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٧٤ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٣٠٠ .

(٣) اللسان « هجف » . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٥٦٨ . وهذا البيت ساقط فى موضعه من ديوان الهذليين . (انظر الديوان ٣ / ١١٦) .

(٤) أساس البلاغة ، مقاييس اللغة « شبح » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٣٠ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٨٢ .

(٦) ديوان الهذليين ١ / ٣٢ . شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٧ ، « فراج » ١ / ٨٢ . شرح ديوان أبى ذؤيب « الشنقيطى » ورقة ٦ .

بها من ملابسات ، ويكتنفها من ظلال ، فمنهم من يقول بأن « الخلجم » الطويل [1] ، ومنهم من يقول بأنه الطويل المنجذب الخلْق ، أو الجسم العظيم [2] ، أو بأنه الرجل الجليد ، وقد يفسرون « الخلاجم » بأنها الشجعان ، و « العلاجيم » الطوال [3] وهذا كله — لتشابك المعانى — من قبيل الاستنتاج كما ذكرنا .

* * *

ومن الأوصاف التى يصفون بها الرجل أحياناً أنهم يقولون للمتزين المعجب بالزينة واللباس « قينة » [4] ، وإطلاق هذا اللفظ على من هذه حاله لعله من قبيل التجوز تشبيهاً له بالجارية فى دلها وزينتها .

ويقولون : « فلانٌ يمشى الزاهرية » أى يمشى متبختراً ، فالزاهرية التبختر كما يفسرها صاحب اللسان متخذاً شاهده على ذلك قول صخر الغى :

يفوح المسكُ منه حين يغدو ويمشى الزاهرية غير حال [5]

ويروون كذلك أن هذيلا تقول « الغنج » بالتحريك وتعنى به الشيخ [6] ، ولكنهم — أعنى اللغويين — جعلوا هذا اللفظ بالغين مرة [7] ، وبالعين أخرى [8] ، واختلفوا فى مدلوله ، فجعلوه « الشيخ » تارة [9] ، و « الرجل » تارة أخرى [10] ، بل استبدلوا

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٣٠ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٨٢ .

(٢) القاموس « الخلجم » .

(٣) شرح ديوان أبى ذؤيب « الشنقيطى » ورقة ٦ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٨٢ .

(٤) كتاب العين ، اللسان « قين » . المخصص ٣ / ١٤٢ .

(٥) اللسان « زهر » .

(٦) الصحاح « غنج » .

(٧) القاموس ، تاج العروس « غنَج » . اللسان « عنج » .

(٨) القاموس واللسان « عنج » .

(٩) القاموس ، تاج العروس ، اللسان « شنج . عنج . غنج » .

(١٠) اللسان « غنج » . تاج العروس « شنج . عنج » .

أحياناً لفظ « الشنج » بلفظ « الفنج أو المنج » ، فقالوا إن « الشنج » هو الشيخ فى لغة هذيل[1] .

ولعل مرد هذا الخلاف إلى ما ذكرنا من الاختلاف فى فهم النص أحياناً ، وإلى التصحيف أو التحريف فى بعض الألفاظ أحياناً أخرى .

وإذا كان اللغويون يقولون بأن « الثّلب » من ذكور الإبل الذى هرم ، وتكسرت أسنانه ، فإنهم — مع هذا يقولون بأن هذا اللفظ يطلق على الشيخ فى لغة هذيل .

وإذا صح هذا الوصف كان — غالباً — من قبيل التجوز لوجود نوع من المشابهة بين المدلولين .

ومع أنهم يقولون إن « التابّ » فى اللغة الكبير من الرجال ، والأنثى تابة ، فإنهم يقولون أيضاً بأن « التاب » هو الضعيف فى لغة هذيل ، ولهذا المعنى صلته القوية بالمعنى الأول على الرغم مما يقرره اللغويون من أن هذه لغة هذلية نادرة [2] .

والمفهوم أن المراد بالضعف هنا إنما هو الضعف الجسمى والصحى ، أما الضعف النفسى والخلقى ، فنجد منه فى الشعر الهذلى لفظ « السُّخَّل » فى قول أبى كبير :

فلقد جمعت من الصحاب سرية   خُدباً لدات غير وخش سخل [3]

« فالوخش » النذل من كل شىء ، و « السخَّل » الضعاف كما فسره السكرى [4] أو الضعفاء الأرذال كما يقول صاحب اللسان [5] .

وكذلك « المنخاب » وهو — كما يقول اللغويون — الضعيف الذى لا خير فيه ، وجمعه « مناخيب » وهكذا نراه فى بيت أبى خراش :

---

(١) اللسان « شنج » . الجمهرة « جشن » .

(٢) تاج العروس « تب » .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٩٠ ، شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣ / ١٠٧١ . اللسان « .

(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٣ / ١٠٧١ . وانظر ديوان الهذليين ٢ / ٩٠ .

(٥) اللسان « سخل » .

بعثته فى سواد الليل يرقبنى إذ آثر النوم والدفء المناخيب [1]

وثمة رواية أخرى هى « المنجاب » بدلا من « المنخاب » ، و «المناجيب» فى موضع « المناخيب » [2] ، وأغلب الظن أن إحداهما تصحيف للأخرى ، ورواية الخاء أشبه بهذا المعنى من رواية الجيم فيه ، فهى التى تركن النفس إليها ولولا إقرار الكثيرين منهم للرواية الأخرى لكان القول بالتصحيف فيها أكثر رجحانا ، ومع هذا فيجوز أن يكون تصحيفا اكتسب شهرة واستفاضة فى كتب اللغة والأدب فتناقلوه بعضهم عن بعض ، اللهم إلا أن يكون من الأضداد التى لا تخلو منها اللغة ، فأصل المناجيب لغة من النجابة ، وهنا معناه على عكس ذلك .

* * *

تلك أهم الألفاظ فيما يتصف به الإنسان من أوصاف دائمة ، أو أوضاف تتحول تحولا بطيئا بتغير المراحل الطويلة فى حياته . أما ما يعتريه من أوصاف عارضة كالأدواء والأمراض ، والجوع والشبع وما إليها . فنجد منها لفظ « المستأخذ » وهو الذى يجد الوجع فى عظامه كلها كما يقول الشيبانى [3] أو المطأطىء الرأس من وجع أو غيره [4] أو الذى به أُخُذ من الرمد كما هو فى بعض المعاجم [5] .

وشاهد اللغويين على هذا هو قول أبى ذؤيب :

يرمى الغيوب بعينيه ومَطرِفه مغض كما كسف المستأخذ الرَمِد [6]

---

(١) تاج العروس « نخب » .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ١٦٠ . رسالة الغفران ص ١١٩ .

(٣) الجيم : المجلد الأول ورقة ٨ .

(٤) تاج العروس ، اللسان « أخذ » .

(٥) المرجعان السابقان « المادة نفسها » .

(٦) اللسان « أخذ . كسف » . تاج العروس « أخذ . عيب » . انظر البيت أيضا فى ديوان الهذليين ١ / ١٢٥ وضبط « المستأخذ » فيه بالرفع ، و «الرمد» بكسر الميم . وفى شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٥٨ . وضبط « المستأخذ » فيه بالنصب ، و « الرمد » بفتح الميم .

ومن هذه الأوصاف « المستجال » ، وهو الذى أصابه فزع (١) أو هو « المستخف» كما فسره السكرى فى شرح أشعار الهذليين (٢). ومنها « المعصوب » بمعنى الجائع(٣) ، أو شديد الجوع (٤) ، والتعصيب هو التجويع عند بعض اللغويين تعقيباً على بيت أبى جندب :

وقد عصبت أهل العرج منهم   بأهل صوائق إذ عصبونى [٥]

ولكن بعضهم لا يرى هذا التفسير ، والحق معه إذ أن معنى البيت - كما نرى - جد بعيد ، لا يحتمل ما ذكر فى تفسيره [٦] .

وليس إطلاق لفظ المعصوب على الجائع هكذا - إن صح - عند هذيل إلا من قبيل التجوز فيما نظن ، فالجائع جوعاً مفرطاً تعصب بطنه ويشد وسطه ، فبين المعنيين إذن رابطة قوية .

أما الجوع نفسه فهو « الجوس » عندهم [٧] ، وقد روى فيه بعض أصحاب المعاجم لفظ « الجود » بالدال أيضاً ، واستشهد بقول أبى خراش فى رثاء بعض قومه :

تكاد يداه تسلمان إزاره   من الجود لما استقبلته الشمائل [٨]

وواضح من سياق البيت أن الجود هنا هو الكرم ، ولا معنى لتفسيره بالجوع فى هذا البيت . وقد أدرك ابن دريد ما فى هذا الكلام من تهافت فعبر عنه بلفظ « زعم » الذى يشير إلى تضعيفه إذ يقول : « وزعموا أن الجود : الجوع ، وهذا لا أعرفه ... » ثم يقول : « وهذا كلام مرغوب عنه » [٩] .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٧٩ .

(٢) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ١٨٧ ، فراج » ٢ / ٥٠٠ .

(٣) الصحاح . تاج العروس ، الجمهرة « عصب » .

(٤) تاج العروس « عصب » .

(٥) ديوان الهذليين ٣ / ٩٠ .

(٦) انظر معنى البيت فى المرجع السابق ، وفى شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٣٥٥ .

(٧) تاج العروس ، القاموس « جوس » .

(٨) تاج العروس «جيد» . انظر البيت فى ديوان الهذليين ٢/١٤٩ وفيه « رداء » مكان « إزاره » .

(٩) الجمهرة « جدو » .

وإذا كانوا قد نسبوا « الجوس » فى معنى الجوع إلى هذيل ، فإنهم قد نسبوا إليها « المسغبة » بمعنى المجاعة أيضاً [1] ، والعَيْلة بمعنى الفاقة [2] كذلك .

أما أسماء الأدواء ، فمنها « الهكع » بمعنى السعال فى لغة هذيل[3] ولعله دخل ميدان الدلالة عند هذيل من باب المجاز ، فالسعال يصحبه غالباً نوع من الإطراق ، فله صلة بالمعنى العام للهكع فى اللغة ، وهو الإطراق فى حزن أو غضب[4] .

ومن ذلك ما يرويه بعض اللغويين من أن « السوء » معناه الجنون عند هذيل ، فبعض الآيات التى جاء فيها هذا اللفظ فى القرآن الكريم كقوله تعالى : « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » [5] وقوله سبحانه حكاية عن قوم هود عليه السلام : « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » [6] نجدهم يفسرون السوء فيها هذا التفسير ، وينسبون ذلك إلى هذيل (٧) .

وإذا صح هذا عن هذيل كان خروجاً باللفظ من معنى عام إلى معنى خاص أى من قبيل تضييق المعنى ، وهو أحد مظاهر التغير فى الدلالات ، كما أدركه المحدثون من علماء اللغة (٨) .

أما أجزاء الجسم وأوصافه ، فقد ذكروا منها عند هذيل « الكَرْهاء » وهى نقرة القفا ، ويقال إنها الوجه والرأس بأسره (٩) ، ويشير ابن دريد إلى أن هذا من قول

---

(١) رسالة لغات القبائل ٢ / ٢٩٦ . اللغات فى القرآن ص ٥٤ . الإتقان ١ / ١٣٤ .
(٢) الإتقان ١ / ١٣٤ . رسالة لغات القبائل ١ / ١٧٧ . اللغات فى القرآن ص ٢٩ .
(٣) الجمهرة (هكه) . تاج العروس (هكع) .
(٤) المرجعان السابقان (المادة نفسها) .
(٥) سورة الأعراف ٧ الآية ١٨٨ .
(٦) سورة هود ١١ الآية ٥٤ .
(٧) اللغات فى القرآن ص ٢٨ . رسالة لغات القبائل ص ١٦٣ . الإتقان ١ / ١٣٤ .
(٨) د . مراد كامل : دلالة الألفاظ العربية ص ٢٥ .
(٩) المخصص ١٦ / ٤١ . الجمهرة (رکه) . اللسان (کره) .

الأصمعي ، ولكنه – أي ابن دريد – لم يسمعه في الشعر الهذلي ، والحق أن هذا اللفظ لا يوجد فيما بين أيدينا من أشعار الهذليين ، فلعل الأصمعي سمعه من هذيل في باديتها فرواه عنها .

ومما نسب إليهم في ذلك لفظ « العِضْرِط » ، وهو ما تسميه المعاجم اللغوية « العِجّان » ، فيروى ابن عباد أنه لغة هذيل [1] . ويشير صاحب الصحاح إلى رواية ذلك عن أبي عبيد [2] .

ولعل من هذا أيضاً « المَذَمَّر » بمعنى القفا ، وقد جاءنا في حديث ابن مسعود « . . . فوضعت رجلي على مذمره » يعني أبا جهل [3] .

ومما نسب إليهم كذلك قولهم « شعر كَتَن » أي به شعث ، وذلك إذا طال إغفال الجملة من الشعر بالتعهد [4] .

بعض أصوات الحيوان وغيره :

مما نجده في ذلك لفظ « الحِس » بمعنى الصوت ، ذلك اللفظ الذي استعمله الهذليون كثيراً في أشعارهم ، وقد ورد ذكره في المعاجم بمعنى الحركة ، وبمعنى الصوت الخفي [5] أو لمطلق معنى الصوت [6] ، ولكنهم ربطوا أحياناً بينه وبين الحركة المحسوسة ، فجعلوه صوتاً للشيء في حركته فحسب [7] ، ولعلهم حين قالوا ذلك قالوه بإيحاء من النصوص الشعرية التي استقوا منها هذا المعنى ، والتي اتخذوا منها شواهدهم على وجود هذا اللفظ ، وهي في أغلب أمرها من الشعر الهذلي ، كقول أبي ذؤيب :

---

(١) المحيط ، تاج العروس (عضرط) .

(٢) الصحاح (عجن) .

(٣) الفائق ١ / ٤٣٩ . الجمهرة (ذمر) .

(٤) المحيط (كتن)

(٥) القاموس (الحس) . الصحاح ، المصباح (حسس) .

(٦) القاموس (الحس) . وانظر ديوان الهذليين ٢ / ٤١ .

(٧) تاج العروس (حس ، نم) . اللسان (حسس) .

فشربن ثم سمعن حِسا دونه شرف الحجاب وريب قرع يقرع[1]

أي أن هذه الحمر بعد أن شربت سمعت « حس » الصائد أي صوت حركته .

وقول عبد مناف بن ربع الهذلي :

وللقسى أزاميـل وغمغمـة حسَّ الجنوب تسوق الماء والبردا[2]

فالحس هنا صوت حركة الريح في مسارها وهبوبها .

ومهما يكن من أمر تقييد مدلول هذا اللفظ أو إطلاقه ، فإن الشعر الذى استقوا منه شواهدهم بشأنه هو – فى أغلبه إن لم يكن كله – من الشعر الهذلى ؛ ولهذا لا ندرى إلى أي حد كان هذا اللفظ سائداً أو موجوداً فى بعض اللهجات العربية الأخرى ؛ فاللغويون لم يضيفوه إلى من عساهم أن يكونوا قد نطقوا به بين العرب ، ولم نجد لدى هؤلاء اللغويين من الشواهد ما يلقى الضوء على ذلك . ولكن انتشار هذا اللفظ فى بعض اللهجات العربية الحديثة ، فى أكثر من بلد عربى يشير إلى أنه كان شائعاً ، أو موجوداً فى أكثر من قبيلة من القبائل العربية التى نزلت مصر وغيرها إبان الفتح الإسلامى أو بعده ، غير أنه إذا صح ما قاله اللغويون أو بعضهم من تقييد دلالته بالأصوات المنبعثة عن الحركات فحسب ، فإننا نكون قد توسعنا فى معناه الآن فاستعملناه لمطلق معنى الصوت .

وإذا كان الهذليون قد استخدموا لفظ « الحس » فى معنى الصوت على تقييده أو إطلاقه ، فإنهم قد استخدموا أيضاً للصوت فى شعرهم لفظ « خَشْف » ، ولكنه فيما جاء فيه من شعرهم قاصر على صوت الريح حين تحتك بيابس الشجر ، كما فى قول أبى كبير يصف السهام :

---

(١) ديوان الهذليين ١/٧ . شرح أشعار الهذليين (تحقيق فراج) ١ / ٢٠ . المفضليات ص ٧٦٥ . تاج العروس (نم) .

(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٤١ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٦٧٥ . تاج العروس « حس » . اللسان « حسس » .

فإذا تُنتل تخلخـلت أرياشها   خَشف الجنوب بيابس من إسحل [1]

فهو إذن أقرب إلى الحفيف (حفيف الريح والشجر) ، فدلالة هذا اللفظ أخص من دلالة اللفظ السابق .

ومن الألفاظ التي تدل على الأصوات لفظ « النُّبوح » ويقول بعض اللغويين « إنه ضجة الحي »[2] ، وبعضهم يستوحي هذا اللفظ القريب من «النباح» فيقول « إنه ضجة الحي وأصوات كلابهم »[3] . وهذان المدلولان هما – في الحق – شيء واحد ، وقد استشهد اللغويون على اللفظ في مدلوله هذا بشعر أبي ذؤيب [4] .

ومن الألفاظ الكثيرة الدوران في شعرهم لفظ « الوغَى » ، وقد فسره اللغويون بمعنى الجلبة والأصوات ، ومنه قيل للحرب « وغى »[5] ، وقد عد صاحب الأساس « وغى الحرب » الأصل في هذا اللفظ [6] ، ولكن اللغويين – وقد اتخذوا شاهدهم من الشعر الهذلي [7] – اختلفوا في رواية هذا اللفظ بين « وغى » بالغين [8] المعجمة ، و « وعى » بالعين [9] المهملة ، و « لغا » باللام [10] ، وقد نجد هذه الروايات جميعها في المرجع الواحد من مراجع اللغة [11] ، ولا يمكن أن تجتمع هذه الروايات المختلفة –

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٩٩ . الجمهرة « خشف » والرواية فيها « تخشخشت أرياشها » .

(٢) تاج العروس « نقح » .

(٣) الصحاح « نبح » . تاج العروس « نبح ، نقح » .

(٤) المحكم ٣ ورقة ٥٧ . الصحاح « نبح » تاج العروس « نبح ، نقح » . وانظره في ديوان الهذليين ١ / ٧٠ . وشرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ١٧٢ .

(٥) الصحاح ، المصباح « وغى » .

(٦) الأساس « وغى » .

(٧) انظره في هذه المراجع ، وفي ديوان الهذليين ٢ / ٢٥ .

(٨) الصحاح « خش » . اللسان « زيط . وغى » .

(٩) المحكم ، اللسان « وعى » .

(١٠) اللسان ، تاج العروس « لغط » .

(١١) اللسان « لغط . وعى . وغى » .

إذا صحت جميعها — فى بيت واحد لشاعر واحد من قبيلة واحدة ، اللهم إلا أن تكون صدى للهجات العربية المختلفة التى قد يتأثر بها الرواة .

ولعل أقدمها لفظ « لغا » باللام ذلك اللفظ الذى يحتمل أن يكون أصلا قديماً للفظ « لغة » إذ اللغة أصوات ، ولعله أيضاً أصل لكلمة « لغو » أو « لغا » بمعنى الكلام الساقط الذى لا يعتد به [1] اما « وغى » بالواو والغين ، فلعله أحدثها جميعاً إذ هو اللفظ الذى كتب له السيرورة والبقاء إلى يومنا هذا . يستعمله الناطقون باللغة من أدباء وغيرهم فى معنى الحرب كما أشرنا ؛ لما فيه من جلبة المحاربين ، وأصوات ما لديهم من أدوات القتال .

ومن الألفاظ الدالة على الصوت ، والتى صرح اللغويون بأنها لغة لهذيل لفظ « الطغى » بسكون الغين [2] ، وقد روى فى القاموس خطأ بفتحها [3] ، ولعل هذا اللفظ كان مستعملا عندهم للصوت الشديد الذى يطغى على غيره ، كما يدل عليه أصل هذه المادة من مجاوزة للحد وطغيان .

وربما كان مثل « الطغى » فى شدته وطغيانه ذلك الصوت الذى يدل عليه عندهم لفظ « النَّهيت » غير أن الأخير صوت مخيف يثير الرعب كالزئير [4] ، ويبدو أن اللغويين قد استقوا دلالة هذا اللفظ غالباً من الشعر الهذلى فى مناسبة أثارت الفزع فى نفس شاعر هذلى قد انخلع قلبه من هول ما لقيه من المسلمين يوم الفتح [5] .

ومما يدخل فى مجال الأصوات قولهم كلام « نسيف » أى « خفىّ » ناسبين ذلك للهجة الهذلية محتجين فى هذا بقول أبى ذؤيب :

---

(١) القاموس « اللغة » .

(٢) تاج العروس « طغى » .

(٣) القاموس « طغى » .

(٤) تاج العروس « نهت » . الروض الأنف ٢ / ٢٧٢ .

(٥) انظر سيرة ابن هشام « مع الروض الأنف » ٢ / ٢٧٢ . الجمهرة « تنه » .

فألفى القوم قد شربوا فضموا أمام الماء منطقهم نسيف [1]

وقد فسروا هذا « المنطق النسيف » فى معاجم اللغة وفى دواوين شعر هذيل هذا التفسير . .

ومن المعروف أن « الضُّباح » فى اللغة هو صوت الثعلب غالباً ، ولكنا نجده أحياناً صوتاً للذئب فى شىء من الشعر الهذلى كقول مُلَيح :

وقد صرع القوم الكرى بعد ما مضى هزيع وسِرحان المفازة يضبح(٢)

الكثرة والقلة والزيادة والنقص :

من ذلك ما يقولون من أن « التكريم » التكثير فى لغة هذيل ، وشاهدهم على ذلك ما ساقوه منسوباً إلى شاعر هذلى مجهول الاسم ، ويتمثل ذلك فى قوله :

« وكـــرّم مـــاء صريحـــا » [3]

ومن اللغويين من يقول : « كرم السحاب تكريما جاد بقطره » [4] ، فهو يشير إلى التكثير الذى صرح به غيره .

ومن الألفاظ الدالة على الكثرة عندهم لفظ « أمِر » بمعنى كثر ، وحديث ابن مسعود صريح فى أن هذه كانت لغتهم فى الجاهليـة « كنا نقول فى الجاهلية أمِر بنوفلان أى كثروا »(٥) .

ومن ذلك قولهم « مالٌ جَبْل » ، « حى جبل » أى كثير(٦) ويسعفهم فى الاستدلال لهذا قول أبى ذؤيب :

---

(١) اللسان « نسف » . وانظره فى ديوان الهذليين ١ / ١٠٢ . وشرح أشعار الهذليين « قراج » ١ / ١٨٦ . والرواية فيه « أمام القوم » .
(٢) الجهرة « ضبح » .
(٣) اللسان « كرم » .
(٤) الأساس « كرم » .
(٥) النهاية ١ / ٥٠ . اللسان « أمر » .
(٦) الصحاح « جبل » .

منايا يقربن الحتوف لأهلها جهاراً ويستمتعن بالأَنَس الجِبل [١]

ومما اعتبروه في معنى الكثرة لفظة « طاح » ، إذ قالوا « الطاحى الكثير » ، وأتبعوا ذلك قول أبي ذؤيب :

« له عسكر طاحى الضفاف عرمرم » [٢]

ومثله قول صخر الغي :

وخفض عليك القول واعلم بأنني من الأنَس الطاحى عليك العرمرم [٣]

ولكن تفسير هذا اللفظ « بالكثير » لا يعني أن كلا من اللفظين مقابل للآخر تمام المقابلة من وجهة النظر اللغوية الخالصة ، بل هو تفسير اجتهادي أملاه السياق ؛ ولهذا نجد لفظ « الطاحى » في المعاجم اللغوية ذا معان كثيرة تدور في أغلبها حول معنى السعة والانبساط [٤] والانتشار [٥] ، ولكنها جميعها تفيد معنى الكثرة في كل حال . وجل شواهد اللغويين بشأنها من الشعر الهذلي .

ومن هذه الألفاظ « الكوثر » الذي رووا أنه الكثير من كل شيء على التعميم ، ثم خصوه عند هذيل بالكثير الملتف من الغبار إذا سطع وكثر ، وساقوا لذلك شاهداً من شعر أمية بن أبي عائذ الهذلي [٦] .

ومن الألفاظ الدالة على الكثرة « ضحضاح » أي كثير ، وهذا اللفظ — في أصل

---

(١) المرجع السابق والمادة السابقة . ديوان الهذليين ١/٣٨ . شرح أشعار الهذليين ١/ ٩٢ والرواية فيه « قديماً » بدلا من « جهاراً » .

(٢) كتاب الجيم ص ١٠٥ .

(٣) اللسان « طحا » . ديوان الهذليين ٢ / ٢٢٥ . والرواية فيه « للطاحى الجميع العرمرم » . وشرح أشعار الهذليين ١ / ٢٦٦ ، والرواية فيه « الطاحى الحاول العرمرم » .

(٤) الأساس « طحو » . اللسان « طحا » .

(٥) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٩١ .

(٦) اللسان « كثر » . ديوان الهذليين ٢ / ١٨١ . شرح أشعار الهذليين ٢ / ٥٠٤ .

معناه – هو الماء الرقيق (١) ، أو القليل[٢] ، ولكن أكثر اللغويين يروون أنه الكثير في لغة هذيل ، ومنهم من اكتفى بنسبة هذا إليهم [٣] ، ومنهم من قصره عليهم دون غيرهم من العرب [٤] وكلامهم بشأن هذا اللفظ إنما يدور حول بيت أبي ذؤيب :

يحش رعداً كهدر الفحل يتبعه أُدْم تَعطَّف حول الفحل ضحضاح[٥]

وكلام اللغويين في هذا مرده إلى ما يروونه عن خالد بن كلثوم – أحد القدامى من علماء اللغة ورواة الشعر الهذلي – من أن « الضحضاح » في لغة هذيل الكثير (٦) ، ولكن الأصمعي – وهو الآخر من كبار أئمة اللغة ورواة الشعر الهذلي واللغة الهذلية – يرد معنى ضحضاح إلى المعنى العام في اللغة وهو القلة ، فيقول بأن لفظ « ضحضاح » معناه ها هنا « جماعة إبل قليلة » (٧) . أو « هو القليل أبدا » (٨) وإذا كان الأصمعي قد ثاب في هذا إلى ما فهمه من سياق البيت ، فالحق أن معناه ربما كان إلى الكثرة أقرب ، فالشاعر يتحدث في القصيدة عن البرق للذي بات يرقبه في أعراض الشام ونواحيه ، وهو يستثير رعداً يهدر كالفحل تتبعه الإبل ، فلا بد أنها إبل كثيرة ، وذلك ما يقتضيه المقام . هذا وقد روى عن الأصمعي نفسه « غنم ضحضاح » و «إبل ضحضاح» كثيرة (٩) ، وهذا ما يؤكد أن « الضحضاح » عند هذيل الكثير . وذلك عندهم مضاد

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٤٨ . الجمهرة « غلى » .

(٢) المخصص ٩ / ١٣١ . المحكم « ضحح » . الجمهرة « غلى » . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٦٧ .

(٣) المحكم « ضحح » . القاموس « ضحضح » . المخصص ٩ / ١٣١ . شرح ديوان أبي ذؤيب « للشنقيطي » ورقة ١٠٩ .

(٤) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٦٧ . تاج العروس ، واللسان « ضحضح » . انظر ديوان الهذليين ١ / ٤٨ « حاشية ٢ » .

(٥) ديوان الهذليين ١ / ٤٨ . شرح ديوان أبي ذؤيب « تيمور » ص ١٠٥ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٦٧ .

(٦) اللسان ، تاج العروس « ضحضح » .

(٧) المحكم « ضحح » .

(٨) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٦٨ .

(٩) تاج العروس « ضحضح » .

لما تعارف عليه غيرهم . أى أن العلاقة هنا بين دلالة هذا اللفظ عند هذيل ، ودلالته عند غيرهم قائمة على التضاد .

ومما يدل على الكثرة عندهم قولهم « تمر مُجْنِب ، وطعام مجنب » أى كثير [1] وقولهم : « أتانى حساب من الناس » أى جماعة كثيرة [2] .

ومن الألفاظ التى تقارب معنى الكثرة عندهم لفظ « مدرار » أى متتابع ، إذ يقول بعضهم فى تفسير هذا اللفظ فى قوله تعالى : « وأرسلنا السماء عليهم مدراراً » [3] « يرسل السماء عليكم مدراراً » [4] يعنى متتابعاً بلغة هذيل [5] .

ومن الألفاظ المعبرة عن القلة قولهم « الثميلة » للماء القليل كالذى يبقى فى وسط الغدير [6] .

أما ما يدل على النقص فمنه قولهم « هضمه حقه » أى نقصه ذلك الحق ، فإن منهم من يقول فى قوله تعالى : « فلا يخاف ظلماً ولا هضما » [7] يعنى نقصاً بلغة هذيل [8] .

ولعل من ذلك أيضاً « الوكس » بمعنى البخس فى الثمن أو ما يشبهه ، وهذا اللفظ لا يزال معروفاً فى بعض اللهجات العربية الحديثة ، وهو عربى فصيح ذكرته المعاجم غير منسوب للناطقين به ، ولكنا نتقفه فى قول ابن مسعود : « لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط » أى لا نقصان ولا زيادة (٩) .

---

(١) كتاب الجيم ص ٣٠ .

(٢) اللسان ، تاج العروس « حسب » .

(٣) سورة الأنعام ٦ الآية ٦ .

(٤) سورة هود ١١ الآية ٥٢ .

(٥) رسالة لغات القبائل ص ١٢٦ . اللغات فى القرآن ص ٢٦ .

(٦) كتاب الجيم ص ٢٢ .

(٧) سورة طه ٢٠ الآية ١١٢ .

(٨) رسالة لغات القبائل ص ٣٠ . اللغات فى القرآن ص ٣٧ .

(٩) اللسان « شطط ، وكس » .

التضـــاد :

هناك من التغير فى معانى الـكلمات ما لا يقوم على تضييق المعـنى أو توسيعه ، أو مجرد انتقال المعنى انتقالا ما ، بل يكون هـــذا الانتقال أحياناً قائماً على التضاد بين المعنيين ، ذلك التضاد الذى كان عاملا من عوامل وجود ما يسمونه « بالمشترك اللفظى » فى اللغة ، وهذا التضاد الذى هو لون هام من ألوان العلاقة بين المعانى نجد منه عند الهذليين ما سبقت الإشارة إليه فى الـكثرة والقلة من أن لفظ « ضحضاح » عند هذيل فى معنى كثير عكس ما هو معروف فى اللغة .

ومن ذلك أيضاً « العَنوة » ، وهى فى اللغة فى معنى القهر والغلبة ، ولـكنها قد تكون فى معنى الطاعة فى لغة هذيل[1] أو فى لغة خزاعة وهذيل[2] .

وقد استشهد اللغويون لصحة هذا بقول أبى صخر الهذلى :

فما أسلموها عَنوة عن مودة ... ولـكن بحد المشرفى استقالها[3]

وإذا كنا قد ألفنا فى اللغة قولهم « لا يألو فلان جهداً » أى لا يقصر ، فإننا نفهم أن الاجتهاد ، وعدم التقصير يتطلب شيئاً من القدرة على تنفيذ الشىء وتحقيقه ، ولـكنا نجد ما يشبه أن يكون مناقضاً لهذا عند هذيل إذ نجد من اللغويين من يقولون بأن معناه عدم القدرة والاستطاعة فى لغتها[4] ويضربون لذلك مثلا هو قول أبى العيال الهذلى :

جهراء لا تألو إذا هى أظهرت ... بصراً ولا هى من عيلة تغنينى[5]

ومن هذه الألفاظ ما ذكروا من أن لفظ « اشترى » فى قوله تعالى : « بئسما اشتروا به أنفسهم »[6] معناه باعوا بلغة هذيل[7] ومثله لفظ « شروا » الذى وجد فى بعض

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٦ .
(٢) سمط اللآلى ١ / ٦٢ . معجم البلدان (مشرف) ٨ / ٦٢ .
(٣) السمط ١ / ٦٢ .
(٤) كتاب الجيم ٣ / ٢٠٨ . الجمهرة (ألو) .
(٥) اللسان (جهر) . مقاييس اللغة (ألوى) . ديوان الهذليين ٢ / ٢٦٣ .
(٦) سورة البقرة ٢ الآية ٩٠ .
(٧) رسالة لغات القبائل ص ١٥ .

المراجع بهذا المعنى نفسه عند هذيل[1] .

ومن ذلك قولهم فى الآية الكريمة « واقصد فى مشيك »[2] إن لفظ « اقصد » معناه أسرع فى هذه اللغة أيضاً [3] ، هكذا يقول أبو عبيد ، ولا أدرى كيف اتجه إلى هذا التأويل ونسبه إلى هذيل مع أن « القصد » بمعنى التوسط والاعتدال هو الذى يوائم المعنى ، وما تضمنته حكمة لقمان وعظته ؟ وعهدنا باللغويين أنهم لا يلجئون فى بعض هذه المواطن إلى لغات العرب ولهجاتها إلا إذا أعوزهم تفسير لفظ غريب عليهم أو توجيه معنى لا يستقيم لهم فى مألوف اللغة ، ولكن لعل هذا اللفظ الذى روى عن هذيل معناه عندهم « اقصد » إلى غايتك سريعاً ، وليس معناه اقتصد فى الأمر وتوسط فيه . وعلى هذا لا تكون الدلالة قائمة هنا على التضاد أو ما يقاربه ، بل هى انتقال باللفظ من معنى إلى معنى آخر .

إذا كان الرجاء فى اللغة فيه أمل واطمئنان ، فإنه عند هذيل على عكس ذلك إذ هو عندهم فى معنى الخوف والخشية ، وعلى هذا ذكروا أن قول الله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله »[4] معناه لا يخافون بلغة هذيل [5] ، وقوله تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً »[6] أى يخاف بهذه اللغة أيضاً [7] ، وقوله تعالى : « لا يرجون نشورا »[8] لا يخافون[9] ، وقوله عز شأنه : « ما لكم لا ترجون لله وقارا »[10] أى لا تخافون لله عظمة [11] .

---

(١) الإتقان ١ / ١٣٤ .
(٢) سورة لقمان ٣١ الآية ١٩ .
(٣) رسالة لغات القبائل ص ١١٤ .
(٤) سورة الجاثية ٤٥ الآية ١٤ .
(٥) اللغات فى القرآن ص ٤٤ . رسالة لغات القبائل ٢ / ١٩٢ .
(٦) سورة الكهف ١٨ الآية ١١ .
(٧) رسالة لغات القبائل ٢ / ١٥ . اللغات في القرآن ص ١١٠ .
(٨) سورة الفرقان ٢٥ الآية ٤٠ .
(٩) البحر المحيط ٦ / ٤٩١ . البيضاوى ٣ / ٢٤٨ .
(١٠) سورة نوح ١٧ الآية ١٣ .
(١١) ابن السكيت : الأضداد ص ١٧٩ . البحر المحيط ٨ / ٣٤١ .

وينسب أبو حيان القول بذلك إلى أبي عبيدة والفراء وغيرهما من علماء اللغة [1] .

ونجد مصداق هذا في الشعر الهذلي في قول أبي ذؤيب :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل [2]

أي لم يخف ولم يبال .

وبعض اللغويين يجعل هذه لغة لهذيل وحدها [3] ، وبعضهم يجعلها لغة تهامية ، ومنهم من يضيف إلى هذا أنها لغة لهذيل[4] ، فهو يجعلها عامة في تهامة كلها ثم يخص من بينها هذيلا ، وإن كان ظاهر عبارته يوحي بأن هذيلا هي شيء آخر غير قبائل تهامة ، وهذا وهم . وثمة من يقول بأنها لغة هذيل وخزاعة ومضر ، وينقل أبو حيان قول قطرب بأن هذه لغة الحجاز ، وأن هذيلا وخزاعة ومضر يقولون لم أرج أي (لم أبال) [5] .

وقد يكون معقولا أن تكون هذه لغة هذيل وخزاعة ، فهما قبيلتان بدويتان حجازيتان ، أما ذكر مضر جميعها ففيه تساهل لا ينبغي ، إذ أن هذا التعميم يدخل تحته جميع القبائل الحجازية ومن بينها قريش ، والقبائل القيسية والتميمية وغيرها من عرب الشمال جميعهم إلا ربيعة وحدها ، وفي هذا خطأ واضح .

ويؤكد ذلك أن من المراجع ما يذكر أنها لغة لهذيل وكنانة وخزاعة ونصر[6] . ونصر هذه قبيلة صغيرة من القبائل القيسية المجاورة لهذيل ، ولها معها صلة في الحرب

---

(١) البحر المحيط ٦ / ٤٩١ .

(٢) شرح أشعار الهذليين « فراغ » ١ / ١٤٤ . ديوان الهذليين ١ / ١٤٣ « والرواية فيه الدبر بدل النحل ، عواسل بدل عوامل » . شرح ديوان أبي ذؤيب « الشنقيطي » ورقة ٩٥ . ابن السكيت : الأضداد ص ١٧٩ .

(٣) الإتقان ١ / ١٣٤ .

(٤) تفسير جزء تبارك ص ٥٩ .

(٥) البحر المحيط ٨ / ٣٤١ .

(٦) السجستاني : الأضداد ص ٨١ .

والسلم ، فالمعقول أن تشارك هذيلا فى ذلك ، أما غير المعقول فهو أن يعم هذا جميع قبائل مضر . وقاتل الله التحريف فإنه يقلب المعانى ، ويغير حقائق الأشياء ، وثم تصحيف آخر جعل « نصراً » هذه « نضراً » فى مرجع آخر [1] ، ولكن أمره يسير يمكن إدراكه من قريب .

هذا ويذكر بعض اللغويين أن الرجاء يكون عند هذيل هو الخوف فى حال النفى فحسب [2] ، والسبب الذى حدا بهم إلى ذلك أن معظم ما ورد فيه ذلك من أساليب قرآنية أو شعرية إنما هى أساليب منفية ، ولكن قد مر بنا بعض الأساليب الموجبة ، ومع هذا أولها اللغويون هذا التأويل ، أى جعلوا الرجاء فيها بمعنى الخوف ، ونسبوا ذلك أيضاً إلى هذيل .

ومن هذا القبيل من الألفاظ ما روى من أن « السانح » للتيمن ، والبارح للتشاؤم عند كثير من العرب ، وأن منهم من يعكس هذا ، فالبارح عندهم لليمن ، والسانح للشؤم على خلاف ما هو معروف [3] . وهذه الظاهرة الأخيرة ينسبونها إلى هذيل ، فهى تجعل « البارح » لليمن ، و « السانح أو السنيح » للشؤم على خلاف ما هو مألوف عند غيرهم من العرب كما أشرنا [4] .

ويقول بعض اللغويين إن هذه الظاهرة مذهب أهل الحجاز ، وأهل نجد على خلاف ذلك ، فهو ينسبها للحجازيين جميعاً مستنداً فى ذلك إلى شعر أبى ذؤيب فى التشاؤم بالسانح ، وهو حجازى ، وذلك فى قوله :

زجرت لها طير الشمال فإن تصب   هواك الذى تهوى يصبك اجتنابها [5]

ومع هذا فالبيت غير واضح الدلالة وضوحاً كافياً فى هذا الشأن ، وربما كانت

---

(١) ابن الأنبارى : الاضداد ص ١٥ .

(٢) البحر المحيط ٦ / ٤٩١ .

(٣) انظر ديوان الهذليين ١ / ٧١ ، وشرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٤٢ .

(٤) شرح ديوان أبى ذؤيب « تيمور » ص ١٨٧ .

(٥) لسان العرب ، وتاج العروس «شمل» ، وانظر البيت فى شرح أشعار الهذليين « فراج » ٤٢/١ .

روايته في ديوان الهذليين بلفـــظ « السنيح » بدلا من « الشمال » [1] هي أوضح في الاستدلال .

ونحن لا نستبعد أن تـــكون هذه الظاهرة عند غير هذيل من الحجازيين ، أو من سواهم ، ولكن الشواهد التي ساقوها لذلك هي نصوص هذلية ، كما سبق من قول أبي ذؤيب ، وكما نرى من قوله أيضاً :

أريت لإربته فانطلقت أزجى لحب اللقـاء السنيحا [2]

وعلى الرغم من أن الـــكثيرين من اللغـــويين : من شراح الشعر الهذلي أو غيرهم يوجهون هذه الشواهد توجيهاً يؤكد ما ذهبوا إليه ، فإنها – مع هذا – ليست دليلا قاطعاً على ذلك ، فلعلهم قد علموا من طريق الرواية والمشافهة أن هذه لغـة هذلية ، فحملهم هذا على تخريج الأبيات تخريجاً يتفق وما عرفوه من لغة هذيل . أما إذا كان اعتمادهم على هذه الشواهد وحدها في نسبة ذلك إلى هذيل ، فإن الاستدلال بها غير قاطع في الموضوع ؛ إذ يمكن عن طريق مخالفتهم في الفهم والتأويل ، أو عن طريق الاعتماد على بعض الروايات الأخرى أن نصل إلى أنها لا تخالف الاتجاه العام في اللغة .

ومن هذه الألفاظ أيضاً « القنـــوع » أي الهبوط عند هذيل ، وهو الصعود عند غيرها [3] .

ومن الألفاظ الأخرى كذلك الفعل « مَثَل » ، فإنا نجده في اللغة بمعنى «شخص» ، ومنه القائم الماثل [4] كما في قولهم : « مثل بين يديه » ، أي أن معناه وجود الشخص ماثلا في مكان معين ، ولكنا نجده في الشعر الهذلي بمعنى « ذهب » ، والمثول الذهاب ، كما في قول أبي خراش :

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٧٠ .

(٢) شرح ديوان أبي ذؤيب « الشنقيطي » ورقة ١٢٨ ، «تيمور» ص ١٨٧ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١/٢٠٣ . ديوان الهذليين ١/١٣٦ . والرواية فيه «أزجي لحب الإياب السنيحا» .

(٣) تاج العروس « قنع » .

(٤) القاموس ، الأساس « مثل » .

يقربه النهض النجيـــح لما يرى ومنه بدوّ مرة ومثـــول [1]

أى يبدو أحياناً ، ويغيب أخرى ، فالبدو هو الظهور ، والمثول هو الذهاب والاختفاء .

بعض الالفاظ التى تعبر عن معنى الظرفية :

يذكر النحاة واللغويون منها لفظ متى ، وقد ألمنا (٢) إلى أنهم اختلفوا فى معناها ، فمنهم من جعلها حرف جر ، ومنهم من قال بأنها فى معـنى « وسط الشىء » وقد ساق أولئك وهؤلاء أمثلة وشواهد يبدو فيها التـكلف ، ونسبوها إلى هذيل مثل قولهم « أخرجها متى كمه » واختلفوا فى تفسيرها كاختلافهم فى تفسير بعض الأبيات الهذلية التى تحمل هذا اللفظ اختلافاً أدى إلى الاضطراب كما سبق أن أشرنا .

ومن هذه الألفاظ كلمة « خلاف » ، ونجدها غالباً بمعنى « غير » ، فنحن نقول : « خلاف هذا » أى غير هذا ، ولكن الهذليين قد استعملوها فى أغلب الأحيان فى معنى « بعد » .

ومن أمثلة هذا فى شعرهم قول البريق الهذلى :

فما كنت أخشى أن أعيش خلافهم بستة أبيات كما نبت العتر [3]

فقوله « خلافهم » فى البيت معنـاه « بعدهم » ، وهكذا نجده فى كتب اللغة والأدب[4] .

ومثله قول أبى صخر :

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٢٣ . ابن السكيت : الأضداد ص ١٨٦ .

(٢) انظر ص ٣٥٩ من هذا الكتاب .

(٣) شرح أشعار الهذليين « فراج » ٢ / ٧٤٩ . ديوان الهذليين ٣ / ٥٩ والرواية فيه « آن أقيم خلافهم » . اللسان ، تاج العروس « خلف » .

(٤) المراجع السابقة « المواضع نفسها » .

باتا معا وتركت فى مثـــواهما أبــكى خــلافهما بكاء الثاكل[1]

أى أبكى بعدهما .

وقول أبى ذؤيب :

فأصبحت أمشى في ديار كأنها خلاف ديار الـكاهلية عور[2]

ويفسر السكرى لفظ « خلاف » هنا أيضا بمعنى « بعد » [3] .

ولهذا اللفظ فى دلالته هذه أمثلة أخرى فى الشعر الهذلى[4] .

وقد وجد هذا اللفظ فى قوله تعـالى : « وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليـلا » [5] ، وقوله سبحانه : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » [6] ، ويفسره المفسرون — غالباً — بمعنى بعد ، وهذا شأن بعض اللغويين مستدلين على ذلك بشواهد من الشعر ، أغلبها ماسبق أن مر بنا من شعر هذلى ، ومنها ماهو لبعض جيرانهم من شعراء عقيل[7] .

ومن ذلك لفظ « إنى » ، وجمعه آناء وهى الأوقات والساعات (٨) وقد ورد هذا اللفظ فى قول المتنخل :

حلو ومر كعطف القدح مرّته بـكل إنى حذاه الليل ينتعل(٩)

---

(١) البحترى : ديوان الحماسة ص ٣٠٦ .

(٢) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٦٧ . ديوان الهذليين ١ / ١٣٨ والرواية فيه « وأصبحت » مكان « فأصبحت » . الصحاح « عور » . اللسان وتاج العروس « خلف » .

(٣) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٦٧ .

(٤) ديوان الهذليين ١ / ٧٠ . اللسان « خلف » .

(٥) سورة الإسراء ١٧ الآية ٧٦ .

(٦) سورة التوبة ٩ الآية ٨١ .

(٧) تاج العروس ، اللسان « خلف » .

(٨) المصباح « أنى » ديوان الهذليين ٢ / ٣٥ .

(٩) ديوان الهذليين ٢ / ٣٥ . تاج العروس « نعل » والرواية فيه « في كل إنى قضاه الليل » .

وإذا كان استعمال هذا اللفظ مفرداً غير مشهور ، فإن استعماله جمعاً سائغ مألوف ، ومنه في القرآن الكريم : « من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل »[1] ، « ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار »[2] ، « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً »[3] .

وقد فسروا هذا اللفظ فيها جميعاً بمعنى الساعات ناسبين ذلك إلى لغة هذيل[4] .

بعض الألفاظ المختلفة في حياتهم اليومية :

من هذه الألفاظ « ملا يملو » أي عدا يعدو ، وينقل الزبيدي وابن منظور حكاية بعض الهذليين : « فرأيت الذي ذما يملو » أي الذي نجا بذمائه يعدو[5] .

وقول مليح الهذلي :

فألقوا عليهن السياط فشمرت سعال عليها الميس تملو وتقذف[6]

ومما يرويه اللغويون من ذلك أيضاً « جاس خلال الديار » أي تخلل الأزقة والدروب ، وبهذا فسروا قوله تعالى : « فجاسوا خلال الديار »[7] ، ثم نسبوا هذا إلى هذيل (٨) .

ومن ذلك « افرنقع » أي تفرق، أو انكشف(٩) ، وبها قرأ ابن مسعود : « حتى

(١) سورة آل عمران ٣ الآية ١١٣ .
(٢) سورة طه ٢٠ الآية ١٣٠ .
(٣) سورة الزمر ٣٩ الآية ٩ .
(٤) رسالة لغات القبائل ص ٦٦ . الإتقان ١ / ١٣٤ .
(٥) اللسان ، وتاج العروس « ملا » .
(٦) المرجعان السابقان ، والرواية في اللسان « سعالى » .
(٧) سورة الإسراء ١٧ الآية ٥ .
(٨) اللغات في القرآن ص ٣٤ .
(٩) البحر المحيط ٧ / ٢٧٨ .

إذا فزع عن قلوبهم»[1] إذ نجدها فى قراءته « افرنقع عن قلوبهم » [2] ، فلعلها من لغتهم إذ ليس هناك ما يدفع ابن مسعود إلى أن يتنكب القراءة المشهورة « فزع » إلى هذا اللفظ الغريب إلا أن يكون فى الغالب لغة قومه .

ومن ألفاظهم « ندر » الرجل أى مات(3) ، و «الأجداث» القبور [4] ومن كلامهم أيضاً « حكل بالعصا حكلا » أى ضرب ، وهذا الفعل من الألفاظ التى يصرحون بنسبتها إلى هذيل ، وينقل الزبيدى فى ذلك قول بعض الهذليين : « لئن أظفرنى الله بك لأحكلنك بالعصا حكلا » أى لأضربنك بها [5] .

وعلى ذكر الضرب والعصا نجد فى الشعر الهذلى لفظاً آخر هو « الوبيل » ، ويفسره اللغويون بلفظ العصا أيضاً ، غير أنهم يفسرونه بالعصا الغليظة الشديدة تعقيباً على ما جاء فيه هذا اللفظ من شعر أبى خراش [6] .

ومن كلماتهم فى الفكاهة والضحكُ المَشْمعة ، وقد جاء هذا اللفظ كثيراً فى الشعر الهذلى ، ومن ذلك قول المتنخل :

سأبدؤهم بمشمعة وأثنى ... بجهدى من طعام أو بساط [7]

وقول أبى ذؤيب :

فلبثن حينا يعتلجن بروضة ... فيجدّ حينا فى العلاج ويشمع (8)

---

(1) سورة سبأ ٢٤ الآية ٢٣ .

(٢) شواذ ابن خالديه ص ١٢٢ . البحر المحيط ٧ / ٢٧٨ .

(٣) تاج العروس واللسان « ندر » .

(٤) رسالة لغات القبائل ٢ / ٢٤١ . الإتقان ١ / ١٣٤ .

(٥) تاج العروس « حكل » .

(٦) ديوان الهذليين ٢ / ١١٨ .

(٧) ديوان الهذليين ٢ / ٢٢ . الفائق ١ / ٦٧٥ .

(٨) ديوان الهذليين ١ / ٥ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٤ . اللسان « شمع » والرواية فيه « فيجد حينا فى المزاح ويشمع » .

ومن ألفاظهم أيضاً ما يرويه اللغويون من أن « الفلاط » هو الفجأة ، و « لقيته فلاطا » [1] ، و « اضرب فلاطا » [2] أي فجأة لغة هذلية ، ومنه قول المتنخل :

أحمى المضاف إذا دعاني   ونفسي ساعة الفزع الفلاط [3]

ومنه « أفلطه الأمر » أي فاجأه [4] ، ونجد هذا أيضاً في شعر المتنخل(٥) .

ومن لغتهم « أسبع » فلان عبده أي أمله فهو مسبع [6] أي اشتدت ضراوته كأنه سبع في الإيذاء ، ولكنا نجد لفظ « مسبع » عند غيرهم بمعنى « دَعِيّ » [7] .

ومن ذلك أيضاً لفظ « آتال » الذي نجده في الشعر الهذلي في معنى حلف ، كقول ساعدة بن جؤية :

يئيلان بالله الجيد لقد ثوى   لدى حيث لاقى زينها ونصيرها [8]

ويقرن اللغويون في معاجمهم هذا اللفظ بذلك المعنى مستدلين عليه بالبيت السابق من شعر ساعدة (٩) .

وعند هذيل وثقيف لفظ « تزاملوا » بمعنى تراجزوا ، ويسمون الرجز « الزمل » [10] .

أما الكتابة ومشتقاتها فللهذليين لغتهم فيها إذ يقولون — فيما يروى — للكتاب

---

(١) اللسان « فلط » .

(٢) النهاية ٣ / ٢١٤ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٢٦ . الصحاح « سرط - فلط » ، اللسان « فلط » .

(٤) اللسان « فلط » .

(٥) ديوان الهذليين ٢ / ١٢ . اللسان « فلط » .

(٦) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٢ ، ١٣ . وانظر ديوان الهذليين ١ / ٤ .

(٧) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٢ ، ١٣ .

(٨) ديوان الهذليين ٢ / ٢١٧ . تاج العروس « قول » . اللسان « نيل » .

(٩) المرجان الأخيران « كل في مادته » .

(١٠) الأساس « زمل » .

المكتوب «المنمّل »[1] ، و«المنمّل» الذى كأن سطوره مدبّ نمل[2] وعبارة السكرى : مُنمّل متقارب الخط[3] ، ويسوق اللغويون فى ذلك قول أبى العيال الهذلى :

والمرء عمْرًا فأته بنصيحـــة منى يلوح بها كـتاب منمل (٤)

ونجد هذا البيت فى ديوان الهذليين وشرح أشعار الهذليين للسكرى مع خلاف طفيف فى كل منهما لا يؤثر على موضع الشاهد فيه (٥) .

ويقول ابن سيده إن ابن دريد يروى بشأن القراءة والكتابة أن هذيلا تجعل «الذبر» للكتابة ، و « الزبر » للقراءة(٦) ، ولكنا نجد ابن دريد نفسه يذكر « الزبر » فى معنى الكتابة بالزاى لا بالذال فى روايته لبيت أبى ذؤيب :

عرفت الديار كــرقم الدواة يزبرها الـكاتب الحـميرى (٧)

فالزبر هنا معناه الكتابة ، وإن كان يحتمل أن يكون معناه القراءة ، ولكن سياق البيت لا يرشح له كما يرشح للمعنى الأول ، ومع هذا فإن ابن دريد ، ومن وافقه قد عدلوا باللفظ عن روايته الصحيحة التى استند إليها اللغويون ، ومنهم ابن دريد نفسه فى أن الكتابة عند هذيل هى « الذبر » بالذال لا بالزاى . وهكذا نجدها فى اللسان حين يسوق بيت صخر الغى :

فيها كتابٌ « ذَبْر » لمقـترىء يعـرفه أَلْبُهم ومن حشدوا (٨)

وإن كان هناك بعض أقوال ضعيفـة يذكرها صاحب اللسان بصيغـة التضعيف ،

---

(١) اللسان وتاج العروس « نمل » .
(٢) ديوان الهذليين ٢ / ٢٥٣ .
(٣) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٤٣٣ .
(٤) اللسان وتاج العروس « نمل » .
(٥) ديوان الهذليين ٢ / ٢٥٣ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٤٣٣ .
(٦) المخصص ١٣ / ٤ .
(٧) الاشتقاق ص ٤٨ .
(٨) اللسان « ذبر » .

تجعل « الذبر » كل قراءة خفية . وكل هذا ناشىء عن التحريف ، ثم عن اختلافهم فى فهم ما أمامهم من النصوص ، فوجود لفظ « مقـترىء » الذى يشير إلى معنى القراءة إلى جوار لفظ « ذبر » جعلهم يقولون ما قالوا ، ولكن البيت صريح فى الرد على ما ذهبوا إليه ، فقول الشاعر : « فيها كتاب ذبر » إنما هو فى معنى « كتاب مكتوب » ، ويؤيد هذا ما ذكره صاحب اللسان نفسه من رواية الأصمعى لبيت أبى ذؤيب بلفظ « يذبرها » بالذال ، وللأصمعى تقديره ، ولكلامه وزنه فى هذا المجال .

وإذا كان مطبوع ديوان الهذليين قد آثر رواية الزاى فى البيت ، فإنه — مع هذا — أشار إلى رواية هذا اللفظ بالذال(١) ، وقد كان ينبغى له متابعة الأصل الذى عنه أخذ ، فرواية السكرى فى شرح أشعار الهذليين(٢) وفى شرح ديوان أبى ذؤيب ، — وهو من أهم الأصول المخطوطة — « يذبرها » بالذال (٣) . وهذه هى الرواية الصحيحة التى تتفق وما أنشده الأصمعى ، وإليها يمكن أن يستند قول اللغويين فى الموضوع .

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٦٤ .
(٢) شرح أشعار الهذليين « تحقيق فراج » ١ / ٩٨ .
(٣) شرح ديوان أبى ذؤيب « الشنقيطى » ورقة ٦٥ .

الفصل الثاني

الألفاظ ذات الدّلالة المعنوية

الفصل الثانى

الدلالة المعنـــوية للألفـــاظ

أشرنا إلى أن المراد بهذا النوع من الدلالة ما كانت الألفـــاظ فيه لا تعبر عن شىء مادى ، وإنما تشير إلى شىء معنوى كالنواحى الخلقية والاجتماعية فى حياة الناس ، ومن هذه المعـــانى ما يتصل بالجانب الحربى الذى كان له وضعه الخاص فى حياة القبائل العربية ، ومنها ما يتصل بحياة القبيلة ، وحياة أفرادها فى غير أوقات الحرب والقتال . وسنعرض ما وصلت إليه يدنا من هذه الألفاظ المعبرة عن تلك الجوانب من حياتهم :

بعض ألفاظ تدور حول الحرب والقتال :

ينقل إلينا علماء اللغة القدامى من هذه الألفاظ « الكيس » الذى هو فى اللغة ضد الحمق ، ويستعمله الهذليون فى معنى « البأس » [1] والشدة فى الحرب ، ولعلهم قد فعلوا ذلك لأنهم اعتبروا الجبن والنكوص عن القتال نوعاً من الحمق ، فـكأن البأس عندهم « كيس » على سبيل المجاز ، ولعله صار بمرور الوقت حقيقة نسى أصلها ، وبقيت ماثلة فى لغتهم ، ومع هذا فإنا نجد لفظ « البأس » فى الشعر الهذلى [2] ، فإن صح ما قال به اللغويون من أن الـكيس معناه البأس عند هذيل كان وجود هذين اللفظين معاً مدعاة للقول بسبق أحدهما ، ومجىء الآخر تالياً له نتيجة للتطور اللغوى ، ولعل لفظ «الكيس» هو الذى كان شائعاً عندهم فى البادية وقتما بدأ نشاط الرواة فى جمع نصوص اللغة ومروياتها فى القرن الثانى للهجرة . ومع ذلك فلفظ « الـكيس » هو إحدى روايتين روى بها بمعنى ما ورد فيه من شعر هذيل [3] ، فلعل الرواية الأخرى — وهى البأس — أثر من

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ٢٤٠ .

(٢) المرجع السابق ١ / ١١٠ ، ٢٤٠ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٤٠ .

آثار الفصحى ماثل في رواية بعض الرواة أوهو ناتج من تأثر الشعراء أنفسهم خضوعاً للتطور اللغوي في البيئة التي تتطور بتطور الزمان والمكان . هذا إلى أنه من الجائز أن يكون قد وقع تصحيف في هذا اللفظ ، ويؤيد ذلك روايته في شرح أشعار الهذليين « الناس » بالنون لا بالباء [1] .

ومن ألفاظهم في هذا المجال أيضاً رجل « عُوَق » أي جبان ، وهذا ما ينقله ابن سيده وابن منظور والزبيدي وغيرهم من اللغويين في كتبهم ومعاجمهم [2] ، ولكنا نجد هذا اللفظ بالواو المشددة في قول مالك بن خالد الخناعي :

فدى لبني لحيان أمي فإنهم   أطاعوا رئيساً منهم غير عوق [3] .

وفي اللسان وشرح القاموس أن لفظ « عوق » بالتشديد معناه الرجل الذي تعوقه الأمور عن حاجته [4] ، وله بهذا المعنى صلة بالجبن غير أنه أعم منه وأشمل . ومع وجود هذه الرواية للفظ بالتشديد نجد أن اللغويين يروونه – غالباً – دون تشديد في معنى الجبن عند هذيل كما أشرنا . ولا ندري هل روى الرواة ذلك مشافهة عن هذيل في باديتها ، أم أنه بوجه عام من إيحاء الشعر الهذلي وإن كان قد جاء فيه مشدداً ، أي مختلفاً بعض الاختلاف عن روايتهم إياه في مؤلفاتهم ؟ ومع هذا فقد ذكره ابن دريد بالتشديد «عوق» مطابقاً لما جاء به الشعر الهذلي ، ونسبه هو الآخر – طبعاً – لهذيل [5] ولعل رواية ابن دريد هي الرواية الصحيحة وفي غيرها تحريف .

ومن الألفاظ الدالة على التهيب « الكهكاهة » وهذا اللفظ روى به قول أبي العيال الهذلي :

ولا بِـكَهكاهة برم   إذا ما اشتدت الحِقب [6]

---

(١) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٢٤ .

(٢) المخصص ٣ / ٦٤ . المحكم واللسان « عوق » .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٨ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ٤٧١ . تاج العروس « عوق » .

(٤) تاج العروس «عوق» .

(٥) الجمهرة « عوق » .

(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢٤٢ .

ففيه رواية أخرى « ولا كهكاهة برم »[١] ، وقد فسر الأزهرى[٢] (ونقل عنه الزبيدى تفسيره)[٣] لفظ الكهكاهة بالمتهيب ، وذلك أيضاً ما نجده عند الجوهرى فى الصحاح[٤] ، وقد فسره السكرى بالمتهيب الذى يهاب كل شىء ، يكهكه إذا رأى الحرب يقول : كه كه ، وإذا صح هذا كان ذلك اللفظ فى الأصل حكاية للصوت الذى يصدر من ذلك المتهيب ستراً لموقفه وجبنه .

ويبدو أن التهيب الذى يتصف به مدلول هذا اللفظ تهيب عام فى الحرب ، وفى غير الحرب . وربما رجحنا ذلك إذا علمنا أنه قد فسر لفظ « الكهكاهة » أيضاً « بالشيخ » ، وله صلة بالمعنى السابق ، ففى الشيوخ تهيب ، وحذر يخالفان — فى العـــادة — إقدام الشباب فى حرب أو سلم .

وقد ذكر صاحب القاموس وشارحه هـــذا اللفظ بإبدال هائه الأخيرة ميا أى « كهكامة »[٥] بمعنى المتهيب أيضاً . وأغلب الظن أن هذا تحريف وتلفيق نشأ عن المزج بين هذين اللفظين « كهكاهة » ، « كهامة » الذين روى بهما هذا البيت من شعر هذيل[٦] .

ومن ألفاظهم فى ذلك « التسميح » ، وهو الهرب والفرار ، ويسجل الشعر الهذلى هذا اللفظ فى قول أبى ذؤيب الهذلى يرثى حبيبا الهذلى جد عبد الله بن مسعود :

ألفيته لا يفل القِرنُ شوكته ولا يخالطه فى البأس تسميح[٧]

ويعد بعض اللغويين من هذه الألفاظ « حرض » بمعنى حض وبه فسر قوله تعالى : « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال »[٨] مع نسبة هذا اللفظ إلى هذيل[٩] .

---

(١) ديوان الهذليين ٢ / ٢٤٢ . شرح أشعار الهذليين « قراج » ١/٤٢٤ . الصحاح « كهه » .
(٢) التهذيب « كهكه » .
(٣) تاج العروس « الكهكه » .
(٤) الصحاح « كهه » .
(٥) القاموس ، تاج العروس « كهم »
(٦) ديوان الهذليين ٢ / ٢٤٢ .
(٧) الاقتضاب ص ٤٠١ . وانظر ديوان الهذليين ١ / ١١٠ .
(٨) سورة الأنفال ٨ الآية ١٦٥ .
(٩) رسالة لغات القبائل ص ١٧٢ . الإتقان ٢ / ١٣٤ .

ومن ذلك « انفروا » بمعنى اغزوا ، وبه فسر قوله تعالى : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما » [1] ، وكذلك الآيات الأخرى التي ورد فيها هذا اللفظ نجده منسوباً أيضاً إلى هذيل [2] .

بعض الألفاظ ذات الدلالة الخلقية والشعورية والفكرية :

يروى اللغويون من قول هذيل في ذلك : « بَرِم » الرجل أدام الفكر [3] . وقولهم للرجل إنك « لشُكْلى » إذا لم يكن له عقل [4] .

ومن ألفاظهم هذه ما يرويه اللغويون من أن «الطرف» في لغة هذيل هو الكريم [5] .

ونجد هذا في قول ساعدة بن جؤية :

« هو الطِرف لم تحشش مطيّ بمثله » [6]

وقول أبي ذؤيب :

إذا نزلت سراة بني عدى　　فسلهم كيف ما صعهم حبيب

يقولوا قد رأينا خير طرف　　بزقية لا يهد ولا يخيب (٧)

ويقول السكرى في ذلك : هذيل تسمي الكريم من الفتيان طرفاً ، وأصله من الفرس الكريم (٨) .

---

(١) سورة التوبة ٩ الآية ٣٩ .
(٢) الإتقان ١ / ١٣٤ . رسالة لغات القبائل ١ / ١٧٨ .
(٣) كتاب الجيم ١ / ١٦ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٢ .
(٥) ديوان الهذليين ١ / ٢٢٣ .
(٦) المرجع السابق « الصفحة نفسها » .
(٧) شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٠٦ ، ١٠٧ . ديوان أبي ذؤيب « تيمور » ص ٩٩ . ديوان الهذليين ١ / ٢٢٣ . والرواية فيه « وجدنا » بدلا من « رأينا » ، « برقية » مكان « بزقية » .
(٨) ديوان أبي ذؤيب « تيمور » ص ٩٩ .

ومن ذلك « الخِضرم » أى الرغيب الخلق ، وقد ورد أيضاً فى شعر أبى ذؤيب(١) .

ومن قول بعض أصحاب المعاجم أن « السيد الجحجاح » المسارع إلى المكارم ، ويروون فى ذلك قول بعض هذيل : « غلامى بشعب كذا يخبط ويجحجح » أى يسرع فيه (٢) .

ومن هذه الألفاظ « الأواب » بمعنى المطيع ، ويفسرونه هكذا فى قوله تعالى : « والطير محشورة كل له أواب » (٣) وينسبون ذلك إلى كنانة ، وهذيل ، وقيس عيلان (٤) .

ونحن لا نستبعد نسبته إلى كنانة وهذيل ، فهما متجاورتان ، ويحتمل أنه من لغتهما معاً ، أو تأثرت فيه إحداهما بالأخرى . أما قيس عيلان التى تكاد تكون شعباً كبيراً يضم قبائل كثيرة فى وسط الجزيرة ، فإنه إن صحت نسبته إليها ، فلا يعقل أن تكون — فى سعتها تلك — قد تأثرت فيه بهذيل بل لعلها هى الأصل الذى أخذ عنه الهذليون هذا اللفظ فى جوارهم لبعض القبائل القيسية ، ثم تأثر به الكنانيون الحجازيون من جيران هذيل .

ويذكر ابن منظور أن من لغة هذيل « العزم » بمعنى الصبر . يقولون ما لى عنك عزم ولا صبر (٥) ، ولكن أبا عبيد يفسر قوله تعالى : « فإن عزموا الطلاق » (٦) بمعنى حققوا ، وينسب ذلك أيضاً إلى هذيل (٧) .

* * *

---

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٥٣ . شرح أشعار الهذليين ١ / ١٥٨ .
(٢) الأساس « جحجح » .
(٣) سورة ص ٣٨ الآية ١١ .
(٤) رسالة لغات القبائل ٢ / ١٥٣ . اللغات فى القرآن ص ٤٢ .
(٥) اللسان « عزم » .
(٦) سورة البقرة ٢ الآية ٢٢٧ .
(٧) رسالة لغات القبائل ١ / ٣٩ .

ومن الأوصاف المذمومة قولهم « رجل متغطرس » أي بخيل [1] ، و « ظنين » أي متهم ، وبهذا فسر قوله تعالى : « وما هو على الغيب بظنين » [2] ، وقد نسب هذا إلى هذيل [3] .

ومن ذلك « المبذر » بمعنى المسرف ، وبه فسر أيضاً قوله تعالى : « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين[4] ، وهذا منسوب أيضاً إلى اللهجة الهذلية [5] .

ومن هذه الألفاظ « الإمعة » ، وقد كان معناه عندهم في الجاهلية « الطفيلي » الذي يتبع الناس إلى الولائم من غير أن يدعى إليها ، ثم تطور هذا اللفظ بعد ذلك ، وتطورت دلالته ، فانتقل من ملابسته للطعام إلى الجانب الخلقي والاجتماعي والديني ، فقد روى عن عبد الله بن مسعود : « كنا في الجاهلية نعد الإمعة الذي يتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى ، وإن الإمعة فيكم اليوم المحقب الناس دينه » [6] .

فنحن نرى أنه قد تطور مدلول هذا اللفظ تحت تأثير البيئة الجديدة ، والدين الجديد . وهذا التطور الذي نشير إليه في ثنايا البحث هو أمر ملموس لا يحتاج إلى دليل ، وقد أحسه بعض الهذليين أنفسهم حينما سئل عن بعض الألفاظ عندهم فقال : « هذا كلام عقمي » [7] يعني أنه كلام غريب من كلام الجاهلية لم يعد مفهوماً .

ومن ألفاظهم « الخرص » بمعنى الكذب (لا بمعنى الحدس والظن) وهكذا فسر بعضهم هذا اللفظ في الآية الكريمة : « . . . ما لهم به من علم إن هم إلا يخرصون » [8]

---

(١) اللسان ، تاج العروس « غطرس » .
(٢) سورة التكوير ٨١ الآية ٢٤ .
(٣) رسالة لغات القبائل ٢ / ٢٨٦ . اللغات في القرآن ص ٥٣ .
(٤) سورة الإسراء ١٧ الآية ٢٧ .
(٥) اللغات في القرآن ص ٣٤ . رسالة لغات القبائل ١ / ٢٥٦ .
(٦) المحكم « الإمعة » . اللسان « أمع » .
(٧) الأساس « عقم » .
(٨) سورة الزخرف ٤٣ الآية ٢٠ .

وقد نسب هذا فى بعض المراجع إلى هذيل [١] ، وإن كان قد نسب فى موطن آخر إلى كنانة ، وقيس عيلان [٢] ، وقد يمكن الجمع بين هاتين الروايتين دون تضارب أو اضطراب ، إذ أن هذيلا تجاور بعض القبائل القيسية — كما سبق أن ذكرنا — فلعلها علقت هذا اللفظ منها ، ثم إن كنانة تجاور هذيلا فى موطنها ، فليس هناك ما يمنع من أن تشركها فى هذا اللفظ أو تتأثر بها فيه .

ومن ذلك أيضاً « العنت » بمعنى الإثم ، وبذلك فسر هذا اللفظ [٣] فى قوله تعالى : « ولو شاء الله لأعنتكم » [٤] « ودوا ما عنتم » [٥] ، « لمن خشى العنت منكم » [٦] ، « عزيز عليه ما عنتم » [٧] .

ومما يتصل بالعواطف والشعور « الهَكَر » وهو العجب كما يقول ابن دريد [٨] ، أو هو أشد العجب كما يقول السكرى [٩] ، وربما كان قول السكرى أصح ، ففضلا عن أن السكرى من أهم رواة الشعر الهذلى ، فإن اللفظين « العجب ، والهكر » ماثلان جنباً إلى جنب فى قول أبى كبير :

« فاعجب لذلك فعل دهر واهكر » [١٠]

ومن النادر وجود الترادف الكامل عند القبيلة الواحدة ، ومن باب أولى عند الشاعر الواحد من أبنائها .

---

(١) رسالة لغات القبائل ٢ / ١٣٣ .
(٢) المرجع السابق ٢ / ٢١٤ .
(٣) رسالة لغات القبائل ١ / ٣٨ .
(٤) سورة البقرة ٢ الآية ٢٢٠ .
(٥) سورة آل عمران ٣ الآية ١١٨ .
(٦) سورة النساء ٤ الآية ٢٥ .
(٧) سورة التوبة ٩ الآية ١٢ .
(٨) الجمهرة « هكر » ٤ / ٤٧١ .
(٩) ديوان الهذليين ٢ / ١٠١ .
(١٠) المرجع السابق « الصفحة نفسها » .

وإذا كان الثواب فى اللغة بمعنى الجزاء الحسن ، فإن الهذليين — فيما يروى — يجعلونه بمعنى الشكر فى لغتهم [1] ، وبه فسر السكرى قول أبى جندب :

ألا أبلغا سعد بن ليث وجندعا وكلبا أثيبوا المن غير المكدر [2]

ولعل من ألفاظهم « الزخة » فى معنى الغيظ والحقد ، يقول صخر الغى :

فلا تقعـدن على زخـــة وتضمر فى القـلب وجداً وخيفاً [3]

ومن هذه الألفاظ « العشم » بمعنى الطمع ، ويستند أصحاب المعاجم فى وجود هذا اللفظ إلى شعر ساعدة بن جؤية [4] .

ومع وجود هذا اللفظ بين تراثنا اللغوى ، فإن الشعراء والكتاب ، وغيرهم من المثقفين لا يكادون يستعملونه فى أساليبهم وكتابتهم ، مع أنه ليس لفظاً قابعاً فى المعاجم اللغوية منعزلا عن الحياة بل هو شائع الآن فى اللهجات الحديثة فى بعض البلاد العربية ، وفى معنى لا يختلف كثيراً عن معناه فى اللغة ، أو فى الشعر الهذلى .

ومن هذا القبيل من الألفاظ لفظ « واجفة » أى خائفة ، فقد عده صاحب الإتقان من ألفاظ اللهجة الهذلية [5] ، أما لفظ « التخوف » الذى قد يوحى ظاهره بمعنى الخوف كما هو معروف فى اللغة ، فإنا نجد من علماء اللغة القدامى من يجعلونه فى معنى « التنقص » ، وقد فسروه هكذا فى قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف » [6] أى تنقص [7] شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع ، ويسوق أبو حيان قول الهيثم بن عدى : « هو

---

(١) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٨٩ . « تحقيق فراج » ١ / ٣٥٧ . ديوان الهذليين ٣ / ٩١ « حاشية ٤ » .

(٢) شرح أشعار الهذليين « مخطوط » ٨٩ . « تحقيق فراج » ١ / ٣٥٧ .

(٣) ديوان الهذليين ٢ / ٧٤ . شرح أشعار الهذليين « فراج » ١ / ١٩٩ . الصحاح « زخخ » . الأمالى ١ / ٢١٠ .

(٤) تاج العروس واللسان « عشم » .

(٥) الإتقان ١ / ١٣٤ .

(٦) سورة النحل ١٦ الآية ٤٧ .

(٧) البحر المحيط ٥ / ٤٩٠ . الجلالين ١ / ٢٤٤ .

النقص بلغة أزد شنوءة » ، كما يسوق حديث عمر حين سأل عن التخوف ، فأجابه شيخ بأنه التنقص فى لغة هذيل ، وأنشد شعراً فى ذلك لأبى كبير الهذلى(١) .

ويصرح الزمخشري والبيضاوى بأن الشيخ الذى أجاب عمر شيخ من هذيل قال هذه لغتنا : « التخوف » التنقص ، وذكر شاهداً من شعر أبى كبير(٢) .

ألفاظ رويت حول التفسير وغريب القرآن :

هناك ألفاظ أخرى – غير ما ذكرنا – أشار الرواة واللغويون والمفسرون إلى أن الهذليين يختلفون فيها من حيث معناها ودلالتها عن غيرهم من العرب .

وأغلب هذه الألفاظ جاءنا فى مجال التفسير لبعض آيات الكتاب الكريم ، وتأويل ما يتطلب من ألفاظه تأويلا خاصاً فى ضوء لغات العرب ولهجـاتهم ، وعلى هدى من أشعارهم ، فالقرآن وإن كان قد نزل بلغة قريش ، نجد فيه ألفاظاً أخرى مما نطقت به العرب من غير قريش كهذيل وتميم وأسد ، وغيرها من القبائل العربية ؛ ولهذا كانوا يعتدون بالشعر الجاهلى وما انحدر إليهم عن طريقه أو غير طريقه من ألفاظ اللغة عند مختلف القبائل العربية فى ذلك العصر ، حتى إنهم ليروون فى ذلك قول عمر : « عليكم بديوانـكم لا تضلوا . قالوا ، وما ديواننا ، قال شعر الجاهلية ؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم »(٣) .

فليس عجيباً إذن أن نراهم يهتمون بإرجاع بعض هذه الألفاظ ومعانيها إلى من رأوا – صواباً أو خطأً – أنها لغته من بين قبائل العرب .

ومن هذه الـكلمات ما مر بنا فى ثنايا البحث ، ونسوق الآن ما بقى بين أيدينا من كلمات أخرى فى هذا الشأن .

كثير من هذه الـكلمات جاء فى معرض الدين والجزاء ، كقولهم : « السائحون » :

---

(١) البحر المحيط ٥ / ٤٩٥ .
(٢) البيضاوى ٣ / ٩٩ . الكشاف ١ / ٥٢٧ . شرح شواهد الكشاف ص ١٤٧ .
(٣) البيضاوى ٣ / ٩٩ . الكشاف ١ / ٥٢٧ . شرح شواهد الكشاف ص ١٤٧ .

الصائمون » و « السائحات : الصائمات بلغة هذيل[1] » وقد قالوا هذا القول تأويلا لذلك اللفظ فى قوله تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السائحون . . . » [2] » وقوله سبحانه : « مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات » [3] .

ومن ذلك قولهم « الفرقان » عند هذيل هو المخرج [4] » وذلك فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » [5] .

ومن ذلك أيضاً « يهجعون » أي ينامون [6] تفسيراً لما وصف به المتقون فى قوله تعالى : « كانوا قليلا من الليل ما يهجعون » [7] .

ومن هذا ما قيل فى قوله تعالى : « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم . . . » [8] » فقد روي عن بعض اللغويين أن معنى « فورهم » وجههم بلغة هذيل[9] » أو وجوههم بلغة هذيل وقيس عيلان و كنانة [10] » وقد وقع فى بعض المراجع « هذيل وقيس وعيلان و كنانة »[11] » وهذا تحريف أو خطأ مطبعى لا يلتفت إليه إذ المراد « هذيل وقيس عيلان و كنانة».

ولكن القول بأن لفظ « فورهم » معناه وجههم » أو وجوههم يجعل المعنى غير واضح وضوحاً كافياً » فما المراد من « يأتوكم من وجههم أو من وجوههم » ؟ هل هو كناية عن

---

(١) رسالة لغات القبائل ١ / ١٨٧ . اللغات في القرآن ص ٣٠ . الإتقان ١ / ١٣٤ .
(٢) سورة التوبة ٩ الآية ١١٢ .
(٣) سورة التحريم ٦٦ الآية ٥ .
(٤) اللغات فى القرآن ص ٢٨ . رسالة لغات القبائل ١ / ١٦٨ .
(٥) سورة الأنفال ٨ الآية ٢٩ .
(٦) الإتقان ١ / ١٣٤ . اللغات فى القرآن ص ٤٦ .
(٧) سورة الذاريات ٥١ الآية ١٧ .
(٨) سورة آل عمران ٣ الآية ١٢٥ .
(٩) الإتقان ١ / ١٣٤ .
(١٠) اللغات في القرآن ص ٢٣ . رسالة لغات القبائل ١ / ٦٨ .
(١١) البحر المحيط ٣ / ٤٧ .

السرعة التي يؤديها مفهوم النص ؟ أو المقصود معنى آخر يمكن تخريجه في ضوء ما للفظ « الوجه » من معان في اللغة ؟ فقد يراد بالوجه « الجهة » ، فيكون المعنى « يأتوكم من جهتهم » ، وقد يكون غير ذلك .

ومن هذه الألفاظ ما ذكروا من أن لفظ « الملوك » معناه الأحرار[1] في قوله تعالى : « وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا »[2] .

ولعل الذي حدا بهم إلى تلمس معنى آخر للفظ « ملوك » في الآية الكريمة غير مدلوله القريب الذي تعارف عليه الناس في كلامهم — هو أنه لا يمكن أن يكون هؤلاء كلهم ملوكا ؛ ولهذا فإن من اللغويين والمفسرين من فهم « جعلكم ملوكا » على معنى « جعل منكم ملوكا » .

هذا ، ويحتمل أن التعبير بلفظ الملوك هنا تعبير مجازي مقصود به ما كانوا فيه من رفاغة في العيش ونعمة . ولكن من هؤلاء اللغويين من أبى إلا أن يأخذ اللفظ على ظاهره ، ويرده إلى قبيلة عربية من القبائل التي نزل القرآن بلغاتها ، أو ورد فيه ألفاظ من لهجاتها ، فكانت هذه القبيلة هي هذيل .

ومن هذه الألفاظ أيضاً « بالهم » بمعنى حالهم[3] في قول الله سبحانه بشأن المؤمنين « كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم »[4] .

ومن ذلك ما يقولون من أن « الأطوار » عند الهذليين في معنى الألوان[5] كما في قوله عز شأنه : « ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا » (٦) أي ألوانا ، وهذا مخالف للمألوف في معنى الأطوار هنا أي مراحل الخلق التي يمر بها الإنسان ،

---

(١) اللغات في القرآن ص ٢٥ . رسالة لغات القبائل ١ / ١١٠ .

(٢) سورة المائدة ٥ الآية ٢٠ .

(٣) رسالة لغات القبائل ٢ / ١٩٩ . الإتقان ١ / ١٣٤ . اللغات في القرآن ص ٤٥ .

(٤) سورة محمد ٤٧ الآية ٢ .

(٥) اللغات في القرآن ص ٥١ . رسالة لغات القبائل ٢ / ٢٦٦ . الإتقان ١ / ١٣٤ .

(٦) سورة نوح ٧١ الآية ١٤ .

وعدم الإلف فى هذا المقام هو السر فى غرابة هذا التأويل ، وإن كان أساسه موجوداً فى اللغة إذ يقال « الناس أطوار » أى أخياف[1] (مختلفون) .

ومن هذه الألفاظ « تفاوت » بمعنى عيب [2] فى الآية الكريمة « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » [3] .

ومنها أيضاً « شاكلته » أى ناحيته [4] . هكذا قيل فى معنى هذا اللفظ فى الآية الكريمة « قل كل يعمل على شاكلته »[5] ، وإذا صح هذا فلعل المراد بناحيته هنا طريقته ووجهة نظره .

ومما نسبوه أيضاً إلى هذيل « مراغماً » أى منفسحاً[6] وقد فسر هذا التفسير فى قوله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة [7] .

و «ملتحدا» أى ملجأ[8] فى قول الله سبحانه : « ولن تجد من دونه ملتحدا »[9] .

ومن ذلك أيضاً « الأمد » بمعنى الأجل عند هذيل[10] ، وهذا ما يقوله بعض علماء اللغة وعلوم القرآن فى تفسير قوله تعالى : « فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم » [11] .

وكذلك يقولون بأن « الغمة » عند هذيل « الشبهة » [12] ، ويفسرون هذا اللفظ

---

(١) الأساس « طور » .
(٢) الإتقان ١ / ١٣٤ .
(٣) سورة الملك ٦٧ الآية ٣ .
(٤) رسالة لغات القبائل ١ / ٢٦١ . الإتقان ١ / ١٣٤ .
(٥) سورة الإسراء ١٧ الآية ٨٤ .
(٦) الإتقان ١ / ١٣٢ ، ١٣٤ . رسالة لغات القبائل ص ٩٦ .
(٧) سورة النساء ٤ الآية ١٠٠ .
(٨) رسالة لغات القبائل ٢ / ٦ . اللغات فى القرآن ص ٣٥ . الإتقان ١ / ١٣٤ .
(٩) سورة الكهف ١٨ الآية ٢٧ .
(١٠) اللغات فى القرآن ص ٤٨ . رسالة لغات القبائل ٢ / ٢٣٥ .
(١١) سورة الحديد ٥٧ الآية ١٦ .
(١٢) الإتقان ١ / ١٣٤ . اللغات فى القرآن ص ٣٠ .

ذلك التفسير فى قوله تعالى : « ثم لا يكن أمركم عليكم غمة » [1] .

ومن هذا القبيل ما قالوه من أن « الرجم بالغيب » هو الظن عند هذيل [2] وهكذا يفسرونه فى قوله سبحانه : « ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب » [3] .

ومن ذلك لفظ « مفرطون » أى متروكون [4] فى قوله تعالى : « لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون » [5] .

و « ظل » بمعنى صار [6] فى قوله سبحانه : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم » [7] .

هذا ، وقد فسروا « البرد » بالنوم منسوباً إلى هذيل [8] ، وذلك فى قوله تعالى : « لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً » [9] .

وفسروا « الرجز » بالعذاب [10] فى قوله عز شأنه : « فأنزلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون » [11] .

وكذلك فسروا « الذنوب » بالعذاب ، أو بالنصيب من العذاب [12] فى قوله تعالى : « فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم » [13] .

---

(١) سورة يونس ١٠ الآية ٧١ .
(٢) رسالة لغات القبائل ٢ / ٥ . الإتقان ١ / ١٣٤ .
(٣) سورة الكهف ١٨ الآية ٢٢ .
(٤) اللغات في القرآن ص ٣٣ .
(٥) سورة النحل ١٦ الآية ٦٢ .
(٦) اللغات في القرآن ص ٣٣ . رسالة لغات القبائل ١ / ٢٤٥ .
(٧) سورة النحل ١٦ الآية ١٥٨ .
(٨) اللغات في القرآن ص ٥٢ . رسالة لغات القبائل ٢ / ٢٨١ .
(٩) سورة النبأ ٧٨ الآية ٢٤ .
(١٠) الإتقان ١ / ١٣٤ .
(١١) سورة البقرة ٢ الآية ٥٩ .
(١٢) الإتقان ١ / ١٣٤ .
(١٣) سورة الذاريات ٥١ الآية ٥٩ .

ولكن الذنوب في اللغة معلوم أنه « الدلو »[1] . وإذا كانت المعاجم تذكر أن من معانيه الحظ والنصيب أيضاً ، فلعل ذلك على سبيل المجاز ، وإن لم ينص عليه الكثيرون منهم ، ولكن نبه إلى ذلك بعض من عنوا منهم بهذا النوع من الدلالة المجازية في معاجمهم[2] .

فهل نسبة « الذنوب » إلى هذيل في معنى النصيب من العذاب تمحل لا داعي له ؟ أم أن هذيلا ربما صار عندها هذا المجاز حقيقة فنسب هذا اللفظ إليها ؟

لعل ما نستطيع أن نقوله في هذا المجال هو أن اللغويين ، على ما تركوا من ألفاظ اللغة غير منسوب للناطقين به بين العرب ، كانوا حراصاً على أن ينسبوا — مع ذلك — إلى القبائل العربية ماندّ عنهم فهمه من غريب القرآن ، أو ما رأوا أن ظاهر اللفظ فيه قد يتطلب التأويل ، ولكنهم — إذ فعلوا — كانوا في بعض الأحيان يخطئهم التوفيق .

* * *

وبعد ، فينبغي لنا أن نضع الآن في ختام هذا البحث ملحقاً موجزاً لأشهر الألفاظ عند الهذليين (تلك الألفاظ المنثورة في ثنايا الكتاب) كي تتحقق الفائدة المرجوة منه لأصحاب النظرة العجلى ، فلا يكون ذلك مقصوراً على غيرهم من أصحاب القراءة المتمهلة المستأنية .

---

(١) القاموس ، الأساس ، المصباح « ذنب » .

(٢) الأساس « ذنب » .

ألفاظ هذلية ونظائرها في اللغة

اللفظ	نظيره أو معناه
الآناء	الأوقات والساعات (المفرد إنْى)
الأب	الكلأ والمرعى
الإباءة	أن يرد يده إلى سيفه ، فيستله
أجييت القدر	غلفتها
الأَذِين	الأذن
الإرة	موقد النار ، أو حفرتها
الأرجاء	النواحى
الأزْيب	الجنوب (ريح)
الإسادة	الوسادة
استحار	امتلأ (مجاز)
أسبع	أسبع عبده أى أهمله (تركه بغير تأديب حق استشرى فهو مسبَّع) . والمسبع عند غيرهم الدعى .
الإشاح	الوشاح
الأطوار	الألوان والأشكال . (خلقكم أطواراً) أى ألوانا مختلفين
أعثق	أعثقت الأرض أخصبت
الأعراض	الأقاليم والرساتيق
أفرم	أفرم الحوض ملأه (والمفرم المملوء) .
افرنقع	تفرق وانكشف
أفلطه	فاجأه ، والإفلاط المفاجأة
ألَوت	قدرت واستطعت ؛ لا آلو جهداً : لا أقدر . خلافا للمشهور فى اللغة : لا آلو جهداً أى لا أقصر .

اللفـــظ	نظـــيره أو معنـــاه
أم مِرزم	الريح الباردة
الأمد	الأجل
أمِر	أمر بنوفلان أى كثروا
الإمعة	الطفيلى (وهذا هو المدلول المـــادى الذى كان عليه فى الجاهلية ، ثم تطور بعدُ إلى المدلول الخلقى والاجتماعى والدينى)
أثال	حلف
الأنبوب	نوع من الطرق داخل الجبال
انجرد	انجرد النجم انقض
انحرد	انحرد النجم انفرد عن الكواكب والنجوم
الأنَس	الأناسى (أو الحى من أحيائهم)
أنشأت الناقة	لقحت
أنطاه	أعطاه
الأواب	المطيع
أويس	الذئب
الإيام	الدخان
الأيّر	ريح الشمال الباردة
الأيم	الثعبان
البارح	طائر اليُمن (على عكس غيرهم)
بالهم	حالهم : (وأصلح بالهم) أي حالهم
البدن	الدرع (فاليوم ننجيك ببدنك) أى بدرعك . وهذا تفسير من نسبوها إلى هذيل .
البرد	النوم (لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) أى نوماً
بَرِمَ	أدام الفكر
البز	السلاح يلبسه المحارب
البضيع	الجزيرة فى البحر

اللفـــظ	نظـــيره أو معنـــاه
البو	جلد يحشى للفاقد ولدها ، فترأمه وتدر عليه
البوع	الباع
التابّ	الضعيف
التبذير	الإسراف
التخوف	التنقص : (أو يأخذهم على تخوف) أى تنقص
التسميخ	الفرار والهرب
تقطرس	بخل ، والمتقطرس البخيل
التفاوت فى الشىء	العيب فيه
التكريم	التكثير (وأغلب ما يستعمل فى المطر والسحاب)
التيهور	ما بين أعلى الجبل وأسفله (أى سفحه)
ثاقب	شهاب ثاقب مضىء
رجل ثُـكْلى	لا عقل له
الثّلب	الشيخ
الثمام	نبت يسميه غير الحجازيين (الجليل)
الثميلة	الماء القليل يبقى فى وسط الغدير
الثواب	الشكر
الجابى	الجراد (وبعضهم يرويه الجادى أيضاً وهو تحريف) .
جاس	جاس خلال الديار أى تخلل الأزقة
جِبِّل	مال جبل ، وحى جبل أى كثير
جمجمَ	أسرع
الجحش	الخِشف (ولد الظبية)
الجدث	القبر ، والأجداث القبور
الجدّود	الأتان التى قل لبنها
جرن	جرن الحب طحنه
الجماميس	النخل

اللفـــظ	نظـــيره أو معنـــاه
الجمسة	النار
الجميل	الإهالة (الشحم)
الجُوس	الجوع (وقيل الجود عندهم هو الجوع ولكنه تحريف)
الحائل	الأنثى من أولاد الإبل ساعة ولادتها
الحال	حال الرجل امرأته
الحِتر	العطية اليسيرة
الحزب	السلاح
الحس	الصوت
الحساب من الناس والأشياء	الكثير والوفير (أتاني حساب من الناس أي جماعة كثيرة)
الحشيف	الثوب الخلق
الحصيد	ما سوى من الأرض
الحضيرة	بضعة نفر يخرجون للغزو
الحِقّان	فراخ النعام
الحـكل	حكله بالعصا حكلا أي ضربه
الحليف	النصل أو السهم الحليف : الحاد
الحمْز	تحديد الشفرة وشحذها
الحنيذ	الذي يشوى بالحجارة
الخاقة	خريطة من أدم يشتار فيها العسل
الخرج	المطر
الخرص	الكذب ، والخراصون الكذابون
الخَزومة	البقرة
الخَشْف	صوت احتكاك الريح بيابس الشجر
الخلاجيم	الطوال أو العظام الأجسام (وقيل الشجعان)
الخُلّاص	الخلل في البيت

اللفـــظ	نظـــيره أو معنـــاه
خلافَ	بعـــدَ
الخلوج	السحاب المتفرق كأنه خلج من باقى السحاب
الخليف	الطريق وراء جبل ، أو خلف واد
الخوش	البعوض
الخيس	غابة الأسد أو أجمته
الخَيطه	الوتد
الدُعبوب	الطريق المذلل الواضح المسلوك
الدغاول	الغوائل
الدسر	المسامير
دهاق	كأس دهاق : ملأى
الذبر	الـكتابة
الذَنوب	العذاب (أو النصيب من العذاب)
رُبَد السيف	فرنده
الرجاء	الخوف . رجا يرجو : خاف يخاف ، لم يرج : لم يبال
الرِّجز	العذاب
الرجع	المطر
الرجم بالغيب	الظن
الرسيف	مشى المقيد
الرِّقاحى	التاجر
الزاجر	الوازع
الزاهرية	مشية المتبختر
الزبر	القراءة
الزخة	الغيظ
الزرابى	الطنافس
الزمَل	الرجز ، تزاملوا أى تراجزوا

اللفــظ	نظـــيره أو معنـــاه
السائحات	الصائمات
السائحون	الصائمون
السانح	طير الشؤم (على عكس غيرهم)
السّب	الحبل
السّبت	النعل المدبوغ
السبنتى	الجرىء (وبعضهم يحكيه السرندي ، وهو تحريف)
السجير	الصديق . ساجر : صادق
السُحُل	الثياب البيض
سَخَل	سخلت الرجل عبته وضعفته
السُخّل	الضعاف (أو الضعفاء الأرذال)
السرحان	الأسد
السميج	السمج
السميح	السمح
النسنار	اللص
السنيمة	الطريق فى وسط الصخور والجبال
السوء	الجنون (أن نقــول إلا اعتراك بعــض آلهتنــا بسوء) أي جنون .
الشّيد	الأسد
شاكلته	ناحيته
الشَبَج	الباب العالى البنـاء (فى رواية الديوان الشبْح ويفسر بالباب فى عمومه من غير تخصيص) .
اشاترى	باع
الشُجوب	أعمدة من عمد البيت
شرطة الحرب	الكتيبة الأولى تتقدم الجيش
الشنّج	الجمل

اللفظ	نظيره أو معناه
الشّيح	الجلد الماضى ، والمشيح والمشايح الجاد الحامل ، وعند غيرهم الحاذر .
الشيزى	الجفنة
الشيهم	القنفذ
الصبير	السحاب الأبيض
الصل	الحية
الصلد	وصف الحجر الأجرد أو (النقى)
صلوته	أصبت صلاه (ظهره) أو ضربته عليه
صوغ	أخوه صوغه (بالصاد) أى مثله
الضُباح	استعمله الهذليون أحياناً لصوت الذئب ، وهو فى الأصل للثعلب .
الضُّبْر	الجماعة يغزون
الضحضاح	الكثير
الضمّد	أن تتخذ المرأة خليلين
الطاحى	الأنس الطاحى : المنبسط الكثير العدد
الطرف	الفتى الكريم
الطغى	الصوت (ولعله الصوت الصاخب)
الطغيا	الصغير من بقر الوحش
الطليل	الحلو الجميل من كل شىء
الظبية	خريطة يضع فيها الراعى أداته (ولعلها من جلد الظبى)
ظل	صار
ظنين	متهم
العُبر	الجماعة من الناس
العَجَد	الغربان
العدىّ	جماعة المحاربين

نظيره أو معناه	اللفظ
الصبر على الشىء	العزم
الطمع	العشم
الهيجان	العِضرط
الإثم	العنت
الطاعة	العَنوة
الناب من الإبل (أو هى الناب الكبيرة التى لا سنام لها	العَوّاء
إبل عواد : تأكل العضاه ، والقوم معدون . وغير الهذليين يقولون « عضهة » والقوم « معضهون » .	العوادى
الجبان	العَوَق
طلب شيئاً باليد من غير أن يبصره أو ينظر إليه	عَيَّث
الساحة	العيقة
الفاقة	العيلة
غاره يغيره أفاده	غار
غطا النبات ارتفع وبلغ ، وغيرهم يقول « اغاولى »	غطا
الشبهة	الغمة
الشيخ	الغَنَج
الثوب	الفرض
المخرج (ويجعل لكم فرقاناً) أى مخرجا	الفرقان
الليف والشعر المجتمع كالعرف	الفليل
حرفان للسهم يسميان عند غيرهم الزنمتان	الفُوقتان
الغائص (الغواص)	القاموس
سهم صغير والجمع أقتار (ويقال هو جمع والمفرد قترة)	القِتر
الغيث (مجاز) والأصل فيه الحظ والرزق	القَسْم
اقصد فى مشيك « أسرع »	قصد
الغرارة المملوءة ، والجمع قصائد	القصيدة

نظـــيره أو معنـــاه	اللفـــظ
القدح الضخم (ومقلوبه قلعم وينسب أيضاً إلى هذيل)	القُمْعُل
تجمعوا للقتال ، والمِقنب الجماعة من الثلاثين إلى الأربعين .	قنّبوا
الداهية	القِنطر
هذا بذا قوضاً بقوض أي بدلا ببدل .	قوض
الرجل المتزين المعجب بالزينة واللباس(تشبيهاً له بالقينة)	القينة
الدراهم	القِطّاع
الهبوط ، وعند غيرهم الصعود	القنوع
نقرة في القفا (أو هي الوجه والرأس بأسره)	الكرهاء
الإبل التي لم تحمل عامين (خلافاً لما عند بعض القبائل من أنها التي إذا نتجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت) .	الكِشّاف
المتهيب	الكهكاهة
الكثير الملتف من الغبار	الكوثر
البأس والشدة في الحرب	الكَيس
السيف	اللج
لده عن الأمر حبسه	لد
اللسن الجدل البليغ	الليث
المسرفون	المبذرون
(في)أو (وسط الشيء)	متى
ذهبَ	متَل
تمر مجنب ، وطعام مجنب أي كثير	مِجْنب
أرض محفض : فيها صلابة	مِحفض
الطريق	المخلَفة
المتتابع (يرسل السماء عليكم مدرارا) متتابعاً	المدرار
منفسحاً	يجد في الأرض مراغماً
القفا	المذمّر

اللفـــظ	نظـــيره أو معنـــاه
المزادة	سقاء الماء المسمى بالراوية
المساب	السقاء أو الزق (ويروى المساد . وهو لحن)
المستأخِذ	المطأطىء الرأس من وجع أو غـيره ، أو الذى به أخذ من الرمد .
المستجال	الذى أصابه فزع (المستخف)
المستخلف	الذى يستقى لأصحابه
المِسع	الجنوب (ريح)
المسغبة	المجاعة
المشمعة	الفـكاهة والمزاح
المطي	الرجال أو الرفاق فى السفر (لعله مجاز والأصل فيه المطى بمعنى المطايا) .
المعصوب	الجائع (الشديد الجوع)
مفرَّطون	متروكون (لاجرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) أى متروكون .
مفناة	أرض مفناة موافقة لنازليها
ملا	ملا يملو : عدا يعدو (أى جرى يجرى)
الملاح	المخـــلاة
الملتحد	الملجأ . (ولن تجد من دونه ملتحدا) أى ملجأ
الملطاط	الوادى أو جانب منه
ملوك	أحرار (وجعلـكم ملوكا) أى أحراراً
الماصعة	الماشقة بالسيف
المنا	المنايا
المُنكَّل	الصخر
المنمَّل	المتقارب الخط
المنمَّل	المـكتوب

نظــيره أو معنــاه	اللفــظ
الضعيف النفس (وقد رواه بعضهم منجاب ، وربما كان تصحيفاً ، وإن كانوا عدوه من الأضداد) .	المِنخاب
ندر الرجل مات	ندر
ضجة الحى وأصوات كلابهم	النُّبوح
السهم العريض النصل	النجيف
التــذل	النذيل
تربيـــه	نَرْببه
الكلام الخفى	النسيف
الخمار	النصيف
ريح الجنوب	النُّعامى
الصوت يثير الرعب كالزئير	النهيت
خرج للغزو ، انفروا : اغزوا	نفر
النواعج والنُّعّج الإبل السراع	النواعج
الجماعة من النساء النائحات	النوح
أرض هامدة : مغبرة	هامدة
الطويل الضخم (وصف للاستهجان)	الهجفّ
النــوم	الهجوع
النقص (فلا يخاف ظلماً ولا هضما) أى نقصاً	الهضم
العجب (أو أشد العجب)	الهَكّر
السعال	الهكّع
الباب	الواسط
العصا الغليظة	الوبيل
خاف (قلوب يومئذ واجفة) خائفة	وجف
النذل من كل شىء	الوخْش
المرآة (أو السطح اللامع كالسبيكة من المعدن)	الوذيلة

اللفـــظ	نظـــيره أو معنـــاه
الوراء	صفة للأحفاد لأنهم يأتون بعد الأبناء أو وراءهم
الوَزَر	ولد الولد (الحفيد)
الوشيق	اللحم المجفف
الوعواع	القوم إذا حلوا وضجوا ، والجمع وعاوع
الوغَى	الجلبة والصوت الشديد
الوقيعة	المطرقة ، وهي الميقعة عند غيرهم
الوكس	البخس فى الثمن أو ما يشبهه
الوَليجة	البطانة
الوَليحة	الغرارة وجمعها (وليح)
الولية	البرذعة ، والجمع (ولايا)
اليازع	الوازع

الخاتمة

خاتمـــــــة

هذا البحث الذى يعد – فيا أعلم – أول بحث متخصص فى لغـة من لغات العرب ولهجاتها – بدأته بمقدمة موجزة أو مدخل قصير أوضحت فيه أن هذه اللهجات لم تحظ باهتمام القدامى والمحدثين من علماء اللغـة فى الوطن العربى إلا بعـد أن لمسنا هذا الاتجاه واضحاً عند علماء الغرب من المستشرقين الذين لهم – فى الحق – فضل السبق ، ويمتازون بالمثابرة والجد فى كثير من الدراسات العربيـة ، مع ما يشـوب دراساتهم الشرقية من شوائب ليس هذا موطن بحثها وتعقبها .

وأوردت فى هذا المدخل كثيراً من الـكلمات المشتركة بين العربية والعامية ، أو بين الفصحى وبين اللهجات الحديثة فى الوطن العربى ، واتخذت من هذا دليلا على أنه يمكن الوصل بين الفصحى وبين هذه اللهجات ، وتقريب شقة الخلاف بينها جميعاً حتى لا تنعزل هذه الفصحى عن الحياة ، وحتى تساير ركب التقدم الذى يسير قدما مع الأيام .

أما الموضوع نفسه ، فقد توفرت على جمع مادته المبعثرة المشتتة ، وبذلت فى سبيل ذلك جهداً مضنيا .

ولم أكتف بجمع ما جمعته ، وتنسيقه ، والتـأليف بينه داخل الإطار العام لهذا البحث ، بل بذلت فيه ما ينبغى الباحث أن يبذله من بحث وتحقيق وتمحيص يتناول به جوانب الموضوع ، وينفذ منه إلى دقائقه ، فلم أسلم بما قاله اللغويون تسليما ، بل كان عندى موضع نظر وطول أناة .

ولم أقتصر كذلك على ما قالوه ، وإنما أضفت إليه ما أضفت فى ضوء ما أفدته من وسائل البحث الحديث ، فـكثير من الـكلمات أو الاتجاهات اللغوية التى عدها علماء النحو واللغة حجازية هى فى الأصل راجعة إلى هذيل ، وقد وجدها اللغويون والرواة عند هؤلاء الهذليين ، فاعتبروها لغة الحجاز ، أو لغة الغور أو تهامة أحياناً ، ولغة السر اة أحيانا أخرى .

ثم وصلت إلى أن الهذليين فى موقعهم المتوسط بين إخوانهم من الحجازيين ، وبين القبائل القيسية والتميمية وغيرها فى وسط الجزيرة العربية إنما هم حلقة وسطى فى سلسلة التأثير والتأثر بين أولئك وهؤلاء . وعلى هـذا الأساس استقام لى البحث فى كثير من جوانبه ؛ لأن هذه الحقيقة التى انتهيت إليها كان فيها تفسير كثير من الظواهر اللغوية التى ينسبها اللغويون أحياناً إلى بعض هذه القبائل ثم نجدها عند هذيل جنباً إلى جنب مع ما نجده فيها من الظواهر اللغوية التى تتسم بها أخواتها من القبائل الحجازية الأخرى .

وفى غضون هذا صححت ما أخطأ فيه بعض الباحثين من أن هذيلا غير حجازية ، وأنها تجاور الحجازيين ، ومنازلها تقع بعد الطائف نحو الجنوب .

وإنى إذا كنت قد سرت فى منهج بحثى فى رحاب من الاتجاه العام للدراسات اللغوية والنحوية ، فما فعلت ذلك إلا لأن مادة البحث فى ذاتها لا يمكن فصلها فصلا تاماً عن هذا الاتجاه ؛ لأن اللغويين والنحاة أنفسهم حينما عرضوا لهذا الطابع اللغوى للهذليين — أو لغيرهم — إنما فعلوا ذلك فى شذرات منثورة فى ثنايا أبواب النحو ، ومواد اللغة فجمع الإلف إلى إلفه ، والنظير إلى نظيره يفرض على الدارس هذا المنحى .

ثم دفعنى إلى ذلك أيضاً ما يقتضينى إياه لزوم الموازنة بين الطابع الهذلى ، والاتجاه العام للغة من أن يكون ذلك فى حدود هذا المنهج الذى انتهجته .

وحسبى مع هذا أننى ناقشت كل ما رأيت أنه يتطلب المناقشة من آراء القدامى والمحدثين ، وانتهيت إلى ترجيح ما رأيت ترجيحه ، وأدليت برأيى فى الموضوع فى تحفظ واحتياط ، ولم تدفعنى الرغبة فى التجديد إلى شىء من الجموح ، أو المبالغة فى الأحكام ؛ فكان ذلك مظهرا للتوسط الذى أخذت به نفسى بين الجديد الذى يهرول لا يلوى على شىء ، والقديم الذى يظل قابعاً فى مكانه لا يريم .

وإذا كان كثير من ألفاظ اللغـة قد وصلنا عن طريق الرواية ، ومشافهة الأعراب فى بواديهم ، فإنه — مع هذا — قد انتهى بى البحث إلى أن قدراً من الألفاظ التى ضمنها اللغويون معاجمهم ليس قائماً على المشافهة اللفظية مثلما هو قائم على الاستنتاج من النصوص ، ذلك الاستنتاج القائم على اختلاف الفهم والذوق إلى حد كبير .

وإذا كانت هذه النصوص مصدراً خصبا من مصادر اللهجة الهذلية فإنى قد استطعت أن أجعل من قراءة ابن مسعود وتلاميذه مفتاحاً هاماً من مفاتيح هذه اللهجة .

وقد استطعت كذلك أن أظهر من خلال البحث قيمة التراث الهذلى ، ومشاركته فى تكوين البناء اللغوي والأدبى للغة ، وأن الأدباء واللغويين كانوا كثيراً ما يجدون فيه مادتهم التى يعتمدون عليها ، ولم يكن هذا وقفاً على الرواة وغيرهم من العلماء الذين عرفوا بتخصصهم فى اللغة كالأصمعى وأبى زيد وأضرابها بل إن الشافعى الذى كان يُظن أنه أبعد ما يكون عن مثل هذا الموضوع قد أثبت البحث أنه كان أستاذاً كبيراً فيه إلى جانب فقهه وعلمه بالحديث وعلوم الدين ، وأنه مكث ردحا من الزمن فى بادية هذيل يتلقى أشعارها ، ويعرف لهجتها .

وقد استطعت فى ضوء هذا تفسير ظاهرة ملموسة هي وجود بعض الألفاظ اللغوية فى كتبه مخالفة لما ألفه الناس فى الفصحى مع حذقه لها ، وتمكنه من ناصيتها ، وهذا ما لم يستطع أحد من القدامى والمحدثين تعليله ، أو الرجوع به إلى أساس علمى سليم .

وقد أمكن أيضاً إثبات صلة المذهب الكوفى بلغة هذيل عن طريق الشعر الهذلى أحياناً ، وعن طريق القراءات أحياناً أخرى ، فالكوفيون يُحلون هذه القراءات محلها من التقدير ، وهى عندهم مصدر هام من مصادر النحو الكوفى خلافاً للبصريين ، فليس الفرق بين أولئك وهؤلاء مقصوراً على ما لمسه علماء النحو من خلاف بين المدرستين ، بل يضاف إلى ذلك هذا الفرق الذى أشرنا إليه ، وهو اعتداد الكوفيين بالقراءات ولا سيا قراءة ابن مسعود وتلاميذه ، تلك القراءة التى هى همزة الوصل — فيما نظن — بين المذهب الكوفى واللهجة الهذلية .

ومما عنيت به فى ثنايا البحث أنى لفت النظر إلى بعض ما لم يحالف اللغويين التوفيق فيه من أحكام لغوية كانت نتيجة التحريف أو الخطأ فى بعض ألفاظ اللغة يأخذه اللاحق عن السابق من غير تنبه له أو تنبيه إليه حتى اكتسب مظهر الصواب ، وحجب الحقيقة وراءه ؛ فلم يلتفت إليها أحد .

هذا ، وقد ربطت فى كثير من الأحيان بين اللهجات القديمة والحديثة لما لهذا الربط من أهميته فى موضوعنا ، ثم ختمت البحث بملحق أثبت فيه أشهر ما وصلت إليه من ألفاظ

فى لغة هذيل تلخيصاً لما مر من ذلك فى ثنايا الموضوع ، وقد ظهر من هذا العرض الذى شاهدنامصداقه فى ثنايا البحث أن من هذه الألفاظ ألفاظاً لا تزال حية بمعانيها أو بمايقارب معانيها فى لهجاتنا الحديثة ، كما ظهر مثل ذلك فى الجـانب الصوتى كتخفيف الهمزة أحياناً ، والتخلص من أصوات اللين الطويلة ، وغير ذلك من الظواهر التى لمسناها .

وأنا لا أعنى بهذا أن النتائج التى يصل إليها باحث ـ بالغة ما بلغت أهميتها ـ تعد شيئاً ذا بال فيما نبتغيه من دراسة لغات العرب ولهجاتها ، بل إنها مجرد لبنة تنتظر دورها إلى جانب اللبنات الأخرى التى على أساسها يتم هذا البناء .

لهذا اعتقد أنه لابد من تضافر الجهد الجماعى لـكى يبلغ هذا النوع من الدراسات اللغوية غايته ، ويحقق الثمرة المرجوة منه إن شاء الله .

المَصادرُ والمراجعُ

مصادر ومراجع عربية :

● الآمدى ، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م) .
— المؤتلف والمختلف (تحقيق عبد الستار أحمد فراج) .
ط . مصر .

● إبراهيم أنيس (الدكتور) .
— الأصوات اللغوية .
ط . مصر . الطبعة الثالثة ١٩٦١ م .
— دلالة الألفاظ .
ط . مصر . الطبعة الأولى ١٩٥٨ م .
— فى اللهجات العربية .
ط . مصر . الطبعة الثانية ١٩٥٢ م .

● الأبشيهى ، أبو الفتح محمد بن أحمد (٧٩٠ - ٨٥٠ هـ/ ١٣٨٨ - ١٤٤٦ م) .
— المستطرف من كل فن مستظرف .
ط . مصر ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م .

● ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى الشيبانى (ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م) .
— النهاية فى غريب الحديث والأثر .
ط . مصر ١٣١١ هـ .

● ابن الأثير ، نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى ، أبو الفتح ضيء .
(٥٥٨ - ٦٣٧ هـ/ ١١٦٣ - ١٢٢٩ م) .
— المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر .
ط . مصر ١٢٨٦ هـ .

● الأنبارى ، كمال الدين ، أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله .
(٥١٣ - ٥٧٧ هـ/ ١١١٩ - ١١٨١ م) .
— الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين ، والكوفيين
(تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) .
ط . مصر .

- ابن الأنبارى ، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى (٢٧١ - ٣٢٨ ﻫ / ٨٨٤ - ٩٤٠ م) .

— الأضداد فى اللغة .

ط . مصر .

- ابن الجزرى ، محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف ، أبو الخير ، شمس الدين العمرى الدمشقى (٧٥١ - ٨٣٣ ﻫ / ١٣٥٠ - ١٤٢٩ م) .

— منجد المقرئين ومرشد الطالبين .

مخطوط ، مكتبة الأزهر .

— النشر فى القراءات العشر .

ط . مصر .

- ابن جنى ، أبو الفتح عثمان (٣٢١ - ٣٩٢ ﻫ / ٩٣٣ - ١٠٠٢ م) .

— التمام في تفسير أشعار هذيل .

ط . بغداد .

— الخصائص .

ط . دار الكتب المصرية ١٣٧١ ﻫ / ١٩٥٢ م .

— سر صناعة الإعراب (تحقيق مصطفى السقا وآخرين) .

ط . مصر .

— المحتسب فى شواذ القراءات .

مخطوط ، دار الكتب المصرية .

— المنصف (شرح كتاب التصريف لأبى عثمان المازنى) . تحقيق إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين .

ط . مصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٩ ﻫ / ١٩٦٠ م .

- ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى (ت ٨٥٢ ﻫ / ١٤٤٨ م) .

— الإصابة في تمييز أسماء الصحابة .

ط . مصر ١٣٢٧ ﻫ .

— تعجيل المنفعة .

ط . حيدر آباد ١٣٢٤ ﻫ .

- ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ ﻫ / ٩٨٠ م) .

— مختصر شواذ القراءات (نشر برجشتراسر) .

ط . مصر ١٩٣٤ م .

- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢٤ ﻫ / ٩٣٠ - ٩٣٦ م) .

— الاشتقاق (تحقيق عبد السلام هارون) .

ط . مصر ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م .
— جمهرة اللغة .
ط . مصر ١٣٤٤ هـ/ ١٩٤٥ م .
— الملاحن .
ط . مصر ١٣٤٧ هـ .

● ابن رشيق ، أبو علي ، الحسن بن رشيق القيرواني (٣٩٠ - ٤٦٣ هـ/ ١٠٠٠ - ١٠٧١ م) .
— العمدة في صناعة الشعر ونقده (تصحيح بدر الدين النعساني الحلبي) .
الطبعة الأولى ١٣٢١ هـ/ ١٩٠٧ م .

● ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (١٨٦ - ٢٤٤ هـ/ ٨٠٢ - ٨٥٨ م) .
— إصلاح المنطق (تحقيق أحمد شاكر ، عبد السلام هارون) .
ط . مصر .
— الأضداد (بين مجموعة من ثلاثة كتب في الأضداد) .
ط . بيروت ١٩١٢ م .

● ابن سيده ، أبو الحسن ، علي بن اسماعيل (٣٩٨ - ٤٥٨ هـ/ ١٠٠٧ - ١٠٦٦ م) .
— المحكم والمحيط الأعظم (تحقيق عبد الستار أحمد فراج) .
ط . مصر . الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .
— المخصص .
ط . مصر (بولاق) الطبعة الأولى .

● ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم ، أبو عمر (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ / ٨٦٠ - ٩٤٠ م) .
— العقد الفريد .
ط . مصر ١٢٩٣ هـ .

● ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن (٦٩٨ - ٧٦٩ هـ/ ١٢٩٨ - ١٣٦٧ م) .
— شرح ألفية ابن مالك (مع حاشية الخضري) .
ط . مصر ١٣٥٩ هـ/ ١٩٤٠ م .

● ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ / ٩٤١ - ١٠٠٥ م) .
— الصاحبي في فقه اللغة .
ط . مصر ١٣٢٨ هـ .
— معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام هارون) .
ط . مصر . الطبعة الأولى .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (٢١٣ - ٢٧٦ هـ / ٢٢٨ - ٨٨٩م) .
— أدب الكاتب .
ط . مصر ١٣٢٨ هـ .
— الشعر والشعراء .
ط . مصر ، الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ .
— عيون الأخبار .
ط . دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ .
— المعـــارف .
ط . مصر ١٣٠٠ هـ .
● ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسى (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) .
— الأفعال الثلاثية والرباعية .
ط . مصر ، الطبعة الاولى ١٩٥٢ م .
● ابن الكلبي ، أبو المنذر ، هشام بن محمد بن أبي النصر بن السائب (ت ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) .
— الأصنـــام .
ط . دار الكتب المصرية .
● ابن مالك ، الإمام أبو عبد الله ، جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك (٥٩٧ - ٦٧٦ هـ) .
— تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .
ط . مكة ١٣١٩ هـ .
● ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على
(٦٣٠ - ٧١١ هـ / ١٢٣٢ - ١٣١١ م) .
— لسان العرب .
ط . مصر (بولاق) ١٣٠٠ هـ .
● ابن المنير السكندرى ، أحمد بن منصور (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ / ١٢٢٣ - ١٢٨٤ م) .
— الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (هامش الكشاف) .
ط . مصر ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
● ابن النديم ، محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق ، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم
(ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م) .
— الفهرست .
ط . مصر . الطبعة الأولى .
● ابن هشام ، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى
(ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) .

— السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) .

ط . مصر ١٢٩٥ هـ .

● ابن هشام ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله

(٧٠٨ - ٧٦١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٦٠ م) .

— مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .

ط . مصر ، الطبعة الأولى .

● ابن يعيش ، يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي ، أبو البقاء ، موفق الدين الأسدي

(٥٥٦ - ٦٤٣ هـ / ١١٦١ - ١٢٤٥ م) .

— شرح المفصل .

ط . مصر .

● ابو أحمد العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري

(٢٩٣ - ٣٨٢ هـ / ٩٠٦ - ٩٩٣ م) .

— التصحيف والتحريف .

ط . مصر ١٣ ٦ هـ / ١٩٠٨ م .

● أبو بكر الباقلاني ، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر

(٣٣٨ - ٤٠٣ هـ / ٩٥٠ - ١ ١٣ م) .

— إعجاز القرآن (هامش الإتقان للسيوطي) .

ط . مصر . الطبعة الثانية ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م .

● أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣٢ هـ) .

— الحماسة .

ط . مصر . الطبعة الثالثة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م .

● أبو حيان ،

— ارتشاف الضرب من لسان العرب .

مخطوط ، دار الكتب المصرية .

— البحر المحيط .

ط . مصر ١٣٢٩ هـ .

● أبو زيد ، سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (١١٩ - ٢١٥ هـ / ٧٣٧ - ٨٣٠ م) .

— النوادر في اللغة .

ط . بيروت ١٨٩٤ م .

● أبو زيد ، محمد بن أبي الخطاب القرشي .

— جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية (تحقيق على محمد البجاوى) .
ط . مصر ، الطبعة الأولى ١٣٣٠ هـ .

● أبو سعيد السكرى ، الحسن بن الحسين بن عبيد الله العتكى (٢١٢ - ٢٧٥ أو ٢٩٠ هـ) .
— شرح أشعار الهذليين .
مخطوط . دار الكتب المصرية ، مطبوع ، ط . مصر (تحقيق عبد الستار احمد فراج ، محمود محمد شاكر) .
— شرح بقية أشعار الهذليين .
ط . برلين ١٨٨٤ م .
— شرح ديوان أبى ذؤيب .
مخطوط . الشنقيطى ، والخزانة التيمورية . دار الكتب المصرية .

● أبو شامة ، شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى (٥٩٩ - ٦٦٥ هـ / ١٢٠٢ - ١٢٦٧ م) .
— إبراز المعانى من حرز الأمانى (شرح الشاطبية) .
ط . مصر ١٣٤٩ هـ .

● أبو عبيد ، القاسم بن سلام (١٥٧ - ٢٢٤ هـ / ٧٧٤ - ٨٣٨ م) .
— رسالة ما ورد فى القرآن من لغات القبائل (على هامش الجلالين) .
ط . مصر ، الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ .

● أبو العلاء المعرى ، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي (٣٦٣-٤٤٩ هـ / ٩٦٣-١٠٥٧ م) .
— رسالة الغفران .
ط . مصر ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .

● أبو على الفارسى ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ / ٨٤٣ - ٩٨٧ م) .
— الإيضاح .
مخطوط ، دار الكتب المصرية .
— المسائل الحلبية .
مخطوط ، دار الكتب المصرية .

● أبو على القالى ، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى (٢٨٨ - ٣٥٦ هـ / ٩٠١ - ٩٦٧ م) .
— الأمالى والنوادر .
ط . مصر . الطبعة الثالثة .
— ذيل الأمالى والنوادر .
ط . مصر ، الطبعة الثالثة .

- أبو عمرو الشيباني ، إسحاق بن مرار (٩٤ - ٢٠٦ هـ / ٧١٣ - ٨٢١ م) .
  - كتاب الجيم .
    مصور ، المجمع اللغوى .
- أبو الفرج الأصفهاني ، على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (ولد سنة ٢٨٤ هـ) .
  - الأغاني .
    ساسى .
- أبو القاسم ، على بن حمزة البصرى (ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) .
  - التنبيهات على أغاليط الرواة .
    مخطوط ، دار الكتب المصرية .
- أبو هلال العسكرى ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران .
  (توفى بعد ٣٩٥ هـ / بعد ١٠٠٥ م) .
  - الفروق اللغوية .
    ط . مصر ١٣٦٣ هـ .
  - المعجم فى بقية الاشياء .
    ط . دار الكتب المصرية ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
- أحمد أمين (الدكتور) .
  - فجر الإسلام .
    ط . مصر ، الطبعة السابعة (لجنة التألية والترجمة والنشر) .
- الأزهرى ، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروى ، أبو منصور (٢٨٢-٢٧٠ هـ / ٨٩٥-٩٨١ م)
  - التهذيب .
    مخطوط ، دار الكتب المصرية .
  - الزاهر فى غرائب ألفاظ الإمام الشافعى .
    مخطوط ، دار الكتب المصرية .
- إسرائيل ولفنسون .
  - تاريخ اللغات السامية .
    ط . مصر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- إسماعيل بن عمرو المقرىء .
  - ما ورد في القرآن من لغات القبائل (تحقيق ونشر صلاح الدين المنجد) .
    ط . مصر .

- الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي .
(١٢٢ - ٢١٦ هـ/ ٧٤٠ - ٨٣١ م) .
— الأضداد (بين مجموعة لغوية في الأضداد من ثلاثة كتب (نشر ، د . أوجست هفنر) .
ط . بيروت ١٩١٢ م .
— ديوان الهذليين (روايته) .
ط . دار الكتب المصرية .
— كتاب أسماء الوحوش وصفاتها .
ط . فينا ١٨٨٨ م .
— النبـــات .
مخطوط ، دار الكتب المصرية .
- الأمير ، محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر السنباوي الأزهري .
(١١٥٤ - ١٢٣٢ هـ/ ١٧٤٢ - ١٨١٧ م) .
— حاشيته على مغني اللبيب لابن هشام
ط . مصر ، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ .
- أنيس فريحة (الدكتور) .
— اللهجات العربية وأسلوب دراستها .
محاضرات ألقاها بمعهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ١٩٥٥ م .
- البحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ/ ٨٢١ - ٨٩٧ م) .
— ديوان الحماسة .
ط . مصر ١٩٢٩ م .
- برجشتراسر ، مستشرق ألماني (١٣٠٣ - ١٣٥٢ هـ/ ١٨٨٦ - ١٩٣٣ م) .
— التطور النحوي للغة العربية . سلسلة محاضرات ألقاها في كلية الآداب بالجامعة المصرية .
ط . مصر .
- البطليوسي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (٤٤٤ - ٥٢١ هـ/ ١٠٥٢ - ١١٢٧ م) .
— الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة .
ط ، بيروت ١٩٠١ م .
- البغدادي ، عبد القادر عمر (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ/ ١٦٢٠ - ١٦٨٢ م) .
— خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .
ط ، مصر (بولاق ، والمطبعة السلفية) .
- البكري ، أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي .
(ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م) .

— التنبيه على أوهام القالي في أماليه .
ط . مصر ، الطبعة الثالثة .
— سمط اللآلي في شرح أمالي القالي (تصحيح عبد العزيز الميمني) .
ط . مصر ، (لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
— معجم ما استعجم (تحقيق مصطفى السقا) .
ط . مصر ، الطبعة الأولى (لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

● البيضاوي ، ناصر الدين ، أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) .
— أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) .
ط . مصر .

● التبريزي ، يحيي بن علي بن محمد الشيباني (٤٢١ - ٥٠٢ هـ / ١٠٣٠ - ١١٠٨ م) .
— شرح القصائد العشر .
ط . مصر .

● الثعالبي ، أبو منصور ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري .
(٣٥٠ - ٤٢٩ هـ / ٩٦١ - ١٠٣٨ م) .
— فقه اللغة وسر العربية .
ط . مصر ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .

● ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيي بن زيد بن سيار الشيباني (٢٠٠-٢٩١ هـ / ٨١٦-٩٠٤ م) .
— شرح ديوان زهير .
طبع دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م .
— مجالس ثعلب (شرح وتحقيق عبد السلام هارون) .
ط ، مصر . دار المعارف .

● الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، أبو عثمان .
(١٦٣ - ٢٥٥ هـ / ٧٨٠ - ٨٦٩ م) .
— البيان والتبيين .
ط . مصر ، الطبعة الرابعة .
— الحيوان (شرح وتحقيق عبد السلام هارون) .
ط . مصر .

● الجواليقي ، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن ، أبو منصور .
(٤٦٦ - ٥٤٠ هـ / ١٠٧٣ - ١١٤٥ م) .
— المعرب (تحقيق أحمد شاكر) .
ط . مصر ، دار الكتب .

● الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الخراساني (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) .
— تاج اللغة وصحاح العربية .
ط . مصر ، المطبعة الأميرية ١٣٩٢ هـ .
● الحصري ، إبراهيم بن علي بن تميم ، أبو إسحاق القيرواني (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) .
— زهر الآداب .
ط . مصر ، الطبعة الثالثة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
● حفني ناصف ، حفني بن إسماعيل بن خليل بن ناصف (١٢٧٣-١٣٣٨ هـ / ١٧٦٠-١٩١٩م) .
— مميزات لغات العرب .
ط . مصر ، الطبعة الثانية ١٣٣٠ هـ .
● خالد الأزهري ، خالد بن عبد الله الجرجاوي الأزهري (ت ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م) .
— التصريح بمضمون التوضيح .
ط . مصر ١٣١٢ هـ .
● الخضري ، محمد بن مصطفى بن حسن (١٢١٣ - ١٢٨٧ هـ / ١٧٩٨ - ١٨٧٠ م) .
— حاشيته على شرح ابن عقيل للألفية .
ط . مصر ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م .
● الخليل ، أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي .
(١٠٠ - ١٧٠ هـ / ٧١٨ - ٧٨٦ م) .
— كتاب العين .
ط . بغداد .
● الداني ، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المعروف بابن الصيرفي .
(٣٧٢ - ٤٤٤ هـ / ٩٨٢ - ١٠٥٢ م) .
— الموضح لمذاهب القراءات واختلافهم في الفتح والإمالة .
مخطوط ، مكتبة الأزهر .
● الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله .
(٦٧٣ - ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ - ١٣٤٨ م) .
— تذكرة الحفاظ .
ط . الهند .
● الرضي ، محمد بن الحسن رضي الدين الأستراباذي (توفي نحو ٦٨٦ هـ / نحو ١٢٨٧ م) .
— شرح شافية ابن الحاجب (تحقيق محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين عبدالحميد) .
ط . مصر .

— شرح الكافية .

ط . الشركة الثقافية العثمانية ١٣١٠ هـ .

● الزبيدي ، محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني الزبيدي ، أبو الفيض .

(ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ - ٩١ م) .

— مختصر كتاب العين .

مصور ، دار الكتب المصرية .

— تاج العروس من جواهر القاموس .

ط . مصر ١٢٨٦ هـ .

● الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي الإشبيلي .

(٣١٦ - ٣٧٩ هـ / ٩٢٨ - ٩٨٩ م) .

— طبقات النحويين واللغويين (محمد أبو الفضل إبراهيم) .

ط . مصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

● الزمخشري ، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي ، جار الله ، أبو القاسم .

(٤٦٧ - ٥٣٨ هـ / ١٠٧٥ - ١١٤٤ م) .

— أساس البلاغة (تحقيق عبد الرحيم محمود) .

ط . مصر ، الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .

— الفـــائق .

ط . مصر ١٣٢٤ هـ / ١٩٢٥ م .

— الكشاف عن حقائق التأويل وغوامض التنزيل .

ط . مصر ، الطبعة الأولى .

● السجاعي ، أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي البدواوي الأزهري (ت ١١٩٧ هـ / ١٧٨٣ م) .

— حاشيته على شرح القطر لابن هشام .

ط . مصر ١٣٢٢ هـ .

● السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشمي (ت ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م) .

— الأضداد (بين مجموعة لغوية) .

ط . بيروت ١٩١٢ م .

● السجستاني ، أبو بكر عبد الله بن داود .

— المصاحف .

ط . مصر ، الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .

● السمنودي ، محمد بن حسن بن محمد السمنودي الأزهري (١٠٩٩-١١٩٩هـ / ١٦٨٨-١٧٨٥م) .

— الدرة في القراءات العشر .

ط . مصر .

● السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي .
(٥٠٨ - ٥٨١ هـ / ١١١٤ - ١١٨٥ م) .
— الروض الأنف (شرح السيرة النبوية لابن هشام) .
ط . مصر .
● سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (١٤٨ - ١٨٠هـ / ٧٦٥ - ٧٩٦م) .
— الكتاب .
ط . مصر (بولاق) ١٣٩٧ هـ .
● السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري .
(٨٤٩ - ٩١١ هـ / ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) .
— الاقتراح .
ط . حيدر آباد ، الطبعة الثانية ١٣٥٩ هـ .
— بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .
ط . مصر ، الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م .
— البهجة المرضية .
ط . مصر ١٣٦٦ هـ .
— تفسير الجلالين (جلال الدين السيوطي ، جلال الدين المحلى)
ط . مصر ، الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .
— تنوير الحوالك (شرح موطأ مالك) .
ط . مصر ، دار إحياء الكتب العربية .
— جمع الجوامع
ط . مصر ١٣٣٧ هـ .
— حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .
ط . مصر ١٣٢٧ هـ .
— المزهر في علوم اللغة .
ط . مصر .
— همع الهوامع .
ط . مصر ١٣٢٧ هـ .
● الشافعي ، الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله . (١٥٠ - ٢٠٤ هـ / ٧٦٧ - ٨٢٠ م) .
— الرسالة (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر) .
ط . مصر ، الطبعة الأولى .

● الصاحب ، إسماعيل بن عباد بن العباس ، أبو القاسم الطالقانى .
(٣٢٦ - ٣٨٥ هـ / ٩٣٨ - ٩٩٥ م) .
— المحيــط .
مخطوط ، دار الكتب المصرية .
● الصاغانى ، رضى الدين بن الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوى العمرى الصاغانى . .
(٥٧٧ - ٦٥٠ هـ / ١١٨١ - ١٢٥٢ م) .
— العباب الزاخر .
مخطوط ، دار الكتب المصرية .
— ما تفرد به بعض أئمة اللغة .
مخطوط . دار الكتب المصرية .
— التكملة .
مخطوط . دار الكتب المصرية .
● الصبان ، محمد بن على ، أبو العرفان (ت ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م) .
— حاشيته على شرح الأشمونى للألفية .
ط . مصر .
● الضبى ، المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر ، أبو العباس . (ت ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م) .
— المفضليات .
ط . بيروت ١٩٢٠ م .
● الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (٢٢٤ - ٣١٠ هـ / ٨٣٩ - ٩٢٣ م) .
— تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى) .
ط . مصر ، الطبعة الأولى .
● عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى (٨٦٧ - ٩٦٣ هـ / ١٤٦٣ - ١٥٥٦ م) .
— معاهد التنصيص فى شرح شواهد التلخيص .
ط . مصر (بولاق) ١٢٧٤ هـ .
● عبد الفتاح القاضى .
— القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب .
ط . مصر .
● عبد القادر المغربى ، عبد القادر بن مصطفى المغربى .
(١٢٨٤ - ١٣٨٧ هـ / ١٣٧٥ - ١٩٥٦ م) .
— تفسير جزء تبارك .
ط . مصر .

● عبد الوهاب حمودة .
— القراءات واللهجات .
ط . مصر ١٣٦٨ هـ .
● العدوى ، محمد بن عبد الرحمن الشهير بقطة العدوى (ت ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م) .
— فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل .
ط . مصر .
● العكبرى أبو البقاء ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى .
(٥٣٨ - ٦١٦ هـ / ١١٤٣ - ١٢١٩ م) .
— إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن .
ط . مصر .
— التبيان فى شرح الديوان (شرح ديوان المتنبى) .
ط . مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .
● على عبد الواحد (الدكتور) .
— فقه اللغة .
ط . مصر (لجنة البيان العربى) الطبعة الخامسة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .
— علم اللغة .
ط . مصر ، الطبعة الرابعة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .
● على مبارك ، على بن مبارك بن سليمان الروجى (١٢٣٩ - ١٣١١ هـ / ١٨٢٤ - ١٨٩٣ م) .
— الخطط التوفيقية .
ط . مصر (بولاق) .
● على محمد الضباع .
— إرشاد المريد (شرح الشاطبية) .
ط . مصر .
● العينى ، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ، أبو محمد ، بدر الدين العينى .
(٧٦٢ - ٨٥٥ هـ / ١٣٦١ - ١٤٥١ م) .
— المقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية ، المشهور بشرح الشواهد الكبرى (هامش خزانة الأدب) .
ط . مصر (بولاق) .
● الفيروزابادى ، محمد بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم ، أبو طاهر ، مجد الدين الشيرازى .
(٧٢٩ - ٨١٧ هـ / ١٣٢٩ - ١٤١٥ م) .
— القاموس المحيط .
ط . مصر .

● الفيومى ، أحمد بن محمد بن على ، أبو العباس (توفى نحو ٧٧٠ هـ / نحو ١٣٦٨ م) .
— المصباح المنير .
ط . مصر .

● القاضى عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبى السبتى .
(٤٧٦ - ٥٤٤ هـ / ١٠٨٣ - ١١٤٩ م) .
— مشارق الأنوار .
ط . فاس ١٣٢٨ هـ - ١٣٢٩ هـ .

● القرطبى .
— الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) .
ط . مصر ، دار الكتب ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م .

● لبيد ، أبو عقيل ، لبيد بن ربيعة بن مالك العامرى (ت ٤١ هـ / ٦٦١ م) .
— ديوانه .
مخطوط . دار الكتب المصرية .

● مالك ، الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحميرى ، أبو عبد الله .
(٩٣ - ١٧٩ هـ / ٧١٢ - ٧٩٥ م) .
— الموطأ (تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى) .
ط . مصر .

● المبرد ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدى ، أبو العباس .
(٢١٠ - ٢٨٦ هـ / ٨٢٦ - ٨٩٩ م) .
— الكامل .
ط . مصر .
— المقتضب .
مصور . دار الكتب المصرية .

● محب الدين ، أبو الفضل ، محمد بن أبى بكر داود بن عبد الرحمن الحموى .
(٩٤٩ - ١١٠٦ هـ / ١٥٤٢ - ١٦٠٨ م) .
— تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات (شرح شواهد الكشاف) .
ط . مصر ، الطبعة الأولى (تذييل الكشاف) .

● محمد صديق خان (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ / ١٨٣٢ - ١٨٨٩ م) .
— البلغة فى أصول اللغة .
ط . القسطنطينية ١٢١٦ هـ .

- محمد عبد العظيم الزرقانى .
  — مناهل العرفان فى علوم القرآن .
  ط . مصر ، الطبعة الثانية ١٣٦١ - ١٣٦٢ هـ .
- محمد كرد على .
  — عجائب اللهجات . مقال بمجلة مجمع اللغة العربية . الجزء السابع ص ١٢٨ .
- مراد كامل (الدكتور) .
  — دلالة الألفـــاظ العربية وتطورها (محاضرات ألقاها فى معهـــد الدراسات العربية العالية ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ م) .
- المرزبانى ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٢٩٧ - ٣٨٤ هـ / ٩١٠ - ٩٩٤ م) .
  — الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء .
  ط . مصر .
- المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .
  مروج الذهب .
  ط . مصر ١٢٨٣ هـ/١٨٦٦ م .
- مسلم ، الإمام المحدث مسلم بن الحجاج بن مسلم (٢٠٤ - ٢٦١ هـ / ٨٢٠ - ٨٧٥ م) .
  — صحيح مسلم .
  ط . مصر .
- النعسانى ، السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعسانى الحلبى .
  — نهاية الأرب من شرح معلقات العرب .
  ط . مصر ، الطبعة الاولى ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م .
- ياقوت الحموى ، أبو عبد الله الرومى (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ/ ١١٧٨ - ١٢٢٩ م) .
  — معجم الادباء .
  ط . مصر .
  — معجم البلدان .
  ط . مصر .

* * *

مراجع أجنبية ومعربة :

- Ranbin, Ancient West Arabia.
- فندريس .
  — اللغـــة (ترجمة عبد الحميد الدواخلى ، محمد القصاص) .
  ط . مصر ١٩٥٠ م .
- يوهان فك .
  — العربية (ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار) .
  ط . مصر ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م .

الفهارس

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

فهـــرس

الشعوب والقبائل والجماعات

(أ)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ع)

(غ)

ف

ق

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٤، ٤٢٣، ٤٢٤،
٤٢٦، ٤٣١، ٤٤٣، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٣.

هــذيل ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٩، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨،
٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢،
٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧،
٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٦،
٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢،
١٠٤، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨،
١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠،
١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣،
١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢،
١٧٤، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠،
١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥،
٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٦،
٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٧،
٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٥،
٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢،
٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠،
٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٨،
٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣١٤، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩،
٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤،
٤١٥، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩،
٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٦،
٤٤٨، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٢،
٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦.

هــوازن ٣١، ٣٦، ٤٨، ٤٩، ٥٣، ٦٩، ٧١، ١١٧، ٤١١.

فهـــرس

البـــلاد والأماكن

(أ)

(ب)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

و

ى

فهـــرس

اللغـــات واللهجـــات

فهـــرس

الـكتب الوارد ذكرها في ثنايا الـكتاب

(أ)

(ب)

(ت)

ج

ح

(خ)

(د)

(ر)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

ل

م

فهـــرس

أهم المصطلحات والألفاظ العلمية والفنية

أولاً : ألفاظ علوم القرآن والحديث :

* * *

ثانياً : الألفاظ الخاصة بالدراسات العربية والصوتية :

أ

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

خ

(د)

ذ

ر

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

ف

(ق)

(ك)

(ل)

م

(ن)

(هـ)

(و)

ى

المحتـــوى

صفحة

صفحة